

الأعمال الكاملة للشيخ المهدي البوعبدلي



(1) مراسلاته مع الشيخ

البشير محمودي

(2) متفرقات

جمع وإعداد

عبد الرحمن دويب

هذا الكتاب هدية من وزارة المجاهدين  
بمناسبة الذكرى الخمسين لاستقلال الجزائر



الأعمال الكاملة للشيخ المهدي البوعبدلي

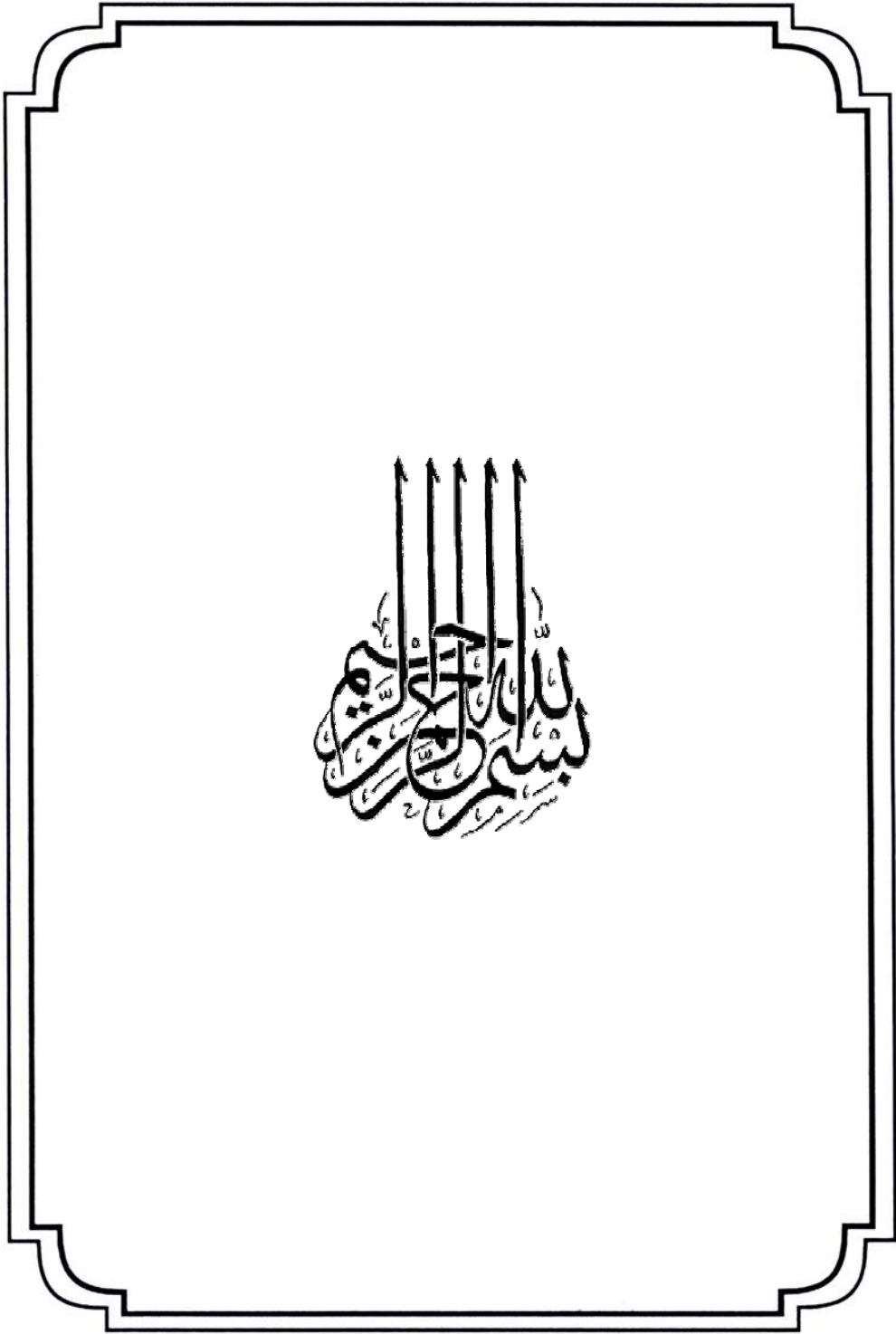
(1) مراسلاته مع الشيخ

البشير محمودي

(2) متفرقات

جمع وإعداد  
عبد الرحمن دويب

عالم المعرفة  
للنشر والتوزيع



الأعمال الكاملة للشيخ المهدي البوعبدلي

(1) مراسلاته مع الشيخ البشير

محمودي

(2) متفرقات



الطبعة الأولى

2013

الإيداع القانوني: 2012-4290

ردمك: ISBN 978-9947-912-44-7

## عالم المعرفة للنشر والتوزيع

حي باحة 02، فيلا رقم 07، تماريس المحمدية / الجزائر

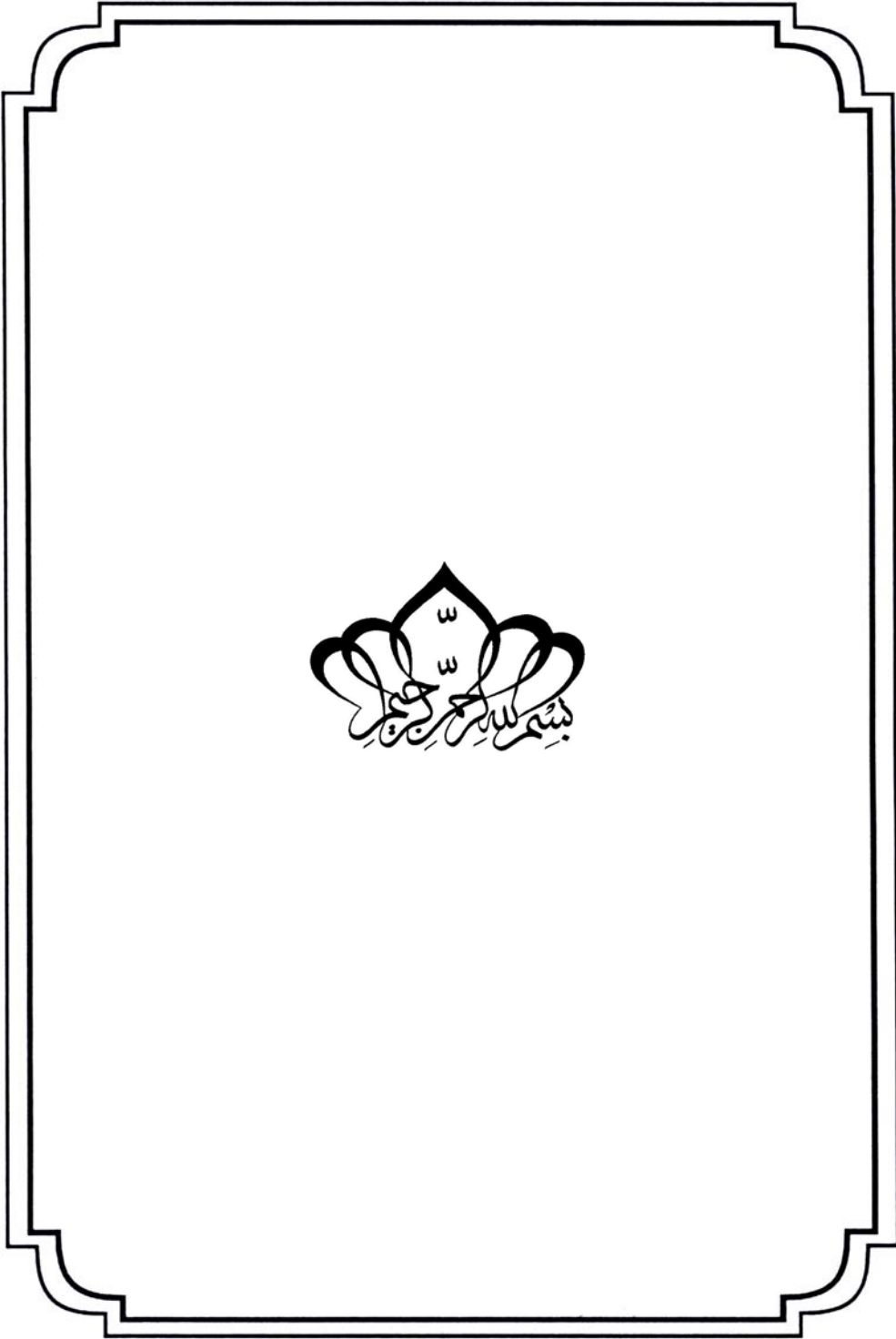
هاتف/ فاكس: 96-21-92-021

البريد الإلكتروني: alemelmaarifa@yahoo.fr

## الفصل السابع

(2)

مراسلاته مع الشيخ البشير محمودي





## [1] رسالة إلى الأستاذ البشير محمودي<sup>(1)</sup>

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه وسلم.

إلى الفاضل المحترم الأريب السيد البشير (حفظكم الله و رعاكم)، وبعد:

فإنه بلغني من عدّة مصادر أنكم مُعتنون باقتناء الكتب، خصوصا المخطوطة، وكان أول مَنْ أخبرني بذلك صديقنا الفاضل الشيخ سيدي الحاج قادة الزلماطي، وكل ما أتمناه هو أن يحفظكم الله، وأن يبارك لكم في عمليكم، إذ مع الأسف إن كتب القطر، خصوصا ناحية غريس، ضاع معظم كتبها من الإهمال، وقد بلغني أن الفاضل السيد أبا جلال بن محلة جمع هو أيضا كتبا قيّمة، إلا أنه مع الأسف أصيبَ بداءٍ عُضال منعه من التصرّف فيها.

هذا، وإني أتمنى أن أطلع على ما عندكم من المخطوطات، خصوصا تأليف أهل البلاد، أو التي نقلوها، إذ لا تخلو من فائدة، وإني بصدد تأليف تاريخ البلاد، خصوصا في عصر الأتراك، وإني جمعتُ كثيرا من التأليف القيّمة، كمؤلّفات الشيخ أبي راس، والشيخ المشرفي، والشيخ ابن زرفة، والشيخ ابن سحنون، وكذلك بعض الوثائق، وأتمنى أن تحبّروني بما عندكم، فإن النقل اليوم سهل جدا، حيث إنه يمكن نقل الكتاب الذي يحتوي على المائتين ورقة في 24 ساعة بآلة التصوير.

---

(1) اعتمدنا في إدراج هذه الرّسالة على نسخة خطية مصورة تقع في صفتين. (ع)

وفي الختام أرجو أن تكونوا كلكم محفوظين، ودمتم بخير والسلام.

من أحيكم عبد ربه المهدي بن أبي عبد الله (مفتي بلدة الأضنام).

حررت ب: بطيوة في: 25 ذي القعدة 1379 الموافق ل: 20 ماي 1960

والعنوان: Bouabdeli Mahdi à S<sup>t</sup> leu (Oran).

إلحاق: إنني أيضا مستعدٌ لشراء الكتب المخطوطة إن وجد من يبيعها.

الحمد لله  
والصلاة والسلام على رسول الله  
وأهله الطيبين الطاهرين

الى العاقل المحترم الارب السيد  
السيد معظم السلام وعالم وبعد  
جانه بلغني من عدة ملأ انكم معتنوه  
باختناء الكتب فلوها المملوكة  
ولا امره اخبره بذلك لدينا العاقل  
السيد سيب الخادم انزلما في  
وكل ما اتمناه هو ان يعفكم الله وانه يبارك  
للمع عملكم اذ مع الاصف ان كتب الفل  
فلو انما عية غريس فام معظم كتبها  
من الاصل وقد بلغني ان العاقل السيد  
ابو جلال بن حله مع هو ايضا كتبنا غنية  
الا انه مع الاصف اصب بداء على منغه  
من التلوه عينا هذا وان اتمناه ان العلم  
على ما عندكم من المملوكات فلوها  
# تاليف اصل البلا او التي نقلها

صورة عن الصفحة الأولى من الرسالة

## [2] رسالة أخرى إليه<sup>(1)</sup>

الحمدُ لله، والصَّلَاةُ والسَّلَامُ على رَسولِ الله وآله وصحبه وسلم.

جناب الفاضل المحترم النبيل سيدي البشير محمودي (حفظكم الله وحفظ بكم النبيل والفضل)، وبعد:

فإني تشرفتُ بكتابتكم الكريم المنيء على أخلاقكم السَّامية والهَمَّةِ العالية، وإني مسرورٌ جداً بالتعرُّف بكم، إذ إننا في زمانٍ طَغت فيه على الناس المادة، وفسدت عند جُلهم المقاييس، فأهمل كثيرٌ من أهل العلم والفضل، أو المنسوبين إلى بيوتات العلم والدين، أهملوا تراث الآباء والأجداد، وزهدوا فيها، فضاعت معظم التآليف القيِّمة أو بقيت موءودة، فوجود أمثالكم ممن لهم غيرة واهتمام بالتراث العلمي والأدبي كرامة، وإني أتمنى أن يكُلل الله أعمالكم بالنجاح، حتى تجمعوا لنا تراث غريس وتجددوا ما ضاع من خزانكم.

هذا، وإنه بلغني في هذا الأسبوع انتقال الشيخ أبي جلال بن محله إلى دار الخلد، فإننا لله وإنا إليه راجعون، وتأسفتُ كثيراً على موته وعلى عدم تعرُّفي به أيام صحته، إذ أخبرتُ أنه كان جمعَ مكتبة قيِّمة من مؤلفات علماء الراشدية، وإنني جمعتُ كتباً قيِّمة لا بأس بها، وإن كتب الله الملاقاة فإنني أُطلعكم عليها، وأرجوكم أن تكلفوا بعض الطلبة بنقل خطبة الاستسقاء للعلامة الشيخ الرماصي، وتشطير (البردة) لسيدي بن أمانة بن دوخة، وقصيدته اللغوية في المدح النبوي، وكذلك ترجمة سيدي عمرو إن أمكن ذلك،

---

(1) اعتمدنا في إدراج هذه الرسالة على نسخة خطية مصورة تقع في صفتين. (ع)

وإنني أكسبُ للشيخ الرماصي شرحه على السنوسية في التوحيد، وبعضُ أصدقائنا يكسب حاشيته على التتائي، وبودّي أن تخبروني: هل عندكم بعض المنظومات التاريخية، كمنظومة سيدي عيسى بن موسى التوجيني (دفين وادي الطاغية) صاحب (الغوثة)، وكذلك (العقد النفيس في بيان علماء وشرفاء غريس)، وكذلك قصيدة في علماء قلعة هواره، أو بعض تراجم علماء غريس؟ وإن الطالب الذي تكلفونه بالنقل أتولى دفع أجرته.

وفي الختام أتمنى أن تجدكم رسالتي هذه على أحسن حال، أنتم وجميع المحيين، ودمتم محفوظين، والسلام.

من أحيكم عبد ربه المهدي بن أبي عبد الله

(مفتي بلدة الأصنام)

حرّرت بـ: الأصنام في مفتح ذي الحجة الموافق لـ: 27 ماي 1960.

إلحاق: إنني ذكرتُ لكم المرحوم السيد أبي جلال بن محلة الذي كان مقدّمًا في الزاوية التيجانية بـ: أم معسكر، إذ لربما تتصلون ببعض أقاربه ليطلعوكم على كتبه فتقلوا منها ما أمكن، وإن كانوا يقصدون بيعها فاشترها إن كنت في حاجة إليها أو اشترها لي.

والسلام على رسول الله  
والله وحده يعلم

الحمد لله  
والصلاة والسلام على  
سيدنا محمد وآله

جناب العاقل المتميز النيل سيب البشير محمود  
معلمكم الله وعف بكم النيل والعقل وبعد ما  
تشرفت بكتابتكم الكريمة الصنيع على اخلاقكم السامية  
والهمة العالية رايت مسرورا عدا ما لتعرف بكم  
اذ اتنا في زمان كفت على الناس العادة وفسدت عندك  
المعانيير ما همل كثير من اهل العلم والعقل والمنهج  
الذي بيوتات العلم والديه اهلنا تراك الآباء والابناء  
وزهدنا فيها مضاعت معظم التاكيد الغنمة او  
بغيت سوء ودية موجود امثالكم من غير مراعاة  
بالتراكم العلم والادب كرامة وان اتمنى ان يكمل الله  
اعمالكم بالنجاح حتى تجمع لنا تراك عريس من بعد  
ما حاتم من فرائدكم هذا وانه بلغني في هذا الاسبوع  
انتقال الشيخ اي جلال به حمله الرلا ار الحمد بان الله  
وانا اليه راجعوه وتأسفت كثيرا على موته وعلى عدم  
تعريف به ايام حته اذ اخبرت انه كان جمع مكتبه  
قيمة من مؤلفات علماء الراشدية ورائت جمعت  
كتبا قيمة لا بأس بها من كتب الله الملافة ما بين  
الكل على علمها وارجوكم ان تكتبوا بعض الطلبة  
بنقل ملكة الاستسفا للعلامة الشيخ الرماح

الحمد لله  
والصلاة والسلام على  
سيدنا محمد وآله  
والله وحده يعلم

صورة عن الصفحة الأولى من الرسالة

### [3] رسالة أخرى إليه<sup>(1)</sup>

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه وسلم.  
حضرة الفاضل المحترم النبيل السيد البشير محمودي (حفظكم الله ورعاكم) وبعد:  
فإنه بلغني أنكم يوم ثالث العيد المبارك، وقع لكم حادثٌ بالسَّيارة التي كانت  
تقلكم إلينا، فتأسَّفت كثيرا لهذا الخبر المؤلم، وحمدنا الله على السلامة النَّسبية، وإني أسأل  
الله لكم ولجميع رفقائكم - خصوصا المصابين بالجروح الخطيرة - الشَّفاء العاجل.  
هذا، ولو أطلعكم على الغيب لاخترتم الواقع، وإننا نعيش في زمانٍ كُثرت فيه  
المصائب والمحن، نسأل الله الحفظ والسلامة.  
هذا، وإني أتصلت برسالتكم، وإن حاشية العلامة الرماصي على التوحيد عندي،  
فإن كتبَ الله الملاقاة فسأعيرها لكم، وإلا فسأبعثها لكم - إن شاء الله - مع بعض  
الطلبة، وإن يسَّر الله وزالت الموانع، فإنني سأزوركم - إن شاء الله -.  
وفي الختام أكرِّر لكم تهنَّتي بالسلامة، وأرجوكم أن تبلغوا تحياتي لجميع الأصدقاء،  
ودمتم سيدي محفوظين، والسلام.

من أخيكم عبد ربه المهدي ابن أبي عبد الله

حررت بـ: الأضنام في: 16 ذي الحجة، الموافق لـ: 10 جوان 1960

---

(1) اعتمدنا في إدراج هذه الرِّسالة على نسخة خطية مصورة تقع في صفتين. (ع)

والسلام على  
رسول الله وآله وصحبه وسلم

هذه الباطل اللبيب المحترم السيد  
الرجي سيد البشير محمود، معظمكم الله  
ووفقكم الله ما فيه خير الدارين هذا  
وانه تشرفت بكتابتكم المنيرة عن احوالكم نسأل  
الله لكم الامام العاقبة والثناء وامنيته ان  
يسهل الله لكم نفل الرحمة الغصورية للعلامة  
ابن زريرة كما سهل عليكم نفل مؤلف ما  
الفكر السديد اب راس رانه كسرور جدا حيث  
ما زال عندنا في البلاه اما في الطلبة المعنوية  
بتراكم الآباء ونسله من الضياع وبالعمل فاع  
كثير من هذا التراك بسبب زهد البعل من عمل  
الاخيرة مرفيع الله المادة جانها كثير ما كانت  
سببا لذلك وعلى كل حال اتقني ان تكونوا مقولة  
لغيركم في هذا المقام كما ارجوكم ان عثرتم

صورة عن الصفحة الأولى من الرسالة



## [4] رسالة أخرى إليه<sup>(1)</sup>

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه وسلم.

الأصنام في: 30 ذي الحجة الموافق لـ: 24 جوان 1960.

جناب الفاضل الليب الأريحي الأريب، سليل المجد والفضل الشيخ سيدي البشير  
آل سيدي عمر بن دوبة الكرام.

تحياتي وأشواقي إليكم، وبعد:

فإني كنتُ تشرفت بكتابكم الكريم المنبئ عما تحملونه لأخيك من ودٍّ وعطف  
وتقدير.

هذا، وإنني بدوري مُغتبطٌ جدا بمعرفتكم، وأقدر فيكم اعتناءكم واهتمامكم بجمع  
كتب الوطن القيّمة التي ضاعَ معظمها بسبب زهد كثير من العلماء أو المنسويين للعلم  
فيها، وإننا نجد كثيرا ممن اعتنوا بجمعها واقتنائها لا يفيدون غيرهم بها، وحقيقة إن  
إعارة الكتب كانت سببا في ضياعها، وقد قال أحد القدماء في هذا الموضوع:

بالله يا مستعير الكتب دَعني فإنَّ إعارة الكتاب عار  
فمحبوبي من الدنيا كتابي وهل أبصرت محبوباً يُعار

وإنني رأيتُ على مجلِّدٍ من (تاريخ ابن خلدون) الذي حبسه في حياته على جامع  
القرويين بـ: فاس شرطه (رحمه الله) بأن لا يعار إلا لثقة أمين أو برهنٍ مُعتبر، ولا يُمكن  
المستعير من الكتاب أكثر من مدّة شهر... الخ.

---

(1) اعتمدنا في إدراج هذه الرسالة على نسخة خطية مصورة تقع في صفتين. (ع)

نتمنى لكم - إن شاء الله - التوفيق والنجاح، واليوم تغيرت الأحوال وصارت آلات النقل متوفرة، فيمكن للإنسان أن ينقل أضخم مجلد بالآلة المصوّرة في مدة يوم أو يومين.

هذا، وإني ذهبتُ إلى الجزائر وسألتُ كثيرا ممن أعرف من الكتّيبين، فلم أجد عندهم إلا الكاغد الذي بعثته لكم مع البريد، والأحسن أن تشتري دفاتر، وإني كنتُ نقلتُ في السنة الماضية شرح السنوسية، ل: الرماصي في مجلد ضخّم، وسبق لي منذ سنوات نقل عشرات المجلّدات كلّها في دفاتر تحتوي على المائة ورقة وزيادة، وإني أوصيتُ على كاغد النسخ، فإن أتصلتُ به فسأبعثه لكم.

بلغوا تحياتي لجميع السادة الذين تشرفنا بالاجتماع بهم، ونتمنى لكم جميعا الحفظ والسلامة، والعاقبة للمتقين، ودمتم محفوظين.

عبد ربّه المهدي

الحمد لله

والعلاء والسلام على  
رسول الله وآله وصحبه

الاصنام في الحجّة المبرورة  
١٩٦٠

بالحق  
جميعاً الحق  
حياة

عناب الباخل الملبب الارحى الاريد  
سليل المجد والبطل الشديح سيد  
السير سيد عمر بهادرة الكرام  
حياة واسواق البكر ومعد جافا  
كنت تشرفت بكتابتكم الكريمة المنيحة  
تحميله لاخيمه وادام عليكم تقدير  
هذا وانتم بذكره معتبك جدا بعرفكم  
وافد بكم اعتناءكم اهتمامكم بجمعنا  
الركبة الغيمة التي كمام معلما حسب  
زهد كثيره العلماء او المنسويين  
للعلم ~~و~~ وانا نجد كثيرا مما اعتنت  
بجمعها واقتنائها لا يعيدوه غيرهم  
بها حفيظة ان اعارة الكتب كانت

جميع السلام  
والسلامة من  
العاونة  
تشر من  
الاشياء  
تتم  
عند  
تضمن  
المعلم

صورة عن الصفحة الأولى من الرسالة

## [5] رسالة أخرى إليه<sup>(1)</sup>

الحمدُ لله، والصَّلَاةُ والسَّلَامُ على رسولِ الله.

حرّرت بـ: بطيوة في: 23 محرّم / الموافق لـ: 17 جويلية 1960

جناب الفاضل المحترم أَلّيب، سيّدي البشير محمودي.

تحيةً وسلامًا، وبعد:

فإني أتصلتُ بالكتبِ التي وعدتُوني ببِعْثها، جزاكم الله خيرا، إذ أنجزَ حرٌّ ما وعد،  
وأما (الرحلة القمرية)، فالأحسن أن تُصحّحوا ما على هذه النسخة، اللهمَّ إلا إذا  
وجدتم من ينسخها، لأنني كنتُ محتفظا بتلك النسخة مدّة، كما أعرّتها لكثير من  
الأصدقاء، لأنَّ الأصل كان عند صاحبه ولم أتصل به إلا في هذه الأيام.

بلّغوا تحياتنا إلى جميع الأصدقاء، ودّمتم محفوظين، والسلام.

أخوكم عبد ربّه المهدي

يلبغ لكم أزكى التّحيات الأخ والطلّبة.

---

(1) اعتمدنا في إدراج هذه الرّسالة على نسخة خطية مصورة تقع في صفحة واحدة. (ع)

والسلامة والسلامة  
رسول الله

الحمد لله

مررت ببلية في محرم المواعيد الحزينة  
١٩٦٠

١٢

عناجيب الباطل المحترم اللبيب سيد  
آية الله الشيرازي قدس سره، تحية وسلاماً وبعد  
ما انكبت بالكتب التي وعدتموه ببعضها  
منكم الله غير انجز ما وعد  
ثم انا الرحلة الفخرية بالاحياء  
على هذه النسخة التي ارادتم  
من نسخها لانني كنت محتفظاً بتلك النسخة  
مدة كما اعزتها لكثيره الاخذفان  
لا الاصل كما عند صاحبه وانك  
به الا في هذه الايام بلغنا تحياتنا  
انه جميع الاخذفان وكلماته جميعه والسلام  
افقكم عباد ربه المخلص

الحمد لله  
والسلامة والسلامة  
رسول الله

صورة عن الرسالة

## [6] رسالة أخرى إليه<sup>(1)</sup>

الحمدُ لله، والصَّلَاةُ والسَّلَامُ على رَسولِ الله.

حضرة الأخ الفاضل اللبيب المحترم الصديق الوفي سيدي البشير محمودي  
(حفظكم الله، ووفقكم إلى ما فيه خير الدارين).

هذا، وإني تشرفت بكتابكم المنبئ عن أحوالكم، نسأل الله لكم دوام العافية والهناء،  
وأمنيته أن يسهل الله لكم نقل (الرحلة القمرية) للعلامة ابن زرفة، كما سهّل عليكم  
نقل مؤلّف حافظ القطر الشيخ أبي راس، وإني مسرور جدا حيث ما زال عندنا في  
البلاد أفاضل الطلبة المعتنين بتراث الآباء ونشله من الضياع، وبالفعل ضاع كثير من  
هذا التراث بسبب زهد البعض وجهل الآخرين، وقبح الله المادّة، فإنها كثيرا ما كانت  
سببا في ذلك، وعلى كلّ حال أتمنى أن تكونوا قدوةً لغيركم في هذا المضمار، كما أرجوكم  
إن عثرتُم على نسخة (تهذيب المدونة) الغير المبتورة، أن تفيدوني بذلك، إذ النسخة التي  
بعثتموها نسخة قيّمة إلا أنّ الكراريس الأخيرة ضاع معظمها بسبب الندى، كما أتمنى  
أن تعثروا على بعض المؤلّفات الموءودة، وإني أرجو أن تكونوا كلكم على أحسن حال،  
وأن تبلغوا تحياتنا إلى جميع الأصدقاء، ودمتم محفوظين، والسلام.

من أحيكم عبد ربه المهدي بن أبي عبد الله (لطف الله به)

حرّرت بـ: بطبوة في: 4 ربيع الأنور/ الموافق لـ: 26 أوت 1960.

---

(1) اعتمدنا في إدراج هذه الرّسالة على نسخة خطية مصورة تقع في صفتين. (ع)

## [7] رسالة أخرى إليه<sup>(1)</sup>

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه وسلم.

بطيوة في: 28 جمادى الموافق لـ: 16 نوفمبر 1960.

جناب الأخ الفاضل اللبيب سيدي البشير آل محمودي الكرام.

تحية ودادية، وسلاما، وبعد:

فإني تشرفتُ بكتابكم الكريم، وإني أشكركم على اهتمامكم بنقل تراث الآباء، وسيجازيكم الله الجزاء الأوفر.

هذا، وإني أتأسف على عدم وجود ما نقلته من ديوان العلامة الشيخ محمد بن ميمون الجزائري، إذ كما أخبرتكم أن مثل هذه الكتب لا يسمح بها الزمان إلا نادرا، وكنت آليتُ على نفسي أنني كلما عثرتُ على كتابٍ من الكتب القيِّمة النادرة إلا ونقلتُ منه ما أمكنني، ولهذا فكلُّ ما نقلته من هذا المؤلف النادر مُبعثر، ثم مضى عليه زمان فتفرقت تلك الأوراق بين الدفاتر والكراريس، وصرتُ لا أعثر عليها إلا مُصادفة، وكل ما عثرتُ عليه إلى يومنا هذا هو الأوراق التي بعثتها لكم وهذه التي تصلكم طي الكتاب، وأرجو أن يوفقنا الله إلى ما فيه الصلاح.

وإنني سأجمع ما يُمكنني جمعه من تراثنا العلمي والأدبي، وأبعثه لكم - إن شاء الله -

---

(1) اعتمدنا في إدراج هذه الرسالة على نسخة خطية مصورة تقع في صفتين. (ع)

ومن جملة ذلك رحلة العلامة المؤرخ الشيخ أبي راس، فإنني نقلتُ معظمها من نسخة  
بخطِّ المؤلِّف، وهي مبعثرة في ورقات، وعند النقل كنتُ أظن أنني أنقلها في كراريس،  
ولكن كما يقال:

تجري الرياح بما لا تشتهي السفن

بلغوا تحياتي إلى جميع الأصدقاء، ودمتم محفوظين، والسلام.

من أخيك عبد ربه المهدي



والصلاة والسلام على من لا نبي بعده  
وألكم بكتبكم

الحمد لله

بليغته في بيان المواجد 17 نوفمبر 1977

جناب الاخ العياض اللبيب سيد البشير  
الحمودي الكرام تحية ودية  
وسلاما وبعد بانه تسربت بكتابكم  
الكرام وانه انشركم على اهتمامكم  
بنقل تراث الالباء وسيجازيكم الله  
الجزاء الا اجر هذا وانه اناسك على  
عدم وجود ما نقلته من ديوان العلامة  
السيد محمد بن ميمون الجزائري اذ اننا  
اغبرتكم ان مثل هذه الكتب لا يسمع بها  
الزما الانا ذرا وكنت ليت على نفس  
انني كلما عثرت على كتاب من الكتب  
القيمة النادرة الا ونقلته منه ما ملكته  
ولهذا ملك ما نقلته من هذا المؤلف النادر

صورة عن الصفحة الأولى من الرسالة

## [8] رسالة أخرى إليه<sup>(1)</sup>

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه وسلم.

حضرة الأخ الكريم الفاضل النبيل سيدي البشير آل محمودي الكرام (حفظكم الله وأعانكم، وسدد خطانا وخطاكم فيما يرضيه)، وبعد:

فإني تشرفتُ بكتابتكم المرسول مع حامله، إلا أنني مع الأسف لم أجمع بالحامل، وإنما مكّنه لي السيد الجيلاني (معلم الصبيان)، وإنني ما زلت لم أتصل بالكتاب الذي أرسلتموه مع البريد، وعلى كل حال فسأبعث لكم ما طلبتم عليه صحبة البريد، وسيستدعي ذلك وقتاً، لأن المنظومة القلعية تحتاج إلى تفتيشٍ طويل، أما كتاب (المعيار) فإنه طبع منذ مدة بالمطبعة الحجرية - أي: المغربية - وإنه موجودٌ عندنا في خزانة الوالد وعندي بعض أجزاءٍ منه مخطوطة، وإن معظم نوازل منقولة من (الدرر المكنونة في نوازل مازونة)، وثمانه - أي: ثمانون ألف - مرتفعٌ جداً، وإن كثيراً من الكتبيين يستغلون الظروف الحالية لبيع كتبهم بأرفع الأثمان، والأحسن أن تنتظر وقتاً آخر، فإن كثيراً من المكاتب الشرقية معتنية بإعادة طبع الكتب على طريقة حسنة، وأثانها مناسبة، ولهذا فإنني أستحسن عدم الإسراع بالشراء.

---

(1) اعتمدنا في إدراج هذه الرسالة على نسخة خطية مصورة تقع في صفحتين. (ع)

هذا، وإني أرجوكم أن تبعثَ لي إجازة الشيخ سيدي عبد القادر ابن عبد الله المشرفي،  
وكذلك أرجوكم أن تبعثوا لي غيرها من الإجازات التي تعثرون عليها، ولكم الفضل  
والشكر.

وفي الختام بلغوا تحياتي إلى جميع الأصدقاء والطلبة، ودمتم محفوظين، والسلام.

من أخيك عبد ربه المهدي

بطيوة في: 15 رجب/ الموافق لـ: 2 جانفي 61

والسلام على رسول الله  
وأله وصحبه وسلم

علية الاخ الكريم العاقل النبيل سيده السيد  
العمود الكرام معكم الله واعانكم وسدد  
فطانتنا ونظركم فيما يرضيه وبعد ما تم تسرير  
بكتابتكم المرسولة مع حامله الا انتم مع الاسف لم  
اجتمع بالحايل وانما مكنته السيد الجميلة معلم  
السياء وانتم ما زلت لم انقل بالكتاب الذي ارسلتموه  
مع البريد وعلى كل حال مسابعتكم ما حلتم عليه  
كعبة البريد وسيستدعي ذلك منكم ان المنقولة  
الفلجية تحتاج الى تعديسها طويلا كما كتاب المعيار  
مائه كجع منذ مدة بالمطبعة الحجرية اي المغربية  
وانه موجود عندنا في خزنة الوالد وعند بعض اجزاء  
منه منقولة وان معلم نوازل منقولة من الدرر المكنونة  
في نوازل ما زلت رثمة اي ثمانية ال مرتبة  
جدا وان كثيرا من الكتيبي يستغلون القرب الحالة  
ليس تسلم باربع الاثماء والا حسد ان تنقروا

صورة عن الصفحة الأولى من الرسالة

## [9] رسالة أخرى إليه<sup>(1)</sup>

الحمدُ لله، والصَّلَاةُ والسَّلَامُ على رسولِ الله وآله وصحبه وسلّم.  
حَضْرَةُ الْأَخِ الْفَاضِلِ الْأَمْعِيِّ، سَيِّدِي الْبَشِيرِ مُحَمَّدِي (حَفِظَكُمُ اللهُ وَأَعَانَكُمُ)،  
وبعد:

فإني عثرتُ على ما كان ينقص من (منظومة) العلامة الشيخ سيدي أبو عمرو عثمان  
القلعي في علماء الجزائر والقلعة، وإني أرجو أن ترجعها لي بعد نقلها، لأنني في عادتي  
الاحتفاظ بالنقل كما أجده في الأصل، ولا أصلح ما يظهر فاسدا في الرسم إلا بعد  
التمعن الطويل، وإني أرجو أن تبعث لي الإجازتين اللتين وعدتني بهما.  
ودمتُ محفوظين.

والسَّلَامُ مِنْ أَخِيكُمْ عَبْدَ رَبِّهِ الْمَهْدِيِّ.

حررت بـ: بطيوة في: 24 رجب/ الموافق لـ: 12 جانفي 61.

---

(1) اعتمدنا في إدراج هذه الرسالة على نسخة خطية مصورة تقع في صفحة واحدة. (ع)

على الأمام المأخوذ من سيدنا السيد  
 محمود، حفظكم الله وراحمكم وبعث  
 ما في حثرت علماء ما كان ينقل أمه من علومه  
 العلامة الشيخ سيدنا أبو عمر عثمان الفلعي  
 في علماء الجزائر والفلعة وانه ارعوك  
 اي ترجمها بعد نقلها لا يتبع في عادة  
 الا احتياض بالنقل كما اجد في الاصل  
 والاصل ما يكفر اسدا في الرسم الا بعد  
 التمعن الكويل وانه ارعوك ان تبعث  
 الا حازتبه السيد وعدت بهما ودامت  
 صحوكتهم والسلام من انيكم عبد ربه  
 حثرت بليوة في رجب العواجم الحجازية في ٢١

صورة عن الرسالة

## [10] رسالة أخرى إليه<sup>(1)</sup>

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه وسلم.

جناب الفاضل المحترم والصديق الوفي سيدي البشير محمودي (حفظكم الله ووقاكم)، وبعد:

فإني تشرفت بمُراسلتكم، واتصلتُ بما وعدتموني به من إجازة العلامة الشيخ محمد بن عبد الله الجلاي - أحد علماء الراشدية وأفذاها - فبارك الله فيكم وفي عملكم، واعلموا أخي أنكم بعملكم هذا تُساهمون كثيرا في خدمة بلادكم، وسيجازيكم الله يوم يوفى الصابرون والعاملون أجرهم.

هذا، وإني أعتذر على تأخري بالكتابة، إذ تمرُّ عليَّ أيام وأسابيع لم يمكنني فيها الاشتغال بأيِّ شيء، حتى قراءة الرسائل، فضلا عن الكتابة والجواب، إذ كثرة الأسفار وتعدُّد الأشغال على اختلاف أنواعها كانت سببا في ذلك، وإن كنتُ لا أفضلُ أي عملٍ على الاشتغال بالكتب والكراريس، لا فرق بين قديمها وحديثها.

إنني عازم على السفر في هذا الأسبوع - أي: بعد غد - إلى عاصمة الجزائر، حيث أُقيم أياما وسأرجع في 15 من الجاري الفرنسي، وحينئذُ أبعثُ لكم بعض ما طلبتم مني، اللهم إلا ترجمة سيدي عبد القادر بن يسعد التي ذكرتم أنها موجودة في تأليف للشيخ المهاجي، فإنه لا علم لي بذلك، ولم أر هذا التأليف أبدا، وكل ما أعرفه عن سيدي عبد القادر بن يسعد (دفين الدبّة) أنه كان من تلامذة سيدي محمد بن علي

---

(1) اعتمدنا في إدراج هذه الرسالة على نسخة خطية مصورة تقع في صفتين. (ع)

المجاعي المتوفى حوالي 1008هـ، والشيخ سيدي محمد بن علي، هذا له تلامذة كثيرون، منهم سيدي دحو وغيره، وذكرهم الشيخ التوجيني في (العقد النفيس في بيان علماء وأشرف غريس).

أما سيدي عبد القادر بن يسعد فإني عثرتُ على أوراقٍ ذكر فيها، كما ذكر أنه من أساتذة الشيخ مصطفى الرماصي، وبودّي أن تخبرني عن تأليف الشيخ المهاجي. هذا، وإنه بلغني انتقال الشيخ الحاج محيي الدين إلى رحمة الله، وتأسفتُ كثيرا حيث لم أحضر في موكب الدفن، وإنني كاتبٌ نجله معزياً ومعتذراً على عدم الحضور. وفي الختام تقبلوا تحياتي وتحيات الأخ والأصدقاء، وبلغوا سلامي لجميع الأصدقاء والمحبيين، ودمتم محفوظين، والسلام.

من أحيكم عبد ربّه المهدي

بطيوة في: 2 شعبان 80 / الموافق ل: 6 فيفري 61.

إلحاق: الرجاء أن تبعثوا لي النسخة الأصلية من إجازة الشيخ الجليلي لأنقل منها صورة فوتوغرافية، وكذلك إجازة الشيخ ابن دوبة أنقلها وأرجعها إليك، والبعث مع البريد مضمّن - أي: رُكوماندي -.



الحمد لله

والسلامة والسلام على  
رسول الله وآله

جوبت  
16.2.2008

جناب - العاقل المحترم والهدية الوحي  
سيدي الشير محمود، مفضلكم الله ووفياكم .  
بانه تشرفت بمراسلتكم واتفقت بما وعدتموه به  
وه امانه العلامة الشيخ محمد بن عبد الله  
الجلالي (احد علماء الراشدية وامدادها) مبارك  
الله عليكم وعلمكم واعلموا اني انتم تعملون هذا  
تساهموا كثير في اخذ مة بلا ذكر وسبائك ان  
يوم يومى العايرة والعاملوه الجرح  
هذا انه اعتذر على تاخره بالكتابة اذ اتمر على  
ايام واسابيع لم يمكنه فيها الا شغل بالى شين  
حتى فزارة الرسائل وملاعه الكتابة والجواب  
انه كثرة الاسفار وتعدد الاشغال على اعتلاء  
انواعها كانت سببا في ذلك وانه كنت لا اعطى  
اه عمل على الا شغل بالكتب والكراريس  
لا يروى بيها فديها وهديتها  
انني عازم على السعير في هذا الاسبوع اى بعد

صورة عن الصفحة الأولى من الرسالة

## [11] رسالة أخرى إليه<sup>(1)</sup>

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه وسلم.

حضرة الأخ الفاضل اللبيب الأديب سيدي البشير آل محمودي الكرام (حفظكم الله  
وصانكم)، وبعد:

فإني أتصلتُ بالإجازتين المصريتين، وبعد نقلهما أبعثهما إليك مع (العقد النفيس في  
بيان علماء وأشرف غريس)، وهذا النوع من الإجازات فيه خيرٌ كثير، ومنفعة لتاريخ  
البلاد هامة، وإنِّي أتمنى أن يُعينك الله على اكتشاف بعض الخبايا، إذ علماء الراشدية  
(غريس) كانوا يهتمون بالرحلات إلى الشرق والغرب، وكانت لهم رغبة قوية في التماس  
هذه الإجازات، إذ كانت لها أهمية عظمى عند علماء السلف، ويبدلون النفس والنفيس  
في التحصيل عليها.

أعانكم الله وأيدكم، وحفظكم من كيد الكائدين ومكر الماكرين.

من أخيكم عبد ربّه المهدي

6 رمضان 1380<sup>(2)</sup>.

الأخ يبلغ لكم التحيات، وكذلك المحب الشيخ الحاج قادة الزلماطي، والطلبة،  
وأرجوكم أن تبلغوا تحياتي إلى جميع الأصدقاء، ودمتم - أخي - محفوظين، والسلام.

---

(1) اعتمدنا في إدراج هذه الرسالة على نسخة خطية مصورة تقع في صفحة واحدة. (ع)

(2) الموافق لـ: 21/2/1961 م. (ع)

المدد

والسلام على رسول الله  
وأهله وحبه وسلم

حرة الأم الباعل اللبب الألب مسيب البسب  
العمود الكرام معظّم الله، حاتم، وبعد ما  
انكلت بالاجازته المبرّته وبعد انقلما  
ابعضما البك مع العبد النعير في بياه وعلماء  
واشرف غريبت وهذا النوم من الاجازات فيه  
خير كثير ومنوعة لتاريخ البلاه هامة وان  
اتمنى ان يعينك الله على الكشاف مع الخبايا  
العلماء الراشدية (غريبت) كما انهم يصتمرو  
بالرمالات الى الشرق والغرب ولانت لهم رغبة  
غوية في التماس هذه الاجازات اذا كانت لها  
اهمية علمية عند علماء السلف ويبدلوه النعير  
والنعير في التحليل عليها اعانك الله وايدك  
معظّم الله كيد الكايدية ومكر الماكريه  
واعلم ان محموله والسلام مع اعنيتم  
عبد ربه المطلب

الذي يبلغ لكم التمام = وقد ذكر السيد الحاج فاضل الانزلي  
والفقه حار جوهرا ان تعلقه في حياة التي حمده الاضواء

رفقا ١٢٨٠

صورة عن الرسالة

## [12] رسالة أخرى إليه<sup>(1)</sup>

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه وسلّم.

بطيوة في: 19 رمضان الموافق لـ: 6 مارس 61

حضرة الفاضل المحبّ، سيّدي البشير آل محمودي الكرام (حفظكم الله ورعاكم)،

وبعد:

فإني كنتُ تشرفْتُ بكتابتكم الذين طلبتم مني فيها أن أبعث لكم: (القول الأعمّ في بيان نسب الحشم)، فاعلم أيها الأخ أن الكتاب المذكور أملكه، إلا أنني أعرتُه لبعض الأصدقاء، وما زال لم يرجعه إليّ، إلا أنني أتحمقُ أنه يوجد منه عدّة نسخ عند بعض الأصدقاء، ويمكن لي أن أستعيّره منهم إن لم يرجع لي المستعيرُ النسخة التي استعارها مني.

هذا، وإنني بعثتُ لكم طيّ الكتاب: (عقد الجمان النفيس في ذكر الأعيان من أشراف غريس)، والإجازات التي بعثتموها لي، فجزاكم الله خيرا، وأعانكم وسهّل مهمّتكم، وتقبّلوا تحياتي وتحيات الأخ والأصدقاء والطلّبة، ودُمتم محفوظين.

والسلام من أخيكم عبد ربّه المهدي.

إلحاق: أرجوكم أن تبلغوا تحياتي لجميع الأصدقاء.

---

(1) اعتمدنا في إدراج هذه الرسالة على نسخة خطية مصورة تقع في صفحة واحدة. (ع)

الحمد لله

والسلامة والسلا على  
رسول الله وآله  
وعلمه

طهارة في رمضان المواعظ لمارس

ملحة الباطل لعب سبب السير المحمولا  
 الكرام معقلم الله وراعكم وبعد ما كنت تسيرة  
 بلنا بكم الذي طلبتم منه فيها ان ابعث لكم  
 "الفصل الاخير في بيان نسب الجنم" ما علم ايها  
 الاخاه الكتاب المذكور املاكم الا اني اعترته  
 لبق الا حدها وما زال لم يرجعه الي لانني اتقنه  
 انه ثوبه منه عدة نسخ عند بعض الاصدقاء  
 ويمكن ان استعيره منكم ان لم يرجع الي المستعير  
 النسخة التي استعارها مني هذا وانني بعثت لكم  
 في الكتاب "عقد الجواهر النعير في ذكر الاعيان  
 ما استرنا غريسة" الاجازات التي بعثتموها  
 جزاكم الله خيرا واعانكم رسول الله  
 وتقبلها تحية وتحيات الاخ الاصدقاء والكلية  
 ودامت لكم طيبه والسلام ما أميل عبد ربه المخلص

الحمد لله  
الجميع الا حدها

صورة عن الرسالة

## [13] رسالة أخرى إليه<sup>(1)</sup>

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

حضرة الأخ الفاضل الودود سيدي البشير محمودي.

تحية ودادية، وسلاماً زكياً، وبعد:

فإني أرجو أن تجدكم رسالتي هذه على أحسن حالٍ أنتم وجميع أفراد أسرتم والأصدقاء، وإني أرجوكم أن تبعثوا لي نسخة من (العقد النفيس في بيان علماء وأشرف غريس)، طلبها مني أحد أفاضل علماء المغرب، ووعدته بها، إلا أنني لما رجعت في هذه الأيام من سفري الذي دام ما يربو الشهر، تذكرت أن النسخة التي نقلتموها وبعثتموها لي استعارها مني أحد الأصدقاء من الأصنام، وهو مسافر الآن، ولهذا إن لم تجدوا مشقة في ذلك فابعثوا لي نسخة، ولكم الفضل والشكر.

وفي الختام تقبلوا أزكى تحياتي.

أخوكم عبد ربه المهدي البوعبدلي

بطيوة في: 6 ذي الحجة: 61 / 5 / 17

---

(1) اعتمدنا في إدراج هذه الرسالة على نسخة خطية مصورة تقع في صفتين. (ع)

والسلامة والسلام عليك  
وسور الله

الحمد لله

حكمة الاخ العاقل الودود  
سبب البشير همومك تحية  
ولا آلاية وسلاما زكيا وبعد  
بانه ارجوا تجدكم رسالتك هذه  
عليه احسن حال انتم وجميع  
اجراء اسرتكم من الالقاء  
وان ارجوكم ان تتعظوا بنسبة  
من العبد النعيس بياء علماء  
واسراب عزيزين طلبها من  
اهد اما فل علماء المغرب وعلته  
بها الا انت لما رجعت في هذه  
الايام من سبوت الله لام ما يبر

صورة عن الصفحة الأولى من الرسالة

## [14] رسالة أخرى إليه<sup>(1)</sup>

الحمدُ لله، والصَّلَاةُ والسَّلَامُ على رَسولِ الله وآله وصحبه وسلم.

حضرة الأخ الفاضل النبيل الأريحي، سيدي البشير محمودي.

تحياتي وأشواقي إليكم، وبعد:

فإني أتصلت بالجزء الثاني من التأليف القيم للشيخ الزباني، بارك الله فيك وحفظك،  
وإنني بعثتُ لكم طيّ الكتاب تأليف العلامة الشيخ المشرفي بعدما أخذتُ منه ما يفيدنا  
في تراجم علماء تلك الأسرة العلمية.

وإنِّي أرجو أن تكونوا كلكم محفوظين، وأن يهدينا الله وإياكم إلى ما فيه صلاح  
الدارين، ودمتم بخير، والسَّلَام.

من أخيكم عبد ربه المهدي

في 27 محرم 11/81 - 7 - 61

---

(1) اعتمدنا في إدراج هذه الرسالة على نسخة خطية مصورة تقع في صفحة واحدة. (ع)



والله اعلم  
عذر سعة الله وآله  
والسلام

التمدد له

حاضرة الاخ العاقل الارضي  
سبب التفسير فمحو اي تحيية  
وانتوا في التكم وبعد جاز انك  
الحجز الثاني من التاليف الغير  
للسيد الزيات بارك الله فيه  
وانت بعثت لكم في الكتاب  
بالتاليف العلامة السيد المشرف  
بعد ما افدت منه ما يعيدنا  
به تراجم علماء تلك الاسرة العلمية  
وانه ارغوا ان تكونوا كلكم معوقين  
وان بعدنا الله واوليائه الى صلاحه  
سلام الدارين ودامت بخير والسلام  
مع ائمتكم عبيد ربكم المطيع

٢٧  
١١ - ٧ - ٧١

صورة عن الصفحة الأولى من الرسالة

## [15] رسالة أخرى إليه<sup>(1)</sup>

الحمدُ لله، والصَّلَاةُ والسَّلَامُ على رَسولِ الله.

قرطاجنة في: 11 شعبان 62 / 1 / 18

إلى المحبِّ الفاضل المحترم سيّدي البشير محمودي.

تحية وسلاما، وبعد:

فإني أكتبك من قرطاجنة من شرق الأندلس، وكان العلامة ابن خلدون يذكرها في (شرح سينيته)، وإنها قريبة جدا من مرسية بلاد العالم الرباني الشيخ سيدي محيي الدين بن العربي الحاتمي صاحب (الفتوحات المكية)، وأمكنني في هذه الرحلة زيارة مكتبة الاسكوريال الشهيرة قرب مدريد، وما زالت هذه المكتبة تحتفظ بنوادير المخطوطات، معظمها أندلسية، وقد اطلعتُ على كثير منها، وتبرّكت بخطوطٍ وتعاليق بعض العلماء المشهورين بالصلاح والعلم والرياستين الدنيوية والأخروية، وإني أكتبُ إليك لأؤكّد عليك أن تُتأبّر وتواصل الجهودات في نقل ما أمكنك نقله من تراث السلف، ولا يزهّد الإنسان في شيء من ذلك، لأن المخطوطات لا تخلو فائدتها، فبعض المرّات يطالع الإنسان الصفحة لم يستفد منها، ويدركه الملل والسامة إلا أنه يستفيد بعد ذلك من سطر واحد، ويستفيد معه غيره، بل أجيال، إذ يمكن للمطلّع تصحيح خطأ تاريخي أو غلطات.

أرجوك أن تبلغ تحياتي لجميع الأصدقاء والمحبيين والطلبة، ودمتم محفوظين، والسلام.

من أخيك عبد ربه المهدي

---

(1) اعتمدنا في إدراج هذه الرسالة على نسخة خطية مصورة تقع في صفتين. (ع)



Hotel Mediterraneo  
(antes Gran Hotel)  
TELEFONOS, 2000.01 y 02  
Cartagena

والسلام على  
رسول الله

فرحاجنة في شعبان ١٨-١-٧٥

الى المحب العاقل المحترم سيد البشير محمود، تحية  
وسلاما وبعد ما انك من فرحاجنة من سيد الاندلس  
وكا العلامة ابن خلدون يذكرها في شرح سيدها  
ضريبة عدا من مرسية بلا العالم الريفي الشيخ سيد  
صهي الديان العربي التي تسمى صاحب العتومات الملكية  
وامكنني في هذه الرحلة زيارة مكتبة الاسكوريال الشهيرة  
في مدريد وما زالت هذه المكتبة تحتفظ بنوادير  
العقوليات معظمها اندلسية وقد اطلعت على  
كثير منها وتبركت فيك وتعالى بعلم العلماء المستشرقين  
الصالح والعلم والرياسة التي تدنو والاعزوية  
وان اكتب اليك لا اذكر عليك ان تشا بروا حل المعجزات  
في فعل ما امكنت فغله من تراث السلف ولا يزهده النساء  
في شئ من ذلك لاء العقوليات لا تحمل ما يتفهمه الرجال  
يخالق النساء العجيبة لم يستعد منها ويدركه الملل  
والسامة الا انه يستعيد بعد ذلك من سطر واحد ويستعيد  
مع غيره بل احياء اذ يمكنه للملح تاحيم غلاتا ربحته او

صورة عن الصفحة الأولى من الرسالة

## [16] رسالة أخرى إليه<sup>(1)</sup>

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه وسلم.

إلى الأخ الفاضل المحترم اللبيب سيدي البشير محمودي.

تحياتي وأشواقي إليكم، وبعد:

فإني تأسفتُ كثيرا حيثُ زرتم المحلَّ ووجدتموني غائبا، وإني كنت أتمنى أن يبسرَّ الله الأسباب فأجتمع بكم اليوم، لكن أباي الله إلا أن يتأخر هذا الاجتماع، ولهذا كتبتُ لكم هذا الكتاب، وبعثتُ لكم معه الأول من (دليل الحيران)، و(شرح سينية) العلامة أبي راس، إني أشكركم وأتمنى أن يبسرَّ الله لكم الأسباب حتى تتفرَّغوا للاشتغال بخدمة العلم، وهو أشرف عمل، وكل آت قريب، أما ما طلبتموه من كتب المرحوم الشيخ سيدي أبي القاسم ابن كابو، فإنني لم أبخل بشيء، وإنما الحوادث التي نجتازها شتت الذهن، حتى صرتُ عندما أفتش على كراسة أعجز على وجودها إلى أن يبسرَّ الله العثور عليها صدفة، وإننا نأمل أن تمرَّ علينا أسابيع قليلة تزول الموانع، ونتفرَّغ - إن شاء الله - لخدمة العلم، إذ كلُّ ميسر لما خلق له، ودمتم محفوظين.

بلغوا تحياتي لجميع الأصدقاء، وخصوصا الأخ السيد بوشاقور، وضيفه الكريم السيد أبو طالب، وتقبلوا تحيات أخيك عبد ربه المهدي.

حررت بـ: بطيوة في: 14 ذي الحجة / 18 ماي 62

---

(1) اعتمدنا في إدراج هذه الرسالة على نسخة خطية مصورة تقع في صفتين. (ع)

إلى الأفاضل المحترمين اللبيب صديق  
 البشير محمود، تحية وأستوداع السلام  
 وبعد جاء تأصيل كثير من حيث زمام  
 العمل وبعد تصدقنا بما رأينا من أن كنت أنت  
 أن يبسر الله الأسباب ما يجمع بين  
 لكنا أي الله إلا أن يتأخر هذا الأجل  
 ولقد كتبت لكم هذا الكتاب وبعثت  
 لكم معه الأرملة في ليل الحيرة ونسيت  
 سينية العلامة أي رأسه إن أسلركم  
 واتمضى أي يبسر الله لكم الأسباب  
 حتى تنفرد عن الاستغفار بخدمة  
 العلم وهو أشرف عمل وكل آيات خروبه  
 أما ما كالمبتوء من كتب المرهم البشير  
 صديق أي الغامض أنه كتابه ما فيه لم الخجل

صورة عن الصفحة الأولى من الرسالة

## [17] رسالة أخرى إليه<sup>(1)</sup>

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه وسلم.  
جناب الفاضل المحترم الأخ سيدي البشير آل محمودي (حفظكم الله ورعاكم)،  
وبعد:

فإني تشرفت بكتابكم الكريم، وحمدتُ الله على عافيتكم، واستبشرتُ بعثوركم على الكتب المخطوطة، خصوصا (شرح البردة) للعلامة الحافظ ابن مرزوق، ولم تخبروني عن اسمه، إذ للمؤلف المذكور ثلاثة شروح على البردة: الكبير والأوسط والصغير، والموجود عندي ليس بشرح مستقلاً بل مختصره والتعليق عليه للعلامة الشيخ عبد الرحمن الغبريني، تلميذ الشيخ سيدي عبد الرحمن الثعالبي (دفين الجزائر)، أما منظومة سيدي أبي عبد الله، فبودي أن أطلع عليها، لأنّها تذكر علماء البطحاء (مدينة عظيمة بـ: شلف اندثرت)، وقد طبعت مع تأليفٍ لسيدي عدّة، إلا أنّها فيها أخطاء فادحة، ولهذا أكون ممنونا لكم إن أطلعتموني عليها، وإنني سأحاولُ الجهد المستطاع لأبعث لكم ما أمكنني من الكتب التي طلبتموها مني.

وفي الختام بلغوا تحياتي لجميع الأصدقاء، وتقبلوا أزكى تحياتي.

المهدي البوعبدلي

حرّرت بـ: الأصنام في: 23 ربيع الأول / الموافق لـ: 8 / 24<sup>(2)</sup>

---

(1) اعتمدنا في إدراج هذه الرسالة على نسخة خطية مصورة تقع في صفتين. (ع)  
(2) كذا في الأصل، وأقرب سنة هجرية توافق السنة الميلادية في اليوم والشهر للتأريخ المذكورين هما: سنة 1382 هـ / 1962 م، والله أعلم. (ع)

الحمد لله  
والصلاة والسلام على  
رسول الله وآله وصحبه  
وسلم

جناب العاقل المحترم الامام سيد  
الشيخ الهمود، معكم الله وعالم  
وبعد ما تشرفت بكتابكم الكريم، حمد  
الله على عاصيتكم واستبشركم بعنونا  
على الكتب المخطوطة فلو كانت  
البردة للعلامة الحافظ ابن مريوم  
ولم يخرجه عن اسمه انه للمؤلف  
المذكور ثلاثة شروح على البردة الكبير  
والاوسط والغير والموجود عند  
سيد شيخ مستفاد من مخطوطه والتعليق  
عليه للعلامة الشيخ عبد الرحمن العنبري

صورة عن الصفحة الأولى من الرسالة

## [18] رسالة أخرى إليه<sup>(1)</sup>

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

إلى الأخ الفاضل المحترم الشيخ سيدي البشير محمودي.

تحيات ودادية، وأشواق قلبية، وبعد:

فإني تشرفتُ بكتابكم الكريم مصحوبا ب: المنظومة الشلفية المذكور فيها علماء البطحاء وقلعة بني راشد، فبارك الله فيكم، وأطال عمركم، وبودّي أن تُطلعوني على شرح البردة (إظهار صدق المودّة)، وهو الشرح الكبير، لأنّ العلامة ابن مرزوق له ثلاثة شروح على البردة، الكبير وهو الذي ذكرتموه، والأوسط والصغير، وبودّي أن نجتمع بعد منتصف الشهر الجاري - أي: بعد الانتخابات - فيمكن لي أن أجد فراغا، أما الكتب التي طلبها منكم صاحب المكتبة بالمغرب ليطلعها، فالأحسن بل المؤكّد عليك أن لا تفعل، إذ ستتكلّف الحكومة الجزائرية هنا - إن شاء الله - بطبع المخطوطات المفيدة، إذ إنّها تتطلب نفقات طائلة، وحتى صاحب المكتبة المغربية لم يمكن له طبعها، وإنما يأخذها منكم لينقلها، أو ينقل مختصرها.

أما الحكومة الجزائرية فإنّها يمكن لها وحدها أن تقدّم للطبع بعض هذه المخطوطات

---

(1) اعتمدنا في إدراج هذه الرسالة على نسخة خطية مصورة تقع في صفتين. (ع)



وتوزّعها على المكاتب ودور التعليم... الخ، وهي من التُّراث الوطني الذي يجب إحياءه ونشره.

وفي الختام أرجوكم أن تبلغوا تحياتي لجميع الأصدقاء وأفراد الأسرة، كما يبلغ لكم تحياته الأخ والطلبة.

ودمتم محفوظين، والسلام.

من أخيكم عبد ربه المهدي البوعبدلي

حرّرت ب: الأضنام في: 7 سبتمبر 62

الحمد لله

والسلامة والسلام على  
رسول الله

الى الاخ العاقل المحترم الشيخ سيد  
السيير محمود، تحيات مرادانية وأشواق  
قلبية وبعد ما تشرفت بكتابكم الكريم  
محمولاً بالمنظومة السلعية المذكور فيها  
علماء البحار، وقلعة بن راشد عباد الله  
بكم والطال عمرام، وبعد ان طلعت على شرح  
البردة<sup>د</sup> الكفار<sup>د</sup> للمودة<sup>د</sup> وهو الشرح  
الكبير لاه العلامة ابن مرزوق له ثلاثة شروح  
على البردة الكبير هو الذي ذكرتموه والارسل  
والغير مرزوق ان مجتمع بعد منقح الشرح  
الجزء اى بعد الانتخاب فيمكن ان اجد  
مراجعا اما الكتب التي كتبها من صاحب  
المكتبة بالمغرب لطبعها بالاحسن بل

صورة عن الصفحة الأولى من الرسالة

## [19] رسالة أخرى إليه<sup>(1)</sup>

الحمدُ لله، والصَّلَاةُ والسَّلَامُ على رَسولِ الله وآله وصحبه وسلم.

إلى الأخ الفاضل اللبيب سيدي البشير محمودي (حفظكم الله ورعاكم)، وبعد:

فإني تشرفتُ بكتابكم الكريم، كما اتصلتُ بشرح (إظهار صدق المودة) للحافظ ابن مرزوق، فشكرا لكم، أما لو لمكم لي فإنه في غير محله، إذ ما بخلت عنكم بشيء - علم الله - وكلُّ ما في الأمر أنه يقع سوء التفاهم، فإنني وعدتكم مرارا بكتب العلامة المرحوم الشيخ ابن كابو، وإنني أصارحكم بأن هذا النوع من الكتب - أي: المتعلقة بالجداول والحكمة - لا أفهم فيها شيئا، ولم أهتم بها كثيرا منذ صغري، وإنما لما وجدتُ في بعض كتبه - كنتُ اشتريتها من تركة ابن أخيه - وكانت متفرقة في الخزانة هنا عندي، وفي الأصنام، وكان الأخ استعار مني واحدا - وهو الذي بعته إليكم - وعثرتُ على اثنين فيها جداول بعثتها إليكم، ووعدتكم بأنني كلما أعثر على واحدٍ منها أرسله إليكم، وسأنجز ما وعدتُ ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ (البقرة: 286).

أما (شرح البردة) فإنني كما ذكرتُ لكم ذلك مرارا أن للشيخ ابن مرزوق ثلاثة شروح على البردة: الصغير والمتوسط - وهو الذي بعثتموه إلي - والكبير - وهو الذي أملك التعليق عليه للشيخ الغبريني البجائي (تلميذ سيدي عبد الرحمن الثعالبي)، وهو

---

(1) اعتمدنا في إدراج هذه الرسالة على نسخة خطية مصورة تقع في صفتين. (ع)

لا يفي لكم بالمقصود، وإنما أعرف أصدقاء عندهم الشرح المتوسّط، فسأستعيّره عليهم متى سنحت الفرصة واجتمعت بهم في العاصمة، أما إذا أردتم المطالعة على التعليق المذكور فأخبروني أبعثه إليكم، ولكم الشكر.

وإنني ما زلتُ عازماً على زيارة ضريح العلامة الشيخ مصطفى الرماصي، وخزانة العلامة الشيخ ابن يسعد، وذلك في شهر شعبان الجاري إن يسّر الله ذلك، وأمّا قصيدة الشيخ الرماصي فما زالت متفرّقة في الخزانة، ومتى أعثر عليها أبعثها لكم، وإنني بعثتُ لكم مع حاملِ الرّسالة أظهر صدق المودة، وأكرر لكم شكري، وأوصيكم بعدم الإسراع في الحكم، إذ بعض الظن إثم. وتقبلوا تحياتي، والسلام.

من عند أخيكم عبد ربه المهدي

بطيوة في: 28 رجب / 25 ديسمبر 1962

والله اعلم  
والسلام على رسول الله  
آله وصحبه وسلم

الحمد لله  
والسلام على  
آله وصحبه  
وسلم

الى الاخ العياض اللبيب سيد البشير محمود عبدك  
الذي ورعك وروي عنه ما في تشريره بكتا بك الكرم كما انقلت  
بتسريح الظهار وادى المودة للداوي ابه مزروفا وشكر الكرم  
اما لومك به بانه في غير محله الا ما بخلت عنك بنيت وعلم الله  
وكل ما في الامر انه يعجز سوء التبراهم ما في وعدهم صرا  
بكتب العلامة المرجوع الشيخ ابه كاسرا وانتي اذ اذ علم يا هذا  
النوع من الكتب اي المتعلقة بالجدول والحكمة لا اظن فيها  
شيئا ولم اهتم بها كثيرا منذ صغر وانما لا وحدث في  
بعل كتيبه كنت انشرتها من تركه ابه اخيه وكانت عتقته  
في الضمانه هنا عند وفي الاضام وكلاه الاخ استعار مني واحد  
وهو الذي بعته اليك وعشرت على اثنين فيهما جدار  
بعثت ما اليك ووعدهم بانتي كلما اعثر على واحد منها  
ارسله اليك وسأجز ما وعدت ولا يكلف الله شيئا  
الا وسعها اما تسريح البردة ما في كما ذكرت لكم في ذلك  
صرا الى الشيخ ابه مزروفا ثلاثة تسروح على البردة  
الغدير والمتوسك (وهو الذي بعثتموه الي) والكبير  
وهو الذي املك التعليق عليه للشيخ الغريرين الاجايني  
تلميذ سيد عبد الرحمن الثعالبي وهو لا يف لكم بالمنقود

صورة عن الصفحة الأولى من الرسالة

## [20] رسالة أخرى إليه<sup>(1)</sup>

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

إلى الأخ الفاضل المحترم، سيدي البشير محمودي.

تحية وسلاما، وبعد:

فإني أخبركم بأننا عازمون على زيارتكم صباح يوم الاثنين 18 شعبان الموافق 14  
جانفي الجاري، ضحبة الأخ السيد عمرو مخلوفي الحزّاب بـ: جامع وهران، والأخ  
السيد عبد الباقي الرئيس السابق للفداء بـ: مدينة وهران، وسنكون عندكم بكرة، إذ  
وعدوني بزيارتي بالمحلّ قبل صلاة الصّبح، وبعد تناولنا القهوة والصّلاة نقصدكم - إن  
شاء الله - لنتمكّن لنا زيارة معهد المنعم الشيخ سيدي عبد القادر بن يسعد، كما نرجو  
أن لا تعلم أحدا بمجيئنا، إذ إنّنا قصدنا به اغتنام فرصة زيارة المحلّين - أي: محل سيدي  
ابن يسعد وتلميذه الحافظ سيدي مصطفى الرماصي - وإننا الشّيخ عمرو يطلب منك  
أن تعلم قريبه السيد مصطفى بمجيئه.

وتقبّلوا أزكى تحيات أخيكم عبد ربّه المهدي البوعبدلي.

حرّرت بـ: وهران في: 13 شعبان 9 / جانفي 63.

---

(1) اعتمدنا في إدراج هذه الرّسالة على نسخة خطية مصورة تقع في صفحة واحدة. (ع)

الحمد لله

والصلاة والسلام  
على رسول الله

الى الاخ العاقل المحترم سيد البشير  
عمود، تحية وسلاما ارفعها ما في اعينكم  
بافنا عازموه على زيارتكم صباح يوم  
الاثنين ١٨ شعبان الموافق ١٤١٣ هـ الموافق  
حكمة الاخ السيد عمر مخلوب الخراب بجام  
وهراء من الاخ السيد عبد الباقي الرئيس  
السابق للعداء بمدينة وهراء وسلكوه  
عندكم بكرة اذ عدوه بزيارتكم بالحل خيل  
صلاة الله بعد تناول الغصوة والصلاة  
نفلدكم ان شاء الله لتملك لنا زيارة  
معهد المنعم الشيخ سيد عبد القادر  
يسعد كما نركبوك ان لا تعلم احدنا بميئنا  
اذ اننا نلدنا به اغتنام مركبة زيارة العلية  
اي محل سيد ابه يسعد وتلمذه الحامل  
سيد ملكعي الرماح وانما السيد عمر  
تلك منكم ان تعلم خبره السيد مقهى  
بجيبه وتغلبك ازك تحيات اخيك  
هره بوهراء ب٣ شعبان  
عبد ربه المللي  
٩ جانبي ٧٣

صورة عن الرسالة

## [21] رسالة أخرى إليه<sup>(1)</sup>

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه وسلم.

إلى المحب الفاضل المحترم الشيخ سيدي البشير محمودي.

تحية ودادية، وأشواقا قلبية، وبعد:

فإني تشرفتُ بكتابكم الكريم، المنبئ على جميع أحوالكم، وليحمد الإنسان ربّه حيث منّ عليه أوّلاً بنعمة الإيـمان والإسلام، ثم مرّت عليه هذه الأحوال وخرج ناجياً بنفسه وعرضه، أما الوظيف والرّزق والصّحة، فلو اطلّعتم على الغيب لاخترتم الواقع، وأبوابُ الله مفتّحة، وهو قادرٌ على أن يبدّل نعمةً بأحسن منها، وأما خشاش الأرض المشّاءون بالنّميمة والمشتغلون بسفاسف الأمور فهم حشرات لا يخل منهم مكان ولا زمان، فليضرب الإنسان بهم عرض الحائط، فإنّ تأثيرهم كتأثير نبح الكلاب في القافلة، وهذه سنّة الله في الثّورات، فدائماً تعقبها فترات تظهر فيها...<sup>(2)</sup> ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُتُ فِي الْأَرْضِ﴾ (الرعد: 17)، والبقاء للأصلح، والعاقبة للمتّقين.

أتمنى أن تجدكم رسالتي هذه على أحسن حالٍ أنتم وجميع أفراد الأسرة والأصدقاء، أما الأخ فإنّ ذهابه إلى بيت الله مجرد إشاعة، فإنه غير عازم على ذلك في هذه السنّة، وإنه

---

(1) اعتمدنا في إدراج هذه الرّسالة على نسخة خطية مصورة تقع في صفتين. (ع)

(2) مقدار كلمة لم تتمكّن من قراءتها. (ع)



هو والطلبة والسيد دحُ يبلغون لكم التّحيات، نعم إن السّيد الحلوي تهباً للذّهاب إلى  
بيت الله، وإنني أرجوكم أن تبعث لي نقل الأوراق التي أطلعتموني عليها بمحلّكم يوم  
زيارتنا لكم، والمتعلّقة بالشّيخ سيدي عبد القادر بن يسعد.

وتقبلوا أزكى تحياتي.

عبد ربه المهدي

بطيوة في: 29 شوال الموافق لـ: 25 مارس 1963.

الحمد لله  
أمر العلماء والسلام على رسول الله  
الله وآله وصحبه وسلم

الى العبد الباطل المحتشم السنيح صبي  
البشير محمود تحية و لا ابيك و اسوا فافلية  
من بعد جانه تسبوت بكتابتك الكريم المنيب عليه  
جميع احوالكم و الحمد الانساء ربه حيث  
مة عليه اولا بنعمة الايمان و الاسلام ثم صرة  
عليه هذه الاحوال و غلغ ناهيا بنعسه و عرفه  
اما الوظيف و الرزق و النعمة جلا اطلعتم على  
الغيبا خترتم الواضع و ابواب الله معانة ~~الانبياء~~  
و هو قادر على ان يبدل نعمة باحسد منها و اما خنتكم  
الارفي المساء و بالنعمة و المستغلو و بسعاس  
الا مور جميع حشرات لا يخل منكم مكان و لارمان  
عليه قرب الانساء بعم عرف الحايك جانه تاثيرهم  
كنا نثير نبح الكلاب في الفاجلة و هذه سنة الله  
الشورات مدايما تغيبها جتراء تكفر فيها

صورة عن الصفحة الأولى من الرسالة

## [22] رسالة أخرى إليه<sup>(1)</sup>

الحمدُ لله، والصَّلَاةُ والسَّلَامُ على رَسولِ الله وآله وصحبه وسلم.

إلى الأخ الفاضل الهمام النليل، سيدي البشير آل محمودي (حفظكم الله وصانكم)،  
وبعد:

أخي، فمعدرة على تأخري بإرسال ما وعدتكم به عند مرورنا عليكم، وذلك أنني  
بعد رجوعي من أم معسكر زارني بعض الأصدقاء، ورافقتهم في رحلة استغرقت  
الأسبوع كله، وإن الكراريس المخطوطة وجدتها:

- 1) شرح منظومة العلامة الصالح سيدي إبراهيم التازي المشهورة بـ (المرادية)،  
للعلامة الشيخ الصباغ القلعي، مؤلف مناقب سيدي أحمد بن يوسف (ناقص).
- 2) شرح غوثية سيدي عيسى بن موسى التوجيني (دفين وادي الطاغية)، للناظم،  
وهي كذلك ناقصة.

وإنكم كنتم أعزتموها لي ونقلتها، وإنني اجتمعت بالأخ السيد أحمد نجل الشيخ  
سيدي الحاج الجيلاني وتحدثتُ معه على حاشية سيدي عبد القادر بن خدة على شرح  
السنوسية، فأخبرني أنها ليست لسيدي عبد القادر بن خدة، وإنما المحشّي ينقل عنه  
كثيراً.

وعلى كلِّ حالٍ فإنّه وعدني بإعارتها، وسأبعثُها لك لتنقلها إن كنتَ فارغاً، وإلاّ فإنّي  
أنقلها أو أعطيها لبعضِ الطلبة ينقلونها وأبعثُ لكم منها نسخة، وإني أتمنى أن تكونوا

---

(1) اعتمدنا في إدراج هذه الرّسالة على نسخة خطية مصورة تقع في صفتين. (ع)

آمنين، وأن يبدل الله العسر باليسر، وستتَّحسَّن الأحوال - إن شاء الله - وإنَّني زُرت  
مازونة في هذه الأيام، وأطلَّعتُ على كتبٍ قيِّمة، كما أخبرني بعض الأصدقاء أنه يملك  
حاشية العلامة الحافظ الشيخ مصطفى الرماصي على التتائي، بلَّغوا تحياتي لجميع  
الأصدقاء.

ودمتم محفوظين، والسلام.

من أحيكم عبد ربِّه المهدي البوعبدلي

حرَّرت بـ: بطيوة في: 21 ذي القعدة الموافق 15 / 4 / 63.

الحمد لله

والصلاة والسلام على  
رسول الله وآله وصحبه

لا يخلو من لوازم الوالد بالجملة الوضعية لئلا يفتقر

الى الاخ العاقل الصالح النبيل سيده البشير  
آل محمود الكرام جعلكم الله ورعاً ميامر بعد  
الجمعة على تأخير ما رسال ما وعدتكم  
به عند مرورنا عليكم ولا لك اني بعد رجوعي  
صام عسكر زارة على الاصدقاء ورافقتهم  
بجراحة استغرقت الاسبوع كله واه الكرامين  
الخطوة وعدتها (١) شرح منظومة العلامة  
العالم سيده ابراهيم التازة المشهورة بالمراد  
للعلامة الشيخ الصبان الغلعي مؤلف منافع  
سيده احمد بن يوسف (منازل)

(٢) شرح غوثية سيده عيسى بن موسى  
التوجيني لاجيب والد الطاغية للناظم وهو  
كذلك ناظمة وانك كنتم اعترتموها (١) نغلتها  
وانت اجتمعت بالاخ السيد احمد نجل الشيخ  
سيده الحاج الجيلاني وتحدثت معه على حاشية  
سيده عبد الفادر به حده على شرح السنوية  
جاخيرة انها ليست لسيده عبد الفادر به حده

صورة عن الصفحة الأولى من الرسالة

## [23] رسالة أخرى إليه<sup>(1)</sup>

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

إلى الأخ الفاضل اللبيب سيدي البشير محمودي.

تحية وسلاما، وبعد:

فإني تشرفتُ بكتابك الكريم، واعدرتني إن لم أجبك فور وصولك، وإني أتمنى أن لا يريكم الله مكروها، وإن كنا في وقتٍ حرجٍ يجد فيه كثير من ذوي الأغراض السيئة مجالا للكيد، إلا أن يد الله فوق أيديهم، أمّا الوظيف الديني فقدّموا طلبا لـ: وزارة الأوقاف على طريق المكتب السياسي هناك، وأنصلوا ببعض النواب، وإذا أردتم فإنني أكتب إليكم رسالةً لتقدّموها إلى الأخ السيد مصطفى الصطنبولي كتوصية، وعلى كل حال فإن هذه الأحوال لم تدم، وسيجعل الله بعد العسر يسرا.

وتقبّلوا تحياتي، وبلغوها لجميع المحبّين والأصدقاء، ودمتم محفوظين، والسلام.

من أخيكم عبد ربه المهدي

الأصنام في: 14 رمضان 82<sup>(2)</sup>

---

(1) اعتمدنا في إدراج هذه الرسالة على نسخة خطية مصورة تقع في صفتين. (ع)

(2) الموافق لـ: 14/9/1963 م. (ع)

الحمد لله  
والسلامة والسلام على  
رسول الله

الى الاخ العاقل اللبيب سيد البشير  
محمود، تحية وسلاما وبعد جانة تشريفية  
بكتابتك الكريمة واعذرتنا ان لم اجيبك  
وعوله وان اتصت ان لا يرسل الله مكرها  
وان كنا في وقت عزم بجد جيد كثير  
الاعتراف السنية مما لا للكيد الا ان يد الله  
عوم ايد بيم اما الوظيف الدينى مقدم  
كلنا لوزارة الأوقاف على طريق المكتب  
السياسة هناك وانتم ببعق النواب

صورة عن الصفحة الأولى من الرسالة

## [24] رسالة أخرى إليه<sup>(1)</sup>

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

إلى الأخ الفاضل المحترم سيدي البشير آل محمودي الكرام (حفظكم الله ورعاكم،  
ومن آفات الزمان صانكم ووالاكم)، وبعد:

فإني كنتُ تشرفْتُ بكتابكم الكريم الذي ذكرتم فيه استفادتكم من تراجم الشيخ  
مصطفى الرماصي ورفيقه، وإنني لا أذكر أنني أملك تراجم هؤلاء العلماء إلا ما هو  
مذكورٌ في بعض الكتب مفرّقا، وقد نقلَ الشيخ الحفناوي في (تعريف الخلف برجال  
السلف) عندما ترجم للشيخ الرماصي حكايةً مضمونها ما يلي:

إن مفتي مازونة الشيخ محمد أبو راس حكى للشيخ الحفناوي أن الشيخ مصطفى  
الرماصي وسيدي عمرو بن دوبة وسيدي العربي بن الخطاب كانوا مسافرين بـ: مازونة  
لقراءة الفقه على أحد الشيوخ من أسلافهم الأقدمين، فذات يوم أذن لهم الشيخ في  
الانصراف، وأمر كلا بالرجوع إلى وطنه، وقال للشيخ مصطفى: أنت المذهب، وللشيخ  
عمر: أنت الولي، وللشيخ العربي: أنت البندير، وفرح الأولان، واهتمَّ الثالثُ واعتاظ،  
ووقع في قلبه شيءٌ من مقالة «البندير»، وحكى لوالديه ذلك... ثم ذهبوا يستفسرون  
الشيخ ويسترضونه، فأجابهم: إن تلك قسمة وقعت من سيّد الوجود ﷺ، فإن  
كرهتموها فقد كرهتم قاسمها، وفرحوا حينئذ، وكان من أمره أن صار يمدحُ النبيَّ

---

(1) اعتمدنا في إدراج هذه الرسالة على نسخة خطية مصورة تقع في صفحة واحدة. (ع)



ﷺ... الخ « اهـ ما نقلته من (تعريف الخلف) ببعض تصرّف.

هذا، وإني أتصلتُ في هذا الأسبوع برسالة من عند الأخ السيد مصطفى الصطنبولي  
يخبرني فيها بأنه أوصى عليك وصية خاصّة، ولا يكون لك أي ضرر - إن شاء الله -  
وتقبّلوا تحياتي وتحيات الإخوة والطلبة والأصدقاء.

بطيوة في: 15 رجب 83 - 3/12/63

المهدي

الحمد لله

والسلامة والسلام على  
رسول الله

الى الاخ العاقل المحترم سيد البشير آل محمود الكرام  
معظم الله ورجاهم وما آتت الزمان حاتمكم والاكم وبعد  
ما كنت تشرفت بكتابتكم الكريمة الذي ذكرتم فيه استنادكم  
تراجع الشيخ ملحق الرواية ورجع فيه وانني لا اذكر انه امك  
تراجع هؤلاء العلماء الا ما هو مذكور في بعض الكتب معروفا  
وفد نقل الشيخ الحميراني في تعريف الخلف رجال السلف  
عند ما ترجم للشيخ الرواية حكاية ملقون بها ما يلي:

ان مقتضاها ان الشيخ محمد ابراهيم علي للشيخ الحميراني ان الشيخ  
ملحق الرواية وسيد عمر بن لؤي وسيد العرب بن الخطاب كانوا مسافرا  
بمازونة العراء العفة على احد الشيوخ من اسلافهم الا انه من مذات يوم اذ  
لصم الشيخ في الانظار وامر كل بالفرع الذي وجدته وقال للشيخ ملحق انك  
المدعي للشيخ عمر انت الولي والشيخ العرب انت البندير معبر الولا  
واهتم الثالث واغتناب ورفع في نلبه في معاملة البندير وحكي لوالديه  
لا كذا ثم لا طيب يستعبره الشيخ ويستكونه ما احبهم ان تلك قصة  
ورفعت من سيد الوجود صلى الله عليه وسلم ما كرهنوها عند كرهته فاسما  
معروفا حينئذ وكان ما امره ان ياريدم النبي صلى الله عليه وسلم الخ  
اه ما نقلته من تعريف الخلف بعق تلف

هذا وانما اتلفت في هذا الا نسوم برسالة من عند الاخ السيد  
ملحق اللحنين بخبر فيها بانها او كالحى عليك رعية خالة  
ولا يكون لك اس خبر ان شاء الله  
وتغلبت تحياتي وتحيات  
الاحوة والطلبة والاصدقاء  
المخلص  
بغيرة في رجب ٨٣ - ١٢ - ٦٣

صورة عن الرسالة

## [25] رسالة أخرى إليه<sup>(1)</sup>

الحمدُ لله، والصَّلَاةُ والسَّلَامُ على رَسولِ الله.

إلى الأخ الفاضل المحترم الأصيل سيدي البشير محمودي.

تحياتي وأشواقي إليكم، وبعد:

فإني أعتنم فرصةَ زيارة الأخ حامل الرِّسالة لأبعثَ لكم معه الوثيقتين، إحداهما للشيخ الطاهر ابن عبد القادر المشرفي، كان تلميذاً للشيخ المنعم أبي راس الناصري، وهو ولد شيخه سيدي عبد القادر المشرفي صاحب (بهجة الناظر)، وإنني أخذتُ منها صورتين، فبارك الله فيكم.

أما الشيخ مزيان الملياني فإنه تلميذ للشيخ يحيى الشاوي (من علماء القرن الحادي عشر)، وله حاشية مشهورة على التوحيد.

وعنوان الشيخ عlish هو هذا: الشيخ عlish بن الحاج خليل، بـ: مسجد خميس مليانة (affre ville) عمالة الأضنام، وأتمنى أن يجمع الله بيننا في أبرك الأوقات، وقد شرعتُ منذ أسبوعين في دراسة تاريخية استغرقت جميع أوقاتي، بحيث إنني أقوم على الرابعة صباحاً ولا أخرجُ من البيت إلا قليلاً، ولو لم أضبط نفسي بهذه الكيفية لما أمكنتني أن أحصلَ على بُغيّتي، وكانت عندي مجموعة جرائد ومجلات شرقية يرجع تاريخها إلى 1933 عندما كنتُ في عهد التّلمذة بـ: تونس، وكانت مخبّأة تحت أكوام الحطب، وقصّت عليها الأَرْضة والبلل والفئران، ولكنني من أطفافِ الله أخرجتُ منها

---

(1) اعتمدنا في إدراج هذه الرِّسالة على نسخة خطية مصورة تقع في صفتين. (ع)

كَمِيَّةَ لَا بِأَسَّ بِهَا، اسْتَعْنَتْ بِهَا عَلَى دِرَاسَتِي، وَمَا زِلْتُ أَنْتَظِرُ مِنْكُمْ إِنْ عَشَرْتُمْ عَلَى بَعْضِ  
الإجازات أو العقود أو القصائد أن تمدوني بها.

بارك الله فيكم ودمتم أخي محفوظين، والسلام.

من أحيكم عبد ربه المهدي

بلَّغوا تحياتي لجميع الأحبة، وتقبلوا تحيات الإخوة والطلبة والأصدقاء، والشيخ  
محمد بالقردي إنه سُمِّي إماماً بـ: مسجد أرزيو، وتحدّثت معه مساء على منظومة الوالد،  
فوعدني بالإتيان بها، وتحدّثنا عنكم كثيراً.

حرّرت بـ: بطيوة في: 16 شعبان 1383 الموافق لأول جانفي 1964

الحمد لله

والصلاة والسلام على  
رسول الله

(٢١)

إلى الأخ العياض المحترم الأصيل  
سيد البشير محمود، تكميلاً واشتراك  
العلم وبعد جأته اعترفت بقرعة زيارة  
الأخ حامل الرسالة لا بعث لكم معه  
التوثيقية "أمدادها للشيخ الفاضل  
ابن عبد القادر المشرف كان تلميذاً  
للشيخ المنعم ابن راس الناصر وهو  
ولد فتيحة سيد عبد القادر المشرف  
صاحب "بهاء النافذ" وانف اخته من  
صورتها مبارك الله عليكم  
أما الشيخ مزيا، المليان جأته تلميذ  
للشيخ يحيى السامري كان من علماء الفقه  
الحاج، مشرف وله من حاشية مشهورة على  
التوحيد  
وعنوان الشيخ عليش هو هذا: الشيخ  
عليش بن الحاج خليل بن محمد بن حميد

صورة عن الصفحة الأولى من الرسالة

## [26] رسالة أخرى إليه<sup>(1)</sup>

الحمدُ لله، والصَّلَاةُ والسَّلَامُ على رَسولِ الله وآله وصحبه وسلم.

حضرة الأخ الفاضل النبيل، سيدي البشير محمودي الكرام.

تحياتي الودادية، وسلامي الزكي، وبعد:

فإني أبعثُ إليكم الوثائق التي بعثتموها لي مع الكراسيتين، فإنَّ المصوِّر نقضَ خيَطَهما  
ليتمكَّن له تصويرهما، والباقي أمكنني أن أنقل بعضها وأصوِّر البعض الآخر، أمَّا  
تعليق الوانوعي وتفسير سورة الفاتحة للشيخ الخروبي فإنني سأبعثهما لك بعد إتمام  
مطالعتيها.

أبقاكم الله ذخرًا، ومتَّعكم بالهناء والعافية، ودمتم محفوظين والسلام.

من أخيكم عبد ربه المهدي

حرَّرت بـ: بطيوة في: 11 ذي القعدة / الموافق 25 - 3 - 64.

---

(1) اعتمدنا في إدراج هذه الرسالة على نسخة خطية مصورة تقع في صفحة واحدة. (ع)

والصلاة والسلام  
على رسول الله وآله

الحمد لله

حكمة الاخ العاقل النبيل صبيح  
البتير محمود، تحية الورد الالهية  
وسلامه الزكي وبعد جاء بعك اليك  
الوثائق التي بعثتموها اما الكراسيات  
جاء الملقون نقل خيلهما ليتمك له  
تلويرها والباقي املني ان انقل بظما  
والعور البعث الاخر اما تعليف الواح  
وتعسير سورة العائجة للسيد الخروي  
بانني سمع بعثها لك بعد اتصام ملكها  
امناكم الله لا خرا ومنعكم بالصنا  
والعاجية ولا عتم محمود كيد والسلام  
صافيلكم عبد ربه المهدى  
حررت ببليوة بي ١١٤١، الفعدة الموافقة ٢٥-٣٠-٧٤

صورة عن الرسالة

## [27] رسالة أخرى إليه<sup>(1)</sup>

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

إلى الأخ الفاضل النبيل، سيدي البشير آل محمودي الكرام.

تحيات ودادية، وسلاماً زكياً، وبعد:

فإني تشرفت بكتابكم الكريم، واتصلت في ذلك اليوم بكتاب من الأخ الأستاذ النعمي أخبرني فيه بأنه اتصل من عندكم بالجزء الثاني من (دليل الحيران، و (الرحلة القمرية)، فجزاكم الله كل خير.

هذا، وإني كنت أخبرتكم أننا عندما زارنا وزير الأوقاف ووزير الإرشاد القومي إلى مسجد الأصنام، وكان عندي كتاب المرحوم الشيخ الحاج العربي التواتي في الأذكار، أعرضته لهم، وإني عندما تباح الفرصة أخذته منه وأرجعه لكم - إن شاء الله -، وقد أخبرني العلامة الشيخ سيدي الحاج الجيلاني بن عبد الحكم أن ابن المرحوم السيد الحاج العربي التواتي زار الأصنام منذ سنتين، ويطلب مخطفات والده، من جملتها كتبه، فنصحته الشيخ بالعودة بعد أن مكن له نصيب إعانة، إذ كانت الظروف بعد الاستقلال حرجة، وإنك تعرف أن مهمتنا هي إحياء تراثنا ونشره وتعميم الفائدة للأجيال الحاضرة والمستقبل، ولم يكن قصدنا اختلاس الكتب ووأدها أو الاتجار فيها، والشيخ السيد عثمان أو ولده إن أرادوا (كذا) فإنني بحمد الله أكسب كتباً قيماً اشتريتها بمالي الخاص، واستنسختها بيدي أو بيد بعض الأصدقاء، فأعطي لهم ما يعادل كتابهم مرّات من دون

---

(1) اعتمدنا في إدراج هذه الرسالة على نسخة خطية مصورة تقع في صفتين. (ع)



أن يجرجوك أو يتهموك بما أنت منه بريء، وإني أرجوك أن تبعث لي كراسة من الكاغد الذي تنسخ منه، وكنت أخبرتني أنك تشتريه من مكتبة فاس لأنقل فيه صفحات من (شرح البردة) الذي كنت أعرته لكم، ورجعته لي، إذ وجدت نسخة كاملة منه عند الأخ الشيخ النعيمي، ينقص منه عشر صفحات تقريبا من الأول، والذي عندي ينقص منه نحو الورقتين في الآخر، فترك لي النسخة وفيها أيضا شرح الشيخ أبي زكرياء الأنصاري على المنفرجة ل: ابن النحوي، وبعض قصائد مهممة، والذي أحججه هو كراسة تشتمل على العشر ورقات، بعثت لكم ورقة داخل كتابي هي أنموذج.

وأتمنى أن يحييكم الله حياة طيبة، ويعينكم على ما أنتم عليه، وتقبلوا أزكى تحياتي وتحيات الإخوة والطلبة.

من أخيك عبد ربه المهدي

حررت ببطوية في: 9 رمضان الموافق ل: 11 - 1 - 65

إلحاق: كما أرجوكم أن تبعثوا لي الجزء الذي لم نطلع عليه من حاشية الشيخ ابن عبد الرحمن التلمساني، أو تفتشوا أنتم على ترجمة الشيخ مصطفى الرماصي فيه وتنقلوها لنا، ولكم الفضل والشكر.

إلى الأخ العاقل النبيل سيدي البشير أحمد محمود الكرام  
 تحياتي وهذه الآية وسلاماً زكياً وبعد ما نشرمت  
 بكتابتك الكريم واتلقت في ذلك اليوم بكتابك من الأخ  
 الأستاذ النقيب أخيراً عبيد بانه اتلقت من عندكم بالجزء  
 الثاني من دليل الحيدان والرحلة الفخرية مجزأكم الله كل خير  
 هذا وإن كنت أخبرتكم أننا عندما زارنا وزير الأوقاف ووزير  
 الإرشاد القومي إلى مسجد الأضواء وكان عند كتاب المرجوم  
 الشيخ الحاج العرب التواتر في الأذكار اعترفت لهم وإنني عندما نتاج  
 البركة أخذته منه وأرعدت لكم أه ساء الله وقد أخبرني العلامة  
 الشيخ سيدي الحاج الجليلي في عهد الحكم أنه ابن المرجوم السيد الخليل  
 العرب التواتر زوال الأضواء منذ سنتين ويطلب مخلصاً كوالده من  
 حملتها كتبه فبالحمد للشيخ بالعودة بعداه مكة له نقيب اعانة  
 إذ كانت الفروع بعد الاستغلال حرجة وإنك تعرف أنه مضمناً  
 هي أحياء تراثنا ونشره وتعميم العائدة للاجتماع الحاضرة  
 والمستقبل لم يكد فلدينا اختلاس الكتب ومأدها أو الأبحار  
 فيها والشيخ السيد عثمان أو ولده إن أرادوا ما بين محمد الله  
 أكسب كتاباً قيمة استرقتها بما في الخافي أو استرقتها بيد  
 أو بيد بعض الأضواء ما على لهم ما يعال (كتابهم مرات عدة) وإن  
 إن يجره أو يتهموه كما ما أنت منه برء وإن أرجو كما أن تبعث

صورة عن الصفحة الأولى من الرسالة

## [28] رسالة من الشيخ البشير محمودي إلى الشيخ المهدي البوعبدلي<sup>(1)</sup>

الحمدُ لله وحده.

65 / 2 / 22

حضرة الأجل المعظم، والعالم المكرّم، سُلالة النَّبِيِّ المَفخَّم.  
بعد إهداء السَّلَام التَّامِّ والرَّحمة والبركة والرَّضَى والرَّضوان تَغْمُرُكَ وَمَن مَعَكَ،  
وَمِن كُلِّ سُوءٍ وبلاءٍ وَقَاكَ وحَفِظَكَ، ثمَّ المسؤُول مِنَّا عن كَلِيَّةِ أحوالك، وبعد.  
سيدي، فقد بلغني أغر مكتوبك الأنور، الذي زال عنه كلُّ كَدْرٍ، والحمدُ لله الذي  
أنتَ جاعلٌ مجهودك في سبيلنا، والله يجازيك أحسنَ الجزاء، ويجعلك عمامة على رؤوسِ  
الخلائِق أجمعين، بجاه سيِّد الأوَّلِين والآخِرِين، آمين.

وها إنِّي أرسلتُ إليك الرِّسالةَ مكتوبةً بخطِّ القاضي العلامَة السيِّد الحبيب بن  
قُدُور، كان قاضيا بـ: قلعة بني راشد في ساعة الفقيه السيد المنور أبو فاتحة، ولكن  
أطلب منك إرسال كتاب الصباغ، لأنني نَسَخ فيه، أرسله لي السيِّد النعيمي، ووجدتُ  
فيه عدَّة مبيضات، ولهذا نجبر ذلك الخِص من كتابك، وهو بخطِّ حسن، والسلام.  
ولكن راني في السَّبب القابل بحول الله وقوَّته نَقدم عندك، توجَّد لي الكُتُب الزائدة  
من التَّائِي والسَّنهوري والشبرخيتي وغيرهم، وأمَّا أجزاء بهرام فقد وصلهم لي هَيَّاز  
عبد الرحيم، وأنا كذلك الذين هم زائدون عندي نأت بهم إليك - إن شاء الله -  
وبلِّغ سلامي إلى الشيخ سيدي عبد البر، ودُمتم بخير.

مِن خديمكم محمودي البشير

(1) اعتمدنا في إدراج هذه الرِّسالة على نسخة خطية مصورة تقع في صفحتين. (ع)

حفظه الاجل المعظم: والعلامة المكرم: سلالته النبي العظيم: بعد  
 اهداء السلاع التمام والرحمة والبركة والبركة والرضى والرضوان  
 انصرك وصرحك وصدقك وسوء وبلاء وفلك وخطك من المسؤل  
 مناع كليلة احوالنا وبعربيه فقد بلغت ابي مكنوننا والاشور اليه  
 زال عنه كل كدر والحزنه اليه انت جاعل مجوهنا في سبلنا  
 ورسد بخارنا احسن اليه ويجعلك علامة على ريس الخلايق العجيب  
 مجاه سبه الاولين والاخرين كما صيب وهما يذرتك الذكر العزلة  
 صكثوبه في خط الفلاف العلاءة السير الطيب فرور كان فذخيرة الفلق  
 بين رانته في ساعته العقيم السير الكنوز ابو جارة ولاكن القلب  
 منك ارسال كتاب الفباغ لانت تشخ فيه رساله السير  
 النجيب ووجدت فيه عدان صبيغات ولهذا نجبه ذلك  
 ارضي صد كتابك وهو في حست والسلاع ولاكن ران  
 في السنت الفلاف الجول ران وفوتته تقدم عنك توجده في  
 انكفب التي اريده من التتادي والسندهور والسفر جيتي وغيره  
 واصلاحه اي بفرع وفقد وطلهم في هيتا ز عبد الرحيم واني اكد ذلك  
 الكبر هم وايدور عنك ذلت بدم اليك ان تشاء ووطنه وبلغ  
 سلامه اليك الحسين سيد المرسلين ودمه من خبي من خديكم موصي  
 الحسين

صورة عن الرسالة

## [29] رسالة إلى الأستاذ البشير محمودي<sup>(1)</sup>

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

الأصنام في: 6 ربيع الأول/ 5 - 6 - 65

إلى الأخ الكريم الفاضل الأريحي سيدي البشير محمودي آل سيدي عمر بن دوبة  
حفظكم الله ونجاكم من كيد الكائدين، ومكر الماكرين)، وبعد:  
فإني تشرفتُ بكتابكم قبل أن أجيء إلى الأصنام حيث أقيمتُ هذا الأسبوع، لأنني  
ذهبتُ إلى وانشريس لزيارة بعض الآثار.

ولا يخفى على حضرتكم أن هذه الظروف التي تجتازها البلاد عند انقلاب الحكم  
كثيرا ما يستغلها المغرضون ومن في قلوبهم مرض، فينتقمون من المستضعفين، ويلفقون  
لهم التُّهم، إلا أن سنة الله في الكون: يحق الله الحق، ويبطل الباطل، وثق بأن رجال  
الثورة بالمرصاد، وعندهم تعليمات وأوامر صارمة بأن لا يظلموا ولا يتعدوا على أي  
أحد من تلقاء أنفسهم، وكثيرا من هؤلاء المغرضين يظنون أنهم سنحت لهم الفرصة  
ليعيدوا الغلطات التي كانت سببا في تدهور البلاد وانحطاط الأخلاق، واستغلها  
الانتهازيون، فذلك زمن مضى، ومن لم يتعظ بالحوادث التي مرت سيندم طول حياته،  
والذي أتحققه أن الحالة ستتحسن، وأن العدالة الاجتماعية ستتحقق، فالعاقل يترك هذه  
الفترة التنقلية ريثما يأخذ مجلس الثورة زمام الحكم ويعين المسؤولين، وستكون العاقبة  
خييرا - إن شاء الله -.

---

(1) اعتمدنا في إدراج هذه الرسالة على نسخة خطية مصورة تقع في صفتين. (ع)

وما حدّثتك به استقيته من مصادره الصحيحة، فكلُّ ما أوصيك به هو أن تتسلَّح بالصَّبر في هذه الفترة التي تجاوز الشَّهر - إن شاء الله - وستكون العاقبة خيرا، وأما الكتب التي استعارها الشيخ النعيمي، فإن وزير الأوقاف عندما زارنا في الشَّهر الماضي أخبرني أن الشيخ النعيمي اطلع عليها، وطلب منهم نقلها بالصورة الناقلة، وعلى كل حال أوصيتُ المفتِّش عندنا ليذاكره في الموضوع، وسأجتمع به أو أكاثبه على ذلك، وإني أرجوك إن ذهبتَ إلى أم عسكر وزرتَ الشيخ الحاج ابن الهاشمي أن تذكِّره في منظومة الشيخ ابن التهامي، وكنتُ كاتبك قبل أن اتصل برسالتك وطلبتُ منك إرسال الكتاب الذي نقلتُ منه وفيات الشيخ ابن أويس، والشيخ الرماصي، والشيخ المالفي، وقد عثرتُ في وانشريس على مصحفٍ كتبه الشيخ ابن عبد الرحمن التلمساني كتابةً جيدة، وفي كلِّ خمسة أحزاب يصوِّر ختمهً بديعة، ووعدني صاحبه ببعض المخطوطات، ومن ضمنها (عجائب الأخبار) للشيخ أبي راس.

وتقبلوا أزكى تحياتي، وسلموا منا على الجميع، ودمتم محفوظين.

أخوكم المهدي

الحمد لله

والصلاة والسلام على رسول الله

الأصنام في ٦ ربيع الآخر - ٥ - ٦ - ٧٥

إلى الأخ الكريم العاقل الأريحي سيد البشير محمد  
السيدي عمر بن مروة مع علم الله ونجاكم من كيد  
الكائدي ومكر الماكري وبعد جأته تشرفت بكتابكم قبل  
أن أوجه الله الأصنام حيث أفتت هذا الأسبوع لأنني  
ذهبت إلى واشنطن لزيارة بعض الأثريين  
ولا يخفى على علمكم أن هذه الظروف التي تجتازها  
البلاد عند انقلاب الحكم كثيرا ما يستغلها المغرورون  
ومذنب غلوبهم مرفق فينتقمون من المستضعفين ويلجفون  
لصم التهم إلا أن سنة الله في الكون يحيا الله الحق ويبدل  
الباطل ويؤذي باء رجال الثورة بالمرصاد وعندهم  
تعليمات وأوامر صارمة بأن لا يظلموا ولا يتعدوا أحد  
أى أحد من تلافى أنفسهم وكثيرا ما هؤلاء المغرورين  
يلقبون أنهم ستمت لهم العريضة ليعيدوا العلاقات  
مكنت كانت سببا في تدهور البلاد وانحطاط الأخلاق

صورة عن الصفحة الأولى من الرسالة

## [30] رسالة أخرى إليه<sup>(1)</sup>

الحمدُ لله، والصَّلَاةُ والسَّلَامُ على رَسولِ الله.

بطيوة في: 28 صفر 1385 / 28 يونيو 1965

حضرة الأخ الكريم النبيل سيدي البشير محمودي تحياتي وأشواقي إليكم، وبعد:

فإني أتمنى أن تكون هذه الحوادث مرّت عليكم بسلام، وستكون عاقبتها خيرا - إن شاء الله - إن أحوالنا كلها على ما يسرّكم، وقد تعطلت منذ أسبوعين عن تتبّع دراسة التّراجم، وكانت هناك موانع كثيرة، منها أن كثيرا من الأصدقاء خصوصا بعد المحاضرة التي ألقيتها بـ: وهران عند أعضاء الرابطة الفكرية فانهاالت عليّ كثير من الرسائل يطلب منّي أصحابها تحقيق بعض القضايا التاريخية، وقد زارني شاب تلمساني يعلم بـ: مستغانم، وأخبرني أنه اتّصل بكم، وإني تحدثت كثيرا في هذا الموضوع مع وزير الأوقاف الذي زارنا إلى الأضنام، وهو رجلٌ فاضل يتمنّى الخير للمساجد وحفّاظ القرآن، وإني أتمنّى أن يجمع الله بيننا في أبرك الأوقات، وإني ناوٍ إن زالت الموانع أن أزور مازونة وتمنشت وغيرهما، للاطلاع على بعض الخزائن، وقد كنتُ أخبرتُك أنني عثرتُ في خزانة على رسالة لسيدي محيي الدين والد الأمير، كتبها عندما سافر إلى الحجّ، وذكر فيها كثيرا من علماء غريس، وكذلك رسائل له ولوالده الشيخ مصطفى فيها إجازة الطريق القادرية بأسانيدها المتّصلة بعميدها إذ ذاك في بغداد، ولكن ما زال صاحبها لم يقدّمها للتصوير، ووعدني بذلك.

---

(1) اعتمدنا في إدراج هذه الرّسالة على نسخة خطية مصورة تقع في صفتين. (ع)



هذا، وإني أرجو أن تبعث لي الكتاب الذي وجدت فيه تراجم سيدي أحمد بن عامر، والشيخ ابن أويس، وبعثتم لي ما نقلتموه، ولكم الفضل.

بلغوا تحياتي إلى الجميع من دون تخصيص، كما يبلغ لكم التحيات الأخ والطلبة والشيخ عlish، وكان زارنا منذ شهر تقريبا، وكان عازما على زيارتكم ولم أدر هل وصلكم أم لا؟ ودمتم محفوظين.

من أخيك عبد ربه المهدي

الحمد لله  
والصلاة والسلام على  
رسول الله

بطيرة في شهر ١٣٨٥ هـ يونيو ١٩٦٥ م

عذرة الاخ الكريم النبل سيد البشير  
محمود، تحياتي واشوق اليكم وبعد  
بانه اتمنى ان تكتب هذه الحوائث مرت  
عليكم بسلام وسكوه عافيتها فبيرا  
اه شاء الله ان احوالنا كلها على ما  
يسركم وقد تعطلت منذ اسبوعيه عه  
تتبع لراية التراجع وكانت هناك  
موانع كثيرة منها ان كثير من الاصدقاء  
خلوها بعد الحاضرة التي الفتها  
بوهراء عند اعفاء الرابطة العكبرية  
جائت على كثير من الرسائل يطلب  
منها الحانها تحفبه بعض الغايات التاريخية  
وقد زارتني شاب تلمساني يعلم بمستغام  
واخبرني انه انزلكم وانني محمدت كثير

صورة عن الصفحة الأولى من الرسالة

## [31] رسالة أخرى إليه<sup>(1)</sup>

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه وسلم.  
جناب الأخ الفاضل الأريحي سيدي البشير آل محمودي الكرام.  
تحيات وأشواق قلبية، وبعد:

فإني أتمنى أن تجدكم رسالتي هذه على أحسن حال، أنتم وجميع أفراد أسرتم الكريمة.  
هذا، وإني سأبعثُ لكم كراريس المزيلى، وأرجوكم أن تبعثوا لي المرّة بعد المرة ما  
تنسخونه منه، ليتمكن لي نقل تلخيص منه، ولكم الفضل والشكر، كما أرجوكم أن  
تبلغوا تحياتي إلى الأخ سيدي الحاج المختار (إمام المسجد)، والتمسوا منه إطلاعكم على  
كتبه، إذ لربما تجدون فيها ما نستعين به على مشروعنا الذي هو في الحقيقة خدمةً للعلم  
ولإحياء تراث الأجداد، وإنني لولا الظروف التي نجتازها لكنتُ أتخلّى عن كل شيء،  
وأتفرغ للكتابة إلى أن أنهي العمل وأقدم الكتاب للطبع، إذ إن الأسفار ومكاتبة كثير  
من الأصدقاء الذين يطلبون مني بعض النصوص والتحقيقات التاريخية تعوقني كثيرا  
عن متابعة العمل، حتى إنني يمرُّ عليَّ الشهران والثلاثة من دون كتابة فصل، نسأل الله  
إلهامنا، وتسديد خطانا لما فيه الخير، كما إني مسرورٌ جدا بوجود حضرتكم في تلك  
الربوع، واهتمامكم بالتراث وتقدير قيمته، وتحققوا أن الله أراد بكم خيرا حيث أنزلكم  
هذه المنزلة، وستحضر لكم - إن شاء الله - بركة السلف الصالح في الدارين، وتقبلوا  
تحيات أخيكم عبد ربه المهدي البوعبدلي.

حررت بـ: بطيوة في: 11 أوت 1965.

---

(1) اعتمدنا في إدراج هذه الرسالة على نسخة خطية مصورة تقع في صفحتين. (ع)

الحمد لله

والصلاة والسلام  
على رسول الله وآله وصحبه وسلم

جناب الاخ العاقل الراجح سيدي  
البيشير آل محمود الكرام تحيات  
وانشوا غا غلبية وبعد جاذبة اتمنى ان  
تجدكم رسالتك هذه على اعين حال  
انتم وجميع اجداد اسرتكم الكريمة  
هذا وان شاء الله لكم كل الخير المزيد  
وارجوكم ان تبعثوا في المرة بعد المرة  
ما تشفقونه منه لئتمك في نفعنا  
منه ولكم العقل والشكر كما ارجوكم ان  
تبلغوا تحياتي الى الاخ سيدي الحاج المختار  
امام المسجد والتصبر منه اخلاصكم  
على كتبه اذ لربما تجدون فيها ما  
تستعيد به على مشرو عناء الف هروب  
الكفيلة فدمه للعلم والاعياء تراء الاجداد

صورة عن الصفحة الأولى من الرسالة

## [32] رسالة أخرى إليه<sup>(1)</sup>

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

حضرة الأخ الفاضل الأريحي سيّدي محمد البشير آل محمودي الكرام (حفظكم الله  
وحفظ بكم الوفاء والنبيل)، وبعد:

فإني تشرفت بكتابكم الكريم صباح الأمس، وكنتُ قبل اتّصالي بكتابكم الكريم  
بعثتُ لكم صحبة بعض الطلبة الكتاب المذيل بـ: (أرجوزة الوفيات)، والكراريس  
المنقولة من تأليف الجوزي.

هذا، وإنني سُررت جدا بما عثرتُ عليه من الكتب القيّمة عند الأخ الذي ذكرتموه،  
فأتمنى أن يبلغكم الله الأمنية، خصوصا (تاريخ ابن خلدون)، فإنكم كما تعلمون أن  
معظم النسخ المطبوعة فيها كثيرٌ من التحريف، فأرجوكم أن تخبروني على تاريخ كتابتها  
ونوع الكتابة، هل هو جيّد أم لا؟ وهل هي تامة أو ناقصة؟

كما أرجوكم أن لا تهملوا بقية الكتب، ولو كانت ناقصة، أو فسدت كتابتها من نحو  
بلل وأكل أرضة، ولا تهملوا منها شيئا سواء بالشراء أو بالإعارة، فإنّ الأجيال المقبلة  
ستعترف لكم بهذه المساهمة في إحياء التراث، وكذلك بركة هؤلاء العلماء والصالحين  
الذين ضيّع آثارهم المعاصرون، ويا ليتهم اقتصروا على ذلك، فهم ينسبون لهم الجهل  
والجمود والتّحريف، وما إلى ذلك.

---

(1) اعتمدنا في إدراج هذه الرّسالة على نسخة خطية مصورة تقع في صفحتين. (ع)

هذا، وإن الأخوين الشيخ النعيمي، والشيخ زروق (المفتش المركزي) زاراني في الأسبوع الماضي، وقضينا ليلة عندنا، قضينا معظمها في السمر بالعلم، وتحدثنا عنكم كثيرا.

وفي الختام بلغوا تحياتي لجميع الأصدقاء وأفراد الأسرة، ودمتم محفوظين.

أخوكم عبد ربه المهدي

بطيوة: 65 / 8 / 26

إلحاق: اجتمعت في الأسبوع الماضي بالأخ محمد بن راشد (إمام غليزان)، فتحدثنا عن الحافظ الرماصي...

### [33] رسالة إلى الأستاذ المولود حبيبي<sup>(1)</sup>

إلى الأخ الفاضل اللبيب المجاهد سيدي المولود حبيبي (حفظكم الله ورعاكم)،  
وبعد:

فإني أتأسف كثيرا حيث لم نجتمع منذ مدة، وقد كنتُ يوم جنازة المرحوم السيد بوشنتوف تأسفت كثيرا، حيث أخبرتُ بأنكم حضرتم موكب الدفن ولم ييسر الله الاجتماع، وفي الأسبوع الماضي اجتمعتُ عند بعض الأصدقاء في وهران في حفلة فطور خاصة مع الأخ السيد إسماعيل، وكان معنا الكومندان السيد الشاذلي، وأعضاء أركان حرب وهران والأخ المجاهد، وتحدثنا عنكم كثيرا، فأخبرني الأخ إسماعيل أنه يجتمع بكم المرة بعد المرة، وأنكم في أمان الله وحفظه، فحمدتُ الله لذلك، وأرجو أن يجمع الله بيننا في أبرك الأوقات.

هذا، وإن حامل الرسالة إليكم السيد البشير محمودي من سلالة الشيخ سيدي عمر بن دوبة، وهو الآن بمدينة البرج، وخاصيته هو نسخ الكتب والتفتيش عنها، وتميز نواذر المخطوطات، وقد كنتُ حدثتكم عنه، وإنني أتخقق أن كثيرا من مواطنينا لا يقدرون هذا النوع من العمل، بل ربما إن أُلجأت الظروف صاحب فضل بينهم يسعون في إهانته أو هضم حقوقه، وهذا شأن الأوساط الجاهلة، حتى ضرب به المثل، وقيل

---

(1) اعتمدنا في إدراج هذه الرسالة على نسخة خطية مصورة تقع في صفتين، وسبب وضعها ضمن هذا الفصل لا يحتاج لتنبه القارئ عليه. (ع)

فيمن هم ملحقون بقوله ﷺ: « ارحموا عزيز قوم ذل، أو غنيا افتقر... و حكيم قوم لعبت به يد الجهال»، أو كما قال ﷺ، ولهذا كتبت لكم هذه الرسالة بواسطة ليتعرف بكم، ويبث لكم شكواه إن دعت الحاجة إلى ذلك، وإنني كنت أوصيت عليه مرارا الحاج السيد الحاج الشيخ عيشوبة سابقا، كتابةً ومشافهة، والله في عون المرء ما دام المرء في عون أخيه، والسلام، وتقبلوا أخي أذكى تحيات مجلكم عبد ربه المهدي.

حررت في: 8 رجب / 2 - 11 - 65



الحمد لله

والسلامة والسلام  
على رسول الله

الى الاخ العاقل اللبيب المباح  
سيد المولود حبيب عجلكم الله  
ورعاكم وبعد جاية انما نسف كثيرا حيث  
لم تجتمع منذ مدة وقد كنت يوم جنازة  
المرحوم السيد بو شنتوف تاكسعت كثيرا  
حيث اخبرت بانكم علفتم موكب الدجى ولم  
يتيسر الله الا اجتماع وارجى الا سيوم الماني  
اجتمعت عند بعض الاصدقاء في وهران في جولة  
ظهور خاصة مع الاخ السيد اشماعيل  
رنا معنا الكومندان السيد السالبي براعلاء  
الركاء حرت وهران والاخ مجاهد وتحدثنا  
عنكم كثيرا بما خبرنا الاخ اشماعيل انه  
يجتمع بكم المرة بعد المرة وانكم  
في اماء الله وعجلة حمدت الله لذلك  
وان جواه يجمع الله بيننا في ارك الاوغا  
هذا جواه مامل الرسالة اليكم السيد  
البنيتي محمود من سلالة اكنتي سيد  
عمرو بهلوية وهو الان بمدينة البرج

صورة عن الصفحة الأولى من الرسالة

## [34] رسالة إلى الأستاذ البشير محمودي<sup>(1)</sup>

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

حضرة الأخ الفاضل النبيل سيدي البشير محمودي (حفظكم الله ورعاكم)، وبعد:  
أخي فإني أتصلت باستغاثة العلامة المجاهد سيدي مصطفى بن التهامي (بارك الله  
في حياتك، وحفظك من كل شرٍّ ذي شرٍّ وإذاية).

وإنني بعثتُ لكم منظومة أهل قلعة بني راشد، أما منظومة الشيخ الطاهر بن حواء،  
فإني لم أهتدِ إلى معرفتها، فإنَّ الشيخ الطاهر (قاضي وهران) المستشهد في حرب وهران  
لم أعرف له قصيدة، وإنما عندما استشهد رثاه صاحب (الرحلة القمرية)، كما رثاه  
صاحب (العقد الجماني) الذي هو بين أيديكم، والشيخ الطاهر القاضي في عهد الأمير  
عبد القادر عنده قصائد من الشعر الملحون أثبتتها الشيخ محمد بن القاضي في (الكنز  
المدفون) الذي طبعه بالجزائر سنة 1968.

وأما ما ذكرتموه في شأن المؤذن فإني سأسأل عنه الأخ المفتش وأخبركم، هل الخبر  
صحيح، لأن التَّعيينات في السُّلك الديني كانت توقفت من شهر مارس 1964 حسبما  
أخبرني المفتش عندنا.

وتقبَّلوا تحياتي وتحيات الأصدقاء، خصوصا الأخ الشيخ عليش، وإنه متأهَّب في

---

(1) اعتمدنا في إدراج هذه الرسالة على نسخة خطية مصوَّرة تقع في صفتين. (ع)

هذه السّنة لأداء فريضة الحجّ على طريق السّياحة، وأرجوكم أن تبلغوا تحياتي لجميع الأصدقاء، كما يبلغ لكم أزكى التحيات الإخوة والطلبة، خصوصا الأخ الحاج محمد ابن الثّرد.

ودمتم محفوظين، والسلام.

من أخيكم عبد ربّه المهدي

بطيوة في: 16 شعبان 85 / الموافق ل: 6 / 12 / 65.

عشرة الاخ العاضل النبيل سيد البشير محمود، عبقراً  
 له ورعاً لم و بعد ان باءت باسغاثه الغلاة  
 المجاهد سيد، فلقها اب النعام بارك الله في حياتك  
 وعجلت له كل شر، شر وان اية وانتي بعثت لكم  
 منقومة اهل فلعة بن راشد اما منقومة السيد الفاهر  
 ابو عواء باءت لم اهتد الي معرفتها جان الشيخ الفاه  
 خاف و هراء المستشهد في حر و هراء لم امره له  
 فليدة وانما عند ما استشهد رشاه صاحب الرملة  
 الفخرية كما رشاه صاحب العفد الجماني الذ هو سيد  
 ايدكم و الشيخ الفاهر الفاه في عهد الامير عبدالقادر  
 حنيد فقايد من الشعر المكون اثبتها الشيخ  
 محمد اب الفاه في الكنز المدحوم الذ لم يبعه بالجزيرة  
 سنة ١٩٥١ و اما ما ذكرتموه في شأن المؤداة جانف  
 ساساً عنه الاخ المعيش و اخبركم هل اخبركم ان  
 التعيينات في السلطنة كانت المصلحة توفقت من شهر  
 مارس ١٩٧٤ عسما اخيرة المعيش عندنا و تقبلوا حياة و حياة  
 الا صغار فلوها الاخ الشيخ عليش و انه متاهب في هذه السنة

صورة عن الصفحة الأولى من الرسالة

## [35] رسالة أخرى إليه<sup>(1)</sup>

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

حضرة الأخ الفاضل النبيل، سيدي البشير محمود (حفظكم الله ورعاكم)، وبعد:

فإني تشرفت برسالتكم المنبئة عن أحوالكم، أدام الله عليكم عافيته وستره، أمّا (السبيكة) فهي للشيخ سيدي محمد بن حواء (دفين مستغانم)، ولهذا لم أهدت إليها، إذ الشيخ الطاهر سواء الكبير أو الصغير لم أعرف لهما قصائد، اللهم إلا الشعر الملحون للشيخ الطاهر الصغير - معاصر الأمير عبد القادر - وإنني سأبعثها لكم بعد أيام، إذ هي الآن مستعارة عند أحد الأصدقاء.

أمّا ما ذكرتموه في شأن الأخ السيد المولود حبيبي، فإنني كنت أشرت عليكم بالاجتماع به والتفاهم معه، فهو محل ثقة، وكنت حدثته عنكم مرارا، إذ هذه المسائل تحتاج إلى تبادل وإلى أسئلة ليكون الإنسان مُطَّلِعًا، إذ ليست هذه المسائل مما يبت فيها الفرد وحده، فلا بد من استشارة جماعته وإطلاعهم على ما يكون خافيا عنهم، فلهذا أوكد عليك مرة أخرى بالاتصال بالأخ المذكور، وهو متفق تماما مع الحاج الشيخ كل منهما يستشير صاحبه، أمّا الأخ الحاج فتحي فأمره كذلك مع الجماعة المذكورة، لأنه لا يعرف أصحاب البلاد هناك، بل يتوقف على رأيها، وإنني أتمنى وسأسعى - إن شاء الله - على وظيف مسجدي يغنيك عن هذا كله، وما ذلك على الله بعزيز، وإنما لما خرج

(1) اعتمدنا في إدراج هذه الرسالة على نسخة خطية مصورة تقع في صفحة واحدة. (ع)

قانونُ الإمتِحانِ فإنه عَطَّلَ الأُمُورَ بالنَّسبَةِ لِلطَّلَبَةِ الَّذِينَ لَيْسَتْ لَهُمُ إِجَازَاتٌ، وَإِنَّا نَأْمَلُ  
أَنْ يَحَقِّقَ اللهُ رَجَاءَنَا، وَالسَّلَامَ.

مِنَ أَخِيكُم عَبْدَ رَبِّهِ الْمَهْدِيِّ الْبُوعَبْدِيِّ.

حَرَّرَتْ بِالْأَصْنَامِ فِي 2 رَمَضَانَ (1)

65 / 12 / 25

---

(1) الموافق لـ: 2 رمضان 1385 هـ. (ع)

حلمة الاخ العاقل النبيل سيد البشير محمود  
 على علم الله ورعاكم وبعد ما قد تشرفت برسالتكم  
 المنيبة عما هو لكم الا ان الله عليكم عاصيته وشه  
 اما السبيلة فهي للشيخ سيد محمد بن عواد  
 مستغاثم ولهذا لم اهد اليها الا الشيخ الطاهر  
 شقراء الكبير والغير لم امرت لها فليد اللهم  
 الا الشعر المسموع للشيخ الطاهر الغير معاصر  
 الا صير عبد الفادر وانتم ما بعثتم لكم بعد ايام اذ  
 الان مستعارة عند احد الا عدنا

اما ما ذكرتموه في شأن الاخ السيد المولود ميبه ما نتم  
 كنت اشكر عليكم بالاجتماع به والتباض معه وهو محل ثقة  
 وكنت عدته عنكم مرارا الا ان هذه المسائل تحتاج التبادل  
 رأي والى امثلة ليكوه الانشاء مقلعا ان ليست هذه المسائل  
 مما يبت فيها العبد وحده بلاد من استشارة جماعته والاعلم  
 صله ما يكون غامبا عنهم بل هذا امر كدعلك مرة اخرى بالاتصال  
 بالاخ المذكور وهو متبع تماما مع الحاج الشيخ كل من علمه ويشير  
 صا صبه اما الاخ الحاج عتيق بامر كذا مع الجماعة المذكورة  
 لانه لا يعرف الحجاب البلا فتناك بل يتوقف على رأيها وانتم التفتي  
 و ساسعي ان شاء الله على وطيف مستحدي يفنيك عن هذا كله وما لا لك

علمه الله بعزير وانما لما خرج فانه الامتحان فانه علم الامور بالنسبة للعلية  
 الذي ليست لهم جازا = وطبقه كل وانما ما مله يخفف الله رعبه تا والسلام من اخبرك عن ربه  
 عورة بالصيام في رمضان ١٢٠٥ - ١٢٠٥ - ٧٥  
 المصطفى البوعبيدة

صورة عن الرسالة

## [36] رسالة أخرى إليه<sup>(1)</sup>

الحمدُ لله، والصَّلَاةُ والسَّلَامُ على رَسولِ الله.

الأصنام في 4 ذي الحجة 1387<sup>(2)</sup>

إلى الأخ الفاضل المحترم سيدي البشير محمودي (حفظكم الله ورعاكم)، وبعد:

فإني كنتُ تشرفت بكتابكم الكريم منذ أيام، وما زلتُ مُستغرقا جَلَّ أوقاتي في السَّفَر، وأكثر إقامتي في هذه الأيام - أي: بعد شهر رمضان - في العاصمة، وكنتُ كلَّفتُ بتحرير بحثٍ تاريخي، فأخذ لي كثيرا من الوقت، وهو الآن تحت الطَّبع على نفقة وزارة الأوقاف، وسيترجم إلى الفرنسية والإنكليزية ليقدم في معرض مونريال (الكنادا)، وهو عبارة عن تلخيص لتاريخ الجزائر من عهد الفتوحات الإسلامية إلى الاحتلال، وسأبعثُ لكم منه نسخة عند إنجاز طبعه - إن شاء الله - أما الكتب فما زلتُ لم أعرثُ عليها، اللهمَّ إلا بعض مؤلَّفات، ك: حاشية المقرئ على الصغرى في التوحيد، وبعض عقود، وإنني سأبعثُ لك كتاب الفاسي المخطوط، أما الكراريس فمتى أجدها أبعثها - إن شاء الله - وإني أتمنى أن تكونوا كلكم على أحسن حال، أنتم وجميع أفراد الأسرة والأصدقاء، وبلغوا لهم تحياتنا، ودمتم محفوظين، والسلام.

من أخيكم عبد ربه المهدي البوعبدلي

---

(1) اعتمدنا في إدراج هذه الرسالة على نسخة خطية مصورة تقع في صفتين. (ع)

(2) الموافق ل: 15 / 03 / 1967 م.



الاصنام في ٤ ذي الحجة ١٣٨٦

الى الاخ العاقل المحترم سيد البشير محمود  
 جعلكم الله ورعاً عالم و بعد ما كنت تشرفيت  
 بكتابتكم اللذيذة منذ ايام ومنازلت مستخرفاً جل  
 اوقات في السفر والترحال اقامت في هذه الايام اى  
 بعد شهر رمضان في العاصمة و كنت كلفت بتحرير  
 بحث تاريخي جاخداً كثيراً الوقت وهو الآن تحت الطبع  
 على نفقة وزارة الاوقاف و سينتج الى العرسية  
 و الانجليزية ليخدم في معرف موريتانيا (الكناديا)  
 وهو عبارة عن تاريخ لتاريخ الجزائر مع عهد القنوة  
 الاسلامية الى الاحتلال وسابعك لكم منه نسخة عند  
 الخار لبعه ان شاء الله اما الكتب فمنازلت لم اعثر  
 عليها اللهم الا على مولانا كما تسمية المقرب على  
 الصغرى في الترميد وعلى عفوة وانني سابعك لك

صورة عن الصفحة الأولى من الرسالة

## [37] رسالة أخرى إليه<sup>(1)</sup>

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

إلى الأخ الفاضل المحترم، سليل بيوتات العلم والشرف سيدي البشير (حفظكم الله ورعاكم)، وبعد:

فإني تشرفت بكتابكم الكريم، وإني أسأل عنكم المرّة بعد المرّة الأصدقاء، وأتأسف حيث لم ييسر الله الاجتماع بكم منذ مدّة، إذ إنني كنت في الأيام الماضية اشتغلت كثيرا بالأسفار، أما الكتب التي استعارها منكم الأخ النعيمي، فإنني اشتغلت بها، وكان قدّمها لـ: وزارة الأوقاف آملا منهم طبعها، ومرّة كنت حاضرًا معه وفتش عنها الوزير في مكتبه فلم يجد لها أثرا، وبقي في حيرة، وطلب مني أن أكلف من يقوم بنقل ما أمكن ويتولّى هو دفع الأجرة، إلا أنني لم أياس من العثور عليها، فإننا نقلنا إدارة المجلس الإسلامي الأعلى إلى الوزارة القديمة قرب (جامع كتشاوة)، وحيث كنت أنا المكلف بالخزانة، فسأبحث عنها - إن شاء الله -، وقد ذهبنا جميعا في هذه الأيام إلى تندوف، واطّلعتنا على خزائن علمية فيها كثير من المخطوطات الأندلسية والشرقية، وإني أرجو أن ييسر الله لك اكتشاف بعض المخطوطات، خصوصا الإجازات أو الأسانيد في الحديث أو الفقه، أو بعض الرسائل كالتي وفّقكم الله إلى اكتشافها للعلامة الرماصي، إذ إننا عن قريب نتمكّن من مطبعة خاصّة لـ: وزارة الأوقاف، ويمكننا الطبع بسهولة، أما الملخص الذي حضرته تحت عنوان: (أضواء على تاريخ مساهمة الجزائر في الحضارة العالمية)، الذي كنا هيّأناه لمعرض مونريال بـ: كندا، فقد طبعته وزارة الأوقاف، طبعت

(1) اعتمدنا في إدراج هذه الرسالة على نسخة خطية مصورة تقع في صفتين. (ع)

منه خمسة آلاف نسخة، وهو على وشك التمام، وهو وإن كان عملاً مستعجلاً إلا أنه لا بأس به، وإنني كنت منذ يومين بـ: سعيدة للحضور في جنازة عند أحد الأصدقاء - هو عامل بوهران مع الأخ عياض - وكنا أردنا المرور عنكم في الرجوع، إلا أن المقادير حالت بيننا وبين أمانينا، وإن أمكنكم زيارتنا يوم الأحد 11 من جوان، أو يوم الاثنين 12، فإنني سأكون بالأهل - إن شاء الله - إذ لربما أسافر بعد هذا التاريخ، فأرجوكم أن تزودونا بما عثرتم عليه، وسأطلعكم على ما وجدناه بـ: تندوف.

والسلام عليكم.

من أخيك عبد ربه المهدي

حررت في: 23 صفر الموافق لـ: 6 يونيو 1967.

الحمد لله

والسلامة من السلام على  
رسول الله

الى الاخ العاقل المحترم سليل بيوتات العلم  
والشرف سيد السير محمود معظكم الله وعالمكم  
مر بعد ما تشرفت بكنائكم الكريمة وانه اسأل عنكم الله  
بعد المرة الاخذنا، واناسبت لي حيث لم يبسر الله الاجتهاد  
تكم منذ مدة ما انتم كنت في الايام الماضية اشتغلت  
كثيرا بالاسفار اما الكتب التي استعارها منكم الاخ النعيم  
ما نتي اشتغلت بها، فدمها الوزارة الاوفاب آمل انتم  
كسبها مرة كنت حاضر معه، فتنشر عنها الوزير في مكتبه  
لم يجد لها اثر، وبعد في حيرة وطلب منها، اكلب ما يفهم  
بنقل ما امك، ويقول هو ذاب مع الاجرة الا انتم لم اياس  
ما العثر عليها ما ننا نقلنا اجرة المجلس الاسلامي اللعل  
الى الوزارة القديمة في جامع كشاوة وحيث كنت انا  
المكلف بالخرانة مساحت عنها، شاء الله وعندنا  
جميعا في هذه الايام التي تندوب والهلينا على خزائنا  
علمية فيها كثير من النملوطات الاندلسية والشرفية

صورة عن الصفحة الأولى من الرسالة

## [38] رسالة أخرى إليه<sup>(1)</sup>

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

طرابلس في: 18 شوال 1387<sup>(2)</sup>

حضرة الأخ الكريم سيدي محمد البشير محمودي (حفظكم الله ورعاكم)، وبعد:

فإني أكتب إليكم هذه الرسالة من طرابلس، وقد زُرنا منذ أسبوع، وذهبنا إلى مدينة البيضاء التي تبعد عنها بنحو 1200 كيلومتر، وفي البيضاء زُرنا الجامعة الإسلامية المحتوية على عدّة كليات في أصول الدين وفي الشريعة وفي اللغة والقراءات، وبها كثير من التلامذة على مختلف الأجناس، وقد زُرنا الزاوية التي أسّسها العالم الرباني الإمام محمد بن علي السنوسي، وضريح الصحابي الجليل السيد رويغف حامل راية رسول الله ﷺ، كما ذهبنا إلى جغبوب حيث أسّس الإمام السنوسي زاويته الشهيرة، وبثّ علومه ومات بها، وقد زُرنا مكتبته ووجدنا فيها كثيرا من المخطوطات عليها خطوط علماء الجزائر، كالشيخ ابن عبد الله سقاط المشرفي وغيره، وقد زُرنا في طريق رجوعنا من جغبوب مدن: طبرق ودرنة، وفي درنة زرنا قبور الصحابة، وهم يزيدون على السبعين، استشهدوا في معركة في عهد الفتوحات سنة 74 هـ، ومنهم الصحابي الجليل زهير بن قيس البلوي، وقد دَعونا لكم الله، وأتمنى أن تجدكم رسالتي على

---

(1) اعتمدنا في إدراج هذه الرسالة على نسخة خطية مصورة تقع في صفتين. (ع)

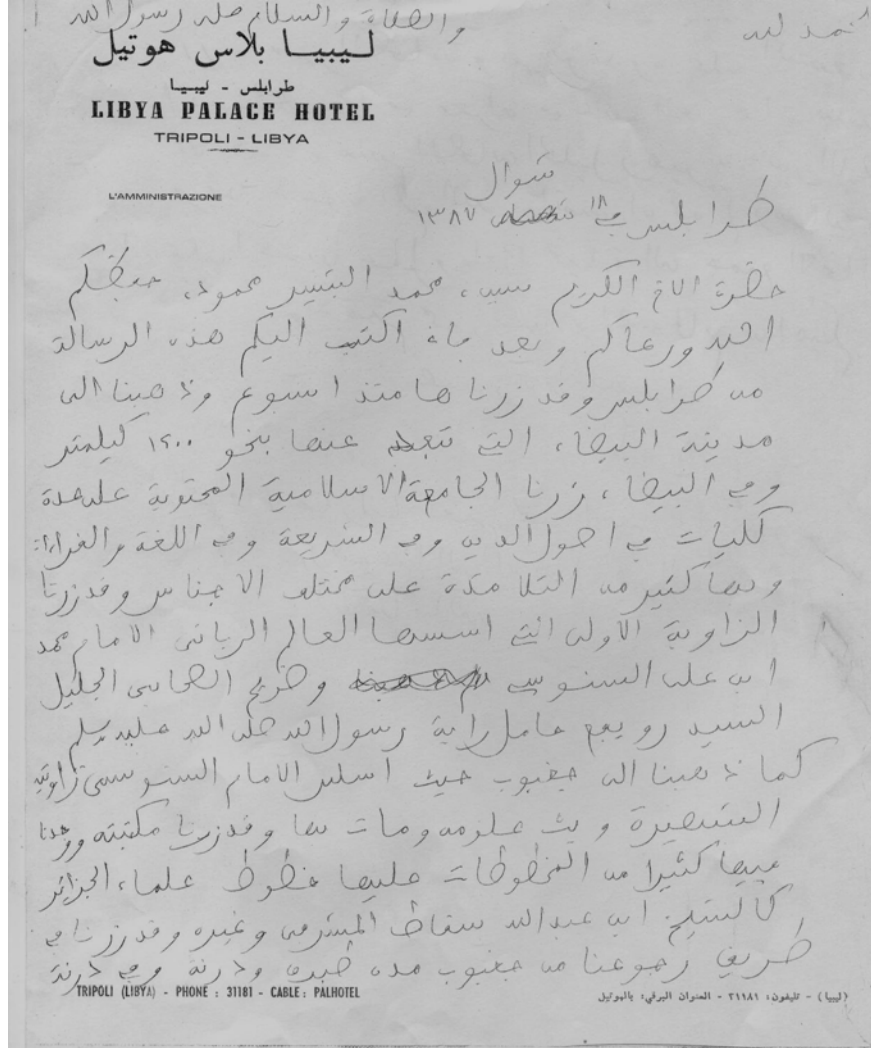
(2) الموافق لـ: 18 جانفي 1968 م. (ع)

أحسن حال، وبلغوا تحياتي إلى جميع الأنجال، ودمتم محفوظين، والسلام.

من عند أخيكم عبد ربه المهدي

إلحاق: مازلنا نقيم هنا أسبوعاً آخر، وسيكون رجوعنا إلى الأهل حوالي 25 أو 26

من الجاري - إن شاء الله -.



صورة عن الصفحة الأولى من الرسالة

## [39] رسالة أخرى إليه<sup>(1)</sup>

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

بطيوة في: 17 ذي القعدة 1388 الموافق ل: 5 فيفري 1968

حضرة الأخ الفاضل النبيل سيدي البشير محمودي.

تحية وسلاما، وبعد:

فإني تشرفتُ بكتابكم الكريم صباح اليوم، بعد انقطاع طويلٍ جعلني كثيرا ما أتساءل عن سببه، وبالأمس زارني الولد السيد محمد بن الصديق الشيخ عثمان بخاتم القلعي، فتحدثنا عنك، وأخبرني أن الولد خرج من السجن، فحمدتُ الله على التفريج، وكنتُ عازما على مكاتبتكم أو زيارتكم إن يسرها الله، وعلى كلِّ حالٍ فإنَّ هذه الأحداث كثيرة في الحياة، ولولاها لما تشكَّى الناس من هذه المنغصات التي لا ينجو منها مخلوق، إلا أنَّ الإنسان ينبغي له أن يتعظ، وإنني لا أكتمك بأنني أشفقتُ عليك في أمر الانتقال من بلدٍ كيفما كانت تعد مسقط رأسك ومسقط رأس أسرتك وأصدقائك وأقاربك، وقد منَّ الله عليك بأن ملكك المسكن ونلت فيها وظيفا تستعين به على صعوبة العيش، وقد رأينا أن كثيرا من الناس أُصيبوا في أعراضهم وأموالهم وأسرهم، وهاجروا البلدَ واستبدلوها بغيرها، إلا أنَّهم لم يطيقوا ألم الفراق ورجعوا، وما زلتُ أشيرُ عليك بأن لا تتسرع فالولد لا بأس أن يتنقل للعمل، وعلى فرضٍ تنتقل أنت...<sup>(2)</sup>

(1) اعتمدنا في إدراج هذه الرسالة على نسخة خطية مصورة تقع في صفتين. (ع)

(2) مقدار سطر لم نتمكن من قراءته، لعدم ظهوره عند التصوير كونه آخر سطر في الصفحة. (ع)

الوظيف إلى أن يُيسر الله لك عملاً آخر، وظيفاً أو غيره، وإن جئت إلى وهران فمرّ عليّ لأصحبك أو أعطيك رسالةً للأخ المفتش الجهوي بوزارة الأوقاف، لربما يجد لك وظيفاً، إذ ما زالت الوظائف الدينية متشعبة من نواحي كثيرة، أولاً من ناحية تطبيق الوظيف العمومي، فإنهم يشترطون التدريب، ثم قضية السن، وعلى كلّ حال فإن الأخ المفتش ب: وهران صديق محب للطلبة، وتعاون جميعاً على حلّ المشكل، أما رسالة الشيخ الرماصي فاعذرني حتى أفتش عنها وأرسلها إليك، و(الثغر الجماني) ما زال بالعاصمة صُحبة كتبٍ أخرى عرضناها على اللجنة المكلفة بتقديم الكتب للطبع، إذ قصدنا طبعها لتعم الفائدة، وقبل أن نطبعها نريد أن نعرف كم تبلغ مصاريفها، وإنني كنتُ كاتبُ الأخ السيد الحاج ابن يامنة على رسالة الشيخ ابن الحفاف، وأخبرني أنكم أوصيتموه على عدم إعارتها لأيّ أحد، وقال لي: إنه سيكاتبكم ليستشيركم على ذلك، وما زال لم يُرسلها.

نعم إنني أتحقّق أنه كان مشتغلاً بموت والده المرحوم، إلا أنّني أرجو أن تكاتبه، وأما كتب الشيخ النعيمي فإنه سيدفع لكم أجرتها، إذ كان كلّفني مراراً لأخاطبكم في ذلك، فقوموها وابعثوا له رسالةً مضمونة، وإن لم يجيبكم فهدّوه بتقديم شكايته، فسُيجيب طلبكم.

وتقبلوا تحياتي وتحيات الأصدقاء والإخوة، ودمتم محفوظين.

من أخيكم عبد ربه المهدي البوعبدلي



كثيرة في ١٧ ن، الفعدة ١٣١٨ المراجعة  
لبيبي ١٩٦٨

علة الاخ العاقل النبل سيد، البشير  
 محمود، تحية وسلاما وبعد فانه تشرفت بكتابتكم  
 الكريم صباح اليوم بعد ان نظام طويل جعلني كثير  
 ما اتساءل عن كسبه وبالامر زارة الولد السيد  
 محمد بن الكديف الشيخ عثمان بن محمد العلي  
 محمدنا عند راضية ان الولد خرج له السج  
 حمد لله على التعرّف و كنت عازما على  
 ملا تبتكم اوزيا راكم اشرفها الله وعله كل حال  
 ما هذه الا عداك الكثيرة في الحياة و لولاها لما  
 تشكك الناس من هذه المنغلات التي لا ينم منها  
 مخلوق الا ان النساء ينمخ له ان يتعظ وان  
 لا الكتمك بانني اشجعت عليك في امر الانتقال  
 بلد كبعما انت تعد مسعد راسك و مسعد راس  
 اسرتك و اعدنايك و انايك و غد من الله عليك  
 يا ملك المسك و نلت فيها طيبا تستعين  
 به على لعوبة العيش و فدراينا ان كثيرا من الناس  
 الصبيح في امر الحتم و اموالهم و اسرهم و ما جرت  
 البلد و استبد لونها بغيرها الا انهم لم يكتفوا  
 الم العراف و رجعوا و ما زلت اسير عليك يا تشرف  
 ما لولدك اسرا و ينتقل للعمل و على حرف تنتقل انت  
 X

صورة عن الصفحة الأولى من الرسالة

## [40] رسالة أخرى إليه<sup>(1)</sup>

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

بطيوة في: 19 ذي القعدة الموافق لـ: 17 فيفري 68.

حضرة الأخ الكريم الفاضل سيدي البشير محمودي.

تحية ودية، وسلاما زكيا، وبعد:

فإني تشرفتُ بكتابكم الكريم وكنت أرسلت إليكم وأخبرتكم أن الأخ السيد محمد بن داوود أخبرني أنه في انتظاركم ليعطيكم شرح (بانة سعاد) للمرحوم الشيخ أبي راس، كما كنتُ عدتُ المحبَّ الشيخ عمرو مخلوفي وتحدثنا عنكم، وبودّه أن تزوروه إذ هو ملازمٌ للبيت، وإن كانت أحواله في تحسُّن، وأرجوكم أن ترسلوا لي بمجرد اتصالكم بالرسالة الكتاب الذي أرسلته إليكم أخيرا، وفي آخره تأليف القلصادي، إذ كنتُ طلبتُ تصوير بعض فصولٍ منه، كرسالة الشيخ ابن الشاهد وغيرها، وآلة التصوير حاضرة بـ: العاصمة، وإن كانت لكم فيه رغبة فأرسله إليكم بعد التصوير - إن شاء الله - أما الخزانة فنسأل الله أن يتمم سعيكم، والرسالة التي أخبرتموني فيها بقضية الوثيقة حسبما يفهم من سياق حديثكم أن الشرطة بعثت إلى الجزائر ليفحصوا التوقيع بالأصابع، هل هو للمرأة البائعة أو هو مخالف، إذ المسألة تتوقّف على الخبراء لا على الشهود عندما يقع النزاع وينكر البائع المصحح، ولهذا فالأحسن لكم إن كان في المسألة شك أن تسعوا في الصلح وحسم النزاع، لأن المسائل كهذه دائما تجرُّ للإنسان التُّهم

---

(1) اعتمدنا في إدراج هذه الرسالة على نسخة خطية مصورة تقع في صفتين. (ع)

الباطلة والأوساخ، وإنني اجتمعتُ البارحة بالمحبِّ السيد الحاج عبد القادر عابد بجمعيّتنا في وهران وتحدّثنا عنكم، وإنني في هذه الأيام أذهبُ كلَّ أسبوعٍ إلى العاصمة وأرجعُ إلى الأهل يومي السبت والأحد، وقد بلّغني أخيراً أن الشيخ الرابحي بصدد بيع خزائنه، فإن كانت لكم معرفة ببعض ما عنده من الكتب المهمّة فأخبروني بها - أي: بأسمائها - وإلا فلا حاجة لي بالاتّصال به في هذا الموضوع.

ودمتم محفوظين، والسلام.

من أخيك عبد ربه المهدي

والسلام على  
رسول الله

الحمد لله

بشارة في ١٩، الفعلة الموافق ليعود ٦٨

علة الاخ الكريم العادل سيد السيد محمود محمد  
وإية وسلاما زليبا وبعد ما تشرفت بكتابتكم الكريم  
وكنت ارسلت اليكم واخبركم ان الاخ السيد محمد بن  
اخبرني انه في انتظاركم ليعلمكم شرح بان سعاد للمرحوم  
الشيخ ابراهيم كما كنت عدت الحب الشيخ عمر  
مخلوب وتحدثنا عنكم وبعده ان تزوره الا هو ملازم  
للبيت وانا كما كنت احواله في تحس وارجو ان  
تمسكوا في محمد انما لكم بالرسالة الكفا  
الدارسلته اليكم اميل وفي آخره تاليف الفلانة  
اذ كنت لعلت تلوير على جدول منه لرسالة الشيخ اية  
الشاهد وغيره من آلة التلويز حاضرة بالعامة  
وان كما نت لكم فيه رغبة ما رسله اليكم بعد التلويز  
ان شاء الله اما الخزانة فبسم الله ان يتم سعي  
والرسالة التي اخبرتموه فيها بقلية الوثيقة مسليا  
يعلم من سياق حديثكم ان الشركة بعثت الي الجزائر  
لعلكم ليعملوا التوزيع بالاصح هل هو للمرأة البانعة  
ارصر محالب اذ المسألة تتوقف على الخبز لا على الشا  
عند ما يقع النزاع ويكر البائع الملح ولذا ما لا حسد

صورة عن الصفحة الأولى من الرسالة

## [41] رسالة أخرى إليه<sup>(1)</sup>

الحمدُ لله، والصَّلَاةُ والسَّلَامُ على رَسولِ الله.

بطيوة في: 6 / 8 / 68

إلى الأخ الفاضل الباحثة الموفق سيدي البشير سليل بيوتات العلم والمجد.

تحية وسلاما، وبعد:

فإني تشرفت بكتابكم الكريم المنبئ عن أحوالكم، وإنني أتحمق أن الظروف التي نجتازها صعبة معقدة، وقضية انتقال الأولاد لا تتسرع فيها، إذ قال الحكيم:

رَبِّ يَوْمٍ بَكَيْتُ مِنْهُ فَلَمَّا صِرْتُ فِي غَيْرِهِ بَكَيْتُ عَلَيْهِ

وعلى كلِّ حالٍ فأبواب الارتزاق مفتوحة، ومُر الأولاد بكتابة سيرتهم الشخصية - أي: تاريخ الولادة، ثم مُستواهم في التَّعليم، والوظائف أو الأعمال التي شغلوها - وأقدم أنتَ بنفسك يوم الأحد مثلا أو الاثنين 11 و 12 أوت، لأنني في هذه الأيام ملازم للدار، ولربما أسافر بعد 15 أوت إلى العاصمة، وإنني في هذه الأيام بصدد نقل الجزء الأول من (عجائب الأسفار) للشيخ أبي راس، كان ضاع لي بعد نقله من نسخة أعارها لي أحد الأفاضل، وقد وجدتها ما زالت عند المحبِّ السيد عمرو مخلوفي، فاستعرتها وشرعتُ في نقل الجزء الأول، كما أنني سهَّل الله عليَّ في نسخ النُّصف الأول

---

(1) اعتمدنا في إدراج هذه الرسالة على نسخة خطية مصورة تقع في صفتين. (ع)

من حاشية الحافظ الرماصي على التتائي، وهي نسخة فريدة، حيث قُوبلت مع النُّسخة الأصلية التي هي بخطُّ المؤلّف، وكاتبها فقيه عالم، كما أنّني اطَّلعتُ على عدَّة مخطوطات قيِّمة بخزانتني القرويين والرباط، ووعدي محافظاهما بتبادل صور ما يهْمُننا منها، وأمنيّتي أن يسهّل الله لنا في القريب العاجل طبع الكثير منها، وإنّي أرجو أن تكونوا كلكم بخير، وأن يحفظكم الله من كيد الكائدين، وإن زُرتمونا فاصحبوا معكم ما ذكرتموه من الرّسالتين المتبادلتين بين الشّيخين ابن الحفاف والمشرقي، وكذلك شرح أو حاشية الحافظ أبي راس على الكبرى.

وبلغوا تحياتي لجميع الأصدقاء ودمتم محفوظين.

أخوكم عبد ربه المهدي البوعبدلي

وإنّني اشتريْتُ مكتبة الشيخ الرابحي، المخطوط والمطبوع منها، وقصدي إنقاذها، إذ خشيت أن يأخذها من لا يعرف لها قيمة.

بخطيرة 7-1-78

الى الاخ العاقل الجاهل الموفق سيد البشير  
 سليل بيوتات العلم والمجد تحية وسلاما وبعد  
 فانه تشرفت بكتابتكم الكريم المنب، عما احوالكم  
 وانني اتفقد اه الخروب التي تمتازها لعبة معقدة  
 وفنية اشغال الاملاء لا تسرع فيها انه مال الحكيم  
 "تت يوم هكيت منه بلما ن كرت في غير بكت عليه"  
 وعلا كل حال ما جواب الاتزان مبتوحة ومر الاملاء بكتابة  
 سيرته الشخصية اي تاريخ الولاية ثم مستواهم في التعليم  
 والوظائف او الاموال التي شغلوها مر اقدم انت بنفسك  
 بين الاعد مثلا او الاثنين 11 و 12 اوت لانت في هذه الايام ملازم  
 للدار ولربما اساجر بعد 15 اوت الى العاصمة وانني في هذه  
 الايام بعد نقل الجزء الاول من مجائب الاسعار للسيد ابراهيم  
 كاه قائم في بعد نقله من نسخة اعمارها في اعد الافاضل وقد وجدته  
 ما زالت عند المحب السيد عمر مخلوب بما ستعرفتها وتسرت  
 في نقل الجزء الاول كما انني سقل الله على في نسخة التلب  
 الاول من حاشية العاقل الروالي على التثاني منه نسخة جريدة

صورة عن الصفحة الأولى من الرسالة

## [42] رسالة أخرى إليه<sup>(1)</sup>

الحمدُ لله، والصَّلَاةُ والسَّلَامُ على رَسولِ الله.

بطيوة في: 26 أكتوبر 1968

حضرة الأَخ الفاضل اللبيب الأريب، سيِّدي البشير محمودي.

تحية وسلاما، وبعد:

فمعدرة عن تأخري بمكاتبتكم، إذ كنتُ غائبا منذ نصف شهر، حيث كنا مشغولين بإعداد مهرجان الاحتفال الألفي لبناء مسجد سيدي مروان البوني ب: عنابة، ثم ذهبنا إلى عنابة صحبة الوفود التي جاءتنا من مختلف البلاد الإسلامية، وبعد رجوعنا إلى العاصمة زُرنا صحبتهم كثيرا من البلاد داخل القطر، وكنْتُ عيَّنت لزيارة بجاية وسطيف وبرج بوعرريج، ولما رجعتُ أمس إلى الأهل وجدتُ رسالتكم، فتأسَّفتُ للحادث المؤلم، إلا أنني بعد التأمل وما نشاهد عليه الأحوال في زماننا هذا، لا ينبغي لك أن تتأثر كثيرا حتى تختار مغادرة البلاد، فاحمد الله على كلِّ حال واصبر، إذ إننا نجتاز أوقاتا حرجة تدهورت فيها الأخلاق، وطغت على الناس أمواج من التسابق على حُطام الدنيا وشهواتها، وذلك على حساب الأخلاق الفاضلة التي يتميَّز بها دين الإسلام وتعاليمه، ولا تظنَّ أن البلدان التي لربها يختارها الإنسان أفضل من البرج، فكلُّ بلدةٍ وكلُّ قرية لها نصيبها من هذه التيارات الجارفة، وإنني أجولُ كثيرا وأخالط الناس على اختلاف طبقاتهم، فنجد الكثير منهم يشكو من الخديعة والغدر والاحتقار

---

(1) اعتمدنا في إدراج هذه الرسالة على نسخة خطية مصورة تقع في صفتين. (ع)



وانحراف الأُسْر، وعندما نقيس ما أصابك نجد ذلك لا يبلغ الجزء من المائة فيما أصاب كثيرا من الأُسْر والأفراد، فهذا يشكو من زوجته ذهبت مع أجنبي وتركت له خمسة أولاد، وهذا بنته اختارت الهرب مع كافر وتركت العار للأسرة كلها، وهذا كان صاحب سطوة وجاه فهو في غيابات السجون... الخ، فالذي أشير به عليك بأن لا تتسرع، فإنك في بيت تملكها، وفي بلدة قرب مسقط رأسك وعشيرتك، ودوام الحال من المحال، وها أنا أرسل لك الرّسالتين اللتين طلبتهما مني.

هذا، وإني كنت ذهبتُ إلى وهران وتركتُ رسالةً إلى الشيخ السيد بن يامينة على فتوى الشيخ على بن الحفاف، إلا أنه ما زال لم يرسلها إليّ، فإن وصلتك فابعثها، وإني كنتُ رأيتُه منذ بعيد في احتفال عنابة، إلا أننا لم نجتمع لكثرة الأشغال. وتقبلوا تحيات أخيكم عبد ربه المهدي.

وينبغي لك أن تتذكر ما قاله النبي ﷺ لسيدنا عبد الله بن العباس: «إن الناس لو اجتمعوا كلهم على أن ينفعوك، لم ينفعوك إلا بما كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضرُّوك، لم يضرُّوك إلا بشيء قدّره الله عليك، ارتفعت الأقلام وجفَّت الصحف»، أو كما قال ﷺ.

لخيرة ص ٤٦ أكتوبر ١٩٦٨

مفخرة الاخ العياض اللبيب الارب سيد البشير  
 همومكم تحية وسلاما وبعد بمغفرة عما تاجر  
 مما تبتكم اذ كنت غائبا منذ ثلث شهور حيث لنا  
 مستغلبه باعداد صحفنا الاحتفال الالهي لثناء  
 سيد سيد مروه البوني بعناية ثم لا تنسى الى  
 عناية لجنة الوجود التي جاءتنا من مكتب البلاد  
 الاسلاميه وبعدهم عن الله العليم زونا كحيتهم  
 كثيرا من البلاد لا اخذ الفكر كنت عينت لزيارة  
 بحايه وسليح وبرج بوعريج ولما رجعت امس  
 الى الاهل وبعدي رسالتكم فتأسفت للحادث  
 المؤلم الا انني بعد التأمل وما نشاهد عليه الاموال  
 مجزما نشاهد لا ينبغي لك ان تأثر كثيرا منه فحتم  
 مفاد حق البلاد ما حمد الله على كل حال والخير  
 اننا فحتمنا ارجو تدهور حبيبا الامل

صورة عن الصفحة الأولى من الرسالة

## [43] رسالة أخرى إليه<sup>(1)</sup>

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

حضرة الأخ الفاضل سيدي البشير محمودي.

تحية وسلاما، وبعد:

فإني عثرتُ على نقد العلامة الحافظ سيدي مصطفى الرماصي للشيخ الخرشي، وإن الأصدقاء والطلبة يبلغون لكم التحيات، خصوصا الشيخ عlish، كان زارنا في هذا الأسبوع، كما زارني الإخوة السادة الجيلاني (إمام قديل)، ومحمد بن عثمان القلعي، وأخبرني السيد الجيلاني أنه زاركم في هذه الأيام القريبة، وأنكم بخير. أتمنى أن يجدكم كتابي هذا على أحسن حال، وأن لا تقطعوا عنا كتابتكم وأخباركم، ودمتم محفوظين، والسلام.

من أحيكم عبد ربه المهدي البوعبدلي

وبلغوا تحياتي للأندجال (حفظهم الله من كيد الحاسدين).

حررت ببطوية في: 9 محرم 1389 / الموافق لـ: 29 مارس 1969.

---

(1) اعتمدنا في إدراج هذه الرسالة على نسخة خطية مصورة تقع في صفتين. (ع)

الحمد لله

والصلاة والسلام على  
رسول الله

علية الاخ الماخول سيد البشير  
محمود، تحية وسلاما وبعد ما  
عشرت على نغد العلامة الماخول  
سيد، ملهم الرماي للشيخ الخرس  
راه الاصدف، الخلية يبلغ، كمال التمام  
فلو كاشي الشيخ علي بن زارنا  
لهذا الاسبوع كما زارنا الاخ  
الاخوة السادة الحيلاني امام محمد  
محمد بن عثمان الفلبي واخبرنا  
السيد الحيلاني انه زاركم

صورة عن الصفحة الأولى من الرسالة

## [44] رسالة أخرى إليه<sup>(1)</sup>

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

بطيوة في: 27 شوال 1389 / الموافق لـ: 5 جانفي 1970

حضرة المحب الفاضل، سليل بيوتات العلم والمجد، سيدي محمد البشير محمودي  
(حفظكم الله ورعاكم)، وبعد:

فإني تشرفت بكتابكم الكريم المنبئ عن أحوالكم، وإنني كنت أتصلت بكتاب قبلي،  
ولم أجد متسعا من الوقت لا للمكاتبة ولا لإرسال ما طلبتموه، إذ قضيت معظم شهر  
رمضان وأوائل شوال خارج البلد - أي: الأهل - مع تراكم الأعمال، ولهذا أرجوكم  
المعذرة، وكنت أوصيت أخواين جاء من وزارة التربية، وكانا عازمين على زيارتكم  
للاطلاع على المخطوطات، إذ ستقوم وزارة التربية بتصوير كل المخطوطات التي لها  
أهمية بإعانة اليونسكو التابع لـ: جامعة الأمم، فيقصدون الخزائن الخاصة ويصورون  
المخطوطات في محل أصحابها، ويعم الانتفاع بها أحسن من أن تبقى موءودة، ويتحمل  
وزرها من بخل بها، ونظرا لاشتغالكم بجمع هذه المخطوطات قدّمت اسمكم للجنة  
المكلفة بذلك، وإنني أرسلت إليكم صُحبة البريد (الياقوتة الوهاجة، ومجموع فيه  
رسائل مخطوطة، أما البقية فإنني سأرسلها كلها في فرصة أخرى، أما مخطوطا (الشعر  
الجماني) فإنني بصدد تحقيقه وتصويره بالجزائر، ثمّ تقديمه للطبع، إذ عثرت على نسخة

---

(1) اعتمدنا في إدراج هذه الرسالة على نسخة خطية مصورة تقع في صفتين. (ع)

منه بخط مؤلفها، وبودّي أن تخبروني عن أحوالكم وعمّا اكتشفتموه أخيراً، أمّا الولد السيد محمد بن عثمان فإنّه منذ سمّي إماماً لم أره، وتقبّلوا تحياتي، ويبلغ لكم السلام السيد عليش.

عبد ربه المهدي البوعبدلي

والعنوان: المهدي البوعبدلي: ص.ب.3 بطيوة وهران.

والسلامة والسلام على  
رسول الله

الحمد لله

بُحيرة ٢٧٠ سبتمبر ١٣٨٩ الموافقة لجانها ١٩٧٠

عذرة الحب العاقل مسليل بيوتنا = العلم والعهد  
سيد محمد البشير محمود، معقلم الله ورعاكم  
ما تشرفت بكتابتكم الكريمة المنبث عنها احوالكم وانتم  
كنت انكثرت بكتابتكم عليه ولم اجد متسعاً من الوقت  
لا للمكاتبة ولا لارسال ما تحلبتموه اذ فليت  
معلم تشعروا بها، واوانيل تسوال خارج البلد  
لدى الاهل مع تراكم الاعمال ولهذا ارجو ان المتعددة  
مركبت اوليت احويلها، امه وزارة التربية وكاننا  
حازميه على زيارتكم للاطلاع على المخطوطات  
اذ مستغوم وزارة التربية بتلخيص كل المخطوطات التي  
لها اهمية باعانة المحققين اليونسكو التابع  
لجامعة الامم جينيف، الخزانة الخاصة ويلجوه  
المخطوطات في حال الحيا بها ويجمع الانتظام بها  
احسن ما اتبعه مؤهولة وتعمل وزيرها من اجله

صورة عن الصفحة الأولى من الرسالة

## [45] رسالة أخرى إليه<sup>(1)</sup>

الحمدُ لله، والصَّلَاةُ والسَّلَامُ على رَسولِ الله.

بطيوة في: 29 شعبان 1390 / 30 - 10 - 70.

حضرة الأخ الفاضل النبيل سيدي محمد البشير محمودي، سليل المنعم الصالح  
الشيخ ابن دوبة.

تحية وسلاما، وبعد:

فإني هيأت لكم نسخة مصوّرة من (الشجر الجهمي في ابتسام الشجر الوهراني) للشيخ  
أحمد بن سحنون كما وعدتكم بذلك منذ مدة، والنسخة هذه مصوّرة من نسخة أصلية  
بخط المؤلف (رحمه الله)، وهي طبعا مصحّحة، وخطها جميل.

ولم تحضر إلا في هذه الأيام، وقد أتصلتُ بالنصف الأول منها، وسيلحق النصف  
الثاني بعد نصف شهر، ولهذا فإني بعد مقابلتها مع الأصل أرسلها لكم، لأنها صوّرت  
على عدّة نسخ، كراريس كراريس، ولما كنتُ راجعا من العاصمة وأخذتها مستعجلا  
أخشى أن يكون فيها المكرّر أو الناقص، ولهذا فإني بعد مُراجعتها أرسلها لكم على  
الطريقة المعهودة - أي: البريد المضمون - وفي انتظار ذلك أرجوك أن ترسل لي الجزء  
الثاني من (دليل الخيران) الذي أعرتة لكم مع (الياقوتة الوهاجة)، وكذلك الجزء الأول  
الذي هو بخطكم، وكنتم أطلعتوني عليه عندما زرتكم، وأخبرتموني أنكم كنتم

---

(1) اعتمدنا في إدراج هذه الرسالة على نسخة خطية مصورة تقع في صفتين. (ع)



أعزتموه للأخ السيد ابن يامينة ابن إسماعيل، إذ إنني لربما أجد متسعاً من الوقت في هذا الشهر المبارك فأنقله.

وفي الختام أتمنى أن تجدكم رسالتي هذه على أحسن حال، أنتم وجميع أفراد أسرتهم الكريمة والأصدقاء ودمتم محفوظين.

أخوكم المهدي البوعبدلي.

الحمد لله

والسلامة والسلام على  
رسول الله

بنيوة ٢٩ شعبان ١٣٩٠ / ٣ - ١٠ - ٧٠

خلق الاخ العاقل النبي سيب محمد البشير محمود  
 سليل المنعم العالم الشيخ ابو حمزة تاجية وسلطانا  
 وبعد ما هيا لك نسخة ملوورة من النسخ  
 الحمانه باسم النفر الوصراة للشيخ اهدب سحنه  
 كما وعدتكم بذلك منذ مدة ولم تحضر الاب هذه  
 الايام فرقدت بالثلب الاول منها وسلبه  
 الثلب الثاني بعد ثلث شهر وهذا واذا بعد  
 مغالبتنا مع الاصل ارسلاكم لاننا  
 كورنا على عدة نسخ كرايس كرايس لما كنت  
 راجعا من القاهرة واخذتها مستحيا اغشاه  
 بملوه جيبا المكثرا او النافل ولما امان بعد  
 من اجعتنا ارسلاكم على القريفة المعصودة  
 في البريد الملقوه وبانتظار ذلك ارجوكم

والنسخة هذه ملوورة من نسخة  
 وهذه نسخة من نسخة  
 انما هي نسخة  
 اعلى  
 من  
 نسخة  
 من  
 نسخة

صورة عن الصفحة الأولى من الرسالة

## [46] رسالة أخرى إليه<sup>(1)</sup>

الحمدُ لله، والصَّلَاةُ والسَّلَامُ على رَسولِ الله.

بطيوة في: 16 ربيع الأول 1391 / 11 - 5 - 71

إلى الأخ الفاضل المحترم سليل بيوتات العلم والشرف سيدي الحاج البشير آل محمودي (حفظكم الله ورعاكم)، وبعد:

فإني تشرفتُ صباح اليوم بكتابكم الكريم المنبئ عن حسن أحوالكم، وقد كنتُ أتصلتُ بكتابٍ منذ مدّة وأجبتكم عنه، إذ كنتُ في هذه السّنة أُصبت بانحراف المزاج، حتى إنني طيلة شهر رمضان لم أخرج بعد صلاة المغرب، اللهمَّ إلا بعض المحاضرات كنتُ وعدتُ بها المحافظة السياسية بـ: مستغانم، وبلدية مرسى أرزيو، وبقيتُ في حالتي شفاء وإبلال مع تراكم الأعمال، وفي هذه الأيام كنتُ لم أحضر جنازة المرحوم السيد القاضي حسن، وللغد عندما ذهبنا للتّعزية كنتُ عازما على زيارتكم في طريق الرجوع إلا أن مواعٍ صدّتني ورُفقائي عن ذلك.

هذا، وإن كتاب (المغارسة) عندي، أما (الملاي) فإنني منذ أعرّته لكم لم أراه، وكذلك (الحوضي) فإنني رجّعته لكم حسبما هو مقيّد عندي، أما بقية (الشجر الجماني) فقد وقع فيه تخليط، والكراريس التي أرسلوها إليّ كلها مكرّرة، وما زلتُ لم أتّصل بالبقية، وعندما تصلني أرسلها إليكم، كما لا زلتُ أنتظر (دليل الحيران) لـ: الزباني، فأرجوكم إرساله.

---

(1) اعتمدنا في إدراج هذه الرّسالة على نسخة خطية مصورة تقع في صفتين. (ع)

وإنني أسأل عنكم كثيرا، ويصلني ما يسرُّنا عنكم، كثيرا ما أتحدَّث عنكم مع الأخ  
السيد الجيلاني (إمام جامع قديل) والطلبة.

وفي الختام تقبلوا تحياتي.

أخوكم المهدي البوعبدلي.

إلحاق: كنتُ يوم الخميس حضرتُ في حفلة تَدشين مسجد بناه السيد عبد القادر بن  
جادور بـ: حرماله، ولقيني الطلبة هناك، وأثناء الحديث أخبرني المفتش لوزارتنا بـ:  
مستغانم أن الأخ الشيخ ابن عبد الله عيَّن إماما بـ: تيرفيل سابقا.

بليوة في ١٦ ربيع الأول ١٣٩١ هـ و ١١ - ٥ - ٧١

اليه الاخ العاضل المحترم سليل ميوتا = العلم والشه  
 منسب الحاج السيد آل محمود حفظكم الله وحالكم  
 بعد ما نشرتم كتاب اليوم بكتابتكم اللذيذة المنيرة  
 عن عباد احوالكم وقد كنت اتللت بكتاب منذ  
 مدة وأجبتكم عنه اذا كنت في هذه السنة اجبت  
 يا تحراب المنزاع متى انت طيلة شهره لم  
 اخرج بعد صلاة المغرب اللهم الا بعض العاهلرات  
 كنت وعدت بها العاهلة السياسية بمستغانم وبلدية  
 مرسية ارزيم وبعيت في عائلتي شيعاء وابلال  
 مع تراكم الاعمال وفي هذه الايام كنت لم اعمل  
 جنازة المرحوم السيد الفاضل عيسى وللغد عندما  
 لم هبنا للتغزية كنت عازما على زيارتكم مع  
 حريف الرجوع الا ان موانع كدتني من مفعاء بعد  
 في ذلك هذا وان كتاب الممارسة عند اما الملال

صورة عن الصفحة الأولى من الرسالة

## [47] رسالة أخرى إليه<sup>(1)</sup>

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

بطيوة في: 12 جمادى 1391 / 3 أوت 1971.

حضرة الأخ الفاضل سيدي الحاج محمد البشير آل محمودي الكرام.

تحيات الودّ والإخاء، وبعد:

فإني تشرفت بكتابكم الكريم المنبئ عن أحوالكم، أدام الله عليكم نعمه.

هذا، وإنكم ستجدون رسالة داخل الكتاب وجّهتها إلى الأخ الأستاذ جلول الناصر (المفتش الجهوي لولاية مستغانم)، فاذهبوا عنده وبلغوا له ما كاتبتموني به ليكون على بينة، وقدّموها بأنفسكم، لأنه يحتاج إلى إرشادات، ولا ترسلوها مع البريد أو مع رسول، لأن هناك مسؤوليات عند المفتش نفسه، ولا يستقلُّ برأيه، فإن لم تطلعوه على القضية فلربما تضيع حقوق صهركم.

وإني أرجوكم أن ترسلوا لي قائمة الكتب التي عزمتم على بيعها، لأن كثيرا من الأصدقاء كانوا في حاجة إلى شراء كتب تاريخية وغيرها، ودمتم محفوظين.

أخوكم المهدي

---

(1) اعتمدنا في إدراج هذه الرسالة على نسخة خطية مصورة تقع في صفتين. (ع)

الحمد لله

والسلام على  
رسول الله

بخطوة في ١٢ جمادى ١٣٩١ - ٣١ ابريل ١٩٧١

عشرة الاخ العاقل بسبب الحاج محمد البشير  
المرحمون الكرام بحيات الراد والاعزاء وبعد  
بانه تشرفت بكتابتكم الكريمة المنيرة عن احوالكم  
اهام الله عليكم نعمه هذا وانكم ستجدون رسالا  
لم اخل الكتاب وجهتها الى الاخ الاستاذ بلورا  
الناشر المعشر المحمود لولاية مستغاثم بالاصح  
عنده وبلغنا له ما كنا نبتغونه به ليكون على بينة  
وعندمورها بانفسكم انه يحتاج الى ارشادات ولا ترسلها  
مع البريد او مع رسولا هناك مسؤليا عند  
المعشر نعيده ولا يستغل براه جاء لم تطلعوه على  
الغضبية بل ربما تلعب غفوة صهركم وانه ارجوكم  
ان ترسلوا كغائمة الكتب التي عزمتم على بيعها

صورة عن الصفحة الأولى من الرسالة

## [48] رسالة أخرى إليه<sup>(1)</sup>

الحمدُ لله، والصَّلَاةُ والسَّلَامُ على رَسولِ الله.

بطيوة في: 4 رمضان 1391<sup>(2)</sup>

حضرة الأخ الفاضل النييل سيدي محمد البشير محمودي (حفظكم الله ورعاكم)،

وبعد:

فإني تشرفت بكتابكم الكريم، وبما أرسلتموه من إجازة الفقيه الشيخ سيدي عبد القادر بن مصطفى للوالد المرحوم، وبقية الإجازات (بارك الله فيكم)، وبودّي أن تُرسلوا لي تاريخ ولادتيها ووفاتيها، كما أرجوك أن ترسل لي تاريخ وفاة أو ولادة صاحب المنظومة الذي هجا (حبوشة)، لأنني أنوي أن أقدم هذا التأليف الذي سيشمل ما يزيد على المائتي ترجمة بعد عيد الفطر - إن شاء الله - وسأذكركم فيه أنتم والوالد والشيخ ابن آمنة وصاحب المنظومة، وبودّي أن أعرف تاريخ هجرة أبناء سيدي عمر بن دوبة الذين استوطنوا ناحية العطاف، وكذلك تاريخ بعض علماء البلاد، إذ هذه هي الفائدة في جمع التراث، فإن هؤلاء العلماء والفقهاء والصالحين الذين غرسوا الدين ونشروه بسيرهم وإنتاجهم حرام على الخلف أن يحتفظوا بآثارهم ويتركوه للأرضة والفأر، ويحرموا الخلف من الإطلاع على آثارهم، وكانت بحمد الله هذه هي أمنيته منذ اشتغلت بهذه المهمة، وأخشى دائماً أن تحوّل بيني وبين هذه الأمنية عوادي

(1) اعتمدنا في إدراج هذه الرسالة على نسخة خطية مصوّرة تقع في صفتين. (ع)

(2) الموافق لـ: 23 أكتوبر 1971 م. (ع)



الزَّمان، ولهذا بادرتُ بِجمع ما تيسَّر، وعندما يطبع ولو مع نقصه ستكون له فائدة، وهي ضمان خلوده، ولا يحرم - إن شاء الله - من رجال يتممون ما نقص، ولما كنتُ مَدِينا لَكُمْ بِعانتِي في هذا الميدان حيث ساهمتم بِإمدادي بما كنتم تعثرون عليه من الوثائق الهامة، فإنَّ لَكُمْ دِينا في عُنُقِي سأذكره - إن شاء الله - وإنِّي كنتُ مررتُ عليكم عند مجيئي من زيارة ضريح سيدي قادة ولم أحظَّ بوجودكم، ولكن لقينا الولد البار وأكرمنا غاية الإكرام، ثم رجعتُ في الأسبوع الماضي إلى أم عسكر صحبة بعض الضيوف، وكنت عازما على المرور عليكم، وأبى الله إلا أن تتأخر هذه الملاقاة.

وتقبلوا تحيات أخيكم عبد ربه المهدي البوعبدلي.

إلحاق: إن وجدتم بعض تراجم علماء أو رسائلهم أو تاريخ وفياتهم أو فتاويهم، فأرجوكم أن ترسلها إليّ، وبعد تصويرها أو نقلها أرجعها لكم - إن شاء الله - .  
وما زلتُ أنتظر في (دليل الحيران)، أمَّا (الشعر الجماني) فإنه قدّم للطبع، وقد كتبتُ مقدّمته، فيها نبذة هامة من تاريخ العهد التركي، وهي تشتمل على 75 صفحة.

الحمد لله

والصلاة والسلام على  
رسول الله

بليدة ص ٤ رمضان ١٣٩١

مطرة الاخ العاقل النبل سيد محمد البشير  
 محمود حفظكم الله ورعا لكم وبعد ما نشرحت  
 بكتابتكم الكريمة وبما ارسلتموه من اجازة البغية  
 الشريفة سيد عبد القادر ابي ملحق للوالد المرحوم  
 وبغية الاجازة = باركة الله بيلكم وبيوتكم اه ترسلوا  
 في تاريخ ولاه تبصرا ووجاهتكما كما ارجموا  
 ترسل في تاريخ وجاه او ولاة صاحب المنلومة  
 الذي لها حموشة لانني انه ان اقدم هذا التاليد  
 الذي سيستمر ما يزيد على المائتين ترجمة بعد  
 سيد العلي اه مناه الله وسالاكمم فيه انتم والوالد  
 والشريفة اه آمنة و صاحب المنلومة وبيوتكم ان امرت  
 تاريخ بليدة ابناء سيد محمد به لاروية الذي استقر لحننا  
 ناعية العلماء وكذلك تاريخ بعل علماء البلاد

الجامعة اه و قد تم بعل تراجم علماء اورسا بيلكم اورثا بعل و بيا بعل اور بيا و بيلكم  
 جازمركاه ترسلها الله و بعد تلويزها او نعلمها بيلكم لكم اه شاء الله

صورة عن الصفحة الأولى من الرسالة

## [49] رسالة أخرى إليه<sup>(1)</sup>

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

الجزائر في: 11 شعبان 1392<sup>(2)</sup>.

إلى الأخ الفاضل سليل بيوتات المجد والشرف الشيخ سيدي الحاج البشير محمودي  
(حفظكم الله ورعاكم)، وبعد:

فإني تشرفت برسالتكم وأنا بالأهل، وكنت أتصلت بالكتب والرسائل في وقتها، إلا أنني كنت لم أجد دقيقة واحدة من الوقت، حيث تراكمت علي الأعمال وكنا ننتهياً ل: مؤتمر التعرف بالفكر الإسلامي الذي دام هذه السنة ثلاثة أسابيع، وجاءنا العلماء من مختلف البلدان الإسلامية، كما اشتغلت بتحضير مقدمة كتاب (الثغر الجماني) الذي سيطلع عن قريب - إن شاء الله - وقد نشرت نصف المقدمة التي هيأتها في مجلة الأصالة عدد: 8، وكنت مررت عليكم يوم الأربعاء الماضي للحضور وإجابة دعوة أبناء سيدي قادة ابن المختار، ولم يكن لنا متسع من الوقت، إذ كان معي طبيب من غليزان وهو ب: الجزائر الآن، ورجعنا وقت الزوال ونحن في طريقنا إلى الجزائر، أتمنى أن تكونوا بخير، وأن لا تقطعوا عنا مكاتبتكم، وبالخصوص بعض تراجم العلماء، حتى لا نكون مشاركين لمن أهملوا مجد أسلافهم وأضاعوه، وإن أحسن طريقة لتخليد هؤلاء الرجال هو نشر آثارهم والتعريف بهم.  
ودمتم محفوظين.

المهدي البوعبدلي

(1) اعتمدنا في إدراج هذه الرسالة على نسخة خطية مصورة تقع في صفتين. (ع)

(2) الموافق ل: 19/9/1972 م. (ع)

والصلاة والسلام  
على رسول الله

الحمد لله

الجزائر نيف ١١ شعبان ١٣٩٢

الى الاخ الفاضل سليل بيتنا العبد  
والشرف السيد سيد الحاج البشير  
صمود، منفلتكم الله ورعالم وبيد  
حانه تشرفت برسالتكم وانا يا بل  
كنت اهلته بالكتب والرسائل في وقتنا  
ولا اتيه كنت لم اهد لا قبعة واهدة من الوقت  
ميت تراكت على الاعمال وكنا تنصير  
لمؤتمر التعرف بالفكر الاسلامي الذي  
لا امر هذه السنة ثلاثة اسابيع وحياتا

الموافق ١٩٧٢/٩/١٩

صورة عن الصفحة الأولى من الرسالة

## [50] رسالة أخرى إليه<sup>(1)</sup>

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

بطيوة في: 9 ذي القعدة 1392<sup>(2)</sup>.

إلى الأخ الفاضل سليل بيوتات العلم والشرف الشيخ سيدي الحاج البشير محمودي.

تحياتي الودادية، وسلامي الزكي.

هذا، وإني أتمنى أن يجدكم كتابي على أحسن حال، وأن يديم نعمه عليكم.

إنني أكتب إليكم لأخبركم أنني تحدّثت مع وزارتنا عنكم، حيث إنها عازمة على إحياء التراث، وقد شرعنا بالفعل في طبع (الشجر الجماني) الذي سينجز طبعه في الشهر المقبل، وهو يشتمل على التأليف وعلى مقدّمة حرّرتها تحتوي على مائة صفحة، ثم نَسْرَسِلُ في الطبع، إلا أن الكتب التي تطبع تحتاج إلى نقلها على وجه واحد من الورقة، ولهذا فنحن في حاجة إلى خطّاط، لأن خطّاط المطبعة في قسنطينة، وبوَدِّ الوزارة أن ينسخ الكتاب هنا، ويُرسِل إلى المطبعة جاهزا، ولهذا عرضتُ عليهم اسمكم، ويجعلون لك أجرَةً معتبرة من دون أن تفارقوا محلّكم، وقد تأتيتكم الكتب للاستنساخ على طريق المفتّشية الجهوية بـ: مستغانم، وترجعونها إليها، وإن اقتضت المصلحة أن تُسافروا إلى الجزائر أو قسنطينة فالوزارة تتولّى دفع أجره السّفَر، وإني رأيتُ أنّ هذه الوظيفة

---

(1) اعتمدنا في إدراج هذه الرسالة على نسخة خطية مصورة تقع في صفتين. (ع)

(2) الموافق لـ: 14 ديسمبر 1972 م. (ع)

تناسبكم، وإن كان العمل مُستعجلاً فكذلك الوزارة تتولَّى مخاطبةَ رئيس الدائرة ليوافقكم على الرُّخصة للتَّفرغ للعمل، ومن جهة أخرى فهذا المشروع تكون له أهمية واسترسال، فإذا وافقتم وعزمتُم فأتونني لأُطلعكم على كيفية العمل، لأنني أتيت بنسخة مخطوطة من خطَّاط المطبعة - وهي عندي - وأنا بصددِ تصحيحها لأُطلعكم عليها، ثم نضرب لك موعدا لنذهب إلى الجزائر لتتَّفَق على العمل والأجرة، وعندما تعزمون على المجيء اكتبوا لي برفقة لأنظركم، إذ لربما يعرض لي سفر، ودمتم محفوظين.

أخوكم المهدي البوعبدلي

بطيوة

والسلامة والسلام على رسول الله

العدد ١٣٩٢  
ردت الجواب الراجحة المبررة 19/12/172

طبعة في ١٣٩٢ القعدة ١٣٩٢

الى الاخ الغافل سليل نبوتات العلم والشرف  
الشيخ سيد الحاج البشير محمود محياي الوجادة  
وسلامه الزكي هذا وان اتمنى ان يجدكم كتاب  
على اسم عال من ايدى نعمه عليهم  
انتم اكتب اليكم لا غيركم انما تحدثت مع وزيرتنا  
صلى الله عليه وسلم انما عازمة علماء التراث وقد شرعنا  
بالفكر في طب "الشجر الحساني" الذي سينجز لبعده  
في السنين المقبل وهو يشمل على التاليف وعلامة مقدمة  
مترجمتها تحتوي على مائة لغة ثم نشرنا في الطب  
الا ان الكتب التي تليق تحتاج الى نقلها على وجه  
وامد من الورقة ولهذا فتح في جامعة الى نظام  
لان نظام المطبعة في قسنطينة وبوذا الوزارة  
ان منسوخ الكتاب هنا وترسل الى المطبعة بالقر  
ولهذا عرضت عليهم اسمكم ويجعلون كداجرة

صورة عن الصفحة الأولى من الرسالة

## [51] رسالة أخرى إليه<sup>(1)</sup>

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

بطيوة في: 25 ذي الحجة 1392<sup>(2)</sup>.

حضرة الأخ الكريم، سليل بيوتات العلم والمجد، السيد الحاج البشير محمودي.

تحية وسلاما، وبعد:

فإني أرسل إليكم صحبة هذا الكتاب تأليف المقرئ سيدي أحمد بن ثابت التلمساني، وإني تأخرت في إرساله لتراكم الأشغال، وكثرة الأسفار، وانحراف المزاج، حتى إنني أصبت بزكام قوي في هذه السنة لم أصل بسببه التراويح، وكذلك عيد النحر، فإني رجعت من الجزائر وأصبت بحمى شديدة منعتني من مغادرة الفراش ما يزيد على الأسبوع، وإنني أنوي الاستعانة بأحد الأصدقاء لأنظم الخزائن، وسأعثر - إن شاء الله - على الكتب التي أوصيتموني عليها، كما أنني أنوي زيارة حماد سيدي أبي حنيفة بعد أيام، وحيث إن حافلة الجزائر التي تأتي إليه تمر عليكم فإنني سأخبركم، ولربما نترافق جميعا.

إن الأخ السيد عبد القادر بن أحمد (إمام مسجد الأصنام) ذهب إلى الحج، وسيرجع في هذه الأسبوع - إن شاء الله -.

وإنني مهتم كثيرا بتهيئ كتاب تراجم علماء بلادنا، وقد استفدت كثيرا من الأوراق

(1) اعتمدنا في إدراج هذه الرسالة على نسخة خطية مصورة تقع في صفتين. (ع)

(2) الموافق لـ: 29 جانفي 1973 م. (ع)



التي بعثتموها إليّ أخيراً، ومنها أبيات الشيخ الرابعي، فهي مفيدة، وإننا بعملنا هذا ننوي إحياء تاريخ رجال بلادنا حتى يجد الخلف - إن شاء الله - وثائق يستفيد منها، ويتصور حالة آبائه وأجداده، كما أنني مشتغل في هذه الأيام بتهيء طبع بعض المخطوطات، إذ إن وزارتنا مستعدة لطبعتها، فاغتنم هذه الفرصة، فإن كانت لكم بعض المخطوطات الهامة، فإنني أجعل لها تقديماً وأنشرها باسمكم.

وفي الختام أرجوكم أن تبلغوا تحياتي إلى الأبناء والأصدقاء، ودمتم محفوظين.

أخوكم المهدي البوعبدلي

والسلامة والسلام عليك  
رسول الله

الحمد لله

بليوة في ٢٥ ذى الحجة ١٣٩٢

حضرة الاخ الكريم سليل مبعوث العلم والعهد  
السيد الحاج الشير محمد نحية وسلاما وبعد  
خاني ارسل اليكم هذه الكتاب تاليف المقرئ  
سيد احمد بن ثابت التلمساني واني تاملت في  
ارساله لتراكم الاشغال وكثرة الاسفار وانحراف  
المناج عنك ايتها اهل بيت بزكام قوي في هذه السنة  
لم اقدر بسببه الترابكم وكذلك عيد الخريف واني رجعت  
مع الجنائب واصلت بحمد شديدة منعتني من مغادرة الغرض  
ما يزيد على الاسوم واني اتوه الاستعانة باحد  
الاصدقاء لانهم الجنائب ساعتر ان شاء الله على  
الكتب التي ارسلتموها عليها كما اني اتوه زيارة  
عظام سيدك ابي عنيفه بعد ايام وحيث ان عاقلة  
الجنائب التي تاتي اليه تمر عليكم تاتي ساخيركم

صورة عن الصفحة الأولى من الرسالة

## [52] رسالة أخرى إليه<sup>(1)</sup>

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

الجزائر في: 19 محرم 1393 / 22 - 2 - 73

إلى الأخ الفاضل سيدي الحاج البشير محمودي.

تحية ودادية، وسلاما زكيا، وبعد:

فإني كنتُ كاتبكم أمس ونسيْتُ أن أذكر لكم في الكتاب ما كنتُ عازما على تحديثكم عنه، وذلك أن تخبروني بما تعرفونه سواء من الوثائق أو ما يتناقله الخلف عن السلف، عن الخلاف الذي وقع بين الأمير عبد القادر وسكان مدينة البرج، إذ أتقن أن الآغا ولد المخفي انضم إلى الفرنسيين وحارب الأمير، وإن أمه نهته عن محاربة الأمير، وقد أحرق الأمير بعض بنايات المدينة.

ولهذا أرجوكم أن تكاتبني عن ذلك ولكم الشكر، وإنني سأخصص لكم ولأفراد أسرتم تراجم حافلة في كتاب (التراجم) حتى يتمكن للخلف - إن شاء الله - أن يعرف قدر السلف، وسنحصل - إن شاء الله - على رضا السلف الذي أهملناه وبقيت آثارهم مجهولة، وإننا نرى كل يوم أن أصحاب المعلومات والمخطوطات عندما ينتقلون إلى دار البقاء تضيع كتبهم وتشتت، ويستولي عليها من لا يعرف لها قيمة، وإنما يتركها طعمة للأرضة، ويضيع معها مجهود بذل أصحابه السنين، سهروا فيها الليالي للتأليف أو النسخ أو التحقيق، ولهذا عزمْتُ على اغتنام فرصة تيسير الطبع لطبع هذه الكتب،

---

(1) اعتمدنا في إدراج هذه الرسالة على نسخة خطية مصورة تقع في صفحتين. (ع)

الأهمّ فالأهمّ، إذ الكتاب الذي نطبعُ منه ألف نسخة يتداول عند الناس، ويضمن بقاءه.

وفي الختام أتمنّى لكم الهناء والعافية، وسلّموا لنا على الأولادِ والأحباب، ودمتُم محفوظين.

المهدي البوعبدلي

إلحاق: أخبروني كذلك عن نسب الشيخ محمد بن يوسف بن زيان حسبما يعرفه أهل البلاد.

الجزائر في 19 محرم 1393 هـ ، ٤٤ - ٤ - ٧٣

إلى الأخ الغاضل سيدي الحاج البشير محمود، تحية  
 ودية وسلاماً زكياً وبعد فإني كنت كما بينتكم  
 أمس ونسيت إياي إذ أذكر لكم في الكتاب ما كنت عازماً  
 عليه تحدثكم عنه مرة لك أن أخبروني بما تعرفونه  
 سواء من الوثائق أو ما يتناقله الخلف عن السلف  
~~محمداً~~ الخلف الذي وقع بينه الأمير عبد القادر وسكان  
 مدينة البرج إذ اتفقا أن الآغا ولد العرفي انضم  
 إلى الفرنسيين وعاربه الأمير وان أمه نضته عن محاربة  
 الأمير وقد أخرج الأمير بعض بنات المدينة  
 ولهذا أرى أنك إن تكلمتني عنه لك ولكم الشكر  
 وإنني سأفعل لكم ولا أفرد أسرتكم فراجعهم بما فلة  
 في كتاب التراجم حتى يتمكن الخلف إن شاء الله  
 لعريف خد السلف وسخطه إن شاء الله على رضا  
 السلف الذي أهملناه وبعثناهم بمهولة وأنا

صورة عن الصفحة الأولى من الرسالة

## [53] رسالة أخرى إليه<sup>(1)</sup>

الحمدُ لله، والصَّلَاةُ والسَّلَامُ على رَسولِ الله.

الجزائر في: 25 صفر 1393<sup>(2)</sup>

حضرة الأخ الكريم الفاضل بقية بيوتات العلم والشرف، سيدي الحاج البشير محمودي (حفظكم الله وأعانكم وأمدكم بالتوفيق والنصر)، وبعد:  
فإني تشرفتُ بكتابكم الكريم، وإنَّ الزيارة إلى المغرب أجلتها، إذ حالة البلاد في اضطراب، فتمنى أن ييسر الله لنا ذلك في الصيف المقبل - إن شاء الله -.

وأما الأوراق التي كتبها المرحوم سيدي العربي بن عبد الله، فإنَّ فيها فوائد لا بأس بها، وكان المرحوم الشيخ السيد عدَّة كاتبني وبعث إليَّ الكثير مما كتبه عمُّه المذكور<sup>(3)</sup>، إلا أنَّني لم أجد وقتاً للتفتيش عنها لكثرة الأسفار وانحراف المزاج، وكثرة الزوار، فكلما شرعتُ في التفتيش عن كتاب أو كراس يستغرق التفتيش بعض المرات الأسبوع والأسبوعين، وفي هذه الأيام استعرتُ كتاباً من صديقٍ وأردتُ تصويره إلا أنَّني خشيتُ أن يضيع ويُهمل فاخترتُ أن أنقله - وهو يحتوي على 360 صفحة - فنقلته في مدَّة 12 يوماً، ليلاً ونهاراً وهكذا، ونحمدُ الله أن جعلَ هوايتنا في كتبِ السلف، ورحمَ الله الشيخ سيدي بالقاسم بن كابو، فقال لي مرَّة: كنتُ أنقلُ وأنسخُ الكتبَ لشيخي

(1) اعتمدنا في إدراج هذه الرِّسالة على نسخة خطية مصورة تقع في صفتين. (ع)

(2) الموافق لـ: 29 مارس 1973 م. (ع)

(3) فإنَّني أفْتش عنها لأقابلها مع التي أرسلتموها.

سيدي علي عبد الرحمن، ففرح بي ذات يوم، وقال لي: ما تتمناه إن دعوت الله؟ فقال:  
أنني أحظى في الآخرة بسجادة أجلس عليها لأنسخ الكتب حتى لا أفارقها في دُنَيَاي  
وأخراي.

وتقبلوا تحياتي.

### المهدي البوعبدلي

إلحاق: كنت زرتُ معسكر في الأسبوع الماضي، عظمتُ الأجر لسيدي علي غاني  
(إمام جامع المبايعة) الذي فقد ولده في حادثِ سيارة، وكنتُ عازما على زيارتكم إلا  
أنهم ألحوا عليّ في تناول الفطور، فضاقتُ الوقت، فإلى مرّة أخرى - إن شاء الله -.

الحمد لله  
والصلوة والسلام على  
رسول الله

الحمد لله

الجزائر في ٢٥ صفر ١٣٩٣

حفرة الاخ الكريمة الغاضل بفيه بيوعات  
العلم والشرف سيد الحاج البشير محمود  
عقلكم الله واعانتكم وامه لكم بالتوفيق والنظر  
من بعد فانه تشرفت بكتابكم الكريم وان الزيارة  
الى المغرب اجلتها اذ فالة البلاد في افطار  
فتمنى ان يحسن الله لنا ذلك في الصيف المقبل  
ان شاء الله واما الاوراق التي كتبها المرحوم  
سيد العربي اب عبد الله فان فيها خوائد لا بأس  
بها وكان المرحوم الشيخ السيد عده كما تبين  
وعبث الي الكثير مما كتبه عمه المذكور الا انني  
لم اجد وقتا للتفتيش عنها لكثرة الاسفار والخراف  
المزاج وكثرة الزوار فلما شرعت في التفتيش عن  
كتاب او كتابين استغرق التفتيش بعك المراء الاسبوع

(م) فانك اختبرتها لانا بلها مع التي ارسلتها

صورة عن الصفحة الأولى من الرسالة



## [54] رسالة أخرى إليه<sup>(1)</sup>

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.

الجزائر في: 18 جمادى الأولى 1393 و 19 / 6 / 73.

حضرة الأخ الفاضل النبيل والمحب الكريم سيدي الحاج محمد البشير محمودي

حفظكم الله ورعاكم، وبعد:

فإني تشرفت بكتابكم الكريم وتأسفت حيث لم تساعدكم الظروف لزيارة خزانة الجبلية المحتوية على بعض المخطوطات والوثائق، ولكنني أظن أنه سيسهل عليكم ذلك في الفصل الجاري - الصيف - ولو تدفعون أجرة السيارة مرتفعة، وإنني مستعد لإعانتكم في هذه المهمة، وإن لي صديقا هو رئيس الشرطة بمدينة فرنده يمكنني أن أكتبه في الموضوع، ليسهل لكم الذهاب، إذ إنني أتمنى أن أقدم كتاب التراجع للطبع بعد الفراغ من الملتقى السابع للتعرف على الفكر الإسلامي الذي سينعقد في هذه السنة بين 10 و 20 يونيو بتيزي وزو، وبودي أن أطلع على بعض تراجم علماء بلادنا الذين أسدل عليهم ستار النسيان والإهمال، ولهم فضل على الدين والوطن، من الجحود والعقوق أن نهمل تاريخهم ونترك الأجيال الصاعدة تجهلهم، وتجهل تضحياتهم التي بسببها وجدنا الإسلام وتعاليمه منتشرة في المدن والقرى والجبال.  
وتقبَّلوا تحياتي.

أخوكم المهدي البوعبدلي

---

(1) اعتمدنا في إدراج هذه الرسالة على نسخة خطية مصورة تقع في صفحتين. (ع)

## إلحاق:

سمعت أنكم عزمتم أو شرعت في بيع بعض المخطوطات، فإذا كانت الرواية صحيحة فأخبروني عن أسماء الكتب وقيمتها، لأن أحد الأصدقاء طلب مني أن أشتري له بعض المخطوطات، وهذا الصديق اخترته لأن كتب خزائنه يفيد بها ولا يبخل بها للنشر والاستفادة، وهو مستعد أن يدفع الثمن الذي يستحقه الكتاب.

والحمد لله  
رسول الله

الحمد لله

الجزائر 18 جمادى الأولى 1393 و 19-6-73

عشرة الاخ الفاضل النبيل والحب الكريم  
سيد الحاج محمد البشير محمود، مفقكم الله  
ورعالم وبعد ما نشرعت بكتابكم الكريم  
وتأسفت حيث لم تساعدكم الظروف لزيارة  
غزاة الجميلة المحتوية على بعض الملاحظات  
والرثائق، ولكنني الله انه سيسهل عليكم ذلك  
في الفل الجار - الليف - ولو قد فعوه  
اجرة السيارة مرتفعة وانتم مستعد لا اعنتكم في  
هذه المهمة وانك لديقا هو ريس الشرطة  
بمدينة غرندة يمكنك ان الكاتب في الموقع ليسهل  
لكم الذهاب اذا انت اتمنى ان اقدم لنا -  
التراجم للطبع بعد الغرائم من الملتقى السابع

صورة عن الصفحة الأولى من الرسالة

## [55] رسالة أخرى إليه (1)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تيزي وزو في: 16 جمادى الثانية 1393هـ/ الموافق ل: 16 - 7 - 1973

إلى الأخ الفاضل سيدي البشير محمودي (حفظكم الله ورعاكم)، وبعد:

فإني كنتُ أتصلت بكتابكم الكريم الذي طلبتم مني فيه أن أرسل إليكم نسخاً من (الشعر الجماني)، ولما كنتُ متأهباً للسفر إلى تيزي وزو حيث انعقد الملتقى السابع للتعرف على الفكر الإسلامي لم يكن لي متسع من الوقت لأكاتبكم، وإني أخبركم أن الوزارة هي التي تكفلت بطبع الكتاب وتوزيعه، وكلفت بذلك المفتشين الجهويين، ولهذا فإن السيد الحاج المختار (إمام مسجد البرج) يمكنه أن يطلب لكم ما تحتاجون إليه من النسخ، كما ورّع الكتاب على المكتبات، وقد أتصلت ببعض النسخ وورّعتها على الأصدقاء.

وإني أتمنى أن تكونوا بخير أنتم وجميع أفراد أسرته، وبلغوا سلامي للجميع، ودمتم محفوظين.

أخوكم المهدي البوعبدلي

---

(1) اعتمدنا في إدراج هذه الرسالة على نسخة خطية مصورة تقع في صفتين. (ع)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



تیزی زود في ايامنا الموافق 16-7-48

الى الاخ الفاضل سيد البشير محمود ، معقلكم  
الذي ورعناكم و بعد فانه كنت انزلت بكتاب  
الكريم الذي حليتم منه فيه ان ارسل اليكم نسخة  
منه النسخ الجمانه ، ولما كنت متا هيا للسفر الى  
تيزه ارض حيث اتعد الملتقى السابع للتعريف  
بملك الفكر الاسلامي لم يكد لي مسرع من الوقت الا شكر  
مراد اخبركم ان الوزارة هي التي تكلفت بطبع الكتاب  
وتوزيعه ، وكلفت بذلك المعشيد البصوي  
ولقد اقام السيد الحاج العنار امام مسجد البيرج  
ملكه ان يطلب لكم ما يحتاجونه اليه من النسخ  
كما وزعم الكتاب - على المكتبات وقد اتللت  
بيعت النسخ وزعتها على الاصدقاء وانه امن  
ان تكونوا بخير انتم وجميع افراد اسرتكم وبلغنا

صورة عن الصفحة الأولى من الرسالة

## [56] رسالة أخرى إليه<sup>(1)</sup>

الحمدُ لله، والصَّلَاةُ والسَّلَامُ على رَسولِ الله.

بطيوة في: 26 رجب 1393 / 27 أوت 1973

حضرة الأَخ الكريم، سَليلُ يُبوتاتِ المجدِ والشَّرَفِ، سيِّدي الحاجِ البشيرِ محمودي.

تحيَّةٌ وسَلَامًا، وبعد:

فإِنِّي تَشَرَّفْتُ بِكِتَابِكُم الكَرِيمِ، كما اتَّصَلْتُ بِالكِتَابِ الَّذِي أَرْسَلْتُمُوهُ مَعَ السَّيِّدِ دَح محيي الدين، وَإِنِّي ذَهَبْتُ إِلَى الْأَصْنَامِ وَوَجَدْتُ بَعْضَ الْأَوْرَاقِ مُبْعَثَرَةً بَعْثُهَا لَكُمْ صُحْبَةَ الْكِتَابِ، وَعِنْدَمَا أَجِدُ غَيْرَهَا فَسَأُرسِلُهَا إِلَيْكُمْ، وَمِنْ ضَمَنِ هَذِهِ الْأَوْرَاقِ كِتَابٌ قِيَمٌ، وَهُوَ شَرَحَ أَبِي الْحِجَاجِ الْوَهْرَانِي لِلْعَبْدِ الْوَادِي، فَإِنَّهُ مِنَ الْكُتُبِ الْعِلْمِيَّةِ النَّادِرَةِ، وَكُنْتُ اسْتَعْرَضْتُهُ مِنْذُ سِنِينَ، وَاطَّلَعْتُهُ وَأَرْجَعْتُهُ إِلَى صَاحِبِهِ، وَالنُّسْخَةَ الَّتِي تَصِلُكُمْ مِنْهُ نَاقِصَةٌ، إِذْ أَوْرَاقُهَا وَجَدْتُهَا مُبْعَثَرَةً، وَأَخَذْتُ مِنْهَا بَعْضَ مَنْ كَلَّفْتُهُمْ بِتَصْفِيهَا، وَلَمْ أَتَفَقَّدْهَا، وَعَلَى كُلِّ حَالٍ أَمْنِي أَنْ تَجِدَكُمْ رِيسَالَتِي عَلَى أَحْسَنِ حَالٍ، وَتَقْبَلُوا تَحِيَّاتِ أَخِيكُم الْمَهْدِي الْبُوْعَبْدِي.

---

(1) اعتمدنا في إدراج هذه الرسالة على نسخة خطية مصورة تقع في صفتين. (ع)

الحمد لله  
والسلامة والسلام  
على رسول الله

٤٦  
٤٧  
١٩٩٣ رجب ١٣٩٣ هـ و ١٩٧٣  
١٩٧٣

عزرة الاخ الكريم سليل بيوتات  
العبد المشرف سيد الحاج البشير  
همولى تحية وسلاما وبعد فانه  
تشرفت بكتابتكم الكريم كما انقلت  
بالكتاب الذي ارسلتموه مع السيد  
الحاج محمد الديب مرات فليت الله الاخذ  
ووجده بعلى الامراء مبعثرة بعضهما  
لكم تحية الكتاب وعند ما احد غيرها  
غبار سلما اليكم وما لهما هذه الامراء  
كتاب قيم وهو شرح اء الحاج الوصرائي  
للعبد الراد فانه من الكتب العلمية النادرة

صورة عن الصّفحة الأولى من الرّسالة

## [57] رسالة أخرى إليه (1)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

حضرة الأخ الفاضل المحترم، سليل بيوتات العلم والمجد سيدي البشير محمودي.

تحية ودادية، وسلاماً زكياً، وبعد:

فإني أتصلتُ بكتابتكم بعد رجوعي من العاصمة، ولم يسعني الوقت لمكاتبتكم، حيث سافرتُ إلى حمّام سيدي أبي حنيفة لأقضي فيه نحو الأسبوع، فأنفرتُ لأعمال مستعجلة، أما ما ذكرتم لي في كتابكم، فإنني كنتُ في مدّة حربِ الثّورة احتفظتُ بخزانة صديقٍ هاجر البلاد بعدَ خروجه من السّجن، ولا زال في أوروبا، وكنتُ خشيت على ضياعها، إذ تشتمل على نحو الألف كتابٍ بين مطبوع ومخطوط، ومنذ ثلاث سنوات أتفقتُ معه على أن ننقلها عند أخيه الذي هو مفتش التّعليم بـ: بجاية، وكلفتُ مُستخدماً عندنا بـ: مسجد الأصنام أن يضعها في صناديق ثمّ يربطها ليتمكّن نقلها، وعندما فقدتُ بعض المخطوطات التي كانت في بيتي هناك وجدتها فقدت، ولهذا لا يتمكّن التّفّيش عنها إلا بعد وصولها إلى صاحبها، إذ فيها ما يزيدُ على العشرين قنطار، وقد استغرقت تهيئتها عدّة أشهر، ولا زالت مكدّسة في مقصورتِي.

وإنّي أرجو أن تكونوا بخير، وقد كاتبْتُ صاحبها وعرضتُ عليه بيعها، لأنّ الوقت مُناسب، حيث عرض عليّ أحدُ الأصدقاء شراءَ مكتبةٍ يُريد تحييسها، فإن أذن في بيعها

---

(1) اعتمدنا في إدراج هذه الرّسالة على نسخة خطية مصوّرة تقع في صفحتين. (ع)



فإنني أعلمك حتى يتمكّن تفتيشها قبل خروجها من عندي، وتقبلوا تحياتي، والسلام.

من أحيكم المهدي البوعبدلي

حرّرت ب: حمّام سيدي أبي حنيفة في: 19 شعبان 1393 / 17-9-73

والسلامة والسلام  
على رسول الله

الحمد لله

هجرة الاخ الفاضل المحترم سليل  
بيوتاء العلم والعهد سيد البشير محمود  
تحية وادوية وسلاما زكيا بعد نداء الهمة  
بلتائكم بعد رموي من العالمة ولم يسعد  
الوقت لملا تبتم حيث سافرت الى حمام سيد  
المنيرة لا اقلني فيه نحو الاسبوع فانتفخ  
لاعمال مستحجلة اما ما لا كرم لي في كتابي  
فانت كنت في مدة حرب الثورة انتقلت بخزانة  
كديعة هاجر البلا بعد خروجه من السجن والار  
في اوربا وكنت خشيت على كتابها الا تشتمل  
على نحو الالف كتاب بيد ملهوم وفلور منذ  
ثلاث سنوات اتفقت معه على ان نفعها عند  
اخيه الذي هو مفتش التعليم بجاية وكلفت

صورة عن الصّفحة الأولى من الرّسالة

## [58] رسالة أخرى إليه (1)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

بطيوة في: 20 محرم 1394 / 13 - 4 - 74.

حضرة الأخ الكريم الأصيل سيدي الحاج البشير محمودي تحية وسلاما، وبعد:

فإني تشرفت بكتابتكم صباح اليوم، وإني أتمنى لكم الشفاء العاجل، أما قضية الولدين فإن الأخ عياض عيّن مقرّرا للولاية في اجتماع مشايخ البلديات الذي سينعقد بـ: العاصمة في الأسبوع المقبل، ولهذا فإنّ معظم أوقات عمله يقضيها في وهران بالولاية، وعلى كلّ حالٍ فبعد رجوعه سيذهب أيضا لـ: باريس حيث ترك ولدّه - في عمره: 8 سنوات - بالمستشفى هناك، والمعامل بدأت في العمل إلا أنها لم تنطلق، ولا يتمكن لها ذلك إلا بعد شهرين على الأقل، فبعد رجوع الأخ لابدّ للولدين من الحضور ليسألها عن العمل الذي يمكنها أن يشغلاه، وهو يعطيها أوراقا يقدّمها إلى إدارة المعمل، وسنستوصي بهما خيرا، ويحصلان على المرغوب - إن شاء الله - أما المسكن فلا تتعجّل، إذ الأزمة في السكن هنا وفي أرزيو بلغت أقصاها، فعندنا فقط سيجتمع 10000 عاملا، وبـ: أرزيو نصف العمال، خصوصا الرؤساء والموظّفين الكبار يسكنون بـ: وهران، وبـ: مستغانم، وبـ: الجزائر، وكل يوم تقلهم 50 حافلة.

ولكن ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ (الشرح: 6)، والفائدة أنها عندما يشرعان في العمل يجعل الله لهما التسهيل، وتقبلوا تحياتي.

أخوكم المهدي البوعبدلي

---

(1) اعتمدنا في إدراج هذه الرسالة على نسخة خطية مصورة تقع في صفتين. (ع)

والسلام  
على رسوله

الحمد لله

بليوة في ٢٥ محرم ١٣٩٤ = ١٣ - ٤ - ١٩٧٥

عزرة الاخ الكريم الاصيل سيده الحاج  
البيشير محمود محبة و سلاما وبعد فانه  
تشرفت بكتابة هذا اليوم وانه اتمنت لكم  
الشفاء العاجل اما قلبنا لله الولدي  
فان الاخ ميان عبد مقرر الولاية في اجتماع  
مسابح البلديات الذي سينعقد بالعاصمة في  
الاسبوع المقبل ولهذا فانه معلم اوقات عمله  
يقضيها في هرات بالولاية وعلا العمل فبعد  
جموعه سيذهب ايضا لباريز حيث ترك ولده - في عمره -  
٨ سنوات بالمستشفى هناك المعامل بدأت  
في العمل الا انها زالت لم تترك ولا يتمك لها ذلك  
الا بعد شهرين على الاقل فبعد رجوع الاخ لابن الولدي  
من الكلور ليسا لسماع العمل الذي يمكنهما ان يشغلاه

صورة عن الصفحة الأولى من الرسالة

## [59] رسالة أخرى إليه<sup>(1)</sup>

الحمدُ لله، والصَّلَاةُ والسَّلَامُ على رَسولِ الله.

الجزائر في: 15 محرم 1396<sup>(2)</sup>

إلى الأخ الفاضل المحترم الشيخ سيدي الحاج البشير محمودي (حفظكم الله  
ورعاكم)، وبعد:

فإني تشرفتُ بكتابكم الكريم المنبئ عن أحوالكم (أدام الله عليكم عافيته وستره).  
هذا، وإني سُررتُ جدا باكتشافكم لرسائل وقصائد من ذكرتم من أعلام بلادنا  
وصلحائها، ك: سيدي العربي الطويل، وتلميذه سيدي عدّة، وتلميذ سيدي عدّة  
سيدي محمد بن أحمد (رحمهم الله)، وإني كنتُ ذكرتُ في تراجم العلماء المشتغل عليها  
تألفي: (تاريخ بعض علماء الجزائر في العهد التركي وما قاربه)، الذي هو تحت الطبع،  
وكنتُ ترجمتُ فيه أيضا كما أخبرتكم لسيدي عمرو بن دوبة وأفراد أسرته، منهم  
والدكم المرحوم، ففي هذا التأليف ترجمة لسيدي مولاي العربي بن عطية، لأنني عثرتُ  
على تأليف من تأليفه القيّمة في التاريخ، فإنه كان شاهد عيان لثورة الشيخ عبد القادر  
ابن الشريف، ورافق شيخه مولاي العربي الدرقاوي عندما أرسله ملك المغرب مولاي  
سليمان لإصلاح ذات البين بين تلميذه ابن الشريف وباي وهران، كما ترجمتُ لسيدي  
عدّة، لأن له تأليف عديدة هامة، أما سيدي محمد بن أحمد فلم أعثر له على تأليف،

---

(1) اعتمدنا في إدراج هذه الرسالة على نسخة خطية مصورة تقع في صفتين. (ع)

(2) الموافق ل: 17 جانفي 1976 م. (ع)

وتألفني مقيّد بتاريخ العلماء، ولهذا أتمنى أن أطلع على هذا الشرح لألحق ترجمة الشيخ بأشياخه، وإنني في هذه الأيام كما ذكرت لكم كثير الأشغال، إذ إنني آتي إلى الجزائر في كل أسبوع لألقي درسا على الأئمة الخطباء الذين يزاولون فترةً تدريبيةً بـ: مدرسة مفتاح.

هذا، وإن عثرتم على كتبٍ مثل الكتاب الذي ذكرتموه فإنني مستعدٌّ لشرائها وإرسال الثمن إليكم، وإنني سأرسلُ إليكم (مجلة التاريخ) التي تصدر بالجزائر ونشرت محاضرةً كنتُ ألقيتها في السنة الماضية، تحدّثتُ فيها عن كتابٍ قيّمٍ عثر عليه منذ سنوات قليلة أَلَفَهُ الشيخ سيدي مصطفى بن التهامي صحبةً الأمير عبد القادر لما كانا بسجن فرنسا، وقد تعرّضتُ فيه لنقطتين منه، وهما:

(1) الحياة العلمية بـ: غريس.

(2) ورحلة الأمير مع والده إلى الحجّ.

إذ صاحب (تعريف الخلف) لم يطلع على تفاصيل هذه الرحلة، أما العلماء الذين ذكرهم سيدي عدّة فسأراجع مصادر ذلك العهد وأسأل عنهم وأجيبكم - إن شاء الله -

#### أخوكم المهدي

إلحاق: إنني - علم الله - أجلكم لاهتمامكم بترائنا، ولكانة أسرتكم، ثمّ عندما تعرّفتُ بكم رأيتُ مصداق قوله ﷺ: «الأرواحُ جنودٌ مُجنّدة، فما تعرّفَ منها ائْتَلَفَ، وما تناكرَ منها اختلفَ»...

والسلامة والسلام  
على رسول الله

المدد له

الجزائر في 15 محرم 1396 هـ الموافق 17 جويلية 1977

إلى الاخ الغاضل المحترم الشيخ سيد  
الحاج البشير محمود، حفظكم الله ورعاكم  
وبعد فانه قد نشرت بكتابكم الكريم المسمى  
أحوالكم الامم الله عليكم ما فيه وسرته  
لهذا وان سررت جدا باكتشافكم لرسائل  
وقلائد قد ذكرتم من اعلام بلادنا والحاجتنا  
كسيد العربي الكويل وتلميذه سيد، عدة  
وتلميذ سيد، عدة سيد، محمد بن الهدر محمد  
الله وان كنت ذكرت في تراجم العلماء المشهور  
عليها تا ليف: "تاريخ بعض علماء الجزائر في  
العهد التركي وما قارية" الذي طرقت الطبع وكنت  
ترجمت فيه ايضا كما اخبرتكم سيد، عمر بن اوية  
واخراة اسرته منهم والد المرحوم صف لهذا  
التأليف ترجمة لسيد مولاي العربي ابن عطية

الاجابة  
انتم علم الله  
تكرمكم  
بكم رايت  
عليه في قوله  
بكتبة الله عليه  
السلام  
السلام  
عليه

صورة عن الصّفحة الأولى من الرّسالة

## [60] رسالة أخرى إليه<sup>(1)</sup>

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

الجزائر في: 10 ربيع الثاني 1396 / 9 أبريل 1976.

حضرة الأخ الفاضل سيدي الحاج البشير محمودي.

تحية وسلاما، وبعد:

فإني تشرفتُ بكتابكم، وقد كنتُ اتصلتُ بأخٍ بعد رجوعي من رحلة باكستان، وإن لي أشغالا كثيرة، إذ إنني سألقي محاضرتين بـ: الجزائر عن رحلتي إلى الهند في السنة الماضية، ثم محاضرة عن رحلة هذه السنة إلى باكستان، كما أنني أصحح (دليل الحيران) التصحيح الأخير لطبع نهائيا، وقد تسلّمتُ النسخة الخطية، وهي عندي بالمنزل سأرسلها إليكم - إن شاء الله - أما كتب الهند فإنها كثيرة ومفيدة جدا، سنتحدث عنها عندما نجتمع - إن شاء الله -، وإنني سأحدّد لك موعدا بعد نهاية هذا الشهر، وتقبلوا تحيات أخيك عبد ربه المهدي البوعبدلي.

---

(1) اعتمدنا في إدراج هذه الرسالة على نسخة خطية مصورة تقع في صفتين. (ع)



والسلامة والسلام  
على رسول الله

الحمد لله

الجزائر في 10 ربيع الثاني 1396 = 9 محرم 1976

عشرة الاخ الغاضل بسيد الحاج البشير محمودي  
تحية وسلاما وبعد فانه تشرفت بكتابكم وقد كنت  
انقلت آخرا بعد رجوعي من رحلة الياكستان  
وانني اشغالا كثيرا اذ انتي سالف مما هرتيد بالجزيرة  
عد رحلت الي الهند في السنة الماضية ثم مخالفة  
عد رحلة هذه السنة الي الياكستان ولما انتي  
الصحح "لا ليل الحيرة" التحريم الاخير ليرسل  
نفا نيا وقد تسلمت النسخة الخلية وهذا عند  
بالمنزل سارسلها اليكم اه شاء الله اما كتب  
الهند فانها كثيرة ومعينة جدا سنوردك عنه

صورة عن الصفحة الأولى من الرسالة

## [61] رسالة أخرى إليه<sup>(1)</sup>

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بطيوة في: 21 ربيع الثاني 1397 الموافق ل: 11 أبريل 1977

حضرة الأخ الفاضل سليل بيوتات العلم والمجد الشيخ سيدي الحاج البشير محمودي (حفظكم الله ورعاكم)، وبعد:

فقد انقطعت عنّا أخباركم ورسائلكم منذ مدة، جعل الله المانع خيرا، هذا، وإني أرسل إليكم صحبة كتابي هذا محاضرة كنت ألقيتها في قسنطينة ثم في وهران والجزائر، ذكرت فيها جوانب مجهولة من حياة الأمير عبد القادر، تعرّضت فيها لمشايخه الذين كان من بينهم الشيخ ابن يامنة بن دوخة، كما ذكرت بهذه المناسبة قائمة المستشهدين من أبناء الشيخ عمر بن دوبة في حرب الأمير، وذكر الشيخ الحبيب القرشي في منظومته التي رثى بها قريتهم ورثى فيها غريس، وتأسفت كثيرا على منظومة الشيخ ابن يامنة التي كنتم أعطيتموني منها نسخة، ثم طلبتم مني إرسالها لكم، وإني لا زلت في انتظار صدور كتاب (دليل الحيران) ل: الزياني الذي هو تحت الطبع، كما لا زال تألّفي الذي أعددته لعلماء الجزائر في العهد التركي تحت الطبع، إذ تأخر المطبعة التي أنشئت قرب الجزائر وقع فيها تعطيل كان السبب في هذا التأخير، وعلى كلّ حال إنني أغتنم الفرص لنشر هذه الوثائق في المقالات والمحاضرات التي تنتشر عند العلماء والباحثين، ويستفيدون منها صفحات من تراثنا، ذلك التراث الذي احتفظ به الخلف في رفوف

---

(1) اعتمدنا في إدراج هذه الرسالة على نسخة خطية مصورة تقع في صفحتين. (ع)

الخزائن حتى تتسلط عليه أيدي لا تعرف قيمته ولا نسبته، ولا يستفيد منه أحد، وإنني نوهت بكم في محاضرة الأمير لأنكم بذلتم جهداً في جمع تراث الأسرة، ولم تبخلوا به، وساعدتكم على التعريف به وعلى نشره، وإنني ذاهب إلى باريس - إن شاء الله - لأشارك في مؤتمر أتحدث فيه عن الأمير وعن مشايخه، فأرجوكم إن كانت لديكم وثائق تخصّ الشيخ ابن يامنة، أو الشيخ الحبيب ابن القريشي، والعلماء الذين ذكرهم في (مراثيه) أن ترسلوها إليّ ولكم الفضل، إذ الواجب علينا أن لا نترك هذه الوثائق مهملة، أو عند أناسٍ لا يعطونها أهمية، كما أرجوكم أن تبلغوا تحياتنا للأندجال والأقارب، ودمتم محفوظين.

أخوكم المهدي البوعبدلي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



الموافق

ورجلان في  
(ورقثة - صدراته)

لغنية في 21 ربيع الثاني 1397 الموافق لـ 11 أبريل 1977

حضرة الاخ الفاضل سليل بيوت العلم والعبد  
الشيخ سيد الحاج البشير محمودي حفظكم  
الله ورضاهم وبعد فقد انتقلت عنا اخباركم  
ورسايلكم منذ مدة جعل الله السانح غنيا  
هذا وان ارسل اليكم كعبة كتاب هذا ما لعله  
كنت الغنيها في غسليته ثم في مصراه والخزانه  
لا كرت فيها جوانب مبهولة من حياة الامير  
عبد القادر تعرفت فيها لمسائح الذي كان  
بينهم الشيخ ابي منة به لاوخته كما لا كرت بعده  
المناصيه قائمه المستشهد من ابناء الشيخ  
عمريه لوبه في حرم الامير وذاكر الشيخ الكبير  
لقرينه في منلومته التي رثى بها قرينه

صورة عن الصّفحة الأولى من الرّسالة

## [62] رسالة أخرى إليه<sup>(1)</sup>

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بطيوة في: 18 ربيع الثاني 1401 هـ/ الموافق ل: 23 فيفري 1981.

حضرة الأخ الفاضل الأصيل الشيخ سيدي الحاج البشير محمودي (حفظكم الله ورعاكم)، وبعد:

فإني أرسل إليكم صحبة الكتاب (دليل الحيران) الذي بقي في المطبعة مده، وإني نوّهت بكم وبأياديكم على نشر التراث في تقديم الكتاب، وأتمنى أن يفسح الله في أجلكم حتى تؤدّوا الأمانة التي تعهدتم بأدائها، وإني لمسرور جدا حيث أمكننا بإعانتكم أن نبرز هذا التأليف القيمّ وننقذه من الضياع، حتى لا يحرم الخلف من الانتفاع به، إذ أوائلنا بذلوا النفس والنفيس في نشر العلم، وواجبنا أن لا نبخل بما تركوه، خصوصا في مثل هذه الأزمنة التي نعيشها، وهذه أمنيته في الحياة، فإن فسح الله في الأجل، فإنني سأسعى بجميع الوسائل لنشر ما وصلني من هذا التراث.

وفي الختام أرجوكم أن تبلغوا تحياتي لجميع الأصدقاء وأفراد الأسرة، وتقبلوا تحياتي.

المهدي البوعبدلي

---

(1) اعتمدنا في إدراج هذه الرسالة على نسخة خطية مصورة تقع في صفتين. (ع)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



الجزائر العاصمة في الموافق ٢

بليدة في 18 ربيع الثاني 1401 هـ  
الموافق لـ 23 فيفري 1981

علية الاخ الناظر الاصيل الشيخ  
سيد الحاج الشير محمود، حفظكم  
الله ورعا لم وبعد فناء ارسال اليكم حبة  
الكتاب " دليل الحبراء " الذي يقر في  
المصلحة مدة ران نوهت لكم وبإيادكم  
على نشر التراث في تقديم الكتاب واتمنى  
اه يفسح الله في اهلكم عند تزلزل  
الامانة التي تعهدتم باذاتها، انه لمسور  
هذا حيث امكنا باعانتكم ان نبرز هذا المؤلف  
القيم وننقذه من الغيابة عن الاجرم الخلف

صورة عن الصفحة الأولى من الرسالة

## [63] رسالة أخرى إليه<sup>(1)</sup>

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

حضرة الأخ الفاضل المحترم، سيدي البشير محمودي (حفظكم الله ورعاكم)،

وبعد:

فإني تشرفت بكتابكم الكريم، وإني أتأسف حيث لم يكن لدي من الوقت الكافي للاشتغال بأشياء أخرى ما عدا السفر الذي أنوي - بحول الله - أن أسافره صباح غد، وقد يستغرق أربعة أسابيع، وإني إن كتب الله لي الرجوع، سأبعث لكم ما طلبتموه، أمّا منظومة الشيخ مسلم، وكتاب سيدي علي بن عبد الرحمن، فإني أرجوكم أن تهيبوا لي منها نقلا، وإنكم ذكرتم لي بأنكم عثرتُم على أوراق من شرح الشيخ أبي راس على (بانت سعاد)، فإني لم أطلع عليه، فضلا على كسبه، وإنما هو موجود بخزانة الجزائر، ويسهل نقله.

وفي الختام تقبلوا تحياتي، وادعوا لنا الله بالتوفيق، ويبلغ لكم التحيات الأخ وجميع من ذكرتم في رسالتكم، ودُمتم محفوظين.

أخوكم المهدي

---

(1) اعتمدنا في إدراج هذه الرسالة على نسخة خطية مصورة تقع في صفحة واحدة.

ملاحظة: ابتداءً من هذه المراسلة لم نقيّد بترتيب ما يليها ترتيباً زمنياً، إذ إننا وقفنا عليها غير مؤرّخة.

الحمد لله

والصلاة والسلام على  
رسول الله

حضرة الاخ العاقل المحترم سيده البشير  
 محمود عفتكم الله وعلماكم وبعد فانه  
 تشكرت بكتابكم الكريم وانني اتا منو حيث  
 لم يكن لدي من الوقت الكافي للاستغناء  
 بالشيء اخرى ما عدى السير الذي انوه  
 حول الله ان اسامره كتاب عد وقد يستغنى  
 اربعة اسابيع وايضا كتب الله بالرحوم  
 سابقا لكم ما طلبتموه اما منكمه الشكر  
 مسلم كتاب سيد علي به عبد الرحيم مائة اربعم  
 ان تصيغوا لي منكما نفلا وانكم تكرتم لي بانتم  
 عثرتم على اوراقه شرح الحسيني ابراهيم علي  
 ثلث سعاء ما فيه لم اطلع عليه مطلقا  
 كسب وانما هو موجود بحضارة الجزائر وسهل  
 نقله وبيع الكتاب فتملح فحياءه والاعمال  
 لنا الله بالتوفيق وسيدف لكم الحيات الاق  
 وجميع منة تكرتم به رسالتكم وكنتكم معروطينه  
 اقولكم المحلى

صورة عن الرسالة



## [64] رسالة أخرى إليه<sup>(1)</sup>

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

حَضْرَةُ الْأَخِ الْفَاضِلِ النَّبِيلِ، سَيِّدِي الْبَشِيرِ مُحَمَّدِي (حَفِظَكُمُ اللَّهُ وَصَانِكُمْ)، وَبَعْدَ: فَإِنِّي أَعْتَذِرُ عَلَى عَدَمِ الْمَكَاتِبَةِ مِنْذُ مَدَّةٍ، وَذَلِكَ أَنِّي شُغِلْتُ كَثِيرًا وَتَوَلَّيْتُ عِدَّةَ أَسْفَارٍ وَاجْتِمَاعَاتٍ وَدِرَاسَاتٍ فِي مَخْتَلَفِ الْمَسَائِلِ، وَكُنْتُ أَنْصَلْتُ بِرِسَالَتِكُمْ، وَأَوْصَيْتُ الْأَخَ السَّيِّدَ حَسَنَ شَرْقِي الصَّغِيرِ (الْجُوجُ بُوَهْرَانَ) أَنْ يَبْلُغَ وَصِيَّتِي إِلَى الْأَخِ ابْنِ عُمَرَ (نَائِبِ الْعَامِلِ بِالْمَحْمَدِيَّةِ) لِيَسْتَوْصِي بِكَ خَيْرًا، إِذْ هُمَا مُتَلَازِمَانِ.

ثُمَّ إِنِّي فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ - أَي: أَوَّلِ رَمَضَانَ - قُمْتُ بِرِحْلَةٍ زُرْتُ خِلَالَهَا بِجَايَةَ، وَسَيِّدِي عُقْبَةَ، وَبَسْكَرَةَ، ثُمَّ تِيَارَتَ، وَفَرْنَدَةَ، وَكُنْتُ عَازِمًا عَلَى زِيَارَتِكُمْ، إِلَّا أَنَّ الْوَقْتَ ضَاقَ، وَنَحْنُ فِي طَرِيقِنَا إِلَى تَلْمَسَانَ فَوَقِفْتُ وَقْفَةً قَصِيرَةً بـ: مَعْسَكَرَ فَقَطَّ، ثُمَّ اسْتَأْنَفْنَا الْمَسِيرَ، وَمِنْ تَلْمَسَانَ رَجَعْتُ إِلَى الْجَزَائِرِ وَلَمْ أَدْخُلْ إِلَى الدَّارِ إِلَّا مِنْذُ يَوْمَيْنِ، فَوَجَدْتُ رِسَالَةً مِنْ عِنْدِكَ وَعِنَاؤَهَا بِالْفَرَنْسِيَّةِ لِي، وَبِالْعَرَبِيَّةِ لِلْسَّيِّدِ: دَحَ، فَبَعَثْتُهَا إِلَى سَيِّدِي دَحَ، وَبَعْدَ ذَلِكَ رَجَعْتُ لِي، وَلَمَّا تَأَمَّلْتُهَا وَجَدْتُهَا مُوجَّهَةً لِلشَّيْخِ السَّيِّدِ دَحَ بْنِ عَيْبِدِ، بـ: مَعْسَكَرَ، فَتَحَقَّقْتُ أَنَّهَا غَلَطَةٌ، وَهَذَا وَجَّهْتُهَا لَكَ، وَأَتَمَّنِي أَنْ تَكُونُوا كَلِّكُمْ بِخَيْرٍ، وَقَدْ لَقِينِي يَوْمَ سَفَرِي - أَي: أَوَّلِ رَمَضَانَ - الْوَالِدَ السَّيِّدِ مُحَمَّدَ بُوَخَاتِمَ بُوَزَارَةَ الْأَوْقَافِ، وَتَحَدَّثْنَا عَنْكُمْ، وَهَذِهِ أَوَّلُ مُلَاقَاةٍ تَعَرَّفْتُ فِيهَا بِهِ، إِذْ كُنْتُ لَا أَعْرِفُهُ إِلَّا بِالْمَكَاتِبَةِ.

وَفِي الْخِتَامِ بَلَّغُوا تَحِيَّاتِي إِلَى جَمِيعِ الطَّلَبَةِ وَأَفْرَادِ الْأُسْرَةِ، وَدَمْتُمْ مُحْفُوظِينَ، وَالسَّلَامَ.

مِنْ أَخِيكُمْ عَبْدَ رَبِّهِ الْمَهْدِي

حَرَّرَتْ بِبَطْيُوتَةٍ فِي 14 رَمَضَانَ

(1) اعتمدنا في إدراج هذه الرسالة على نسخة خطية مصورة تقع في صفحة واحدة. (ع)

والصلاة والسلام على  
رسول الله

حضرة الاخ العاقل النبيل سيد، البشير محمود،  
معكم الله وحياتكم و بعد ما نعتي رعد عدم الملائكة  
منذ مدة و ذلك اني شغلت كثيرا وتوليت عدة السيار  
مواهبها عات ودراسات في مختلف المسائل و كنت اثلة  
بريسا للتدريس و اوليت الاخ السيد محمد مشرف العنبر  
(البحر بن هيران) ان يبلغ وحيث ان الاخ ابو عمرو ثايب  
العاقل بالحمدية ليستوي بك غير انهما متلازمان  
ثم انني في هذه الايام اسي اول رملاه فنت برحلة زرت  
قلا لها بجاية و سيد عفتة ريسلرة ثم تيارت و مرند  
و كنت عازما على زيارتهم الا ان الوقت ضاقت و نحن في طريقنا  
الى تلمسان جوفعت و قعة كثيرة بعسكر حفظ ثم استأنفنا  
المسيح و ما تلمسان رجعت الى الجزائر و لم اذخل الى  
الدار الا منذ يوميه جوفدت رسالة من عندك و عنونتها  
بالعربية و العربية للسيد لاج بيغيتها الى سراج  
و بعد ذلك رجعت الى و لما تأملتها رعدتقا موجهة  
للسيد السيد لاج بعبيد بعسكر و جوفدت

صورة عن الصفحة الأولى من الرسالة

## [65] رسالة أخرى إليه<sup>(1)</sup>

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

حضرة الأخ الفاضل الكريم، السيد البشير محمودي (حفظكم الله ورعاكم)، وبعد:  
فإنني تشرفت برسالتكم وأنا في طريق السفر إلى العاصمة، وها إنني وجهت كتابا  
للأخ السيد المولود حبيبي، وهو صديق حميم لا يحتاج إلى تأكيد الوصية، إذ إننا نجتمع  
كل أسبوع تقريبا في وهران، ومجرد إشارة تكفي، فأتصل به وفهمه في قضيتك، وتسألح  
بالصبر، إذ قيل:

اشتدّي أزمة تنفرج

وبعد العسر يسرّ - إن شاء الله -

ويبلغ لك التحيات الشيخ عليش والطلبة، وتقبل تحياتي.

أخوكم المهدي البوعبدلي

---

(1) اعتمدنا في إدراج هذه الرسالة على نسخة خطية مصورة تقع في صفحة واحدة. (ع)

والسلام عليه  
وسورة الله

الحمد لله

عشرة الاخ العاقل الذين السيد  
البتير محمود، عمكم الله ورحمكم  
وبعد ما تشرفت برسالتي وانا في  
حريف السبعرات العالمة، وهاذا  
وعهدت كتابا للاخ السيد المولود عبيد  
وهو لاديف عهد لا يحتاج الى تأكيد  
الولية اذ انا نكحتم كل اسبوع تغريبا  
في مصر، وجرى اشارة تليها ما نقل  
به وبعده في فليتك، تسلم بالخير  
اذ خيل اشد، ازمة تنبعج وبعد  
العسر يسر ان شاء الله ويبلغ لك التمية  
السنخ عيسى والولية، وتقبل تحية  
افولكم: المهدى ابو عبيد

صورة عن الصفحة الأولى من الرسالة

## [66] رسالة أخرى إليه<sup>(1)</sup>

الحمدُ لله، والصَّلَاةُ والسَّلَامُ على رَسولِ الله وآله وصحبه وسلم.

إلى الأخ الفاضل المحترم، سيدي البشير محمودي.

تحية ودادية، وسلاما، وبعد:

فإني تشرفتُ بكتابتكم الكريم، وحمدتُ الله على عافيتكم.

هذا، وإني كنتُ نقلتُ (دليل الحيران)، وأرجوك أن تبعثَ لي الكراريس الأولى  
ليتمكّن لي نقلها في هذه الأيام، حيث إنني مقيم بالأهل، ولا أسافر إلى الأصنام إلا بعد  
موقى الشهر الجاري.

أما تأليف الشيخ ابن سحنون فإني لم أراه قط، وإنما وجدتُ بعض فقرات منه مترجمة  
بالفرنسية في (المجلة الإفريقية)، وكان أخبرني أحد الأصدقاء بوجوده في خزانة المرحوم  
الشيخ أبي جلال ابن محلي.

وتقبّلوا أزكى تحياتي.

عبد ربه المهدي

الرّجاء أن تبعثوا لي الكراريس مع البريد مضمّنة - أي: (recommande) -

---

(1) اعتمدنا في إدراج هذه الرّسالة على نسخة خطية مصورة تقع في صفحة واحدة. (ع)

عراق الكلاء من السيد  
عليه السلام  
من كتاب

عقبة الامم الباطنية الحقيرة سيده  
السيد محمود بن محمد وداوية و تسلاما  
و بعد جاء تشريف كتاب الكرام  
و عهد الله على هاميتكم صدقا و انه كنت  
نقلت "الكلام الحيران" و ارجو ان تبعث  
في الجزء الاخر واه لم يتم نقله جابتك  
الكراريس الاول ليتما في نقلها في هذه  
الايام حيث انه صغر بالاه و لا اسما جبر الى الاصنام  
الا بعد موقد السيد النجار  
اما في ليد السيد ابن سحنون جاء في امره فكل  
وانما وجدت بها جفرت منه مترجمة بالفرنسية  
في العجلة الاجريفة و كاه اميرة اهدا الى لقاء  
بوجود في عزلة المرعوم السيد اهل ارب  
معه و تغلبت ازل في حياة

عبد ربه المخلص  
الرحمة ان تبعث في الكراميس مع البريد هدية  
"Recommanda"

صورة عن الصفحة الأولى من الرسالة

## [67] رسالة أخرى إليه<sup>(1)</sup>

بطيوة في: 7 / 9 / 65

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

حضرة الأخ الفاضل النبيل، وارث مجد الآباء والأجداد، سيدي البشير محمودي.

تحياتي وأشواقي إليكم، وبعد:

فإني تشرفت بالكتاب الكريم المنبئ بأنكم توصلتم إلى اقتناء نسخة تاريخ ابن خلدون، فإن كانت كما ذكرتم مخطوطة وتامة، فالثمن الذي قدّمتموه زهيد، أما إذا كانت ناقصة والخط رديء أو منقول عن المطبوعة، فلا فائدة فيها، وعلى كل حال فكل ما يدفعه الإنسان في اقتناء الكتب يعود بالنفع، لأن هذه هي عادة الناس منذ قديم الزمان، فهناك كتب يشتريها الإنسان بثمن أعلى وبعضها بثمن زهيد، ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾ (سبأ: 39)، وإني أتمنى أن يسهل الله عليكم اقتناء هذه الكتب حتى يكون ذلك من أسباب إحيائها، إذ كثير من الكتب ضاعت بسبب إهمال أصحابها، فيحتفظون بها إلى أن يتركوها لبعض ورثتهم لم يقدرُوا قيمتها فيدخلون بإعارتها، وتكون مجهولة إلى أن تأكلها الأرضة أو يقضي عليها الإهمال، فتضيع معها كنوز تتعلّق بتاريخ علماء البلاد وصلحائها، فيكون وزر ذلك على هؤلاء المهملين، مع أنّ كتابها (رحمهم الله) حبسوها على من فيهم أهلية للاستفادة منها، وبالطبع إن من يستفيد من الكتب لا يخل بإفادة غيره، والطريقة الوحيدة اليوم لضمان تعميم هذه الفوائد هو

---

(1) اعتمدنا في إدراج هذه الرسالة على نسخة خطية مصورة تقع في صفتين. (ع)

طبعها أو نقلها ووضعها ببعض الخزائن المشهورة، وإنَّ الأخوين زروق (المفتش المركزي بوزارة الأوقاف)، ونعيم النعيمي أخبراني أنَّ وزارة الأوقاف بصدد التفكير في تعيين لجنة تهتمُّ بالتُّراث لدرسه، واقتناء المخطوطات لطبعها.

هذا، وإنَّني سأسافر في هذا الأسبوع إلى العاصمة، وسأرجع يوم الاثنين 13 من سبتمبر، ولربما أمرُّ على خزانة أحد الأصدقاء، وعدني بإطلاعي عليها، كما أتمنى أن يسهّل الله عليكم في اقتناء المكتبة التي ذكرتموها، وإنِّي مستعدُّ لإعانتكم فيها مهما بلغ الثمن إن كانت الكتب قيّمة مفيدة، ودمتم محفوظين.

أخوكم المهدي

إلحاق: أما خبر انتقالي إلى مستغانم فحقيقة، إنَّ عامل العمالة عرض ذلك على البلدية، وبلغني الخبر، إلَّا أنَّني لن أقبل ذلك، فإنَّ الوظيفَ كيفما كان في القطاع الوهراني لا يصلح، ويُعرقلني في عملي، ولو أردتُ الوظيفَ بالعمالة الوهرانية لكنَّتُ أقبلُ وظيفةً مفتتس، ولكنه لا خيرَ فيها.



الحمد لله

والصلاة والسلام على  
رسول الله

بطبيرة ٧ - ٩ - ٧٥

الحمد لله

مطرة الاخ العياض النبل وارث محمد  
 الالباء والابناء سيد البشير محمد  
 تحية واستوائ البكم مرعد ماء  
 تسربت بالكتاب الكريم المنبت بانكم  
 تروا الى اغنياء نسخة تاريخ اهل  
 ماء لانت كما ذكرت من طوطة وعامة  
 بالله الذ قد تمتوه زهد اما اذا  
 كانت نافعة والخ راء او متغول  
 المطبوعة بلمايدة فيها على كل حال  
 ما يد معه الانباء في اغنياء الكتب يعود  
 بالنع لان هذه هي عادة الناس منذ  
 قديم الزمان حينما كتب يستريفا الانس  
 بئمة اهلها بها بئمة زهد ما انعمتم  
 من شيء وهو يخلجه وان اتنى اء بسهل الله  
 عليكم اغنياء هذه الكتب حتمه يكون ذلك  
 اسباب احياء ما ان كثيره الكتب ضاعت

اما غير اغنياء مستفان جفينة اعامل العصابة هم ذلك على التلبية وبلغ  
 انظر الا يغني له اغنياء كوكب الوصل كالعياض في الغطاء الوصل ان الله يعرف  
 كعظمه والواردت الوصل بالعصابة الوصل كوكب كوكب انظر طيبة عيشة لانا خير جنة

صورة عن الصفحة الأولى من الرسالة

## [68] رسالة أخرى إليه<sup>(1)</sup>

الحمدُ لله، والصَّلَاةُ والسَّلَامُ على رَسولِ الله وآله وصحبه وسلم.  
حضرة الأخ الفاضل المحترم الشيخ سيدي البشير آل محمودي الكرام.  
تحيات ودادية، وسلاما زكيا، وبعد:

فمعدرة على تأخري بإرسال ما طلبتموه مِنِّي، فإنَّ الأخ له أشغال كثيرة، وما زال لم يعثر على الكراسة، أمَّا شرح الغوثية فإنَّني استحسنتُ نقله، وبالفعل نقلته، وإنَّني سأبعثه لكم في هذا الأسبوع، وإنَّ الأخ السيد عمرو بن مخلوف أخبرني بكم ومكن لكم منظومة السيد مسلم الحميري، وكذلك منظومة أخرى بخطَّ المرحوم الشيخ سيدي الحاج بالقاسم، إلا أنه نسي اسمها.

هذا، وإن كانت المنظومة الأولى مهلهلة إلا أنَّها مفيدة في بابها، وأخبرني عن الثانية لمن؟ وبلغ تحياتي لجميع الأصدقاء والطلبة، وخصوصا الأخ الشيخ المختار الإمام، ودمتم محفوظين، والسلام.

من أخيك عبد ربه المهدي

يبلغ لكم التحيات الأخ والطلبة خصوصا الشيخ السيد أبو زيان.

---

(1) اعتمدنا في إدراج هذه الرسالة على نسخة خطية مصورة تقع في صفتين. (ع)

## [69] رسالة أخرى إليه<sup>(1)</sup>

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

حضرة الأخ الفاضل المحترم سيدي البشير محمودي (حفظكم الله ورعاكم)، وبعد:  
فإني تشرفت بكتابكم الكريم، وفي طيه العقدان القيّان، أما أحدهما فإنه ذكر فيه  
العلامة الشيخ المكي بن عيسى - كان قاضيا في عهد الباي محمد بن عثمان - وهو مذكور  
في (الرحلة القمرية)، والآخر لابن الشيخ مصطفى الرماصي، وإني سأصوّرها  
وأرجعها إليك - إن شاء الله - وهذا النوع من العقود مفيدٌ جدا للتاريخ، لأننا نستدلُّ  
منه على الأحكام الشرعية التي كان القضاة والعلماء معنيين بها، وعلى أسلوب كتابتهم،  
وعلى ذكر بعض الفقهاء الموثقين المعروفين في التاريخ من دون أن تُسند إليهم وظائف،  
وإني بعثتُ لك الكتابين ورسالةً خاصةً إلى الأخ السيد مصطفى الصطمبولي فيها  
توصية خيرة، إذ بلغني أن علائقه مع السيد الشيخ توتّرت.

وتقبلوا تحياتي وتحيات الإخوة والأصدقاء ودمتم محفوظين أخوكم المهدي.

إلحاق: زارنا الفقيه السيد عيش، وأخبرني بملاقاته بكم في مستغانم، كما أخبرني على  
شرح الشيخ المطاطي، وقال لي: إنه من مطاطة تونس، وإني أشكُّ في ذلك، إن كان عالم  
شهير عندنا تولى الإفتاء بـ: عاصمة الجزائر في القرن الحادي عشر، وهو من تلامذة الشيخ

---

(1) اعتمدنا في إدراج هذه الرسالة على نسخة خطية مصورة تقع في صفتين. (ع)

سيدي محمد بن علي المجاجي، وكان زميلاً في الدراسة للشيخ سعيد قدورة (صاحب شرح السلم)، فإذا وجدت ترجمته فابعثوها إليّ، خصوصاً اسمه، أما (وفيات الوثريسي) فإنها مفقودة، وإنما ينقل عنها الشيخ أحمد بابا صاحب (ذيل الديباج) وغيره، ويقال إنها موجودة في المغرب، وفي زاوية الهامل، إلا أنني لم أطلع عليها فضلاً عن تملكها.

## [70] رسالة أخرى إليه<sup>(1)</sup>

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

حضرة الأخ الكريم الفاضل سيدي البشير آل محمودي تحياتي وأشواقي إليكم،

وبعد:

فإني كنتُ كاتبكم عندما اتّصلتُ بمجموعة الشعر و(الغيث الهامع)، إلا أنني كنتُ مستعجلاً، ولهذا أكتبكم اليوم لأخبركم أنني اطلعتُ على مؤلف (الغيث الهامع) للعلامة الشيخ أحمد أبي زرعة بن عبد الرحيم العراقي المتوفى سنة 826، كان تلميذاً للعلامة ابن السبكي صاحب (جمع الجوامع)، وذكر الشيخ سيدي عبد الرحمن الثعالبي أنه من جملة مشايخه، وأجازَه عندما كان بـ (مصر)، كما ذكر الشيخ الثعالبي في (فهرسته) أن الشيخ أبا زرعة المذكور - أي: صاحب (الغيث الهامع) - هو ولد الحافظ العراقي صاحب (الألفية) في مصطلح الحديث، أما المعلق عليه الشيخ محمود بن حواء فإنه كما ذكرتُ لكم: الشيخ محمود بن الطاهر بن حواء، كان يعيشُ حوالي سنة 1224، إذ عندي عدّة مؤلّفاتٍ نقلتُ له ونقلَ بعضها بخطّه، وأرّخ نقلها في التاريخ المذكور، وكنتُ ذكرتُ لكم أنّي كنتُ أوصيتُ الأخ السيد أحمد نجل الشيخ سيدي الحاج الجيلاني ليخبر الولد ابن الأخ السيد عثمان بإعارة الكتاب إلى السيد زير الأوقاف عندما

---

(1) اعتمدنا في إدراج هذه الرسالة على نسخة خطية مصورة تقع في صفتين. (ع)

زارنا إلى مسجد الأَصنام، وفي هذا الأسبوع أخبرني الشيخ سيدي الحاج الجيلاني أنه  
زاره في داره بـ: الأَصنام ابن المرحوم الشيخ الحاج العربي التواتي يسأل عن أصدقاء  
والده ومخلفاته، فنصحه بالرجوع وأعطى له أجره الركوب.

بلغوا تحياتي لجميع الأصدقاء ودمتم محفوظين، والسلام.

من أخيك المهدى

العدد

والسلام عليكم  
رسول الله

عطرة الاخ الكريم العاقل سيد البشير  
آل محمود اللدائم قديماً وأشرف النديم  
وبعد ما كنت ان تتلم عند ما ابتليت  
بمجموعة الشعر والغيت العام الا اني  
كنت مستحجلاً لهذا ان تتلم اليوم  
لا غيركم ان اخلعت على مولد الغيت  
والعام العلامة الشيخ احمد ابو زينة  
ابن عبد الرحمن العراف المتوفى سنة  
١٨٤٦ كما تلميذاً للعلامة ابن السكيت  
صاحب جمع الجوامع وذكره الشيخ سيد  
عبد الرحمن الثعالبي انه ص جملة  
مستأخذه واماره عند ما كان يملر كما  
ذكر الشيخ الثعالبي مع مخرسته ان الشيخ  
الانزعة المذكور ان العام الغيت العام

صورة عن الصفحة الأولى من الرسالة

## [71] رسالة أخرى إليه<sup>(1)</sup>

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

حضرة الأخ الفاضل النبيل سيدي البشير محمودي (حفظكم الله وأمنكم)، وبعد:

فإني تشرفتُ صباح اليوم بكتابكم الكريم وبصحبته وثائق لبعض علمائنا، فبارك الله فيكم، وإنني أخذتُ صوراً من الوثائق الأولى، وسأكون ممنوناً لكم إن وفقكم الله إلى إرسال وثائق الحبس التي يحتفظ بها أحد أحفاد العلامة المنعم الشيخ سيدي مصطفى الرماصي، فبالأمس زارنا أحد كبار العلماء بالمغرب، وهو العلامة الشيخ سيدي العربي السنوسي المدرّس بـ: وجدة، وتحدّثنا كثيراً على آثار الشيخ سيدي مصطفى الرماصي، كما أرجوكم أن تستعيروا لي تعليق الشيخ الونوغي على (المدونة)، والكراسة التي عثرتُ عليها للشيخ الخروبي، وإنني أذكر أننا عندما زُرنا خزانة الشيخ سيدي عبد القادر ابن يسعد قيّدت تفسير (رياض الأزهار) ضمن ما عثرنا عليه، إذ لم أتصفّح الكتاب وإنما نقلتُ العنوان، فإن كانت الخطبة وحدها فبودّي أن أطلع عليها، إذ هي مفقودة وتُغني عن غيرها.

أما (تعريف الخلف) فإنَّ أهم ما فيه هو الجزء الثاني، لأنَّ الجزء الأول مختصر جداً، إذ لا يشمل إلا نحو العشرين ترجمة، وإنه موجود عندي في مجموعة مع كتبٍ أخرى، فإن احتجته فسأبعثه لك، أما (رياض الجنة) للشيخ عبد الحفيظ الفاسي فإنني أملكه.

وفي الختام أغتنم فرصة حلول عيد الفطر المبارك الذي أتمنى أن يُعيد الله عليكم

---

(1) اعتمدنا في إدراج هذه الرسالة على نسخة خطية مصورة تقع في صفتين. (ع)



بالخير والبركات، وأن يحييكم لأمثاله وأمثال أمثاله، متمتعين بالهناء والعافية، ودمتم  
محفوظين، والسَّلام.

من عند أخيكم عبد ربه المهدي

إلحاق: زارنا البارحة الأخ سيدي الحاج محمد بالقرن الإمام ب: مسجد أريزو،  
وتحدّثنا عنكم كثيرا، وبلّغت له تحياتكم، وهو بدوره يبلغ لكم السَّلام.

والعلاء والسلاح على  
رسول الله

الحمد لله

حظيرة الاخ العياض النبل سيب البشير محمود  
حفظكم الله وامنكم وبعد ما تشرفت صباح  
اليوم بكتابكم الكريم وبلحيته وثايف لبعول  
علمائنا جبارك الله بكم وانتم اخذت لهورا  
من الوثايف الاولى وسالكم ممنونا لكم ان يقبل  
الله الي لوصول ارسال وثايف الكيس  
الت يتبع احد اعيان العلامة المنع  
الشيخ سيب مله الرماح جبالا مسرانا  
احد كبار العلماء بالمغرب وهو العلامة  
الشيخ سيب العري السنوسي المدرس بوجدة  
وتحدثنا كثيرا على آثار الشيخ سيب مله  
الرماح كما ارعولكم اه تستعيرها  
تعلية الشيخ الوضوح على المدونة والكراصة  
التي عثرت عليها للشيخ الخروي وانتم انالكرانا  
عندما زرنا خزنة الشيخ سيب عبد الفادر  
اب يسعد فوجدت تفسيره في الازهار فعدما  
عثرنا عليه اذ لم اطلع الكتاب وانما نقلت العنوان

صورة عن الصفحة الأولى من الرسالة

## [72] رسالة أخرى إليه<sup>(1)</sup>

الحمدُ لله، والصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ.

حضرة الأخ الفاضل الشيخ سيدي الحاج البشير محمودي.

تحية وسلاما، وبعد:

فإني كنتُ تشرفت بكتابكم الذي طلبتم فيه إرسال (مناقب السلفيين) للشيخ موسى المغيلي المازوني، فاعلم أخي أن الكتاب مفقود، إذ كانت توجد منه مخطوطة عند المرحوم مفتي مازونة، وقد نقل لي منه حفيده بعض الأوراق أثبتت بعضها في تراجم بعض علماء البلاد في كتاب (التراجم) الذي هو الآن تحت الطبع.

هذا، وإنِّي أرسلتُ إليك الجزء الثاني من (دليل الحيران) الذي كان عند صاحب المطبعة، كذلك (الشجر الجماني)، وكتاب الشيخ الموسوم العربي، فبارك الله فيك، أما كتب الهند فإنني أتيتُ بتأليفٍ لأحد كبار العلماء في الفنِّ والرياضة، وأخذتُ من صاحبه الإذن بالسند، وهو عندي في العاصمة، ولا زالت الأشغال متراكمة، و(دليل الحيران) سيصدر - إن شاء الله - بعد شهرين أو ثلاثة، لأننا انتهينا من تصحيحه ووضع فهرسه، وتقبلوا تحياتي.

المهدي البوعبدلي

---

(1) اعتمدنا في إدراج هذه الرسالة على نسخة خطية مصورة تقع في صفتين. (ع)

الحمد لله  
والسلام على رسول الله

الحمد لله

حضرة الشيخ الفاضل الشيخ سيد  
الحاج المحمود تَحِيَّةً وَسَلَامًا  
بعد فاني كنت تشرفت بكتابتكم التي  
كلتم فيه ارسال مناغب الشلغيد  
للشيخ موسى المغنل المازوني  
فأعلم أن في الكتاب - معقود الألف  
توحيد منه مملوكة عند المرحوم  
مازونة وقد نقلت منه عند  
بعض الأوراق التي بعثت في تراجم  
بعض علماء البلاد في كتاب التراجم  
الذي هو الآن تحت الطبع  
هذا إذا أرسلت إلى الحزب الثاني من  
إلى بلاد الحبراء الذي كان عند صاحب المطبعة  
لجنة الكعز الحمانه كتاب الشيخ  
الموسوم الغريبي فشارك الله في كتاب  
إما كتب أو لهند فاني أتيت بتأليف  
لأحد كبار العلماء في الفقه والرياضة

صورة عن الصفحة الأولى من الرسالة

## [73] رسالة أخرى إليه<sup>(1)</sup>

الحمدُ لله، والصَّلَاةُ والسَّلَامُ على رَسولِ الله.

إلى الأخ الفاضل الأريحي الودود سيدي البشير آل محمودي.

تحية وسلاما، وبعد:

فإني تشرفتُ بكتابكم الكريم، وبالأوراق التي كنت نقلتها من رحلة العلامة الشيخ أبي راس الناصري، وإنني عندما نقلتُ ذلك الموجز من الرحلة كنتُ أطلع عليها في (مكتبة جامعة الجزائر)، والرحلة بخط مؤلفها (رحمه الله)، إلا أنهم كانوا لا يسمحون بالنقل للمستعير الذي كان دائما تحت حراسة القيميين، وإنما يسمح له بأخذ بعض النقط والفقرات، وكنتُ أستعمل كلَّ حيلة ووسيلة حتى تمكّنتُ من نقل ما به الحاجة، وتركتُ المحلّات الغير المستوفاة في النقل، وعلمتُ عليها بالنقط، أملا أن تسمح الظروف بإعادة مُراجعة النسخة حتى أتممه، ولكن تجري الرياح بما لا تشتهي السفن، والرحلة حرقت مع كتب الجامعة أثناء الثورة، ولكنني أظنُّ أن الرحلة ما زالت موجودة عند بعض الطلبة، إلا أن ما بقي ناقصا لا يضّر.

أما الأخ الأستاذ النعيمي فإنه كان زارني إلى الأضنام في طريق عودته صُحبة الأخوين السيّدين: الحاج علي، ودح ابني المرحوم ابن عبد الرحمن، وأطلعني على ما استعاره من كتبكم، وكذلك كتب خزانة سيدي عبد القادر بن يسعد، وهو يثني عليكم الشاء الجميل، وقد كنّا تحدّثنا عنكم لما زارني إلى المنزل، ولو سمحت لي الظروف لرافقتُه

---

(1) اعتمدنا في إدراج هذه الرسالة على نسخة خطية مصورة تقع في صفتين. (ع)

عندكم، وعلى كلِّ حالٍ إننا اتَّفَقنا على التَّعاون في إخراج هذا التَّأليف، فهو يشتغل بشرقِ الجزائر والجنوب وعمالة قسنطينة، وأنا أشتغل بعرَب الجزائر وعمالة وهران، حَقَّق اللهُ الأمل، ولم نقصِد - عِلمَ اللهُ - بعملنا هذا إلا إنقاذ هذه الحلقة المفقودة من تاريخ بلادنا، خصوصا تراجم رجالها الذين نسجَ على تاريخهم العنكبوت، وتنكَّر لهم المعاصرون.

أما حاشية الشيخ ابن عبد الرحمن، فإنَّه تركَّها لي الأخ النعيمي لأبعثها للشيخ سيدي الحاج محيي الدين، وأستعير منه الجزء الآخر، إذ عندما كان عنده الشيخ النعيمي وجدهم مشتغليين بمأتم الزَّوجة، ولم يمكنه الدخول إلى البيت التي كان بها الجزء المذكور، وأرجوكم أن تبلغ تحياتي إلى الأخ سيدي الحاج محيي الدين، وتنوب عني في تعزيته، سائلا من الله له الصبر والسلوان، وللفقيدة المرحومة جنة الرضوان، وإنني بعثتُ لكم النُّسخة المذكورة مضمونة على طريق البريد.

أما ما ذكرتموه من تأليف الشيخ دح بن حسين، فإنني لا أعرف التَّأليف ولا المؤلِّف، وقلتمُ إنه يشتمل على جزأين، أرجوكم أن تخبروني عنه وعن الموضوع.

أما الشيخ سيدي علي بالحاج من أولاد سيدي محمد بالحسنة الذي ذكرتمُ أنه من أساتذة الشيخ الخلوي، فأرجوكم أن تبعثوا لي ترجمته إن كانت عندكم، أو ما يبلغكم عنه، والشيخ بوتليس، والحمياني، والبخاري والد الشيخ سيدي عبيدة، وسيدي ابن عبد الله، وسيدي قدور بن عمر، هل أخذ عنهم الشيخ الخلوي أو أخذوا عنه؟ كما أرجوكم أن تبعثوا لي ما عثرتُم عليه من الوثائق التي هي بخطُّ جد الوالد، وبخط سيدي أحمد بن عامر.

وفي الختام تقبلوا أزكى تحياتي أخوكم عبد ربه المهدي.

إلحاق: أخبرني الأخ النعيمي أنه كان اختار بعض كتب من خزانة سيدي عبد القادر

ابن يسعد وتركها على جهة، أرجوك أن تخبرني عنها لأنه لم يتذكّر منها إلا مؤلف لـ: ابن أبي جمرة، كما أرجوك أن تمكن حاشية الخرشبي لسيدي الحاج محيي الدين، وتأخذ من عنده الجزء الآخر، وسأبعثه له بعد أسبوعين - إن شاء الله - بواسطة الشيخ المفتش، وإنني استعرتُ من أحد الأصدقاء حاشية الشيخ الرماصي على التتائي، ومن حسن الصُدف أنَّ الأخ النعيمي اطلع عليها عندي، إذ وصلتني قبلَ زيارته بيوم، وهي حسنة جدا.

الى الاخ العياض الاربيعي الودود سيب السير  
 آل محمود توبة وسلاما وبعد بانه تسربت بكتا نكر  
 الكرم وبالادراك التي كنت نعلتها ما رحلة العلامة  
 الشيخ ابراهيم الناصري واتي عندما نفلت لذلك الموجز ما  
 الرحلة كنت اطلع عليها مكتبة جامعة الجزائر والرحلة  
 نزل مؤلفها رحمه الله الا انهم كانوا لا يسمحون بالنقل  
 للمستغير الذ. كان في انما تحت حراسة القيمة وانما يسمح  
 له باخذ بعض النقط والبعثات وركنت اشتمل كل حيلة  
 ووسيلة حتى تمكنت من نقل ما به الحاجة وتركت  
 الصلوات الغير المستوحاة في النقل علمت عليها بالنقل  
 املا ان تسمع القروم باعادة مراجعة النسوة حتى اتقوا  
 وكدت "تبر الرياح ما لا تشتت السعد" والرحلة عرفت  
 مع كتب الجامعة اثناء الثورة ولكن الله ان الرحلة ما زالت  
 موجودة عند بعض الطلبة الا ان ما بقى نقلها لا يقدر

ومع حسنة الصدق الاخ النقيب اطلع عليها عند اذ وصلتني قبل زيارة بيوم  
 وهي حسنة جدا

اما الاخ الاستاذ النقيب فانه كان زارني الى الاضمار في  
 حيرة عودته حبة الاخوة السيد الحكام على و...  
 المرحوم ابي عبد الرحمن والكلين على ما استعارة من كتبكم وكذلك  
 كتب خزانة سيب عبد الغادر بن يسعد وهو شيخ عالمك النساء  
 الجميل وقد كنا نحدثنا عنكم لما زارني الى المنزل ولو سمعت ما  
 القروم لراجفته عندكم وعلما كل حال اننا اتفنا على التقاؤ

صورة عن الصفحة الأولى من الرسالة



## [74] رسالة أخرى إليه<sup>(1)</sup>

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.

حضرة الأخ الفاضل سليل بيوتات العلم والشرف، سيدي الحاج البشير محمودي.

تحية وسلاما، وبعد:

فإني كنت بـ: الجزائر حيث قضيت أسبوعا، واجتمعنا بالولد هناك، وأخبرني أنه لا زال بمنصبه، وإنني كنت أظن أني أمرت عند الرجوع بـ: الأصنام، وقد تعذرت علي ذلك، لأن أشغالا ألبأتني إلى الرجوع رأسا إلى المنزل، ثم أعود إلى الجزائر، وإنني وجدت رسالتكم المصحوبة بالدراسة القيمة المتعلقة بتاريخ قلعة بني راشد، وإنني أرسلت إليكم (شرح أبي راس على الغوثية)، إلا أن الكتاب الثاني لم أهدد إلى معرفته، فوضّحوا لي ذلك، وإنني كنت أعرت للأخ السيد الحاج بن يامنة (شرح ابن مرزوق على البردة) مع تعليق الغبريني، وطلبت منه إرسال: (أقوال التأسيس فيما وقع وسيقع مع الفرنسيين) المنسوبة إلى الشيخ أبي راس، فأخبرني أنها عندهم، فأرجوكم إرسالها إليّ رأسا، أو إلى صاحبها ليعثها لي، وإن كنتم في حاجة إليها فأرسلها لكم بعد يومين أو ثلاثة، لأنني أردت تصحيح بعض جمل من النسخة المتبورة الموجودة عندي، ولكم الفضل، والسلام.

من أحيكم المهدي البوعبدلي

---

(1) اعتمدنا في إدراج هذه الرسالة على نسخة خطية مصورة تقع في صفتين. (ع)

الحمد لله والصلوة والسلام على رسول الله

هذه الاذنية الفاضلة فليل بيوتات العلم والشرف  
مسيدي الحاج البشير محمود محبة رسالما وبعد  
ما كنت بالجزائر حيث تليت السورة واجتمعت  
بالولد هناك وراخبرته انه لا زال بمنزله وان  
كنت اقد انه ارجع امر عند الرجوع بالانعام  
مقد تعذر علي ذلك لانه اشغالا بالثابت الى الرجوع  
راسالى المنزل ثم اعود الى الجزائر ورائي  
ومعدت رسالتكم المحمودة بالدراسة العظيمة  
المتعلقة بتاريخ تلمذة به راشد وانني ارسلت  
الكلمة شرح اياه راس على الخوئية الا ان الكتاب  
الثاني لم اهد الي معرفته فوالله في ذلك  
رائي كنت اعرت للاخ السيد الحاج بيامنه شرح  
ابن مرزوق على البلاة مع تعليق الغبريني وطلعت  
منه ارسال احوال الناس فيها وقع وسبق مع الفرنسي  
المنشوية الى الشيخ اياه راس خيرة انما عندكم  
خارجكم ارسالها الى راس اولها صاحبها ليبتصل

صورة عن الصفحة الأولى من الرسالة

## [75] رسالة أخرى إليه<sup>(1)</sup>

الحمدُ لله، والصَّلَاةُ والسَّلَامُ على رَسولِ الله وآله وصحبه وسلم.

إلى الأخ الفاضل النبيل سيدي محمد البشير آل محمودي الكرام (حفظكم الله وأيدكم)، وبعد:

فإني تشرفتُ برسالتكم، وكنتُ ذهبتُ يوم الخميس إلى عاصمة الجزائر، وكان أول من اجتمعتُ به عندما دخلتُ للنزول الأخ السيد الشيخ نائب تيغنيف صحبة بعض الإخوان، فخرجنا جميعاً وذهبنا إلى المجلس، وفي أثناء الاجتماع كان بعض الإخوان من قسنطينة أثاروا مسألة التعليم بالزوايا وقراءة القرآن... الخ، فاغتنمتُ تلك الفرصة وتحدثتُ في الموضوع، ولفتُ نظرَ الأخ السيد الشيخ بأنه يوجد في قسمه طالب من خيار الطلبة، وله اعتناء خاصٌّ بالكتابة والنقل، وله اهتمام كثير بنقل المؤلفات والوثائق العلمية، كالأجازات وغيرها، فوجدته يعرفكم تمام المعرفة، وأثنى عليكم بما تستحقونه في ذلك المجلس، كما دافع على طلبة القرآن، ووعدني بأنه يهتمُّ بقضيتكم ويعينكم بكل ما يستطيع، فشكرته على ذلك، وإني أتمنى أن تكونوا في أحسن حال، وسينصركم الله على كلِّ أفاكٍ أثيم، وبلغوا تحياتي إلى جميع الأصدقاء، ودمتم محفوظين، والسلام.

من أخيك عبد ربه المهدي

إلحاق: وفي صبيحة اليوم كنتُ بـ: وهران، فاجتمعتُ كذلك صدفةً بالأغا السيد المخفي، فسألته عنكم، فأخبرني أنكم في أمان الله وحفظه، وأوصيته أن يبلغ لكم تحياتي.

---

(1) اعتمدنا في إدراج هذه الرسالة على نسخة خطية مصورة تقع في صفتين. (ع)

والسلام على  
رسول الله وآله وصحبه  
الطيبين الطاهرين

الى الاخ العاجل النزيل السيد محمد السيد  
الشمس الكرام معقل الله ورائدكم وبعد  
ما تشروبه برسالتكم وركبت في بيت يوم الخميس  
الى عاصمة الجزائر وكان امرنا اجتمعنا به عندما  
دخلت للنزل الاخ السيد السيد شائب تينيت  
كاتب على الاخوة من جماعة من ذكركم الى المجلس  
وبعد انتهاء الاجتماع كان على الاخوة من فسيطة  
ان يروا مشكلة التعليم بالجزائر وضرورة الفراء ان  
ما غنمت تلك العبرة وتحدثت في الموضوع ولعبت  
فكر الاخ السيد السيد شائب تينيت في فسيطة كان ما  
غيره العلمية وله اعتناء خاص بالكتابة والنقل  
وله اهتمام كثير بفن المؤلفات والرياض العلمية  
التي امتازت وعبرها جودته يعرفكم تمام المعرفة  
والتي عليكم ما تسخفونه في ذلك المجلس كما ذكر  
على كلمة الفراء ووعدت بانها يهتم بفتحكم  
ويعلمكم كل ما يستطيع مسكته علمه ذلك وان

صورة عن الصفحة الأولى من الرسالة

## [76] رسالة أخرى إليه<sup>(1)</sup>

الحمدُ لله، والصَّلَاةُ والسَّلَامُ على رَسولِ الله وآله وصحبه وسلم.

حضرة الأخ الكريم الفاضل الأصيل سيدي البشير محمودي.

تحيات زكية، وسلاما شديدا، وبعد:

فإني أبعثُ إليكم مع حامل هذه الرسالة كتابين من كتب العلامة المرحوم الشيخ سيدي أبي القاسم بن كابو وأستاذه العلامة الصالح سيدي علي بن عبد الرحمن الشهير بالجزائري، تجد فيهما بعد تصفُّح بعض الصفحات المتعلقة بما طلبته، وإنني عندما أعر على البقية سأبعثُها لك، إذ هي متفرقة في كتبه، وإنني منذ سنوات تركتُ المطالعة للشواغل الكثيرة التي بلبت الأفكار، وشتت الأذهان، كما بعثتُ لك منظومة سيدي أبي عبد الله التي خصَّها بعلماء البطحاء (رحمهم الله)، أما شرح ابن مرزوق على البردة فإنني كما ذكرتُ لك، فالشرح الذي أملكه هو تعليق للعلامة الغبريني على شرح ابن مرزوق، فيذكر بعض كلام الشارح مختصرا ويعلق عليه، وعلى كل حال أرجو أن تبعث لي الشرح المذكور - أي: شرح ابن مرزوق - لأتبرك به، وأنظر ما يحتاجه من الإصلاح، فإن وجدتُ الذي عندك يفي بالمقصود فأبعثه لك، وإلا فإنني أبعث لصديق من العاصمة أستعير ما عنده، ولا يخفى على حضرتك أن ابن مرزوق (رحمه الله) عنده ثلاثة شروح على البردة: الصغير والمتوسط والكبير، أما منظومة الشيخ مصطفى الرماصي فإنها مع تلك الأوراق في الخزانة مع غيرها من الكراريس، وكذلك عندما

---

(1) اعتمدنا في إدراج هذه الرسالة على نسخة خطية مصورة تقع في صفحتين. (ع)

أعثرُ عليها أبعثُها لك، وإن كان الأصلُ موجوداً، فإن صديقنا الشيخ القاضي السيد حسن أخبرني أن رسالة الشيخ المشرفي المطبوعة بـ: العاصمة عنده، كما أرجوك إن اجتمعتَ بالعالم الأديب الشيخ قاضي حنيفي (قاضي تيغنيف) بلغ له تحياتي، واسأله إن وجد بعض القصائد التي أوصيتهُ عليها يوم اجتماعنا بسيدي قادة صحبة الأمير سعيد، وتقبلوا تحياتي.

أخوكم عبد ربه المهدي

إلحاق: ابعثوا لي شرح ابن مرزوق مع حامل الرسالة، وأرجعه إليكم - إن شاء الله -  
بعد أسبوعين - إن شاء الله -.

والسلام على رسول الله  
وأهله وصحبه وسلم  
الحمد لله  
والصلاة والسلام على  
سيدنا محمد وآله  
الطيبين الطاهرين  
الذين هم خير البرية  
والصلاة والسلام على  
سيدنا محمد وآله  
الطيبين الطاهرين  
الذين هم خير البرية

محلّة الاخ الكرم الباخل الاصيل سيّد البشير  
صمود، تحيات زكية وسلاماً شديداً وبعد ما  
ابعث اليك مع عامل هذه الرسالة كتابيه من كتب العلامة  
المرجع الشيخ سيّد اب الفاسم بن كاسب واستاذ  
العلامة العالم سيّد علي بن عبد الرحمن الشيرازي  
باجزائري تجد مبيناً بعد تلح بعض الصحابة  
المتعلقة بما كتبت واني عندما اعثر على البقية  
سأبعثها لك ان شاء الله متعرفة في كتبه واني منذ  
سنوات تركت المطالعة للسواغل الكثيرة التي بلبلة  
الافكار وشتت الافهام كما بعثت لك منظومة  
سيّد اب عبد الله التي غلما بعلماء البحار رحمه  
الله اما شرح اب مرزوق عليه البردة ما نيت كما ذكر  
لك بالشرح الذي املكه هو تعليقه للعلامة الغبريني  
عليه شرح اب مرزوق بيد كرمي كلام الشارح مختلراً  
وبعليه عليه وعليه كل حال ارجو ان تبعث لي

صورة عن الصفحة الأولى من الرسالة

## [77] رسالة أخرى إليه<sup>(1)</sup>

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

حضرة الأخ الودود سيدي البشير محمودي (حفظكم الله وصانكم)، وبعد:

فإني تشرفت بكتابتكم الكريم، وبالطرد المشتغل على المخطوط الأصولي، ومجموعة ما نقلتم من القصائد، فبارك الله فيكم وأمد في حياتكم، أما سؤالكم على الكتابين، فأولهما (رياض النفوس) ل: أبي بكر عبد الله المالكي، نشر وتصحيح حسين مؤنس، والثاني كتاب (السلوك لمعرفة دول الملوك) ل: المقرئزي، والكتاب الذي بعثتموه مازلت لم أطلع عليه هل طبع أم لا؟ وإنني كنتُ عثرتُ على كتابة العالم الشيخ محمود ابن حواء في عدّة رسائل، كان هذا العالم يعيش في سنة 1223، وهو ابن الشيخ الطاهر ابن حواء، ويكون الشيخ الطاهر هذا هو العلامة المجاهد الذي كان قاضيا في أم عسكر واستشهد في حرب وهران، وورثاه تلميذه صاحب (الرحلة القمرية)، وبودّي أن أطلع على ما تعرفونه عنهم، إذ كانت بيتهم من بيوتات العلم، ولهم قرابة مع التّوجّيين الذي ينتسب إليهم صاحب (الغوثة)، وصاحب (العقد النفيس) رحمهم الله، ومن بيت ابن حواء الشيخ محمد صاحب (سبيكة العقيان)، والشيخ الطاهر الشاعر الشعبي معاصر الأمير عبد القادر (رحم الله الجميع)، ودمتم أخي في عزّ وهناء.

المهدي

---

(1) اعتمدنا في إدراج هذه الرّسالة على نسخة خطية مصورة تقع في صفحتين. (ع)



## [78] رسالة أخرى إليه<sup>(1)</sup>

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه وسلم.

حضرة الأخ الفاضل النبيل سيدي البشير محمودي.

تحية وسلاما، وبعد.

فإني تشرفتُ بكتاب العلامة الشيخ محمد المشرفي، وعلى كلِّ حالٍ فإنه لا يخلو من فوائد، وإنني نقلتُ منه ما يهمني، وسأبعثه لكم بعد أسبوع - إن شاء الله - لأنني غبت في هذا الأسبوع بمناسبة زيارة بعض الضيوف، ذهبت لعيادتهم بـ: حمّام سيدي أبي حنيفة.

هذا، وإني بعثتُ لكم الدواء الذي كتبه العالم الشيخ الحاج محمد ابن الهاشمي (الإمام بمسجدنا) ووعدتكم ببعثه، وإني أتمنى أن تكونوا كلكم بخير، وبلغوا تحياتي لجميع الأحبة، ودمتم محفوظين معافين، والسلام.

من أخيكم عبد ربه المهدي

---

(1) اعتمدنا في إدراج هذه الرسالة على نسخة خطية مصورة تقع في صفتين. (ع)

الحمد لله  
والصلاة والسلام على  
رسول الله وآله

حكمة الأخ العاقل السبل سبب  
السبيل محمود تحية وسلاما وبعد  
ما تم نشره بكتاب العلامة السبيل  
محمد المشرقي وعلم كل حال عانه  
لا يحلو من جواريد واثم نقلت  
منه ما يظن وسابغه لكم  
بعد اسوم اه سدا الله لانه  
غيبه في هذا الاسوم بمناسبه  
زيارة بعض اللبوف ذهابت لعيانهم  
بصام سبب اب حنينيه هداوان  
بعثت لكم الدواء الذي كتبه العالم

صورة عن الصّفحة الأولى من الرّسالة

## [79] رسالة أخرى إليه<sup>(1)</sup>

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه وسلم.

حضرة الأخ الفاضل المحترم سيدي البشير محمودي.

تحية وسلاما، وبعد:

فإني تشرفت بكتابكم، وحمدتُ الله على سلامتكم، وعلى اعتنائكم بنقل ما تلاشى وضاع من تراث الأجداد، وسيحيي الله قلبك عندما تموت القلوب، ويعترف لك الخلق بأعظم الفضل لهذه الجهود المبذولة في المحافظة على البقية الباقية من تراث السلف، وأتمنى أن يكثر الله لنا من أمثالك.

هذا، وإنَّ كتاب الشيخ ابن سحنون كما قلت لك: لم أكسبه، وكنتُ اطلعتُ على ملخص ترجمته ببعض المجلات التي كانت تصدر بالفرنسية، وتعتني بترجمة كتب المؤرخين القدماء، ونقلتُ ذلك التلخيص، وأخبرني الفاضل الشيخ أبو بكر المدرّس الآن بـ: وهران أنه رأى النسخة وقرأها عند المرحوم الشيخ ابن جلال ابن محلة في الزاوية التجانية بـ: معسكر، وكذلك بلغني أنها كانت بخزانة المرحوم الشيخ سيدي الحاج بلقاسم ابن كابو، وإنني عندما أعرّ عليها لا بدّ أن أنسخها بالتصوير الفوتوغرافي، أو أبعثها لك لتقلها - إن شاء الله - وإني سأبعثُ لك (غوثة) الشيخ أبي

---

(1) اعتمدنا في إدراج هذه الرسالة على نسخة خطية مصورة تقع في صفتين. (ع)

مهدي بشرح الشيخ أبي راس، أما شرح (البردة) ل: ابن مرزوق فلا يحتاج إلى النقل،  
لأنه ضخّم جداً، ويمكن العثور عليه واشتراؤه، خصوصاً ب: تونس، فإنه كان منتشرًا  
عندهم.

وتقبلوا تحياتي، وتحيات الأخ والطلبة، وأرجوكم أن تبلغ تحياتي لجميع الأحبة،  
ودمتم محفوظين.

من أخيكم عبد ربه المهدي

والحمد لله  
والسلامة والسلام  
عليك رسول الله  
ومحمد وآله

الحمد لله

عزرة الامم العاقل المحسن سيد  
الشيخ محمود تحية وسلاما وبعد  
بانه تسرعيت بكتابكم وحمدت الله  
عليك سلامتكم وعلنا اعتنا بكم بنقل  
ما تلاحظه وطامع من تراث الابدان  
وسبحي الله فليد عند ما تعرف الفلور  
ويعرف لك الخلف باعق العقل  
لهذه الجهود المبذولة في المحافظة على  
القيمة التاريخية من تراث السلف  
وانتمى ان يكثر الله لنا من امثالكم  
هذوا وان لنا - الشيخ ابن سحنون كما  
قلت لك لم اكسبه وكنت اهلعت على  
ما هو ترجمته بعض المولاء التي كانت

صورة عن الصفحة الأولى من الرسالة

## [80] رسالة أخرى إليه<sup>(1)</sup>

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه وسلم.

حضرة الأخ الفاضل النبيل سيدي البشير محمودي.

تحيات ودادية، وسلاما، وبعد:

فإني تشرفت بكتابكم، وإني أشكركم على نشاطكم وعزيمتكم.

هذا، وإنني عثرتُ على البقية من أرجوزة الشيخ الحلفاوي، وإنني كنتُ نقلتها في ظروفٍ صعبة، وكان الكاغد لا يوجد إلا بقلَّة، وكنتُ أضعتُ كثيرا من الفرص حيث أعتري على بعض الوثائق الهامة والمخطوطات القيِّمة التي لا يمكنُ منها الإنسان إلا ساعات، ولهذا صرتُ أعتنم هذه الفرص، وأنقل المهِّم منها في أيِّ شيء يقع تحت اليد، ولهذا ما زال معظم ما عندي من بعض الآثار القيِّمة مشتتا على بعض هوامش الرسائل أو ظروف الرسائل، وإنني ما زلتُ كلما سمحت الظروف إلَّا وأنقل منها في بعض الكراريس، إذ هي أحفظ، وإني أرجو أن تكونوا كلِّكم في أمان الله وحفظه، والسلام.

من أخيك عبد ربه المهدي

---

(1) اعتمدنا في إدراج هذه الرسالة على نسخة خطية مصورة تقع في صفتين. (ع)

والصلاة والسلام على  
رسول الله وآله وصحبه

الحمد لله

عذرة الاخ العاجل النزيل بسبب  
التيسير محمود، تحياتي، ١٤١٤هـ  
وسلاماً وبعد بانه تسببت بكتابك  
راية اشكركم على نشاطكم وعزيمتكم  
هذا وانني عثرت على البعثة ما  
ارجوزة السيد الخليلية وانني  
كنت نعلتها في قلوب لعدة وكان  
الكا عند لا يوجد الا بقلة وكنتم اذنت  
كثيراً من العرق حيث اعثر على بعض  
الوثائق الهامة والنظومات  
الغنية التي لا يمكن منها الا نساء  
الا ساعات وهذا هو اعنتهم

صورة عن الصفحة الأولى من الرسالة

## [81] رسالة أخرى إليه<sup>(1)</sup>

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه وسلم.

حضرة الأخ الفاضل المحترم سيدي البشير محمودي.

تحيات وسلاما، وبعد:

فإني تشرفت بكتابكم المنبئ على أحوالكم، ووقوف الأخ الفاضل السيد المختار بإعاتتكم (جزاه الله خيرا، ووقاه من كيد الكائدين).

هذا، وإن الكتب التي سألتموني عنها، فكتاب: (نزهة الحادي في علماء القرن الحادي) ل: اليفرني موجود، وقد طبع في المطبعة الحجرية في فاس، أما بقية الكتب المذكورة فإنني لم أطلع إلا على كتاب الشيخ الشقراني، وهو كتاب مختصر توجد نسخة منه في مكتبة البلدية بوهران، وإنني أتمنى أن تكونوا كلكم في حفظ الله ورعايته، وإنني كنت وعدتكم ببعث فقرة من كتاب العلامة الشيخ العربي المشرفي تتعلّق بأسرتكم، فدونها.

قال المشرفي (رحمه الله) في تأليفه (ياقوتة النسب الوهاجة وفي ضمنها التعريف بسيدي محمد بن علي مولى مجاجة) ما يلي: «ومن شرفاء الشهرة أيضا ب: غريس: أولاد سيدي اعمر (هكذا) بن دوبة، فهم علماء أبرار، وصلحاء أختيار، دعاهم العلم برهم إلى حضرة القدس، فأجابوه إجابة المدعو للداعي، واقرن علمهم بالصلاح والفلاح، فهم رجال الخير والمعروف، وأهل إغاثة الملهوف، استقرّ ذلك فيهم وفي أتباعهم

---

(1) اعتمدنا في إدراج هذه الرسالة على نسخة خطية مصورة تقع في صفتين. (ع)



الشريف والمشروف، تحلّوا بأشرف النعوت، وبيتهم أشرف البيوت، عصيتهم تحمى،  
وديمة جودهم تهمى، يجرون ذيل الفخار على أولي افتخار، إن دُعوا لكرهية أجابوا، أو  
لرأي وتدبير أصابوا، أولياء الضّعيف، وظله الوريث، بهم يستغيث الملهوف،  
ويستنصر المجهول والمعروف، الأمانة والدين في الكهل والغلام، والصدق فيها معا  
والسلام» اهـ، وهذا كلامه بحذافيره فيما يتعلّق بالموضوع.

وإني أرجوكم أن تبعثوا لي شرح سيدي عيسى بن موسى التوجيني على غوثيته،  
وقصدي الإطلاع عليه لأرى هل هناك فرق بينه وبين شرح الشيخ أبي راس؟  
وفي الختام تقبلوا تحياتي وتحيات الأخ والأصدقاء، ودمتم محفوظين، والسلام.

من أخيكم عبد ربه المهدي

لمعد له

والسلامة والسلام  
على رسول الله وآله وصحبه  
وسلم

عظمة الاخ العياض المحترم سيد البشير  
محمود - تحيات وسلاما وبعد ما  
تشرية بكتابك المنيع على احوالكم ووفور  
الاخ العياض السيد العنار باعناكم جزاء  
الله خير، وناه من كيد الكايد به هذا  
د. راه الكتب التي سالتوني عنها علينا  
نز هو الحاد. ب علماء الفقه الحاد، لليعز  
موجود بعد كمنع المطبعة الحجرية ب  
باس اما بقية الكتب المذكورة مانع لم  
اطم الاعله كنا - السند الشرايف وهو  
كتاب منظر ترجمه نسخة منه ب الملائنة  
البلدية سر هرا، وانتم اتصني ان تكونوا  
كللم ب معك الله ورعايته وانتم كنت  
وعدتكم بعد مفرة ما كنا - العلامة  
السند العرب المشرفه تتعلك باسرتكم

صورة عن الصّفحة الأولى من الرّسالة

## [82] رسالة أخرى إليه<sup>(1)</sup>

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه وسلم.  
إلى الأخ الفاضل والصديق الحميم سليل بيوتات العلم والشرف، سيدي  
البشير آل محمود الكرام (حفظكم الله ورعاكم)، وبعد:  
فإني تشرفتُ بكتابكم الكريم صباح اليوم، وكان الأخ أخبرني بأنه اتصل  
بكتاب من عندكم موجه إليّ، إلا أنكم لما ذكرتم في العنوان: رئيس الطريقة  
البوعبدلية، جاءه مع البريد وما زال لم يعثر عليه، ولهذا أنبّه حضرتكم بأن لا  
تجعلوا في العنوان: شيخ الزاوية، في الرسائل الموجهة إليّ، وإنما اجعلوا العنوان  
هكذا: المهدي بوعبدلي، صندوق البريد عدد: 3 سانلو.

Bouabdelli mahdi, boite postale n°: 3 S<sup>t</sup> leu.

وإنني بعثتُ لكم (شرح المرادية)، وحاشية العلامة الغدامسي على شرح صغرى  
الإمام السنوسي، وهي مفيدة جدا، وصاحبها ينقل كثيرا على العلامة سيدي عبد القادر  
ابن خده، قد أعارها لي صديقنا الشيخ السيد أحمد نجل الشيخ العلامة سيدي الحاج  
الجيلاني، وأرجوك أن تبلغ أركى تحياتي لجميع الأصدقاء، خصوصا الشّاب الظريف  
السيد محمد نجل صديقي الوفي سيدي عثمان بن أبي خاتم، إذ كان والده من رفقائي في  
مدرسة مازونة، وكان حقيقة ممن يمثل النُّبل والفضل والأخلاق الكريمة، وقد قرأ  
القرآن بـ: كرشتل هو وأخوه المرحوم السيد مصطفى، وكنتُ كثيرا في أيام الطلب ما

(1) اعتمدنا في إدراج هذه الرّسالة على نسخة خطية مصورة تقع في صفحتين. (ع)

أنزل عندهم في غليزان، إلا أن الظروف الأخيرة وانتقالي إلى بجاية سنين حال بيننا وبينهم، وإن كنتُ ما زلتُ أجمع بهم المرّة بعد المرّة، خصوصاً السيد حميدة، إلا أن الأولاد كانوا صغاراً، والحمد لله الذي أقرّ الله بهم أعين والديهم.

ولنرجع إلى الحديث عن الكتب فحاشية الشيخ الرماصي عندما أجمع بمن هي عنده أفكّر معه في أمر نقلها، وأما (القدسية) فإنني ما زلتُ بصدد نقلها هي وقصائد أخرى، وأما (الملاي) فإنه ما زال مُستعاراً عند صديق، وعندما يرجعه إليّ أبعثه إليكم.

ودمتم محفوظين، والسلام.

من أخيك عبد ربه المهدي

## [83] رسالة أخرى إليه<sup>(1)</sup>

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه وسلم.  
جناب المحب الفاضل الودود سيدي البشير آل محمودي الكرام.  
تحية ودادية، وسلاما، وبعد:

فإني تشرفتُ برسالتكم المنبئة عن أخباركم وأخبار الأصدقاء، كالعلامة الشيخ سيدي الحاج ابن الهاشمي الذي قدّم تأليفه للطبع، وخصوصا وأنه يحتوي على بعض المخطوطات النادرة، كلّل الله مساعيه بالنجاح.

هذا، وإن أرجوزة الحلفاوي التي طلبتموها منّي كانت ضمن بعض الكراريس متفرقة، ولم أعثر على بعضها إلا نهار أمس، فاغتنتمُ فرصة ذهاب الصديق إليكم وبعثتها لكم معه، وما زالت منها بقية أبعثها لكم عندما أعثر عليها - إن شاء الله - والأرجوزة هذه عليها شرح قيّم للعلامة الرحالة الشيخ الجامعي، الذي زار الجزائر خصوصا ناحيتكم، فإنه زار العلامة الفقيه الشيخ مصطفى الرماصي، واجتمع معه في مسجده، وأثنى عليه كثيرا، وكان من المعجبين به (رحم الله الجميع)، وأهمننا إلى سلوك سبيلهم، ودمتم محفوظين، والسلام.

من أخيك عبد ربه المهدي

إلحاق: إني اتصلتُ بـ: (الرحلة القمرية)، والكتابين الآخرين، فبارك الله فيكم وأعانكم.

---

(1) اعتمدنا في إدراج هذه الرسالة على نسخة خطية مصورة تقع في صفحتين. (ع)

بيننا وبين المحب العاقل الودود. سيب  
 البشير آل محمود. الكلام تحية وداوية  
 وسلاما بعد حياة تشريعت برسالة  
 المنبئة عن اخباركم واخبار الاعداء  
 للعلامة الشيخ سيب الحاج ابنه الماشي  
 الذي قدم تاليفه للبعث ونظروا وان  
 يحتوي على بعض المملوحات النادرة للاله  
 مساعيد النخاع هذا وان ارجوزة الطلبة  
 التي كتبت ما من كانت لعمه بعض الكراريس  
 متفرقة ولم اعثر على بعضها الا نهار امس  
 ما غنمت مرة لهاب اللدي البلم  
 بعثنا لكم معه وما زالت منها بعثة  
 بعثنا لكم عند ما اعثر عليها ان شاء الله

صورة عن الصفحة الأولى من الرسالة

## [84] رسالة أخرى إليه<sup>(1)</sup>

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

إلى الأخ الفاضل المحترم سيدي البشير آل محمودي (حفظكم الله ورعاكم)، وبعد:  
فإني أتصلت برسالتكم البريدية ثم رسالتكم البرقية، وإنني سأقدم عشية الخميس  
28 ديسمبر الجاري إلى القلعة للحضور في مآتم الأربعين للمرحوم الشيخ السيد الحاج  
محمد الرقيش، فإن أمكنكم الحضور فبودّي أن أجمع بكم لتفاهم في القضية  
أحسن.

وعلى كل حال فإننا عندما عزمنا وزارتنا الاهتمام بطبع بعض الكتب، وكانت  
المطبعة التي وقع عليها الاختيار ب: قسنطينة، وهي تتوقف على نسخ الكتاب  
وتصحيحه، والمطبعة عندها نسّاخ إلا أن إرسال الكتب لتُسخ في قسنطينة، ثم  
إرجاعها إلينا لتصحيحها فيه تضييع للوقت، فاتفقنا على اختيار ناسخ هنا نكلّفه بهذه  
المهمة، ونُعطيه أجره النسخ كالتالي يتقاضاها نسّاخ قسنطينة، وهذه الخطة ليست  
كوظيفة، وليست تابعة للوزارة، وإنما هي تابعة للمطبعة، غاية ما ثم أن أجره النسخ  
التي تُعطى للناسخ ب: قسنطينة تُعطى للناسخ هنا، ولا يخفّك أن النّسّاخ كثيرون،  
ويكتبون جميع الخطوط الشرقية والغربية (كذا)، وإنما رأيت أن أفيدكم بهذه المهمة  
فقط، فإن أمكنكم فيها، وإن رأيتم فيها صعوبة فلا تكفلوا أنفسكم، فيمكننا تعيين

---

(1) اعتمدنا في إدراج هذه الرسالة على نسخة خطية مصورة تقع في صفتين. (ع)

أحد الموظَّفين بالوزارة بسهولة، وإنَّني إن جمع الله بيننا في حفلة الأربعين فيها، وإلا  
فسيجمع الله بيننا في أبرك الأوقات.

وأما كتاب الشيخ ابن حمُّ، فإنَّني سأصحبُه معي إلى القلعة، فإن وجدتكم فيها،  
وإلا فسأرجعه وأبعثُه لكم مع البريد.

وتقبلوا أزكى تحيات أخيكم عبد ربه المهدي البوعبدلي.



الحمد لله

والصلاة والسلام على  
رسول الله

إلى الأخ الغاضل المتميز سيد الشير  
آر محمود حفظكم الله وأورعكم وبعده  
فإن أتت برسالتكم البريدية ثم  
رسالتكم البرقية وأنتم ساعدتم عشية  
الخميس 28 ديسمبر الحاضر إلى القلعة للخط  
في مآتم الأربعاء للمرحوم الشيخ السيد الحاج  
محمد الرقيبي فإن أمثلتم الخلف فبولد، إن اجتمع  
بكم لتفاهم في القلية أمس

وعلى كل حال فإننا عندما عزمنا وزارتنا الاضطرار  
ببيع بعض الكتب وكانت المبيعة التي وقع عليها الاختيار  
بمسئولية وهي تتوقف على نسخ الكتابين  
والمبيعة عندنا نسخ الا، ارسال الكتب لتسنيخ  
بمسئولية ثم ارجاعها اليانها فيها فيه تليغ  
للوقت خاتفنا على اختيارنا نسخ هنا نلغه  
بعده المهمة ونعليه اجرة النسخ كالت يتقاه

صورة عن الصفحة الأولى من الرسالة

## [85] رسالة أخرى إليه<sup>(1)</sup>

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

حضرة الأخ الفاضل سيدي الحاج البشير آل محمودي الكرام.

تحية ودادية، وسلاما، وبعد:

فإني أرجوكم أن ترسل لي تاريخ وفاة وازدياد الشيخ المنعم محمد بن أمّنة بن دوبة، وكذلك إن أمكنكم إرسال نُبذة من تاريخ حياته، ومسكنه، وتلامذته، وكذلك مشايخه قبل انتقاله للأزهر، وكذلك صاحب (الغوثة) التي دعا فيها على حبوشة الذين آذوه، لأنني أهّيتُ كتاب (تراجم علماء الجزائر في العهد التركي)، وابعثوا لي أيضا ما حضركم من ترجمة الشيخ عمر بن دوبة، والفرع المنتقل من سلالته إلى ناحية العطاف، ولكم الفضل، أما قائمة الكتب فإني اتّصلتُ بها، وقد كنتُ أرسلتُ للأخ الشيخ سيدي الحاج محمد بابا عمر (المفتي بالجزائر)، لأنني لم أسافر طيلة هذين الشهرين - أي: يوليو وأوت - ولربما أبقى هنا إلى منتهى الشهر لكثرة الأعمال، ولهذا أرجوكم أن ترسل إليهِ القائمة مع بيان الأسعار إلى العنوان الآتي: الشيخ محمد بابا عمر (المفتي بالجامع الأعظم المالكي) الجزائر.

M<sup>r</sup> cheikh **Baba-ameur** (Muphti Grande mosquée), rue de la marine Alger.

لأنّ ولده الأستاذ بالكلية، وكذلك كثير من أئمة الجزائر يجتمعون عنده، وكلهم في

حاجة إلى الكتب.

وتقبلوا تحيات أخيك المهدى البوعبدلي.

---

(1) اعتمدنا في إدراج هذه الرسالة على نسخة خطية مصورة تقع في صفحتين. (ع)

والسلام  
على رسول الله

الحمد لله

علية الاخ العياض بسيد الحاج البشير  
الحمودي الكرام تحية وداوية وسلاما  
وبعد ما انتموكم ان ترسل لي تاريخ وفاة  
وان زاد ياد السيد المنعم محمد بن آمنة به دور  
وكذلك ان امكنكم ارسال نبذة من تاريخ حياته  
ومسكنه وتلاميذه وكذلك مسانحة قبل  
انتقاله للازهر وكذلك صاحب الغوثية التي  
لا على حيا على مجموعة الذي آذوه لاننا اهدى  
كتاب تراجم علماء الجزائر من العهد التركي  
وانتم في ايها ما علمكم من تحفة السيد عمر  
ابن ذوية والبرق المتغل من سلالة الائمة  
العقاب ولكم العجل اما غايمة اللب حاذ

صورة عن الصفحة الأولى من الرسالة

## [86] رسالة أخرى إليه<sup>(1)</sup>

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

إلى الأخ الفاضل السيد البشير محمودي.

تحية وسلاما، وبعد:

فإني اتصلتُ برسالتكم المملوءة بالشَّتائم وسوء الأخلاق، لم أكن أعهدُها فيكم وفي أمثالكم الذين لهم تربية دينية، كما كنتُ أتصلتُ بكتابٍ آخر ذكرتم فيه أنّي كنتُ مررتُ على البرج ووعدتُ بالرجوع إليكم لتناولِ الفطور، وأخلفتُ الوعد، وهذا غير صحيح، فإنني لم أزر البرج إلا في يوم وفاة المرحومة زوجة القاضي سي حسن، ومررتُ عليكم وكنتُ أخبرتكم عن الكتابين.

أما الأول: وهو الجزء الثاني من (دليل الحيران) فقد دفعته للمطبعة بالجزائر، حيث قدّم المخطوط للطبع ليصحح عليه، ولربما يطبعون صفحة من الأصل، وعملُ كهذا ليس بالسَّهل، إذ هناك مئات الكتب، وعندما أرجعه يأتيكم.

والثاني: قلتُ لكم إنه بين الكتب، ونظرا لكثرة أسفاري وعدم الفراغ أرسله إليكم أيضا، وليس هو بالأمر المستعجل، إذ شروح سينية أبي راس كثيرة، وهو واحد منها، وها هو أرسلته إليكم، وأخبركم أنّي لا زلتُ لم أتصل برسالة شفاهية، وأخرى كتابية، فيها شتمٌ أو مسٌّ بالكرامة من أيِّ كان.

المهدي

---

(1) اعتمدنا في إدراج هذه الرسالة على نسخة خطية مصورة تقع في صفتين. (ع)

مراد الله والرسالة  
على رسول الله

الحمد لله

الرسالة في التفسير البسيط  
تكملة ورسالة يوجد في  
مراسلتكم المماثلة ما كنت  
الاعتماد لم أكن اعدها فكم

أمتاكم الكريمة المبرورة

كما كنت ارتكبت بكتاب آخر ذكرتم  
فيه ان كنت مدرت على البرج ووجدت  
بالرجوع اليكم تناولت ما  
انعمت وهذا غير كبري خائف لم ازر  
البرج الا في يوم وغاة المراجعة فوجده  
الكتاب في حيد ومرت عليكم مررت  
اخرتكم عند الله اما الاصل

صورة عن الصّفحة الأولى من الرّسالة

## [87] رسالة أخرى إليه<sup>(1)</sup>

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

حضرة الأخ الفاضل النبيل الشيخ سيدي البشير محمودي.

تحية وسلاما، وبعد:

فمعدرة عن تأخري بمكاتبتكم.

هذا، وإنكم ستجدون بعض ما طلبتم مني إرساله إليكم، ولم أجد (الياقوتة الوهاجة)، وأظنها من جملة الكتب المستعارة أو التي أرسلتها للتجليد، إذ كنت شرعت في تفسير الكتب منذ مدة، حيث ضاع لي الكثير لضيق الوقت عن تنظيم وترتيب الكراريس، وقد اشترت أخيرا جلا مكتبة الشيخ الرابحي، كما حصلت على الجزء الأول من حاشية الرماصي على التائي، ووعدني صاحبها بالبيع، وهي نسخة هامة منقولة ومصححة على نسخة المؤلف (رحمه الله)، ودمتم محفوظين، وبلغوا تحياتي إلى الأندجال والأصدقاء، والسلام.

من أخيك عبد ربه المهدي

---

(1) اعتمدنا في إدراج هذه الرسالة على نسخة خطية مصورة تقع في صفتين. (ع)

الحمد لله  
والصلاة والسلام على رسوله

علية الاخي العاقل النبيل الشيخ  
سيد البشير همولى محبته ورسلا ما  
و بعد عذرة عن تأخره بما قبلكم  
لهذا وانكم ستجدوه معلوما فليتم  
من ارساله اليكم ولم اجد اليافوته  
الوهاجة والخفاصة هلة الكتب المستغاة  
او التي ارسلتها للتبليد الا كنت فسرعت  
في تسعير الكتب منذ مدة حيث قام بها  
الكثير لغير الوقت عن تعليم وترتيب الكرار  
فوجدت اشترت اغنيا على مكتبة الشيخ الراب  
كما علمت على الجزء الاول ما عاينته  
الرمال على الثاني ووجدت صاحبها باليد  
ولكن نسخة هامة منقولة وماتحة على

صورة عن الصفحة الأولى من الرسالة





## فهرس الموضوعات

- [1] رسالة إلى الأستاذ البشير محمودي ..... 3
- [2] رسالة أخرى إليه ..... 6
- [3] رسالة أخرى إليه ..... 9
- [4] رسالة أخرى إليه ..... 11
- [5] رسالة أخرى إليه ..... 14
- [6] رسالة أخرى إليه ..... 16
- [7] رسالة أخرى إليه ..... 17
- [8] رسالة أخرى إليه ..... 20
- [9] رسالة أخرى إليه ..... 23
- [10] رسالة أخرى إليه ..... 25
- [11] رسالة أخرى إليه ..... 28
- [12] رسالة أخرى إليه ..... 30
- [13] رسالة أخرى إليه ..... 32
- [14] رسالة أخرى إليه ..... 34
- [15] رسالة أخرى إليه ..... 36
- [16] رسالة أخرى إليه ..... 38
- [17] رسالة أخرى إليه ..... 40

- 42 ..... [18] رسالة أخرى إليه
- 45 ..... [19] رسالة أخرى إليه
- 48 ..... [20] رسالة أخرى إليه
- 50 ..... [21] رسالة أخرى إليه
- 53 ..... [22] رسالة أخرى إليه
- 56 ..... [23] رسالة أخرى إليه
- 58 ..... [24] رسالة أخرى إليه
- 61 ..... [25] رسالة أخرى إليه
- 64 ..... [26] رسالة أخرى إليه
- 66 ..... [27] رسالة أخرى إليه
- 69 ..... [28] رسالة من الشيخ البشير محمودي إلى الشيخ المهدي البوعبدلي
- 71 ..... [29] رسالة إلى الأستاذ البشير محمودي
- 74 ..... [30] رسالة أخرى إليه
- 77 ..... [31] رسالة أخرى إليه
- 79 ..... [32] رسالة أخرى إليه
- 81 ..... [33] رسالة إلى الأستاذ المولود حبيبي
- 84 ..... [34] رسالة إلى الأستاذ البشير محمودي
- 87 ..... [35] رسالة أخرى إليه
- 90 ..... [36] رسالة أخرى إليه
- 92 ..... [37] رسالة أخرى إليه
- 95 ..... [38] رسالة أخرى إليه
- 97 ..... [39] رسالة أخرى إليه

100	[40] رسالة أخرى إليه
103	[41] رسالة أخرى إليه
106	[42] رسالة أخرى إليه
109	[43] رسالة أخرى إليه
111	[44] رسالة أخرى إليه
114	[45] رسالة أخرى إليه
117	[46] رسالة أخرى إليه
120	[47] رسالة أخرى إليه
122	[48] رسالة أخرى إليه
125	[49] رسالة أخرى إليه
127	[50] رسالة أخرى إليه
130	[51] رسالة أخرى إليه
133	[52] رسالة أخرى إليه
136	[53] رسالة أخرى إليه
139	[54] رسالة أخرى إليه
142	[55] رسالة أخرى إليه
144	[56] رسالة أخرى إليه
146	[57] رسالة أخرى إليه
149	[58] رسالة أخرى إليه
151	[59] رسالة أخرى إليه
154	[60] رسالة أخرى إليه
156	[61] رسالة أخرى إليه

159	[62]	رسالة أخرى إليه
161	[63]	رسالة أخرى إليه
163	[64]	رسالة أخرى إليه
165	[65]	رسالة أخرى إليه
167	[66]	رسالة أخرى إليه
169	[67]	رسالة أخرى إليه
172	[68]	رسالة أخرى إليه
173	[69]	رسالة أخرى إليه
175	[70]	رسالة أخرى إليه
178	[71]	رسالة أخرى إليه
181	[72]	رسالة أخرى إليه
183	[73]	رسالة أخرى إليه
187	[74]	رسالة أخرى إليه
189	[75]	رسالة أخرى إليه
191	[76]	رسالة أخرى إليه
194	[77]	رسالة أخرى إليه
195	[78]	رسالة أخرى إليه
197	[79]	رسالة أخرى إليه
200	[80]	رسالة أخرى إليه
202	[81]	رسالة أخرى إليه
205	[82]	رسالة أخرى إليه
207	[83]	رسالة أخرى إليه

209 .....	[84] رسالة أخرى إليه
212 .....	[85] رسالة أخرى إليه
214 .....	[86] رسالة أخرى إليه
216 .....	[87] رسالة أخرى إليه
219 .....	فهرس الموضوعات



## [73] رسالة أخرى إليه<sup>(1)</sup>

الحمدُ لله، والصَّلَاةُ والسَّلَامُ على رَسولِ الله.

إلى الأخ الفاضل الأريحي الودود سيدي البشير آل محمودي.

تحية وسلاما، وبعد:

فإني تشرفتُ بكتابكم الكريم، وبالأوراق التي كنت نقلتها من رحلة العلامة الشيخ أبي راس الناصري، وإنني عندما نقلتُ ذلك الموجز من الرحلة كنتُ أطلع عليها في (مكتبة جامعة الجزائر)، والرحلة بخط مؤلفها (رحمه الله)، إلا أنهم كانوا لا يسمحون بالنقل للمستعير الذي كان دائما تحت حراسة القيميين، وإنما يسمح له بأخذ بعض النقط والفقرات، وكنتُ أستعمل كلَّ حيلة ووسيلة حتى تمكّنتُ من نقل ما به الحاجة، وتركتُ المحلّات الغير المستوفاة في النقل، وعلمتُ عليها بالنقط، أملا أن تسمح الظروف بإعادة مُراجعة النسخة حتى أتممه، ولكن تجري الرياح بما لا تشتهي السفن، والرحلة حرقت مع كتب الجامعة أثناء الثورة، ولكنني أظنُّ أن الرحلة ما زالت موجودة عند بعض الطلبة، إلا أن ما بقي ناقصا لا يضّر.

أما الأخ الأستاذ النعيمي فإنه كان زارني إلى الأضنام في طريق عودته صُحبة الأخوين السيّدين: الحاج علي، ودح ابني المرحوم ابن عبد الرحمن، وأطلعني على ما استعاره من كتبكم، وكذلك كتب خزانة سيدي عبد القادر بن يسعد، وهو يشني عليكم الشناء الجميل، وقد كنّا تحدّثنا عنكم لما زارني إلى المنزل، ولو سمحت لي الظروف لرافقتُه

---

(1) اعتمدنا في إدراج هذه الرسالة على نسخة خطية مصورة تقع في صفتين. (ع)

عندكم، وعلى كلِّ حالٍ إننا اتَّفَقنا على التَّعاون في إخراج هذا التَّأليف، فهو يشتغل بشرقِ الجزائر والجنوب وعمالة قسنطينة، وأنا أشتغل بعرَب الجزائر وعمالة وهران، حَقَّق اللهُ الأمل، ولم نقصِد - عِلمِ اللهُ - بعملنا هذا إلا إنقاذ هذه الحلقة المفقودة من تاريخ بلادنا، خصوصا تراجم رجالها الذين نسجَ على تاريخهم العنكبوت، وتنكَّر لهم المعاصرون.

أما حاشية الشيخ ابن عبد الرحمن، فإنَّه تركَّها لي الأخ النعيمي لأبعثها للشيخ سيدي الحاج محيي الدين، وأستعير منه الجزء الآخر، إذ عندما كان عنده الشيخ النعيمي وجدهم مشتغليين بمأتم الزَّوجة، ولم يمكنه الدخول إلى البيت التي كان بها الجزء المذكور، وأرجوكم أن تبلغ تحياتي إلى الأخ سيدي الحاج محيي الدين، وتنوب عني في تعزيته، سائلا من الله له الصبر والسلوان، وللفقيدة المرحومة جنة الرضوان، وإنني بعثتُ لكم النُّسخة المذكورة مضمونة على طريق البريد.

أما ما ذكرتموه من تأليف الشيخ دح بن حسين، فإنني لا أعرف التَّأليف ولا المؤلِّف، وقلتمُ إنه يشتمل على جزأين، أرجوكم أن تخبروني عنه وعن الموضوع.

أما الشيخ سيدي علي بالحاج من أولاد سيدي محمد بالحسنة الذي ذكرتمُ أنه من أساتذة الشيخ الخلوي، فأرجوكم أن تبعثوا لي ترجمته إن كانت عندكم، أو ما يبلغكم عنه، والشيخ بوتليس، والحمياني، والبخاري والد الشيخ سيدي عبيدة، وسيدي ابن عبد الله، وسيدي قدور بن عمر، هل أخذ عنهم الشيخ الخلوي أو أخذوا عنه؟ كما أرجوكم أن تبعثوا لي ما عثرتُم عليه من الوثائق التي هي بخطُّ جد الوالد، وبخط سيدي أحمد بن عامر.

وفي الختام تقبلوا أزكى تحياتي أخوكم عبد ربه المهدي.

إلحاق: أخبرني الأخ النعيمي أنه كان اختار بعض كتب من خزانة سيدي عبد القادر



ابن يسعد وتركها على جهة، أرجوك أن تخبرني عنها لأنه لم يتذكّر منها إلا مؤلّف لـ: ابن أبي جمرة، كما أرجوك أن تمكن حاشية الخرشي لسيدي الحاج محيي الدين، وتأخذ من عنده الجزء الآخر، وسأبعثه له بعد أسبوعين - إن شاء الله - بواسطة الشيخ المفتّش، وإنني استعرتُ من أحد الأصدقاء حاشية الشيخ الرماصي على التتائي، ومن حسن الصُدف أنّ الأخ النعيمي اطلع عليها عندي، إذ وصلتني قبل زيارته بيوم، وهي حسنة جدا.

الى الاخ العياض الاربيعي الولد سيدي السير  
 آل محمود توبة وسلاما وبعد بانه تسربت بكتا بكم  
 الكرم وبالادراك التي كنت نعلتها من رحلة العلامة  
 الشيخ ابراهيم الناصري وانني عندما نغلت ذلك الموجز من  
 الرحلة كنت اطلع عليها في مكتبة جامعة الجزائر والرحلة  
 من مؤلفها رحمه الله الا انهم كانوا لا يسمحون بالنقل  
 للمستغير الذ. كما انما تحت حراسة القيمة وانما يسمح  
 له باخذ بعض النقط والبعثات من كتب اشتمل كل حيلة  
 ووسيلة حتى تمكنت من نقل ما به الحاجة وتركت  
 المولات الغير المستوحاة في النقل علمت عليها بالنقل  
 املا ان تسمح القروم باعادة مراجعة النسوة حتى اتممه  
 ولكن "تبر الرياح ما لا تشتفي السعد" والرحلة عرفت  
 مع كتب الجامعة اثناء الثورة ولكن الله ان الرحلة ما زالت  
 موجودة عند بعض الطلبة الا ان ما بغت نقلها لا يقدر

ومع حسنة الصدق الاخ النقيب اطلع عليها عند اذ وصلتني قبل زيارة بيوم  
 وهي حسنة جدا

اما الاخ الاستاذ النقيب فانه كان زارني الى الاصنام من  
 حبه عودته حبة الاخوة السيد الحكام على و...  
 المرحوم ابي عبد الرحمن والكلين على ما استعاره من كتبكم وكذلك  
 كتب خزانة سيدي عبدالقادر بن يسعد وهو شيخ عالمك النساء  
 الجميل وقد كنا قد ثنا عنكم لما زارني الى المنزل ولو سمعت ما  
 القروم لراجفته عندكم وعلما كل حال اننا اتفنا على التقاؤ

صورة عن الصفحة الأولى من الرسالة

## [74] رسالة أخرى إليه<sup>(1)</sup>

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.

حضرة الأخ الفاضل سليل بيوتات العلم والشرف، سيدي الحاج البشير محمودي.

تحية وسلاما، وبعد:

فإني كنت بـ: الجزائر حيث قضيت أسبوعا، واجتمعنا بالولد هناك، وأخبرني أنه لا زال بمنصبه، وإنني كنت أظن أني أمرت عند الرجوع بـ: الأصنام، وقد تعذرت علي ذلك، لأن أشغالا ألبأتني إلى الرجوع رأسا إلى المنزل، ثم أعود إلى الجزائر، وإنني وجدت رسالتكم المصحوبة بالدراسة القيّمة المتعلقة بتاريخ قلعة بني راشد، وإنني أرسلت إليكم (شرح أبي راس على الغوثية)، إلا أن الكتاب الثاني لم أهدد إلى معرفته، فوضّحوا لي ذلك، وإنني كنت أعرت للأخ السيد الحاج بن يامنة (شرح ابن مرزوق على البردة) مع تعليق الغبريني، وطلبت منه إرسال: (أقوال التأسيس فيما وقع وسيقع مع الفرنسيين) المنسوبة إلى الشيخ أبي راس، فأخبرني أنها عندهم، فأرجوكم إرسالها إليّ رأسا، أو إلى صاحبها ليعثها لي، وإن كنتم في حاجة إليها فأرسلها لكم بعد يومين أو ثلاثة، لأنني أردت تصحيح بعض جمل من النسخة المتبورة الموجودة عندي، ولكم الفضل، والسلام.

من أحيكم المهدي البوعبدلي

---

(1) اعتمدنا في إدراج هذه الرسالة على نسخة خطية مصورة تقع في صفتين. (ع)

الحمد لله والصلوة والسلام على رسول الله

هذه الاذنية الفاضلة فليل بيوتات العلم والشرف  
مسيدي الحاج البشير محمود محبة رسالما وبعد  
ما كنت بالجزائر حيث تليت السورة واجتمعت  
بالولد هناك وراخبرته انه لا زال بمنزله وان  
كنت اقد انه ارجع امر عند الرجوع بالانعام  
مرقد تعذر علي ذلك لانه اشغالا بالثابت الى الرجوع  
راسالى المنزل ثم اعود الى الجزائر ورائي  
ومعدت رسالتكم المحمودة بالدراسة العظيمة  
المتعلقة بتاريخ تلمذة به راشد وانني ارسلت  
الكلمة شرح ابي راسر على الخويثة الا ان الكتاب  
الثاني لم اهد الي معرفته فوالله في ذلك  
رائي كنت اعرت للاخ السيد الحاج بيامنه شرح  
ابن مرزوق على البلاة مع تعليق الغبريني وطلعت  
منه ارسال احوال الناس فيها وقع وسبق مع الفرنسي  
المنشورة الى الشيخ ابي راسر خيرة انما عندكم  
خارجكم ارسالها الى راسر اولها فيها ليبتصل

صورة عن الصفحة الأولى من الرسالة

## [75] رسالة أخرى إليه<sup>(1)</sup>

الحمدُ لله، والصَّلَاةُ والسَّلَامُ على رَسولِ الله وآله وصحبه وسلم.

إلى الأخ الفاضل النبل سيدي محمد البشير آل محمودي الكرام (حفظكم الله وأيدكم)، وبعد:

فإني تشرفتُ برسالتكم، وكنتُ ذهبتُ يوم الخميس إلى عاصمة الجزائر، وكان أول من اجتمعتُ به عندما دخلتُ للنزول الأخ السيد الشيخ نائب تيغنيف صحبة بعض الإخوان، فخرجنا جميعاً وذهبنا إلى المجلس، وفي أثناء الاجتماع كان بعض الإخوان من قسنطينة أثاروا مسألة التعليم بالزوايا وقراءة القرآن... الخ، فاغتنمتُ تلك الفرصة وتحدثتُ في الموضوع، ولفتُ نظرَ الأخ السيد الشيخ بأنه يوجد في قسمه طالب من خيار الطلبة، وله اعتناء خاصٌّ بالكتابة والنقل، وله اهتمام كثير بنقل المؤلفات والوثائق العلمية، كالأجازات وغيرها، فوجدته يعرفكم تمام المعرفة، وأثنى عليكم بما تستحقونه في ذلك المجلس، كما دافع على طلبة القرآن، ووعدني بأنه يهتمُّ بقضيتكم ويعينكم بكل ما يستطيع، فشكرته على ذلك، وإني أتمنى أن تكونوا في أحسن حال، وسينصركم الله على كلِّ أفاكٍ أثيم، وبلغوا تحياتي إلى جميع الأصدقاء، ودمتم محفوظين، والسلام.

من أخيك عبد ربه المهدي

إلحاق: وفي صبيحة اليوم كنتُ بـ: وهران، فاجتمعتُ كذلك صدفةً بالأغا السيد المخفي، فسألته عنكم، فأخبرني أنكم في أمان الله وحفظه، وأوصيته أن يبلغ لكم تحياتي.

---

(1) اعتمدنا في إدراج هذه الرسالة على نسخة خطية مصورة تقع في صفتين. (ع)

والسلام على  
رسول الله وآله وصحبه  
الطيبين الطاهرين

الى الاخ العاجل النزيل السيد محمد السيد  
العمود الكرام معقل الله وايدكم وبعد  
ما تشروبه برسالتكم مكنة لا تلت يوم الخميس  
الى عاصمة الجزائر وكان امرنا اجتمعنا به عندما  
دخلت للنزل الاخ السيد السيد شايب تينيت  
كثير على الاخوة من جماعة وذا طبتنا الى المجلس  
وبعد اثناء الاجتماع كان على الاخوة من فسيطة  
ان ارموا مسألة التعليم بالزرايا وقرابة الفراء ان  
ما غنمت تلك العبرة وتحدثت في الموضوع ولعبت  
فكر الاخ السيد السيد شايب تينيت في فسيطة كان ما  
غيره العلمية وله اعتناء خاص بالكتابة والنقل  
وله اهتمام كثير بفن المؤلفات والرياض العلمية  
التي امتازت وغيرها جودته يعرفكم تمام المعرفة  
والتي عليكم ما تسخفونه في ذلك المجلس كما ذكر  
على كلمة الفراء ووعدت بانها يهتم بفتحكم  
ويعلمكم كل ما يستطيع مسكته على ذلك وان

صورة عن الصفحة الأولى من الرسالة

## [76] رسالة أخرى إليه<sup>(1)</sup>

الحمدُ لله، والصَّلَاةُ والسَّلَامُ على رَسولِ الله وآله وصحبه وسلم.

حضرة الأخ الكريم الفاضل الأصيل سيدي البشير محمودي.

تحيات زكية، وسلاما شديدا، وبعد:

فإني أبعثُ إليكم مع حامل هذه الرسالة كتابين من كتب العلامة المرحوم الشيخ سيدي أبي القاسم بن كابو وأستاذه العلامة الصالح سيدي علي بن عبد الرحمن الشهير بالجزائري، تجد فيهما بعد تصفُّح بعض الصفحات المتعلقة بما طلبته، وإنني عندما أعر على البقية سأبعثُها لك، إذ هي متفرقة في كتبه، وإنني منذ سنوات تركتُ المطالعة للشواغل الكثيرة التي بلبت الأفكار، وشتت الأذهان، كما بعثتُ لك منظومة سيدي أبي عبد الله التي خصَّها بعلماء البطحاء (رحمهم الله)، أما شرح ابن مرزوق على البردة فإنني كما ذكرتُ لك، فالشرح الذي أملكه هو تعليق للعلامة الغبريني على شرح ابن مرزوق، فيذكر بعض كلام الشارح مختصرا ويعلق عليه، وعلى كل حال أرجو أن تبعث لي الشرح المذكور - أي: شرح ابن مرزوق - لأتبرك به، وأنظر ما يحتاجه من الإصلاح، فإن وجدتُ الذي عندك يفي بالمقصود فأبعثه لك، وإلا فإنني أبعث لصديق من العاصمة أستعير ما عنده، ولا يخفى على حضرتك أن ابن مرزوق (رحمه الله) عنده ثلاثة شروح على البردة: الصغير والمتوسط والكبير، أما منظومة الشيخ مصطفى الرماصي فإنها مع تلك الأوراق في الخزانة مع غيرها من الكراريس، وكذلك عندما

---

(1) اعتمدنا في إدراج هذه الرسالة على نسخة خطية مصورة تقع في صفحتين. (ع)

أعثرُ عليها أبعثُها لك، وإن كان الأصلُ موجوداً، فإن صديقنا الشيخ القاضي السيد حسن أخبرني أن رسالة الشيخ المشرفي المطبوعة بـ: العاصمة عنده، كما أرجوك إن اجتمعتَ بالعالم الأديب الشيخ قاضي حنيفي (قاضي تيغنيف) بلغ له تحياتي، واسأله إن وجد بعض القصائد التي أوصيتهُ عليها يوم اجتماعنا بسيدي قادة صحبة الأمير سعيد، وتقبلوا تحياتي.

أخوكم عبد ربه المهدي

إلحاق: ابعثوا لي شرح ابن مرزوق مع حامل الرسالة، وأرجعه إليكم - إن شاء الله -  
بعد أسبوعين - إن شاء الله -.



والله اعلم  
والسلام على رسول الله  
وأهله وصحبه وسلم

مجلسه الاذ الكريمة الباخل الاصيل سيد البشير  
صمود، تحيات زكية وسلاما شديدا وبعد ما  
ابعث اليك مع عامل هذه الرسالة كتابيه من كتب العلامة  
المرجع الشيخ سيد، اب الفاسم به كاجا واستاذ  
العلامة العالم سيد علي به عبد الرحمة الشير  
با جزائري تجد مبهما بعد تلح بعلم العجا  
المتعلقة بما كتبت وانت عندما اعثر على البقية  
سابعثها لك انما من متعرفة في كتبه وانت منذ  
سنوات تركت المطالعة للسواغل الكثيرة التي بلبلة  
الا فكار وشتت الاذهان كما بعثت لك منظومة  
سيد اب عبد الله التي فلما بعلماء العلماء رحمهم  
الله اما شرح اب مرزوق عليه البردة ماثية كما ذكر  
لك ما شرح الذي املكه هو تعليقه للعلامة الغبريني  
عليه شرح اب مرزوق بيد كربعي كلام السارح منقلا  
ويعلو عليه وعلو كل حال ارجو ان تبعث لي

صورة عن الصفحة الأولى من الرسالة



## [77] رسالة أخرى إليه<sup>(1)</sup>

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

حضرة الأخ الودود سيدي البشير محمودي (حفظكم الله وصانكم)، وبعد:

فإني تشرفت بكتابتكم الكريم، وبالطرد المشتغل على المخطوط الأصولي، ومجموعة ما نقلتم من القصائد، فبارك الله فيكم وأمد في حياتكم، أما سؤالكم على الكتابين، فأولهما (رياض النفوس) ل: أبي بكر عبد الله المالكي، نشر وتصحيح حسين مؤنس، والثاني كتاب (السلوك لمعرفة دول الملوك) ل: المقرئزي، والكتاب الذي بعثتموه مازلت لم أطلع عليه هل طبع أم لا؟ وإنني كنتُ عثرتُ على كتابة العالم الشيخ محمود ابن حواء في عدّة رسائل، كان هذا العالم يعيش في سنة 1223، وهو ابن الشيخ الطاهر ابن حواء، ويكون الشيخ الطاهر هذا هو العلامة المجاهد الذي كان قاضيا في أم عسكر واستشهد في حرب وهران، وورثاه تلميذه صاحب (الرحلة القمرية)، وبودّي أن أطلع على ما تعرفونه عنهم، إذ كانت بيتهم من بيوتات العلم، ولهم قرابة مع التّوجّيين الذي ينتسب إليهم صاحب (الغوثة)، وصاحب (العقد النفيس) رحمهم الله، ومن بيت ابن حواء الشيخ محمد صاحب (سبيكة العقيان)، والشيخ الطاهر الشاعر الشعبي معاصر الأمير عبد القادر (رحم الله الجميع)، ودمتم أخي في عزّ وهناء.

المهدي

---

(1) اعتمدنا في إدراج هذه الرّسالة على نسخة خطية مصورة تقع في صفحتين. (ع)



## [78] رسالة أخرى إليه<sup>(1)</sup>

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه وسلم.

حضرة الأخ الفاضل النبيل سيدي البشير محمودي.

تحية وسلاما، وبعد.

فإني تشرفتُ بكتاب العلامة الشيخ محمد المشرفي، وعلى كلِّ حالٍ فإنه لا يخلو من فوائد، وإنني نقلتُ منه ما يهمني، وسأبعثه لكم بعد أسبوع - إن شاء الله - لأنني غبت في هذا الأسبوع بمناسبة زيارة بعض الضيوف، ذهبت لعيادتهم بـ: حمّام سيدي أبي حنيفة.

هذا، وإني بعثتُ لكم الدواء الذي كتبه العالم الشيخ الحاج محمد ابن الهاشمي (الإمام بمسجدنا) ووعدتكم ببعثه، وإني أتمنى أن تكونوا كلكم بخير، وبلغوا تحياتي لجميع الأحبة، ودمتم محفوظين معافين، والسلام.

من أخيكم عبد ربه المهدي

---

(1) اعتمدنا في إدراج هذه الرسالة على نسخة خطية مصورة تقع في صفتين. (ع)

الحمد لله  
والصلاة والسلام على  
رسول الله وآله

حكمة الأخ العاقل السبل بسبب  
السير محمود تحية وسلاما وبعد  
ما تم نشره بكتاب العلامة السير  
محمد المشرقي وعلم كل حال عانه  
لا يحلو من جواريد وانته نقلت  
منه ما يظن وسابغه لكم  
بعد اسوم اه سدا الله لانت  
غيت في هذا الاسوم بمناسبه  
زيارة بعض اللبوف ذهبت لعيانكم  
بصام نسب اب حنينيه هداوان  
بعثت لكم الدواء الذي كتبه العالم

صورة عن الصّفحة الأولى من الرّسالة

## [79] رسالة أخرى إليه<sup>(1)</sup>

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه وسلم.

حضرة الأخ الفاضل المحترم سيدي البشير محمودي.

تحية وسلاما، وبعد:

فإني تشرفت بكتابكم، وحمدتُ الله على سلامتكم، وعلى اعتنائكم بنقل ما تلاشى وضاع من تراث الأجداد، وسيحيي الله قلبك عندما تموت القلوب، ويعترف لك الخلق بأعظم الفضل لهذه الجهود المبذولة في المحافظة على البقية الباقية من تراث السلف، وأتمنى أن يكثر الله لنا من أمثالك.

هذا، وإنَّ كتاب الشيخ ابن سحنون كما قلت لك: لم أكسبه، وكنتُ اطلعتُ على ملخص ترجمته ببعض المجلّات التي كانت تصدر بالفرنسية، وتعتني بترجمة كتب المؤرّخين القدماء، ونقلتُ ذلك التلخيص، وأخبرني الفاضل الشيخ أبو بكر المدرّس الآن بـ: وهران أنه رأى النسخة وقرأها عند المرحوم الشيخ ابن جلال ابن محلة في الزاوية التجانية بـ: معسكر، وكذلك بلغني أنها كانت بخزانة المرحوم الشيخ سيدي الحاج بلقاسم ابن كابو، وإنني عندما أعرّ عليها لا بدّ أن أنسخها بالتصوير الفوتوغرافي، أو أبعثها لك لتقلها - إن شاء الله - وإني سأبعثُ لك (غوثة) الشيخ أبي

---

(1) اعتمدنا في إدراج هذه الرسالة على نسخة خطية مصورة تقع في صفتين. (ع)

مهدي بشرح الشيخ أبي راس، أما شرح (البردة) ل: ابن مرزوق فلا يحتاج إلى النقل،  
لأنه ضخّم جداً، ويمكن العثور عليه واشتراؤه، خصوصاً ب: تونس، فإنه كان منتشرًا  
عندهم.

وتقبلوا تحياتي، وتحيات الأخ والطلبة، وأرجو أن تبلغ تحياتي لجميع الأحبة،  
ودمتم محفوظين.

من أخيكم عبد ربه المهدي



والحمد لله  
والسلامة والسلام  
عليك رسول الله  
ومحمد وآله

الحمد لله

عزرة الامم العاقل المحسن سيد  
الشيخ محمود تحية وسلاما وبعد  
بانه تسرعيت بكتابكم وحمدت الله  
عليك سلامتكم وعلنا اعتنا بكم بنقل  
ما تلاحظه وطامع من تراث الابداد  
وسبحي الله فليد عند ما تمقرت العلوم  
ويعترف لك الخلف باعق العقل  
لهذه الجهود المبذولة في المحافظة على  
القيمة التاريخية من تراث السلف  
وانتمى ان يكثر الله لنا من امثالكم  
هذوا وان لنا - الشيخ ابن سحنون كما  
قلت لك لم اكسبه وكنت اهلعت على  
ما هو ترجمته بعض المولاء التي كانت

صورة عن الصفحة الأولى من الرسالة



## [80] رسالة أخرى إليه<sup>(1)</sup>

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه وسلم.

حضرة الأخ الفاضل النبيل سيدي البشير محمودي.

تحيات ودادية، وسلاما، وبعد:

فإني تشرفت بكتابكم، وإني أشكركم على نشاطكم وعزيمتكم.

هذا، وإني عثرتُ على البقية من أرجوزة الشيخ الحلفاوي، وإني كنتُ نقلتها في ظروفٍ صعبة، وكان الكاغد لا يوجد إلا بقلَّة، وكنتُ أضعتُ كثيرا من الفرص حيث أعتري على بعض الوثائق الهامة والمخطوطات القيِّمة التي لا يمكنُ منها الإنسان إلا ساعات، ولهذا صرتُ أعتنم هذه الفرص، وأنقل المهِّم منها في أيِّ شيء يقع تحت اليد، ولهذا ما زال معظم ما عندي من بعض الآثار القيِّمة مشتتا على بعض هوامش الرسائل أو ظروف الرسائل، وإني ما زلتُ كلما سمحت الظروف إلا وأنقل منها في بعض الكراريس، إذ هي أحفظ، وإني أرجو أن تكونوا كلكم في أمان الله وحفظه، والسلام.

من أخيك عبد ربه المهدي

---

(1) اعتمدنا في إدراج هذه الرسالة على نسخة خطية مصورة تقع في صفتين. (ع)

والسلامة والسلام على  
رسول الله وآله وصحبه

الحمد لله

عشرة الاخ العياض النبل بسبب  
السير محمود، تحياتي، ١٤١٤ هـ  
وسلاماً وبعد بانه تسرفت بكتابك  
راة اشكركم على نشاطكم وعزيمتكم  
هذا وانت عشرة على البقية ما  
ارحوزة السيد الحلبارة وانت  
كنت تغلقني قلوب لعدة وكان  
الكاغذ لا يوجد الا بقله وكنت اذعت  
كثيراً من العرق حيث اعثر على بعض  
الوثائق الهامة والمطلوب  
الغنية التي لا يمكن منها الانساء  
الا ساعات وهذا هو اعنتم

صورة عن الصفحة الأولى من الرسالة

## [81] رسالة أخرى إليه<sup>(1)</sup>

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه وسلم.

حضرة الأخ الفاضل المحترم سيدي البشير محمودي.

تحيات وسلاما، وبعد:

فإني تشرفت بكتابكم المنبئ على أحوالكم، ووقوف الأخ الفاضل السيد المختار بإعاتتكم (جزاه الله خيرا، ووقاه من كيد الكائدين).

هذا، وإن الكتب التي سألتموني عنها، فكتاب: (نزهة الحادي في علماء القرن الحادي) لـ: اليفرني موجود، وقد طبع في المطبعة الحجرية في فاس، أما بقية الكتب المذكورة فإنني لم أطلع إلا على كتاب الشيخ الشقراني، وهو كتاب مختصر توجد نسخة منه في مكتبة البلدية بوهران، وإنني أتمنى أن تكونوا كلكم في حفظ الله ورعايته، وإنني كنت وعدتكم ببعث فقرة من كتاب العلامة الشيخ العربي المشرفي تتعلّق بأسرتكم، فدونها.

قال المشرفي (رحمه الله) في تأليفه (ياقوتة النسب الوهاجة وفي ضمنها التعريف بسيدي محمد بن علي مولى مجاجة) ما يلي: «ومن شرفاء الشهرة أيضا بـ: غريس: أولاد سيدي اعمر (هكذا) بن دوبة، فهم علماء أبرار، وصلحاء أختيار، دعاهم العلم برهم إلى حضرة القدس، فأجابوه إجابة المدعو للداعي، واقرن علمهم بالصلاح والفلاح، فهم رجال الخير والمعروف، وأهل إغاثة الملهوف، استقرّ ذلك فيهم وفي أتباعهم

---

(1) اعتمدنا في إدراج هذه الرسالة على نسخة خطية مصورة تقع في صفتين. (ع)

الشريف والمشروف، تحلّوا بأشرف النعوت، وبيتهم أشرف البيوت، عصيتهم تحمى،  
وديمة جودهم تهمى، يجرون ذيل الفخار على أولي افتخار، إن دُعوا لكرهية أجابوا، أو  
لرأي وتدبير أصابوا، أولياء الضّعيف، وظله الوريث، بهم يستغيث الملهوف،  
ويستنصر المجهول والمعروف، الأمانة والدين في الكهل والغلام، والصدق فيها معا  
والسلام» اهـ، وهذا كلامه بحذافيره فيما يتعلّق بالموضوع.

وإني أرجوكم أن تبعثوا لي شرح سيدي عيسى بن موسى التوجيني على غوثيته،  
وقصدي الإطلاع عليه لأرى هل هناك فرق بينه وبين شرح الشيخ أبي راس؟  
وفي الختام تقبلوا تحياتي وتحيات الأخ والأصدقاء، ودمتم محفوظين، والسلام.

من أخيكم عبد ربه المهدي

والسلامة والسلام  
على رسول الله وآله وصحبه  
وسلم

عظمة الاخ العياض المحترم سيد البشير  
محمود - تحيات وسلاما وبعد ما  
تشرية بكتابتكم المنيح على احوالكم ووفور  
الاخ العياض السيد العنار باعناكم جزاء  
الله خير، وناه من كيد الكائدي هذا  
دراه الكتب التي سالتوني عنها علينا  
نز هو الحاد في علماء الفقه الحاد، لليعز  
موجود بعد كمن في المطبعة الخيرية في  
باس اما لجنة الكتب المذكورة مانح لم  
العلم الاعلى كتاب - السند الشرايف وهو  
كتاب منظر ترجمه نسخة منه في الملائنة  
البلدية سر هرا، وانتم اتصني ان تكونوا  
كلكم في عمل الله ورعايته وانتم كنت  
وعدتكم بعد مغرة ما كتاب - العلامة  
السند العرب المشرف تتعلم باسرتكم

صورة عن الصّفحة الأولى من الرّسالة





## [82] رسالة أخرى إليه<sup>(1)</sup>

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه وسلم.  
إلى الأخ الفاضل والصديق الحميم سليل بيوتات العلم والشرف، سيدي  
البشير آل محمود الكرام (حفظكم الله ورعاكم)، وبعد:  
فإني تشرفتُ بكتابكم الكريم صباح اليوم، وكان الأخ أخبرني بأنه اتصل  
بكتاب من عندكم موجه إليّ، إلا أنكم لما ذكرتم في العنوان: رئيس الطريقة  
البوعبدلية، جاءه مع البريد وما زال لم يعثر عليه، ولهذا أُنّبهُ حضرتكم بأن لا  
تجعلوا في العنوان: شيخ الزاوية، في الرسائل الموجهة إليّ، وإنما اجعلوا العنوان  
هكذا: المهدي بوعبدلي، صندوق البريد عدد: 3 سانلو.

Bouabdelli mahdi, boite postale n°: 3 S<sup>t</sup> leu.

وإنني بعثتُ لكم (شرح المرادية)، وحاشية العلامة الغدامسي على شرح صغرى  
الإمام السنوسي، وهي مفيدة جدا، وصاحبها ينقل كثيرا على العلامة سيدي عبد القادر  
ابن خده، قد أعارها لي صديقنا الشيخ السيد أحمد نجل الشيخ العلامة سيدي الحاج  
الجيلاني، وأرجوك أن تبلغ أركى تحياتي لجميع الأصدقاء، خصوصا الشَّاب الظريف  
السيد محمد نجل صديقي الوفي سيدي عثمان بن أبي خاتم، إذ كان والده من رفقائي في  
مدرسة مازونة، وكان حقيقة ممن يمثّل النُّبل والفضل والأخلاق الكريمة، وقد قرأ  
القرآن بـ: كرشتل هو وأخوه المرحوم السيد مصطفى، وكنتُ كثيرا في أيام الطلب ما

---

(1) اعتمدنا في إدراج هذه الرّسالة على نسخة خطية مصورة تقع في صفتين. (ع)

أنزل عندهم في غليزان، إلا أن الظروف الأخيرة وانتقالي إلى بجاية سنين حال بيننا وبينهم، وإن كنتُ ما زلتُ أجمع بهم المرّة بعد المرّة، خصوصاً السيد حميدة، إلا أن الأولاد كانوا صغاراً، والحمد لله الذي أقرّ الله بهم أعين والديهم.

ولنرجع إلى الحديث عن الكتب فحاشية الشيخ الرماصي عندما أجمع بمن هي عنده أفكّر معه في أمر نقلها، وأما (القدسية) فإنني ما زلتُ بصدد نقلها هي وقصائد أخرى، وأما (الملاي) فإنه ما زال مُستعاراً عند صديق، وعندما يرجعه إليّ أبعثه إليكم.

ودمتم محفوظين، والسلام.

من أخيكم عبد ربه المهدي

## [83] رسالة أخرى إليه<sup>(1)</sup>

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه وسلم.  
جناب المحب الفاضل الودود سيدي البشير آل محمودي الكرام.  
تحية ودادية، وسلاما، وبعد:

فإني تشرفتُ برسالتكم المنبئة عن أخباركم وأخبار الأصدقاء، كالعلامة الشيخ سيدي الحاج ابن الهاشمي الذي قدّم تأليفه للطبع، وخصوصا وأنه يحتوي على بعض المخطوطات النادرة، كلّل الله مساعيه بالنجاح.

هذا، وإن أرجوزة الحلفاوي التي طلبتموها منّي كانت ضمن بعض الكراريس متفرقة، ولم أعثر على بعضها إلا نهار أمس، فاغتنتُ فرصة ذهاب الصديق إليكم وبعثتها لكم معه، وما زالت منها بقية أبعثها لكم عندما أعثر عليها - إن شاء الله - والأرجوزة هذه عليها شرح قيّم للعلامة الرحالة الشيخ الجامعي، الذي زار الجزائر خصوصا ناحيتكم، فإنه زار العلامة الفقيه الشيخ مصطفى الرماصي، واجتمع معه في مسجده، وأثنى عليه كثيرا، وكان من المعجبين به (رحم الله الجميع)، وأهمننا إلى سلوك سبيلهم، ودمتم محفوظين، والسلام.

من أخيك عبد ربه المهدي

إلحاق: إني اتصلتُ بـ: (الرحلة القمرية)، والكتابين الآخرين، فبارك الله فيكم وأعانكم.

---

(1) اعتمدنا في إدراج هذه الرسالة على نسخة خطية مصورة تقع في صفحتين. (ع)

بيننا وبين المحب العاقل الودود سبب  
السبب السبب السبب السبب السبب  
وسلاماً بعد حياة تشريعت برسالة  
المنبئة عن اخباركم واخبار الاعداء  
للعلامة الشيخ سبب الحاج ابه الماشية  
الذي قدم تاليفه للجمع ونظروها وانه  
يحتوي على بعض المملوحات النادرة للاله  
مساعدة الحاج هذا واه ارجوزة الخليل  
التي كتبت ما من كانت لعمه بعض الكرار سبب  
متعرفة ولم اعثر على بعضها الا نهار امس  
ما غنمت مرة لاهاب اللدي البلم  
بعثنا لكم معه وما زالت منها بعلية  
ابعثنا لكم عند ما اعثر عليها ان شاء الله

صورة عن الصفحة الأولى من الرسالة

## [84] رسالة أخرى إليه<sup>(1)</sup>

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

إلى الأخ الفاضل المحترم سيدي البشير آل محمودي (حفظكم الله ورعاكم)، وبعد:  
فإني أتصلت برسالتكم البريدية ثم رسالتكم البرقية، وإنني سأقدم عشية الخميس  
28 ديسمبر الجاري إلى القلعة للحضور في مآتم الأربعين للمرحوم الشيخ السيد الحاج  
محمد الرفيث، فإن أمكنكم الحضور فبودّي أن أجمع بكم لتفاهم في القضية  
أحسن.

وعلى كل حال فإننا عندما عزمنا وزارتنا الاهتمام بطبع بعض الكتب، وكانت  
المطبعة التي وقع عليها الاختيار ب: قسنطينة، وهي تتوقف على نسخ الكتاب  
وتصحيحه، والمطبعة عندها نسّاخ إلا أن إرسال الكتب لتُسخ في قسنطينة، ثم  
إرجاعها إلينا لتصحيحها فيه تضييع للوقت، فاتفقنا على اختيار ناسخ هنا نكلّفه بهذه  
المهمة، ونُعطيه أجره النسخ كالتالي يتقاضاها نسّاخ قسنطينة، وهذه الخطة ليست  
كوظيفة، وليست تابعة للوزارة، وإنما هي تابعة للمطبعة، غاية ما ثم أن أجره النسخ  
التي تُعطى للناسخ ب: قسنطينة تُعطى للناسخ هنا، ولا يخفك أن النسّاخ كثيرون،  
ويكتبون جميع الخطوط الشرقية والغربية (كذا)، وإنما رأيت أن أفيدكم بهذه المهمة  
فقط، فإن أمكنكم فيها، وإن رأيتم فيها صعوبة فلا تكفلوا أنفسكم، فيمكننا تعيين

---

(1) اعتمدنا في إدراج هذه الرسالة على نسخة خطية مصورة تقع في صفتين. (ع)

أحد الموظَّفين بالوزارة بسهولة، وإنَّني إن جمع الله بيننا في حفلة الأربعين فيها، وإلا  
فسيجمع الله بيننا في أبرك الأوقات.

وأما كتاب الشيخ ابن حمُّ، فإنَّني سأصحبُه معي إلى القلعة، فإن وجدتكم فيها،  
وإلا فسأرجعه وأبعثُه لكم مع البريد.

وتقبلوا أزكى تحيات أخيكم عبد ربه المهدي البوعبدلي.

الحمد لله

والصلاة والسلام على  
رسول الله

إلى الأخ الغاضل المتميز سيد الشير  
آل محمود حفظكم الله وأورعكم وبعده  
فإن أنزلت برسالتكم البريدية ثم  
رسالتكم البرقية وأنتم ساعدتم عشية  
الخميس ٢٨ ديسمبر الجاز إلى القلعة للخط  
في مآتم الأربعاء للمرحوم الشيخ السيد الحاج  
محمد الرقيبي فإن أمثلتم الخلف فبولد، إن اجتمع  
بكم لتفاهم في القلية أمس

وعلى كل حال فإننا عندما عزمنا وزارتنا الاضغاث  
ببيع بعض الكتب وكانت المبيعة التي وقع عليها الاختيار  
بمسئولية وهي تتوقف على نسخ الكتابين  
والمبيعة عندنا نسخ الا، ارسال الكتب لتسنيخ  
بمسئولية ثم ارجاعها اليانا لبيعها فيه تبيع  
للوقت خاتفنا على اختيارنا نسخ هنا نلغه  
بعض المهمة ونعليه اجرة النسخ كالت يتقاه

صورة عن الصفحة الأولى من الرسالة





## [85] رسالة أخرى إليه<sup>(1)</sup>

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.  
حضرة الأخ الفاضل سيدي الحاج البشير آل محمودي الكرام.  
تحية ودادية، وسلاما، وبعد:

فإني أرجوكم أن ترسل لي تاريخ وفاة وازدياد الشيخ المنعم محمد بن آمنة بن دوبة، وكذلك إن أمكنكم إرسال بُذرة من تاريخ حياته، ومسكنه، وتلامذته، وكذلك مشايخه قبل انتقاله للأزهر، وكذلك صاحب (الغوثة) التي دعا فيها على حبوشة الذين آذوه، لأنني أهيمُ كتاب (تراجم علماء الجزائر في العهد التركي)، وابعثوا لي أيضا ما حضركم من ترجمة الشيخ عمر بن دوبة، والفرع المنتقل من سلالته إلى ناحية العطاف، ولكم الفضل، أما قائمة الكتب فإني أتصلتُ بها، وقد كنتُ أرسلتُ للأخ الشيخ سيدي الحاج محمد بابا عمر (المفتي بالجزائر)، لأنني لم أسافر طيلة هذين الشهرين - أي: يوليو وأوت - ولربما أبقى هنا إلى منتهى الشهر لكثرة الأعمال، ولهذا أرجوكم أن ترسل إليهِ القائمة مع بيان الأسعار إلى العنوان الآتي: الشيخ محمد بابا عمر (المفتي بالجامع الأعظم المالكي) الجزائر.

M<sup>r</sup> cheikh **Baba-ameur** (Muphti Grande mosquée), rue de la marine Alger.

لأنّ ولده الأستاذ بالكلية، وكذلك كثير من أئمة الجزائر يجتمعون عنده، وكلهم في حاجة إلى الكتب.

وتقبلوا تحيات أخيك المهدى البوعبدلي.

---

(1) اعتمدنا في إدراج هذه الرسالة على نسخة خطية مصورة تقع في صفتين. (ع)

والسلام  
على رسول الله

الحمد لله

علية الاخ العياض بسيد الحاج البشير  
الحمودي الكرام تحية وداوية وسلاما  
وبعد ما انتموا ان ترسل لي تاريخ وجماعة  
وان زاد ياد السيد المنعم محمد بن آمنة به دور  
وكذلك ان امكنكم ارسال نبذة من تاريخ حياته  
ومسكنه وتلاميذه وكذلك مسانحة من  
انتقاله للازهر وكذلك صاحب الغوثية التي  
لا على حيا على مجموعة الذي آذوه لاننا اهدى  
كتاب تراجم علماء الجزائر من العهد التركي  
وانتم في ايها ما علمكم من ترجمة السيد عمر  
ابن اوية والبرق المتغل من سلالة الـ شامية  
العقاب ولكم العجل اما غايمة اللب ما

صورة عن الصفحة الأولى من الرسالة

## [86] رسالة أخرى إليه<sup>(1)</sup>

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

إلى الأخ الفاضل السيد البشير محمودي.

تحية وسلاما، وبعد:

فإني اتصلتُ برسالتكم المملوءة بالشَّتائم وسوء الأخلاق، لم أكن أعهدُها فيكم وفي أمثالكم الذين لهم تربية دينية، كما كنتُ أتصلتُ بكتابٍ آخر ذكرتم فيه أنّي كنتُ مررتُ على البرج ووعدتُ بالرجوع إليكم لتناولِ الفطور، وأخلفتُ الوعد، وهذا غير صحيح، فإنني لم أزر البرج إلا في يوم وفاة المرحومة زوجة القاضي سي حسن، ومررتُ عليكم وكنتُ أخبرتكم عن الكتابين.

أما الأول: وهو الجزء الثاني من (دليل الحيران) فقد دفعته للمطبعة بالجزائر، حيث قدّم المخطوط للطبع ليصحح عليه، ولربما يطبعون صفحة من الأصل، وعملُ كهذا ليس بالسَّهل، إذ هناك مئات الكتب، وعندما أرجعه يأتيكم.

والثاني: قلتُ لكم إنه بين الكتب، ونظرا لكثرة أسفاري وعدم الفراغ أرسله إليكم أيضا، وليس هو بالأمر المستعجل، إذ شروح سينية أبي راس كثيرة، وهو واحد منها، وها هو أرسلته إليكم، وأخبركم أنّي لا زلتُ لم أتصل برسالة شفاهية، وأخرى كتابية، فيها شتمٌ أو مسٌّ بالكرامة من أيّ كان.

المهدي

---

(1) اعتمدنا في إدراج هذه الرسالة على نسخة خطية مصورة تقع في صفتين. (ع)

مراد الله والرسالة  
على رسول الله

الحمد لله

الرسالة في التفسير البشري  
تحيةة و سلاما و بعد فانه انقلبت  
مرسالكم المماثلة بالثبات ثم وسوا  
الاعلوة لم اكن اعددها فذكرت

استاذكم الكريم في التسمية الاينية

كما كنت ازلت بكتاب آخر ذكرتم  
فيه ان كنت مدرت على البرج و مررته  
بالرجوع اليكم تناولت في ما علفت  
انوم و هذا غير كيو خائف لم ازر  
البرج الا في يوم وغاة المراجعة فزوجة  
العقابي من حسد و مررت عليكم مررت  
اغيرتكم عند الا اية اما الا اول

صورة عن الصفحة الأولى من الرسالة

## [87] رسالة أخرى إليه<sup>(1)</sup>

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

حضرة الأخ الفاضل النبيل الشيخ سيدي البشير محمودي.

تحية وسلاما، وبعد:

فمعدرة عن تأخري بمكاتبتكم.

هذا، وإنكم ستجدون بعض ما طلبتم مني إرساله إليكم، ولم أجد (الياقوتة الوهاجة)، وأظنها من جملة الكتب المستعارة أو التي أرسلتها للتجليد، إذ كنت شرعت في تفسير الكتب منذ مدة، حيث ضاع لي الكثير لضيق الوقت عن تنظيم وترتيب الكراريس، وقد اشتريت أخيرا جلا مكتبة الشيخ الرابعي، كما حصلت على الجزء الأول من حاشية الرماصي على التائي، ووعدني صاحبها بالبيع، وهي نسخة هامة منقولة ومصححة على نسخة المؤلف (رحمه الله)، ودمتم محفوظين، وبلغوا تحياتي إلى الأندجال والأصدقاء، والسلام.

من أخيك عبد ربه المهدي

---

(1) اعتمدنا في إدراج هذه الرسالة على نسخة خطية مصورة تقع في صفتين. (ع)

الحمد لله  
والصلاة والسلام على رسوله

علية الاخي العاقل النبيل الشيخ  
سيد البشير همود محبة رسلا ما  
وبعد عذرة عن تأخره بما قبلكم  
لهذا وانكم ستجدوه معلوماً فليتم  
من ارساله اليكم ولم اجد اليافوته  
الوهاجة والخفاصة هلة الكتب المستغاة  
او التي ارسلتها للتبليد الا كنت فسرعت  
في تسعير الكتب منذ مدة حيث قام بها  
الكثير لخير الوقت عن تعليم وترتيب الكرار  
فوجدت اشترت اغنياً على مكتبة الشيخ الراب  
كما علفت على الجزء الاول ما عاينته  
الرمال على الثاني ووجدت صاحبها باليد  
ولكن نسخة هامة منقولة وماتحة على

صورة عن الصفحة الأولى من الرسالة

## فهرس الموضوعات

- [1] رسالة إلى الأستاذ البشير محمودي ..... 3
- [2] رسالة أخرى إليه ..... 6
- [3] رسالة أخرى إليه ..... 9
- [4] رسالة أخرى إليه ..... 11
- [5] رسالة أخرى إليه ..... 14
- [6] رسالة أخرى إليه ..... 16
- [7] رسالة أخرى إليه ..... 17
- [8] رسالة أخرى إليه ..... 20
- [9] رسالة أخرى إليه ..... 23
- [10] رسالة أخرى إليه ..... 25
- [11] رسالة أخرى إليه ..... 28
- [12] رسالة أخرى إليه ..... 30
- [13] رسالة أخرى إليه ..... 32
- [14] رسالة أخرى إليه ..... 34
- [15] رسالة أخرى إليه ..... 36
- [16] رسالة أخرى إليه ..... 38
- [17] رسالة أخرى إليه ..... 40
- [18] رسالة أخرى إليه ..... 42
- [19] رسالة أخرى إليه ..... 45
- [20] رسالة أخرى إليه ..... 48

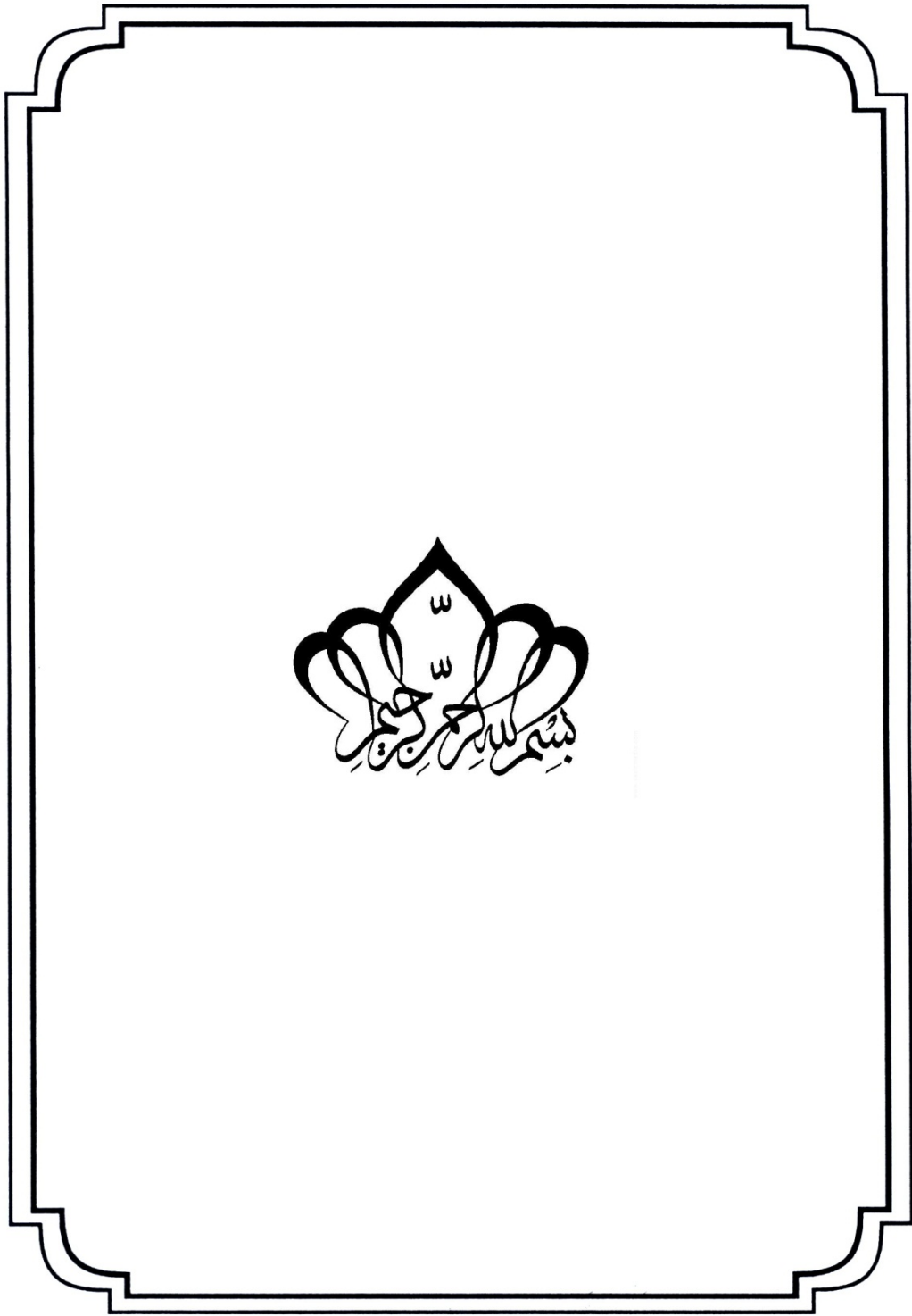
50	[21] رسالة أخرى إليه
53	[22] رسالة أخرى إليه
56	[23] رسالة أخرى إليه
58	[24] رسالة أخرى إليه
61	[25] رسالة أخرى إليه
64	[26] رسالة أخرى إليه
66	[27] رسالة أخرى إليه
69	[28] رسالة من الشيخ البشير محمودي إلى الشيخ المهدي البوعبدلي
71	[29] رسالة إلى الأستاذ البشير محمودي
74	[30] رسالة أخرى إليه
77	[31] رسالة أخرى إليه
79	[32] رسالة أخرى إليه
81	[33] رسالة إلى الأستاذ المولود حبيبي
84	[34] رسالة إلى الأستاذ البشير محمودي
87	[35] رسالة أخرى إليه
90	[36] رسالة أخرى إليه
92	[37] رسالة أخرى إليه
95	[38] رسالة أخرى إليه
97	[39] رسالة أخرى إليه
100	[40] رسالة أخرى إليه
103	[41] رسالة أخرى إليه
106	[42] رسالة أخرى إليه
109	[43] رسالة أخرى إليه



111	[44]	رسالة أخرى إليه
114	[45]	رسالة أخرى إليه
117	[46]	رسالة أخرى إليه
120	[47]	رسالة أخرى إليه
122	[48]	رسالة أخرى إليه
125	[49]	رسالة أخرى إليه
127	[50]	رسالة أخرى إليه
130	[51]	رسالة أخرى إليه
133	[52]	رسالة أخرى إليه
136	[53]	رسالة أخرى إليه
139	[54]	رسالة أخرى إليه
142	[55]	رسالة أخرى إليه
144	[56]	رسالة أخرى إليه
146	[57]	رسالة أخرى إليه
149	[58]	رسالة أخرى إليه
151	[59]	رسالة أخرى إليه
154	[60]	رسالة أخرى إليه
156	[61]	رسالة أخرى إليه
159	[62]	رسالة أخرى إليه
161	[63]	رسالة أخرى إليه
163	[64]	رسالة أخرى إليه
165	[65]	رسالة أخرى إليه
167	[66]	رسالة أخرى إليه

169	[67] رسالة أخرى إليه
172	[68] رسالة أخرى إليه
173	[69] رسالة أخرى إليه
175	[70] رسالة أخرى إليه
178	[71] رسالة أخرى إليه
181	[72] رسالة أخرى إليه
183	[73] رسالة أخرى إليه
187	[74] رسالة أخرى إليه
189	[75] رسالة أخرى إليه
191	[76] رسالة أخرى إليه
194	[77] رسالة أخرى إليه
195	[78] رسالة أخرى إليه
197	[79] رسالة أخرى إليه
200	[80] رسالة أخرى إليه
202	[81] رسالة أخرى إليه
205	[82] رسالة أخرى إليه
207	[83] رسالة أخرى إليه
209	[84] رسالة أخرى إليه
212	[85] رسالة أخرى إليه
214	[86] رسالة أخرى إليه
216	[87] رسالة أخرى إليه
219	فهرس الموضوعات

# الفصل الثامن متفرقات



يشتمل هذا (الفصل) على ما يلي:

- (1) كتابة التاريخ والجوانب التي ينبغي للمؤرخ مراعاتها.
- (2) نشاط البحوث التاريخية حديثا في البحر الأبيض المتوسط وفي العالم.
- (3) صفحات مجهولة من تاريخ التعاون الثقافي بين تونس والجزائر في أواخر العهد الحفصي.
- (4) علاقات الجامع الأزهر بالجزائر بمناسبة عيده الألفي.
- (5) وحدة المغرب العربي عبر التاريخ.
- (6) لقطات من تاريخ انتشار الإسلام والثقافة العربية في القارة الإفريقية عبر العصور.
- (7) لقطات من الثمرات الإيجابية للتعاون الثقافي بين بلدان إفريقيا الشمالية والبلدان الأوربية في حوض المتوسط عبر التاريخ.
- (8) بعض اللقطات الإيجابية للتعاون في الميادين الثقافية والاجتماعية والاقتصادية بين دول شمال إفريقيا ودول جنوب أوروبا: (بالفرنسية).
- (9) أغناتي كراتشوفسكي وآثاره في الاستشراق العربي.
- (10) آثار الحضارة الفارسية وتطورها في العهد الإسلامي.
- (11) البيعة والشورى في الإسلام وتطورها عبر التاريخ.
- (12) آثار التبشير المسيحي في الجزائر قبل الاحتلال الفرنسي وبعده.
- (13) شارل دو فوكو أو فشل مبشر: (باللغة الفرنسية).
- (14) الساقية الحمراء، ماضيا وحاضرا.
- (15) ماضي وادي الذهب والساقية الحمراء وحاضرها.
- (16) جوانب من تاريخ الساقية الحمراء ووادي الذهب.

- (17) حالة المسلمين في الاتحاد السوفياتي ويوغسلافيا.
- (18) الأعباس في الجزائر.
- (19) التعلّيق على وثيقة حكم بصحّة ثبوت شرف.
- (20) خطاب المدرسة الخلدونية.
- (21) خطاب الشّهاب.
- (22) خطاب بمناسبة تعيينه مفتيا بمدينة بجاية.
- (23) خطبة عيد الفطر الأولى والثانية.
- (24) خطبة عيد الأضحى.
- (25) سان لو [بطيوة].

# كتابة التاريخ والجوانب التي ينبغي للمؤرخ مراعاتها<sup>(1)</sup> للشيخ المهدي البوعبدلي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هذا، ولما كانت الأمم معظمها تنقسم إلى أمم متقدمة راقية، وأمم متخلفة منحطة ماديا وأدبا، وكان ملتقانا هذا لا يسع مجاله لطرق هذا الموضوع بما يتطلبه من البسط والتفصيل، فإنني أقتصر على ما يتطلب من المؤرخ الجزائري، إذ إن تاريخ الجزائر وإن كان محلّ اعتناء كثير من الباحثين - مسلمين وأجانب - إذ اجتازت الجزائر في تاريخها عدّة عوامل قبل الفتوحات الإسلامية وبعدها، فكانت محلّ عناية كثير من المؤرخين، فقبل الفتوحات الإسلامية كانت الجزائر مرتبطة ببلاد المغرب العربي وحوض البحر المتوسط، وكان تاريخها بالطبع مرتبطا بالدول التي تداولت حكمها: القرطاجيون، ثمّ الفينيقيون فالرومانيون، ثمّ البيزنطيون الذين أدركتهم الفتوحات الإسلامية، وقد خصّص المؤرخون هذه العصور بتأليف قيمة، إلا أنّهم غفلوا عن تاريخ السكّان الأصليين الذين كانوا يُعرفون بالبربر، وقد شدّد من بين المؤرخين المتأخرين واحد منهم اهتمام بتاريخ البربر، وهو المؤرخ الفرنسي (Stephane Gsell) فخصّص [فصلا] للسكّان الأصليين الذين كانوا يُعرفون بالأهالي (Les indigènes) ذكر محاسنهم

---

(1) دفاतर التاريخ المغربية: عدد: 2، مارس 1988م، مخبر تاريخ الجزائر وإفريقيا وحوض البحر المتوسط الغربي، جامعة وهران، معهد علم الاجتماع. (ع)

ومساويهم، مركزة على الآثار المادية وما يعبر عنه في عهدنا هذا بالحياة اليومية.

وبعد الفتوحات الإسلامية وانتشار الدين الإسلامي كانت بلاد الجزائر تابعة للخلافة الإسلامية المركزية، ثم ظهرت دول انفصلت عن الخلافة الإسلامية المركزية، ك: الدولة الرستمية ب: تيارت، ثم ظهرت الدولة الشيعية، وكل من الدولتين لهما مذهب عقائدي يختلف مع المذهب العقائدي للخلافة المركزية.

ثم ارتبطت الجزائر بدول المغرب العربي، وبالأندلس في عهد دولة مغراوة، وعهد المرابطين الألمتونيين، ثم في عهد دولة الموحددين، وكل من هذه الدول تركت بصماتها الحضارية والثقافية والحربية بالبلاد.

اعتنى كثير من المؤرخين بماضي الجزائر، فخصصوها بتأليف قيمة، أحصوا فيها آثار هذه الدول السابقة الذكر، وخصوصا عواصمها الخالدة والمندثرة، أمثال: تلمسان، وبجاية، ووهران، وعاصمة الجزائر، وقسنطينة، وقلعة بني حماد، والمسيلة، ومعسكر، وتاهرت، وما إلى ذلك.

بقي لنا أن معظم هذا التراث ضاع ولم يصلنا منه إلا بعض عناوين تأليفه، ثم بعد انحلال دولة الخلفاء الموحددين المركزية تقاسم عمالها بلاد المغرب العربي، فكان نصيب بني مرين المغرب الأقصى، وبني زيان قسما من مملكة تلمسان والجزائر الشرقية، وبني حفص تونس والقطاع القسنطيني - خصوصا عاصمة بجاية -.

وإنني نظرا لما يتطلبه الموضوع المحدود المجال أتجنب الدخول في التفاصيل، وأكتفي بمجرد الإشارة إلى الخطوط العريضة من تسلسل هذا التاريخ، بقي لنا أنه بعد جلاء الأندلسيين من بلاد الأندلس شن الصليبيون حملتهم المسعورة على شواطئ المغرب العربي، واحتلوا كثيرا من مدنه: العرائش، سبتة، مليلية، ووهران، بجاية، فتونس، كان التراث الجزائري هدف الغزاة الصليبيين، ومن ذلك ما اتفق عليه المؤرخون أن أسقف



طليطلة كسيمينيس لما احتلَّ مدينة وهران - وهو قائد الأسطول البحري - كان مرتدياً بذلته العسكرية برتبة أميرال وعندما احتلَّ البلاد استبدل بذلته العسكرية ببذلة دينية - كاردينال - وقصد رأسا المسجد الأعظم بوهران فاستولى على كتب خزائنه، ولا نكرُّ ما لاقاه الكتاب العربي في كارثة الأندلس، واحتلال تونس وبجاية من طرف الإسبان الذين لو ساعدتهم الظروف لمحو كل أثر عربي، وإن رأينا بقاء كثير من الآثار كمسجد طليطلة، ومنازة إشبيلية ... (1).

وبعد ظهور أسطول الأخوين عروج وخير الدين فقد تغيَّرت الأوضاع، وصارت الجزائر مرَّة أخرى تابعة للخلافة الإسلامية العثمانية، وكان موقف الأتراك - وخصوصا الخلافة الإسلامية - في ميدان التراث الإسلامي يكتب بمداد الفخر، حيث إن باشا الجزائر حسن بن خير الدين الذي خلف والده الذي كلَّفه الخليفة العثماني بقيادة الأسطول الحربي بواقعة القرم، فحينئذ كان إمام المسجد الأعظم المالكي هو الرئيس الديني بكامل البلاد، وبالطبع كانت المساجد هي مستودعات خزائن الكتب، كلَّف الباشا حسن بن خير الدين الإمام محمد بن علي الخروبي برئاسة المذهب المالكي - أي: التصرُّف في الأحباس وريعها، وتعيين رجال السُّلك الديني - وكان المذهب الرِّسمي العقائدي (2) للخلافة العثمانية المذهب الحنفي، كانت الشخصية الثانية في تشريفات الخلافة المركزية ب: اسطنبول شيخ الإسلام الحنفي، وينوب [عن] شيخ الإسلام الحنفي بالدُّول التابعة للخلافة العثمانية مُفتين حنفيين تعرَّف لهم تشريفات الخلافة بأنهم هم الذين يلون الباشاوات في الرِّياسة، إلا أنَّ الباشا حسن ترك التصرُّف

---

(1) كذا، ويظهر بأنَّ المحاضرة نُقلت مبتورة في بعض المواطن، وسيقف القارئ على نماذج من ذلك.

(ع)

(2) كذا، ولعلَّه سبق قلم، والصَّواب: «الفقهي». (ع)

التام للإمام المالكي في المساجد، والخزائن والملاجئ الخيرية لها قوانين خاصة بها، ولم يأذن ببناء المساجد الحنفية بالتراب الجزائري إلا في المدن التي يسكنها الأتراك، أمثال: المدية، والبليدة، وما قيل في المفتين والأئمة كان يجري للقضاة.

كان مركز المفتي الحنفي الجامع الجديد، وكانت خزانة الدولة بالمسجد المذكور - ولا زالت من هذه المكتبة بقية إلى اليوم - أما المسجد المالكي فكان للخزانة محافظين، كما احتفظ لنا التاريخ بعدة قوائم كان المفتون والأئمة ينشرونها من ريع بائعيها، وقد بقيت منها بقية ضئيلة خصصها المرحوم محمد بن شنب (الأستاذ بجامعة الجزائر في عهده) بـ (فهرس) طبع وهو متداول عند الناس.

هذه الخطوط العريضة ولو كانت غير داخلية في صلب الموضوع إلا أن كثيرا من الحاضرين لا يمكنهم تتبع موضوع الدراسة وفهم حقائقها إلا بهذا التقديم، ولهذا قيّدت موضوع دراستي فيما يجب أن يُراعيه كاتب التاريخ ببلاد الجزائر، إذ لا يمكن حتى بالنسبة لسكان المغرب العربي أن يتبعوا المنهج الذي نتبعه نحن في الجزائر، فالمغرب الأقصى وتونس احتفظا بآثار بلادهم، فلم تُصب بلادهم بالاستعمار والحكم المباشر، كما أنّ أهاليهم وقاهم الله من هجرة وطنيهما، فخزائن الكتب الخاصة والعامّة احتفظت بالكثير من كتبهم، كما أنّ بيوتات العلم والثقافة العربية وإن أصيبت في صميمها فذلك يخالف كثيرا الجزائر التي صودرت أحباسها بالتّام، كما صودر ما تبقى من تراثها، وأتمت المساجد<sup>(1)</sup>، وبعض المدارس، والمحاكم الشرعية، بجرة قلم، وهذا كلّ مسجّل يحتفظ به التاريخ، وفي هذه الأيام أو الشهور الأخيرة صدر تأليف قيمّ للعالم المؤرّخ الفرنسي أجرون (Ch.R.Ageron) تحت عنوان: (الجزائر الجزائرية من عهد نابليون إلى عهد شارل دوقول)، تعرّض فيه بإيجاز إلى مساعي غلاة المعمرين

(1) لم يتبين لنا المراد في الأصل المنشور، فحاولنا نقله بالمعنى. (ع)

الذين كانوا يسيطرون على الحكم بالجزائر، وحاولوا نزع كل ما تبقى للجزائريين مما يربطهم بماضيهم، خصوصا محاولات لجنة مجلس الشيوخ الفرنسي التي كان يرأسها الوزير (Jules Ferry)، والتي زارت الجزائر سنة 1882 وباءت بالفشل، وهو كتاب قيم ومصدر من المصادر الهامة، وهو من المصادر التي ينبغي أن يراجعها كل من حاول كتابة تاريخ الجزائر، وإني على كل حال - اسمحوا لي نظرا لما قدمته من اعتذار - أقتصر على نماذج أعززها ببعض الوثائق الأصلية مصورة ليراجعها المعنون بالأمر، إذ هي مفيدة جدا، ومدعمة بحجج وبراهين، نحن في حاجة إلى إعادة النظر في تاريخ بلادنا، لا فيما يخص الناحية السياسية أو الاقتصادية، بل وحتى الثقافية، إذ إن تاريخنا تعرض للتشويه، ويجمع كثيرا من الافتراءات والأكاذيب، حيث حاول بعض الكتاب خصوصا عند الاحتفال المئوي بالاحتلال أن يجردوا الجزائر من عروبتها وماضيها الحضاري والثقافي والعقائدي، وقد أمكن لهم بفضل وسائل الإعلام التي كانوا يتصرفون فيها كما يشاءون، وبالقوانين الاستثنائية الجائرة، وبالإغراء والتضليل أن تفعل [هذه الأمور] مفعولها السيء في أوساط البسطاء المتفرنجين، الذين استقوا معلوماتهم من غير المصادر الأصلية، ومع الأسف إنَّ جُلَّ كتابنا الذين حاولوا إحياء تاريخ البلاد في العهد العثماني ومقاومة الأمير عبد القادر التي طالت حوالي 17 سنة تسربت إليهم أخطاء وأغلاط وتشويهات، وإن كنا لم ننس فضل بعض الكتاب خصوصا عندما رفع الحجر عن طبع مذكرات قادة الجيش الفرنسي بمناسبة الاحتفال المئوي، فطبعت ووزعت على بعض الخزائن الرسمية، إذ إن قارئها بما كتبه المؤرخون - خصوصا الفرنسيين - نجدتها تختلف تماما معها، إذ أثبت بعض أصحاب هذه المذكرات الذين كانوا يرسلون تقاريرهم إلى وزير الحرب الفرنسي رأسا، ويدينون قادة الحرب الذين حاولوا تبديل هزائمهم بانتصارات، ومن بينها أول معركة وقعت بين الأمير والجنرال تريزيل بـ (وادي المقطع)، و(واقعة وادي تافنة) التي كان يرأسها المارشال

بيجو، ثمَّ آخر معركة بين الأمير والكولونيل دومنتنيك (De Mentagnac)، وخصَّصها المارشال أزان بتأليف قيِّم جمع فيه جُلّ الوثائق الرّسمية المنقولة من مستودعات الوثائق بوزارة الحرب، وأتمَّ فيها الأمير بأنّه أعطى الأمر لقتل مائتي أسير فرنسي، وسَمَّى أزان (Azan) تأليفه هذا بـ : (سيدي إبراهيم)، موقع المعركة، وأدان فيها المارشال بيجو.

والخلاصة أن الأمير عبد القادر كانت حربه مع الفرنسيين حرب كُرّ وفرّ، وموارده في العتاد والرجال محدودة، سجّل له التاريخ انتصارات باهرة من بدايتها (معركة وادي المقطع) السابقة، ونهايتها (معركة سيدي إبراهيم).

نكتفي بهذا الموجز فيما يخصُّ حرب الأمير وما يحيط بها من غموض، وافي وأن حرب الأمير المرتبطة بتاريخ الجزائر خصَّصها المؤرِّخون ومعظمهم من الضُّباط ورجال الحكم الفرنسيين بمئات التآليف، إلّا أنهم اعتمدوا فيها مصادر فرنسية، وقد ظهرت بعض الدّراسات الإسلامية معظمها منقولٌ من الوثائق الأجنبية، وحتى تأليف حفيد<sup>(1)</sup> الأمير (تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر) فإنَّ معظم مصادره منقولة من المصادر الأجنبية، ومع هذا فقد اكتشف لنا التاريخ وثائق هامة أصلية تتعلّق لا بتاريخ الحرب فقط بل تلقي أضواء على تاريخ البلاد الجزائرية السياسي والثقافي والظروف التي نشأ فيها ورافق فيها والده الشَّيخ محيي الدين إلى الحجِّ وبقي معه سنتين زارا خلالها بغداد، واتّصّاله بعلماء تونس ثمَّ علماء مصر وبغداد، وهذه الرّحلة كانت معلومة عند المؤرِّخين وإنَّها هي مجهولة في تفاصيلها، فألقى عليها الأضواء برسالة أشرف على كتابتها عندما كان مسجوناً بـ : (قصر أمبواز)، واكتشفت هذه الرّسالة بعد استقلال الجزائر عند جاك شوفالي (شيخ بلدية الجزائر، ونائب وزير الحرب في عهده)، وما علم

---

(1) كذا في الأصل، والصواب أنه لابنه لا لحفيده. (ع)

بقيمتها إلا عند زيارته للجزائر بعد الاستقلال مباشرة، أهداها لوزير المجاهدين في عهده بوعلام بن حمودة الذي أهداها بدوره إلى (المكتبة الوطنية) لخبّر يطول، وعلى كلِّ حالٍ أخذَ منها الأخ وزير الثقافة صورة بمناسبة زيارة وفد وزراء الثقافة العرب إلى الجزائر، ونشر القسم الأول منها بـ: (مجلة آمال)، وهذه الوثيقة الأصيلة تعدُّ من أثنى المصادر لا لترجمة حياة الأمير بل لتاريخ الجزائر، خصوصا الثقافي، إذ ذكر فيها الأمير سند جدّه الشيخ مصطفى بن المختار مؤسس (معهد القيطنة) بعلماء البلاد الإسلامية شرقا وغربا، كما اكتشف أثر هامُّ يلقي أضواءً على حياة الأمير ورفقائه في منفاهم، أو سجنهم بقصر أمبواز، وهو عبارة عن استغاثة ألّفها كاتبه وقريبه الشيخ مصطفى بن التهامي الذي تولّى قيادة منطقة معسكر ثم قيادة منطقة تلمسان، وترأس المعركة الأخيرة للأمير، وهي: معركة سيدي إبراهيم، السابقة الذكر، وكانت هزيمة شنعاء خسر فيها الجيش الفرنسي ما يربو على الأربع مائة قتيل وأسير، وهذه الاستغاثة ضمّنها صاحبها حالة الأمير ورفقائه في سجن أمبواز وهي تربو على 357 بيتا، وقد اطلعت أخيرا على شرحها من طرف أحد أقارب حفيد الشيخ مصطفى بن التهامي هاجر آباؤه إلى المغرب بعد الاحتلال الفرنسي مباشرة، ويمتاز هذا الشرح بتعرُّض صاحبه للظروف التي أنهى فيها الأمير حربه مع الفرنسيين.

وعلى ذكر حرب الأمير والوثائق التي يعتمدها المؤرِّخ، فإن هناك (مذكّرات) كتبها أصحابها، وصفوا فيها معارك وكانوا نزهاء، إذ لم يدعهم الغرور والتباهي بنكران الهزائم ولا حالة الضعف، نكتفي بإثبات بعض الفقرات منها، وهي كسابقتها أصلها مصوّر، ولأهميتها ونزاهة كاتبها أنقلها حرفيا وأهدي نصّها المصوّر الذي أخذته منذ سنوات من خزانة العالم الفاضل الشيخ عمرو مخلوفي الإمام في عهده بمسجد حي مارفال: «نزلنا في المسار وصار بنا في تلك الليلة ما صار، بكثرة البرد والوحل والظلمة والحجر، ثم ارتحنا في آخر الليل ونزلنا بمدينة تلوانت عند الصباح، والريح عاصفة

والبرد شديد، فلما أقبل الليل زاد المطر مع الريح والبرد المستمر كذلك إلى تمام سبعة أيام، ونحن خائفون في إغارة صاحب مستغانم علينا، إلا أنه لم يبق بين المكان الذي نحن فيه وبين مستغانم داع، لأن بني عدو انحازوا إلى جهة الشرق، والبرجية نزلوا بمستغانم، وبقيت بلادهم خالية، فلما رفع الله ذلك المطر وانقطع البرد خرج صاحب مستغانم ومعه المازري وولد المخفي ونزلوا بأبيار العمري قاصدين لبني شقران وسجراة والبرج وبني عدو وغيرهم، فسَلَطَ اللهُ عليهم الثلج والبرد والريح، فرجعوا إلى مكانهم وبقي الثلج مستمرًا لا يكاد ينقطع طرفة عين إلى تمام ستة أيام، فانقطع وبقي منتشرًا على وجه الأرض زمانًا طويلًا، نحو الخمسة عشر يومًا، وأما الباقي من بني شقران وبقي الثلثين من غير ثلثنا في البلد صابرا لعدم قدرتهم على الهجرة لكثرة المطر والثلج، وأما ثلثنا الذي وعدناه في احساين فتربَّصَ لنا، فحين لم يظهرُوا هم ارتحلوا، وقد ركد أمر السلطان وضعفت قوَّته بسبب تفرُّق الناس عليه، واشتغالهم بأنفسهم وأهلهم وماهم، وصارت فرق النصارى يتخبَّطون، يغيرون على مَنْ خالف أمرهم، فصاحب تلمسان يُغير على مَنْ بَعَمَّالتهَا وامتنع منه، والسلطان مقابل له يراه بعينه ولا يقدر على ردِّه، وصاحب أم عسكر كذلك، وخليفة السلطان مقابل له كذلك ولا قدرة له، وصاحب مستغانم ليس له مقابل، رأت قبائل العرب إغارة الكافرين عليهم، وأخذ أموالهم وهتك حریمهم، فأذعنوا بالسَّمع والطاعة، فتحيَّر مَنْ كان خارج وطنه مثلنا، فسِرنا إلى الخليفة الحاج مصطفى [الذي كان] نازلا فوق الجبل الذي فوق سيدي علي بن عומר، فساررناه وأخبرناه بما كان من طاعة قبائل الشرق، فقال لنا: الناس يحدعونكم، فارجعوا إلى وطنكم، واجمعوا بني شقران وأمرؤهم بالهجرة، وأنفقنا على ما أراد، إذ زال علينا المطر، وذهب الوَحْلُ مِنَ الطرقات، وذهبنا بأنفسنا إلى بلاد القطارنية، فأنفقنا نحن وإياهم على الجمع بيننا هنالك، فإذا بالغرابة وبني عامر وأصحاب واد الحمام أذعنوا للكفار بالطاعة، فضاق علينا الحال، وانقطعت السُّبل علينا، فرجعوا مَنْ كان في بلاد القطارنية، ونزلوا جبل بوزبري، ثم رجعوا إلى مواطنهم

- أي: فكلُّ واحدٍ لزم مَوْضِعَهُ صابِراً يَرجو عَفْوَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَعَلَى الْمُسْلِمِينَ - وصارت فرق العرب تدخلُ في طاعتهم أَحْبَبُوا أَمْ كَرِهُوا، حتى تَمَّ ملكهم على ملك الترك السَّابِقِينَ لهم، وقد انحاز السلطان إلى قبائل بني ازناسن وصار يبعثُ للسلطان الأعظم مولاي عبد الرحمن إلى أن يعينه ويحميه، فلم يلتفت إلى مقاتلته، ولم يعنه بشيء، والله أعلم بحاله ما الذي حملَه على عدمِ الإِيعَانَةِ، وَلَا أَخَذْتَهُ غَيْرَةً عَلَى الْإِسْلَامِ فِيهِ، لَمْ (كَذَا) للسلطان منه شيء، ورجع إلى نواحي المشرق من جهة القبة يمشي ويقوم في مواضع الأمن، وينظر في تدبير ماذا يفعل، وكان خليفته الحاج مصطفى انحاز بالحشم الغرابة إلى جهة الجعافرة، فيغير الكافرين عليهم المرّة بعد المرّة، حتى قبض أكثرهم رغماً عليهم، ولم ينج إلا الخليفة وأهله، والقليل القادر، ثمَّ اجتمعوا مع السلطان في ناحية القبلة فصاروا دائرة واحدة، ثمَّ خرج صاحب أم معسكر وقصد إلى الحشم الشراقة وأرسل إلى صاحب مستغانم أن يخرج ويكون اجتماعهما في ناحية تاقدمت، فلما اجتمعا أغار صاحب أم معسكر على فرندة وما حولها، وأقام بها أياماً يعبر يمينا وشمالاً حتى جمع أموالاً لا يحصي العادُّ عدّها، وخلقا عظيماً، فأذعنت تلك القبائل للدخول في زمرته والطاعة له، فردَّ لهم ما أخذَ منهم، ورجع إلى مكانه، فصارت العرب من غيرهم تلحقه في مَوْضِعِهِ وتدخل تحت طاعته، وأما صاحب مستغانم فرجع إلى نواحي فليته وعكرمة ومازونة وجميع نواحي الظَّهْرَةِ فذهبت في طاعته سبعة عشر فرقة على ما أخبرنا من شَهِدَ ذَلِكَ، ثمَّ رجع إلى موضعه فرحاً مسروراً بدخول الناس في طاعته، ثمَّ مكث كلُّ واحدٍ منها أياماً في موضعه، والزنادقة تمشي برسائله إلى من لم يدخل في طاعته من العرب، ويظهر لهم الخوف منهم، ويقولون أهل جنود ودالة ومددهم.

المهدي البوعبدلي





## نشاط البحوث التاريخية حديثاً في البحر الأبيض المتوسط وفي العالم (1)

مما لفت أنظار الباحثين المعاصرين في الدراسات الإسلاميّة، اهتمام نخبة من المستشرقين أضفوا على هذه الدراسات صبغة خاصة، وبوأوها مكاناً رحباً بين الدراسات المنبثقة من مختلف الحضارات، التي تركت بصماتها في بلدان حوض البحر الأبيض المتوسط، مثل الحضارات اليونانية والفينيقية والرّومانية.

هذا، وإن كان اهتمام المستشرقين في دراساتهم للثقافة الإسلاميّة، والفن المعماري وبقية الفنون الجميلة يرجع عهده إلى ما يقرب من ألف سنة، فإن الظاهرة الجديدة التي يشملها موضوع حديثنا الليلة، هي كما يدل عليها عنوان المحاضرة: (نشاط البحوث التاريخية حديثاً في بلدان البحر الأبيض المتوسط وفي العالم)، نجد جانباً من هذا النشاط يتجلى في المؤتمر الأول لدراسات البحر الأبيض المتوسط، وتأثير الحضارة العربية - البربرية الذي انعقد في أفريل 1972 بجزيرة مالطة.

ثم عزز بالمؤتمر الثاني، الذي سينعقد في هذا الشهر - أي: ما بين 29 سبتمبر الجاري والرابع أكتوبر بالجامعة المستقلة - في مدينة برشلونة الإسبانيّة، تحت إشراف: (الجمعية

---

(1) مجلّة (الأصالة)، العدد: 57، ص: (2 - 14)، السّنة السّابعة، جمادى الثانية 1398هـ/ماي 1978م، واعتمدنا في تصحيح بعض تصحيقاتها على نسخة خطية تقع في (46 ص)، وأصل هذه المقالة محاضرة ألقاها الشّيخ المهدي (رحمه الله تعالى) في المركز الثقافي الإسلامي بالجزائر العاصمة بتاريخ 19 سبتمبر 1975م. (ع)

العالمية لدراسة مدنيات البحر الأبيض المتوسط) التي أطلق عليها بالفرنسية:

« Association Internationale d'Etudes des Civilisations Méditerranée »

وستفتح أعمال هذا الملتقى تحت رئاسة شخصية بارزة لها مكانتها في الاستشراق العالمي، وهي شخصية العالم الإسباني قارسيا قوميز (Garcia Gomez) وإشراف علماء أجلة منهم (Rouald Syme) رئيس المجلس العالمي للفلسفة والعلوم الإنسانية.

يشمل جدول أعمال هذا الملتقى دراسة امتداد وانتشار الحضارة الإسلامية وآثارها، من بين دراسات الحضارات اليونانية والفينيقية والرومانية، التي اجتاحت هذا القطاع ويتناولها بالبحث هذا الملتقى، وسيشارك في الأعمال وفد جزائري من بين أفراد الدكتور محمد أركون الأستاذ بجامعة الصوروبون، وقد وجه المفكر الفرنسي المعروف (Paul Charnay) بهذه المناسبة إلى الأساتذة المشاركين في المؤتمر دراسة عنوانها: (حول روح الجمعية)، حلل فيها أهداف الجمعية التي تبنت المؤتمر، قال فيها: «من الناحية التاريخية والجغرافية والفكرية، كان الحوض الغربي، من البحر الأبيض المتوسط، هو ملتقى النقاط، الذي تواجدت فيه ألع حضارات الحوض الشرقي، والطاقت الجديدة التي جاء بها المسلمون، وبعبارة أدق يمثل هذا الحوض المنطقة الجامعة التي تمت فيها إحدى التحولات الكبرى التي عرفها العالم الحديث، ومن شأن هذه الملاحظة البسيطة أنها تفرض بعض الاتجاهات في مستقبل أبحاث الجمعية، وبالفعل، فإنه يتعين على هذه الهيئة أن تجتنب الدراسات المتعمقة الضرورية حول كل من الحضارات التي تهمها، من أن تتجزأ إلى فروع متخصصة، رابضة في ميادينها المختلفة، قليلة الاتصال ببعضها، وباختصار يجب أن لا تكون الجمعية مجرد أجزاء متجاورة، ألا ينبغي إذاً أن نبحث من الآن عن بعض عناصر مشتركة للتفكير في المستقبل؟ ألم يكن هذا التكديس التاريخي الذي، أشرنا إليه آنفاً، والذي يستعرض الآن لنظرة الملاحظ التركيبية محتوى كالرشيم

في تعاقب الحضارات؟ أم هو ليس ناتجا إلا عن مجرد عوامل عارضة؟ ومن هنا تبدو ضرورة وضع الأوتاد عسانا أن نتيّن فيما بعد.

(أولا): هل أن مختلف الحضارات التي اجتاحت هذه المناطق الجغرافية، تحملها شعوب متغايرة ومختلطة في آن واحد، أم لا علامات مشتركة بينها، إذا وما هي؟ ومن هنا يتعيّن علينا أن نتيّن هل هذه العلامات المشتركة المحتملة، ناتجة عن عوامل متفكّكة صدفية؟ أم هي على العكس عوامل متجانسة فرضت نفسها في هذا النطاق الجغرافي على الشعوب المتواليّة التي استوطنته؟

(ثانيا): وهل تبدو أيضا سمات مشتركة للحضارات المختلفة في الانتقالات بين الواحدة والأخرى، وفي كيفيات تغييرها، وبعبارة أخرى ومن ناحية في كيفية تألفها وتوسعها، وفي قاعدتها الديمغرافية والجغرافية، وتنقلها أحيانا، وانحطاطها بعد أن تبث بعض مقوماتها إلى التي تليها من الحضارات؟

وختم دراسته بقوله: «من شأن هذه المناظرات أنها قد تعين على إيجاد عناصر من النقد العلمي والميتودولوجيا (Méthodologiques) تمكن من ربط الاتصالات بين مختلف فروع الجمعية».

ومما يضاف لهذين المؤتمرين، مؤتمر ثالث لا يقل عنهما أهمية، وهو الذي انعقد في السنة الماضية تحت إشراف (المركز الوطني للبحث العلمي) بباريس:

Centre National des Recherches Scientifique

وكان مقر الاجتماع بـ (الكوليج دو فرانس) (College de France)، وموضوعه: دراسة طرق البحث عن الوثائق المجهولة من مصادر تاريخ البلاد العربية في فترة ما بين القرن السادس عشر والقرن العشرين الميلاديين.

(Les archives et les sources inédites d'histoire des pays arabes 16<sup>e</sup> et 20<sup>e</sup> siècles)

كان المشرفان على هذا الملتقى المنعقد في شهر أفريل 1974 الكاتب الشهير الأستاذ جاك بيرك، وزميله دومنيك شوفالي أستاذ البحوث بـ (المركز الوطني للبحث العلمي)، بـ (معهد التاريخ) في (جامعة الصوروبون) كان عدد المشاركين في ملتقى باريس هذا يربو على خمسة وثلاثين أستاذا، معظمهم يمثلون ويديرون أشهر الجامعات، والمعاهد، والمكتبات، ومراكز الوثائق، والمحفوظات، ومن بينهم مديرو كثير من الجامعات بالبلاد الإسلامية كجامعات مصر، والسودان، وتونس، والرباط، وسوريا، والعراق ولبنان وقد عين الملتقى فرعاً لبلاد المغرب العربي مقره عاصمة الجزائر، وأسندت أمانته العامة إلى الأخ محمود بوعياض (مدير المكتبة الوطنية)، وأحد أعضاء الوفد الجزائري المشارك في الملتقى.

قُدمت في هذا الملتقى دراسات قيمة، بيّن فيها أصحابها الطرق التي ينبغي أن تتبع للتنقيب عن هذه الوثائق، واستعمال الوسائل العلمية الحديثة لتصويرها أو نقلها، حتى يمكن للباحثين الاستفادة منها، كما خصّص بعض الباحثين دراسات عن الخزائن العامة والخاصة وبعض المحاكم الشرعية، وبصفة عامة جميع الموضوعات التي توجد فيها هذه الوثائق وما يمت لها بصلة، ومع ملاحظات الكثير منهم، إلى الصعوبات التي يتعرض لها الباحثون، عند محاولاتهم الحصول أو الإطلاع على هذه الوثائق بجهات عدّوها، والتمسوا من المشرفين على الملتقى أن يسعوا بدورهم في تذليل هذه العراقيل.

ولا يفوتنا أن نذكر أن ملتقى باريس هذا، امتاز، بأنه علاوة على الأساتذة المشاركين بدراساتهم ومناقشاتهم التي أعقبت تلك الدراسات، امتاز، بحضور نخبة من أساطين العلم المشهورين، عين أفرادها أعضاء باللجنة الشرفية، التي أسند لها الإشراف على الملتقى ورعايته، فكان أفرادها يتداولون رئاسة الملتقى ويشاركون في مناقشاته، رغم شيخوختهم وهرمهم، إذ جلهم بلغ من الكبر عتياً، وقد جمعت كل هذه الدراسات في

سجل هو الآن تحت الطبع، ويمكننا أن نضيف لهذه المؤتمرات الثلاثة مؤتمر رابع انعقد في منتصف يونيو 1959 بمركز البحوث العالمية المتخصصة في دراسة تاريخ الأديان المساوية بمدينة ستراسبورق الفرنسية (Strasbourg)

(Centre d'Etude Supérieures Spécialisé d'histoire des religions de Strasbourg)

كان موضع البحث فيه: (دراسة المذاهب الإسلامية)، أي: الفرق العقائدية، لا المذاهب الفقهية، كان المشاركون في هذا المؤتمر مستشرقين مشهورين بالتخصص في المواضيع اللاتي تناولتها دراساتهم، وهم الأساتذة: كلود كاهن (Claude Cahen)، ولويس ماسنيون (Luis Massigon)، ولويس قاردي (Luis Gardet)، وجورج قاجدا (Georges Wajda)، وهم كلهم فرنسيون.

كما شارك المستشرق الإيطالي فرانسيسكو قابريالي (Francesco Gabrielli)، والمستشرق البلجيكي (Abel)، والاستاذان: هاملتون جيب (Hamilton Gibb)، وستان (Stan)، الممثلان لجامعتي: هارفارد (Harvard) الأمريكية، وأكسفورد الإنكليزية.

وما دام حديثنا عن ظاهرة مؤتمرات البحر الأبيض المتوسط التي ذكرنا بعضها على سبيل المثال لا على سبيل الحصر، نلحق بهذه المؤتمرات الأربعة مؤتمرا خامسا نختم به هذا الفصل - أي: القسم الأول - من المحاضرة، وهذا المؤتمر الخامس والأخير كان يختلف عن سابقه التي تحدثنا عنها، إذ كان خاصا بمستشرفي إيطاليا، ولأن هدفه كان يتفق في موضوع بحثه مع المؤتمرات السابقة، حيث انعقد للإشادة بالثقافة العربية في تكريم شخصٍ يمثل الفكر العربي المعاصر.

عقد المستشرقون الإيطاليون في بلادهم هذا المؤتمر بمناسبة الاحتفال بذكرى عيد ميلاد عميد الأدب العربي طه حسين الخامس والسبعين، وأهدي له كتاب دراسة

وتكريم، ووصف هذا الكتاب في الرسالة التي وجَّهها إليه بقولهم: «في هذا الكتاب درسنا وناقشنا عمك العلمي والأدبي دراسةً حرَّةً طليقة واعية... الخ»، ولربما كان بعض هؤلاء المحتفلين بهذه الذكرى لا يتفقون مع طه حسين في جميع نظرياته، ولكن هذا لم يمنعهم من الاعتراف بقيمة الرجل وبتناجه الثري الخصب.

وقد أشار إلى هذه الخلافات عميدهم (Gabrielli) في تقديمه لكتاب التكريم، فقال مخاطباً طه حسين: «لقد سمح صديقك كاتب هذه السطور لنفسه أن يختلف معك في الرأي في بعض الأحيان، سالكا - كما تعلم - طريق المعاناة والتجربة المباشرة، ولكن أحدا لا يستطيع أن ينسى أنك خضت باسم حرية النقد، أجمل معارك حياتك، وضربت في ذلك الصراع مثلاً، لا زال محل التقدير في الشرق والغرب على السواء، وهو مثَّل استمسكنا به بكل قوانا في جانبنا».

أما تحليل إنتاجه الأدبي والتاريخي فقد تناوله بالنقد والتمحيص، المستشرق الشهير دولا قيذا، الذي شارك زملاءه الإيطاليين في هذا المؤتمر وقسم إنتاج طه حسين إلى قسمين رئيسيين:

**القسم الأول:** هو القسم الفني، المتضمّن كتاباته الابتكارية الصادرة عن الخيال، ثم دراساته في النقد الأدبي القائم على التفكير المنطقي.

**والقسم الثاني:** هو الجانب التاريخي الذي يشمل تاريخ الأدب، ك: الشعر الجاهلي، وما كتبه عن أدب اليونان وتاريخهم، وحياتهم الفكرية والاجتماعية.

ويرى دولا قيذا أن طه حسين أسدى بعمله هذا خدمة كبرى لقراء العربية، ثم ينتقل بعد ذلك إلى الحديث عن كتابه: (على هامش السيرة)، ويختتم دراسته في قسم التاريخ منوها بكتاب: (الفتنة الكبرى) بأجزائه المتعدّدة، الذي أظهر فيه عبقريته في دراسة التاريخ، تلك الدراسة المنهجية التي جمع فيها بين طريقتي المؤرّخين القدامى والمؤرّخين

المعاصرين، فهو يقصُّ الحوادثَ على سنَّة القدامى، ثم يتعرَّض لها بالتَّقد والتعليق نقدَ الخير بفنِّه، المتوفِّرة لديه جميع المعطيات.

وبهذه النماذج نُنهى القسم الأول من هذه المحاضرة، وقبل مُواصلة الحديث عن القسم الثاني الذي يشمل هذا النِّشاط في بقية بعض جهات العالم كما يدلُّ عليه عنوان المحاضرة، نقف وقفةً قصيرة عند انطباعات الباحثين المسلمين حيال هذا النشاط الفكري.

سبق لنا في هذه الدِّراسة أن المستشرقين اعتنوا منذ قرون في مختلف بلدان العالم بدراسة الثقافة الإسلامية، وأحيوا جوانب ذات بال من تراثنا، ولم يقتصروا على إحياء التراث، ودراسة الثقافة الإسلامية فحسب، بل خصَّصوا لأعمالهم هذه كراسي في جامعاتهم، وأنشأوا مكاتب ومطابع ومجلات، وعقدوا لها المؤتمرات العامة والخاصة. مما هو معروف، وقد انضم إليهم وشاركهم في نشاطاتهم - ابتداء من منتصف القرن المنصرم - ثلَّة من كبار علماء الإسلام في مختلف مجالات بحوثهم، كما سنبين ذلك في موضعه من هذه المحاضرة، ورغم هذه المشاركة فقد تعرَّض نشاط المستشرقين لسهام كثير من النُّقاد المسلمين، وهذا الموضوع وإن قتل بحثاً، حيث حُصِّصت له التآليف والدراسات العميقة، فإن سياق الحديث يقتضي أن نعيد إلى الأذهان - ولو بإيجاز - وجهات نظر الباحثين المسلمين المعاصرين الذين انقسموا إلى قسمين:

[1] قسمٌ يرى أن أعمال المستشرقين كلُّها ضرر وتخریب، وسَمٌّ في دسم، إذ هدفهم تتبُّع النقائص والعورات لاستثمارها في بلبلة الأفكار.

[2] والقسم الثاني: لا يوافق القسم الأول في تعميم حكمه القاسي، بل يفرِّق بين العمل المثمر المفيد الذي لا ينكره إلا مكابر، وهو جمع التراث ودراسته، ثم تحقيقه ونشره، أما استنتاجات المحقِّق الناشر، ونواياه أو تصرُّفاته العقائدية أو السياسية،

فذلك يعدُّ خارجاً عن جوهر العمل، فالكتاب الذي كان في حكم المفقود واكتشفه المستشرق، وأخرجته لنا المطابع مصحَّحاً منقَّحاً، يعدُّ مصدراً معتمداً، اللهم إلا إذا كان مزيفاً أو مجهول المؤلف، وحينئذ لا مانع للباحث من مناقشة صاحبه، أو الرد على آرائه المستنتجة من التأليف.

وقد رأينا أن كثيراً من المؤلفين المسلمين المشهورين لم تنج تأليفهم في مختلف العصور من تسليط الأضواء عليها، وتوجيه سهام النقد لما فيها من ضعف أو تزييف، وقد أعدت لها قوائم لتحذير القراء مما تحمله من الجوانب السلبية، وقد رأينا كثيراً من المؤلفين كانت لهم وجهات نظر أو مذاهب عقائدية تخالف غيرهم، ولربما كان الرأي العام ضدها، فلم يلغها معاصروهم أو حتى من جاءوا بعدهم، بل تركوا المسائل الفنية، وجرّدوها من آراء أصحابها العقائدية.

وقدوة هذا الفريق في موضوع بحثنا - أي: مواقف بعض علماء الإسلام المشهورين بالنزاهة وسعة الأفق - الذين شاركوا في هذه المؤتمرات، ونوهوا بأصحابها، أمثال أحمد زكي باشا المصري، المشهور ب: شيخ العروبة، فقد شارك في عدة مؤتمرات، منها: مؤتمر لندرة الذي انعقد سنة 1893م، وكان أول مؤتمر حضره، وقد أبدى فيه انطباعاته، حيث قال في خطابه: «أشكر مسعاكم عن ذلك الشرق الذي لم يقدره القوم حق قدره، حتى جاءت أعمالكم وزحزحت عنه ستارات الاعتقادات الباطلة، وأنتم تعلمون أن قومكم كانوا يجهلون قدر ما عندنا، ويحكمون بما نحن برآء منه، حتى وقعت الألفة العلمية، وانكشف لكم ما انطوى عليه العالم الإسلامي من جليل الشعائر المنبثقة عن الطوية الخالصة».

لم يكن أحمد زكي ممن يطلقون القول على عواهنه بل كان في طليعة خبراء معاصريه، كما كانت مشاركته في هذه المؤتمرات لا تقل عن مشاركة جهابذة المستشرقين، فقد



شارك في أربعة مؤتمرات، كان يقدم في كل منها أهم المخطوطات من خزائنه المشهورة، التي كانت تضاهي خزائن الدول، وكان له الفضل حيث كونها بجهوده الخاصة، فبذل أموالاً طائلة في اقتنائها من مختلف البلاد، كما بذل جهوداً جبّارة في تحقيقها وتعميم نشرها، فعندما شارك في مؤتمر أثينا سنة 1912، قدّم عشرة كتب مخطوطة بعد أن صحّحها وحقّقها، وستّة كتب من تأليفه الخاصة.

وفي مؤتمر أثينا هذا اقترح أحمد زكي على أعضاء المؤتمر أن يتّخذوا اللغة العربية من بين اللغات الرسمية للمؤتمر، فقبّل اقتراحه، وقبل أن تتّخذ الإجراءات اللازمة للتعريب ضرب المثل لذلك بنفسه، حيث قسّم دراسته التي ألقاها في المؤتمر إلى قسمين: عربي، وفرنسي، وقد كان موضوع دراسته له أهمية، إذ تناول فيه البحث عن عناية العرب في فجر تاريخهم بترجمة المؤلفات اليونانية وغيرها، مما يدلُّ للخلف مصداق: «الحكمة ضالة المؤمن يلتقطها حيث وجدها»، فقد بيّن في دراسته هذه، مقادير الأموال التي كانت تبذل إذ ذاك من الملوك ورؤساء الدول والمنظمات العلمية إلى المترجمين لاستحضار كتب الحكمة من اليونان، إذ كانت كتب الحكمة تُطلق حينئذ على كتب الفلسفة والمنطق.

كما أشار أحمد زكي في دراسته هذه إلى عناية الأندلسيين بالثقافة اليونانية وعلاقات عبد الرحمن الناصر بالإمبراطور رومانوس، وكيف أسّست في قرطبة جمعية علمية، لتشرف على ترجمة ديوسقوريدس (Dioscorids) في المواليد الثلاثة، وأشار إلى النسخ النادرة الباقية من هذا الكتاب المترجم بالأندلس في خزانه اصطمبول.

ولم يكن أحمد زكي يحضر هذه المؤتمرات منفرداً، بل كان كثيراً ما يصحب معه كبار علماء وأدباء عهده، أمثال: أمير الشعراء أحمد شوقي، وغيره، كما كان يقابل بمزيد الحفاوة في جميع المؤتمرات التي حضرها، إذ جل كبار المستشرقين كانوا معه على اتّصال،

فكانوا يزورون مكتبته، ويستعينون بخبرته المثالية، ويتبادلون معه الرسائل، ولهذا كانوا يحتفون به في مؤتمراتهم، ويعقدون له الندوات الصحفية، وكانت الصحف المحلية والمصرية تنوّه هذه الندوات وما يجري فيها من بحوث.

لم يكن أحمد زكي العالم الوحيد من علماء الإسلام الذين كانوا يُبجلون ويحتفى بهم في مؤتمرات المستشرقين، بل كان زميله ومواطنه أحمد تيمور باشا يُقابل بنفس الحفاوة والتقدير، حيث كانت خزائنه التي يضرب بها المثل، كانت بدورها مفتوحة للمستفيدين من جميع الأجناس، وكان هو أيضا ممن يقدمون لهذه المؤتمرات نفائس المخطوطات بعد تحقيقها، كما كان يشاركها مشاركة لها أهمية محمد كرد علي وزير المعارف بسوريا في عهده، وطه حسين عميد الأدب العربي، وعبد العزيز جاويز وغيرهم، وقد احتفظت سجلات هذه المؤتمرات بدراساتهم القيمة في مختلف فروع المعرفة، خصوصا في البحوث التاريخية، وهذه المناسبة نذكر أن كثيرا من أعلام الجزائر شاركوا في هذه المؤتمرات، وفي طليعتهم محمد بن شنب (الأستاذ بجامعة الجزائر)، ومحمد بن رحال (نائب المجلس المالي بولاية تلمسان)، وشعيب بن علي أبو بكر (قاضي تلمسان)، وعبد الحليم بن سماية الأستاذ بالمدرسة الثعالبية، ولضيق الوقت نقتصر على جوانب من مساهمة ابن شنب وابن رحال.

شارك ابن شنب في مؤتمرات أكسفورد والرباط والجزائر، وقدم دراسات تهتم تاريخ المغرب العربي والأندلس، وتاريخ الثقافة الإسلامية بوجه عام، وحقق عدّة كتب تاريخية، ورحلات، فكانت مساهمته في إحياء التراث الجزائري لها وزنها، أما زميله الشيخ محمد ابن رحال فإنه قدّم في مؤتمر باريس المنعقد سنة 1896 دراسة كان لها صدى، إذ كان موضوعها: (مستقبل الإسلام)، أبدى فيها نظريته وحللها، فتناول قضايا شائكة، لا زال جلّها مطروحا على بساط البحث إلى يومنا هذا، منها مكانة المرأة

في المجتمع الإسلامي، والنظام الاقتصادي، وخطر قضية استغلال الإنسان للإنسان، فقد أثارها ابن رحال منذ ما يقرب من قرن، وبيّن بحجج دامغة أن الإسلام هو أول من قطع جذورها قولا وعملا.

وقبل ختامنا لهذا الفصل، وهو موقف علماء الإسلام إزاء الاستشراق، نذكر عالما من كبار علماء الدين، وقف موقفا يدل على النزاهة الموضوعية والتفتح وحرية الفكر إلى أبعد ما يتصوّره الناس، خصوصا أولئك الذين يعمّمون أحكامهم على علماء الدين، فيرمونهم بالتعصّب، والجمود، والانغلاق، وهذا العالم هو الشيخ مصطفى عبد الرازق الذي تولى في عهده مشيخة الأزهر، ثم وزارة الشؤون الدينية بـ: مصر في الأربعينات، وهو زيادة على ذلك من أبرز تلامذة الإمام محمد عبده الخواص.

ألّف مصطفى عبد الرازق تأليفا قيّما موضوعه: (الإمام الشافعي واضع علم الأصول)، وأثناء تناوله بحث تاريخ بداية تدوين التشريع الإسلامي، بعد انقراض عهد الصحابة، أي ما بين التسعين والمائة من الهجرة، رجح رواية مستشرق على آراء وروايات أئمة مسلمين من عهد تابعي التابعين، ذكر مصطفى عبد الرازق أنه في عهد التابعين شرع في تدوين التشريع الإسلامي، مستدلاً برواية ساقها في الموضوع قائلا: «عن سعد بن إبراهيم قال أمرنا عمر بن عبد العزيز بجمع السنة، فكتبنا دفترا، فبعث إلى كل بلد له عليها سلطان دفترا».

ثم ذكر روايات أخرى عقب عليها بقوله: «ويقول جولد زيهير في مقاله عن كلمة: (فقه) في (دائرة المعارف الإسلامية): وينبغي ألا يعطى كبير ثقة، لما نسب لـ: هشام بن عروة من أنه في يوم الحرّة، حرقت لأبيه كتب فقه، ولا يمكن أن يتصور بحال أنه في ذلك العهد البعيد كانت توجد كتب بالمعنى الصحيح، وإنما هي صحائف متفرقة، وتوفى عروة سنة 94هـ، وهي التي كانت تسمى سنة الفقهاء لكثرة من مات فيها من الفقهاء».

ثمَّ يواصل مصطفى عبد الرازق حديثه فيقول: «وبالجملة فإنه إذا كان دوّن شيء لضبط معاقل القرآن الكريم والحديث، ومعانيها في عهد بني أمية، فإن التدوين في الفقه بالمعنى المحدث لم يكن إلا في عهد العباسيين، ثمَّ يسترسل مصطفى عبد الرازق في حديثه فيقول: «هذا هو الرأي الذي كان مقررا بين الباحثين، لكن جولد زيهر يذكر في المقال الذي أشرنا إليه آنفا ما يأتي: «وقد اكتشف جرفيني بين المخطوطات القيّمة ببلاد العرب الجنوبية مختصرا في الفقه اسمه: (مجموعة زيد بن علي) المتوقّف سنة 122هـ/740م، وهو منسوب إلى مؤسس فرقة الزيدية من الشيعة، وعلى ذلك تكون هذه المجموعة أقدم مجموعة في الفقه الإسلامي، وعلى كلّ حال ينبغي أن يوضع هذا الكتاب موضع الاعتبار، فيما يتعلّق بتاريخ التأليف في الفقه الإسلامي، وإذا صحَّ أنه وصل إلينا من بطانة زيد بن علي، وجب أن نعرّف بأنَّ أقدم ما وصل إلينا من المصنّفات الفقهية هو من مؤلّفات الشيعة الزيدية».

من هذا يتبين أن مصطفى عبد الرازق رجح رواية المستشرق جولد زيهر المدعّمة بالحجة والنصوص، وختم فصله الذي عقده في البحث عن تاريخ تدوين التشريع الإسلامي بفقرتين:

الأولى قال فيها: «على أن البحث الذي أثير لتعيين مركز هذا الكتاب بين المؤلّفات الفقهية لم يكمل».

والفقرة الثانية قال فيها: «ومع الأسف فإن هذا البحث لم يثره مسلمون، ولا أثير في بلاد إسلامية».

فمن كل ما ذكرناه في هذا الموضوع يتبين لنا أن مصطفى عبد الرازق لم تمنعه ثقافته الدينية المتينة التقليدية، ولا المناصب السامية التي شغلها ولها صبغة دينية، لم يمنعه هذا كلّ أن يرجح نصاباً أثبتته رواية مستشرق، على روايات ساقها علماء مسلمون لهم

مكانتهم، مع أن هذا المستشرق كان مشهورا في الأوساط العلمية الإسلامية بتحامله على الفقه الإسلامي، فقد أظهر ذلك في كثير من المناسبات لا سيما في تأليفه المشهور: (العقيدة والشريعة في الإسلام).

نكتفي بهذا القدر ولنتقل إلى القسم الثاني من موضوع دراستنا، وهو: (نشاط البحوث التاريخية في بقية بلدان العالم).

إن نشاط البحوث التاريخية الذي ظهر حديثا في بلدان البحر الأبيض المتوسط، وتقدم لنا الحديث عنه في القسم الأول من هذه المحاضرة، كان امتدادا لهذا النشاط ما يقرب من ألف سنة، وأهم المراكز التي احتضنته من بلدان البحر الأبيض المتوسط، هي: إيطاليا، وفرنسا، ومنها تسرّب إلى بقية بلدان العالم، وتتبع هذا النشاط ولو بإيجاز يحتاج إلى مجلدات، ولهذا نكتفي بذكر بعض هذه المراكز التي كانت منطلق هذا النشاط الفكري وظهور أعلام المستشرقون الذين عمّ نشاطهم وانتشر، حتى بلغت مؤتمراتهم في الفترة التاريخية ما بين 1873 و 1964 م ستة وعشرين مؤتمرا، وقد خصّص بعض هذه المؤتمرات بحوثه للعلوم التاريخية فقط، ك: مؤتمر كوبنهاغن (Copenhagen)، المنعقد سنة 1909 م، وقد أُحصيت كتب التاريخ التي تناولها بالتحقيق المستشرقون في دراساتهم فبلغت (216) كتابا، وبلغ عدد الرّحلات (35)، ودواوين الشعر (75) ... الخ، ولهذا لا نقصد من دراستنا هذه الدخول في التفاصيل، والجانب الذي أتناوله بالبحث زيادة على مراكز انطلاق هذا النشاط، هو سرد بعض أسماء مشاهير علماء الاستشراق، الذين امتازوا بتحقيق ونشر كتب ودراسات قيّمة، أسدوا بها خدماتٍ سجّلها لهم البحث العلمي العالمي، ثم نتحدّث عن أهمّ المكتبات العلمية التي لا زالت محتفظة بذخائرها، كما لا زالت مفتوحة في وجوه الباحثين، بقطع النظر عن أجناسهم وأديانهم.

وفي طليعة هذه المكتبات خزانة الأسكوريال ب: مدريد، التي رغم الأحقاد الدينية والإحن التي شنها المتعصبون على التراث الإسلامي إثر سقوط مملكة غرناطة فقد احتفظت هذه الخزانة ببقية كتب معظمها من التراث الأندلسي، ساقتها إليها المقادير لخبر يطول، فكان فضل ولاية الإسبان وعلمائهم على هذه المكتبة مما سجّله التاريخ بمداد الفخر.

اهتمّ ولاية الأمر بهذه المكتبة فكلفوا الأب ميخائيل الغزيري الماروني اللبناني، فشرع في تنظيم هذه المكتبة ابتداء من سنة 1849م، وجعل لها فهارس باللغتين: العربية، واللاتينية، ثمّ واصل عمله آخرون، إلى أن تولى أمرها المستشرق الشهير ليفي بروفنسال فأفاد واستفاد، وقد أبرزت إلى الوجود أمّهات كتب التاريخ الأندلسي فيما بين سنوات 1883 - 1895، وكان المشرفان على تحقيقها ونشرها المستشرقين الشهيرين: كوديرا، ورييسرا، ثمّ واصل المستشرقون الإسبان نشاطهم الذي يرجع عهده إلى القرن الخامس عشر الميلادي مع المستشرق والأب ملشور أنطونيا (Melchor Antunia) (1889-1936) مدير مكتبة الأسكوريال الذي ألف عدّة كتب عن ابن حيان المؤرّخ القرطبي، والمحدث الرّحالة ابن رشيد السبتي، وابن الخطيب ... الخ، ثم الأب آسين بالاثيوس (1871 - 1944) (Asin Palacios) الذي كان عضواً في عدّة مجامع علمية، منها: المجمع العلمي العربي بدمشق (Ganzalés palencia) (1889 - 1949)، وإيميلو (Emilio Garcia Gomez) الذي لو لم تكن من أعماله الهامة إلا تحقيق (ديوان ابن قزمان الأندلسي) الذي طبعه منذ ثلاث سنوات في ثلاثة أجزاء، بعد تحقيق ودراسة خصّص لها عشرين سنة لكفاه فخراً، وقد اهتمّ هؤلاء المستشرقون مع من انضمّ إليهم، مثل: (Gomez Nogalès)، فاهتمّوا بإحياء ذكرى أعلام الأندلس، أمثال: الإمامين ابن حزم وابن رشد، ولا زالت الجهود مبذولة في هذا الميدان.

وهناك مكتبة الفاتيكان التي يرجع عهدها إلى القرن الخامس عشر ولها فروع، ك: مكتبة بولونيا، ونابولي، وبالرمو (Palermo)، والمكتبة الامبروزيانية، والمكتبة الميديتشيا، والمكتبة الوطنية لمجمع العلوم في (Torino)، ولكل منها فهرس مشهورة عند الباحثين.

فمكتبة الفاتيكان اهتمَّ بها كثير من المستشرقين، وآخرهم المستشرق دولاقيدا، الذي تقدّم لنا الحديث عنه، فقد وضع لها فهرسا يشتمل على 388 صفحة، مع مقدمة ضافية، وثبتَّ بأسماء المؤلِّفين، ومصنِّفاتهم، وتضمُّ المكتبة اليوم ستين ألف مخطوط، بين شرقي وغربي.

كما يوجد فهرس لمخطوطات المكتبة المديتشية في فلورنسا، قام به أسطقان عواد السمعاني في 492هـ.

أما المستشرقون الإيطاليون فقد ظهرت منهم نخبة، منهم ميشال أماري ( Michel Amari) (1806-1887)، وفضله على الدراسات الشرقية هو تخصُّصه في دراسة حضارة جزيرة صقلية، وقد جمع موسوعةً لها أهمية، حيث جمع نصوصها العربية المتعلقةً بالجغرافية والتاريخ والتراجم من خمسة وثمانين مصدرا.

كما اشتهرت فرنسا بمكانتها كمركز للاستشراق، فكانت أهم خزائنها المكتبة الوطنية ب: باريس، التي أنشئت سنة 1654م، وهي تحتوي الآن على ستة ملايين من الكتب، منها سبعة آلاف مخطوط عربي، كما يضاف إلى هذه المكتبة مكتبات جامعة (Strasbourg)، ومكتبة الجمعية الآسيوية، ومكتبة المدرسة الوطنية للغات الشرقية الحية في باريس، أمّا أبرز مستشقيها فلا يمكن استيفائهم للعدر الذي قدّمناه، وكلُّ ما يمكن هو ذكر أفراد منهم، لهم شهرة عالمية في الدِّراسات الإسلامية، وبالخصوص التاريخية - موضوع دراستنا - وهؤلاء هم: البارون، دي ساسي (1785 - 1838)، ود.

موتيلانسكي (Motylinski) (1854-1907) المتخصّص في تاريخ بلاد مزاب وأئمة المذهب الإباضي، وليفي بروفنسال (1894 - 1956)، وغيرهم كثيرون، ولا يمكننا تتبُّع مراكز الاستشراق في بقية أنحاء العالم، وقد ظهر هذا النّشاط في كثير منها ك : انجلترا وأمريكا وألمانيا وهولندا والمجر وسويسرا ... الخ.

وقبل أن نختم هذا العرض بمركز الاستشراق في الإتحاد السوفيتي، نذكر عيّنات من المستشرقين الممتازين في مختلف أصقاع العالم، وذلك كالمستشرق الهولندي دوزي (1820 - 1893) الذي اشتهر بأنه أول فاتح للدراسات الأندلسية، وتأليفه الأندلسية تعدُّ من أهمِّ المراجع للباحثين، كما أن نشاطه في الميدان التاريخي شمل تاريخ بلاد المغرب العربي، وبلاد المشرق، وعلى ذكر دوزي لا نغفل عن ذكر هولندا ومكتباتها ومطابعها، خصوصا مطبعة ليدن التي ضربت المثل الأعلى في إتقان الطبع والنزاهة، ومن هذه العيّنات بروكلمان الألماني (1868-1956) الذي بذلَّ جهودا كللت بالنّجاح، ولو لم تكن من هذه الجهود إلا كتاب: (تاريخ الأدب العربي)، الذي طبع سنة 1937م وجمع فيه تراجم العلماء والأدباء في مختلف العصور الإسلامية، وذيل كلَّ ترجمة بمصادرها ووصف الكتب وميزاتها وتاريخ طبعها وأمكتتها في الشّرق والغرب، وأخص المخطوطات في مكتبات أوروبا، ومع الأسف لم تصدر من ترجمته العربية إلا ثلاثة أجزاء، أما ترجمته باللغة الفرنسية، فهي على وشك النّفاد، إن لم تكن نفدت بعد، وقد جاوز ثمنها الألف دينار منذ سنوات.

ولنختم دراستنا هذه بالإستشراق في الإتحاد السوفياتي الذي كانت جامعة لينينغراد من أهمِّ المراكز له، وقد امتاز قسم مخطوطاتها العربية الذي اقتناه القياصرة بواسطة المستشرق الفرنسي د. ساسي، وكانت بعض هذه المخطوطات فريدة في العالم، ك : ديوان ابن قزمان الأندلسي، وقد تداول عليها محافظون مشهورون، إلى أن عيّن



المستشرق الشهير كاراتشوفسكي (1883 - 1951)، وصادفت لينغراد حصارها الطويل أثناء الحرب العالمية الثانية، فاهتم كراتشوفسكي بالمكتبة، وكان ينقلها من مكان إلى مكان، إلى أن مرَّ خطر الحصار، فكان جزاؤه من حكومته أعظم نيشان مكافأة له، وهذا الحديث نوجّهه إلى كثير من أبنائنا وإخواننا الذين يرون مُنافاة عصر التقدّم العلماني مع وجود هذا التراث، وقد نوّه وعرّف بهذه الذخائر كراتشوفسكي في مختلف دراساته بالمؤتمرات، وسجّل الكثير منها في تأليفه القيم: (مع المخطوطات العربية)، الذي أتمّه سنة 1943، ونُقِل إلى عدّة لغات.

ومن جملة مستشرفي الإتحاد السوفياتي بارتولد (Barthold) (1869 - 1930) الذي خلّف ما يربو على 400 دراسة وتأليف، أمثال: (تاريخ الاستشراق في أوروبا وروسيا)، و(كتاب الإسلام) الذي يرى فيه أن القرآن لا ينافي التقدّم، و(تاريخ بعض الدول الآسيوية)، ولا زال عمل الاستشراق متواصلا في الإتحاد السوفياتي، وفي السنة الماضية نشرت مجلة علمية (المدار) عدد 01 يناير 1974م، أن هيئة من العلماء كلّفت منذ سنوات بتحضير فهرس لمخطوطات (مكتبة لينغراد) البالغ عددها عشرة آلاف كتابا، وكان يشرف على هذه اللجنة الأستاذ خالدوف الاختصاصي البارز في المخطوطات العربية، والمرشّح في فقه اللغة، وقد أشرف العمل على الانتهاء، وهذا الفهرس يحتوي 2500 صفحة، وقد نظّم هذا الفهرس تنظيما منهجيا على أساس الموضوعات، ولا يفوتنا أن نذكر أن من جملة هذه النّشاطات إحداث (دائرة المعارف الإسلامية)، التي سنخصّصها بدارسة مستقلة، وإلى هنا ننتهي من موضوع دراستنا التي سنعود إليها لتتبع هذا النشاط ببقية بلدان العالم، كما يدُلُّ على ذلك عنوان المحاضرة، وكلُّ ما نأسف عليه هو أن تحقيق كثير من هذه الكتب - ذلك التحقيق الذي يشمل التقديم والتعليق - كان باللغات الأجنبية، وقد طبعت هذه الكتب منذ قرن

وزيادة، ك : موسوعة أماري في تاريخ صقلية التي طبعت سنة 1857 ب : (ليزيق)، ثم أعيد طبعها من جديد، وهو عبارة عن صورة طبق الأصل، ولم يتعرّض الناشر إلى ترجمة المقدمة ولا التّعليق، ولا يخفى أن دور صقلية في تاريخ حضارة البحر الأبيض المتوسط له أهمية كبرى، وما قيل في موسوعة تاريخ صقلية يقال في كثير من نفايس المخطوطات التي حقّقها هؤلاء المستشرقون، وقدّموا لها باللغات الأجنبية، وأملنا أن يتولّى تكميل هذا النقص جيلنا الصّاعد من الباحثين.

نشأة البحوث التاريخية حديثاً  
في البحر الأبيض المتوسط وفي العالم

مما لفت انظار الباحثين المعاصرين في الدراسات  
الاسلامية، اهتمام نخبة من المستشرقين الغربيين  
نحو هذه الدراسات القيمة غائبة، وبالأحرار  
مكاناً رهياباً بين الدراسات المنبثقة من مختلف  
الحضارات التي تركت بصماتها في بلدان البحر  
الأبيض المتوسط، مثل الحضارات اليونانية والفينيقية  
والرومانية

هذا وإن كان اهتمام المستشرقين في دراساتهم  
للثقافة الاسلامية، والغنى المعماري وبقية  
الغنى الجميلة، يرجع عهده الى ما يقرب من الف  
سنة، فإن القاهرة الجديدة التي يشملها

صورة عن الصفحة الأولى من النسخة المعتمدة



## صفحات مجهولة من تاريخ التعاون الثقافي بين تونس والجزائر في أواخر العهد الحفصي (1)

تمهيد:

إنَّ ارتباط (الجزائر) بـ (تونس) وثيقٌ من عهد الفتوحات الإسلاميَّة، عندما تبوّأت (القيروان) مركزها الإشعاعي، وقد تجلَّى هذا الارتباط بصفة خاصَّة في عهد (بني زيري بن مناد)، عمَّال (الدَّولة العبديَّة)، بعد انتقالها إلى (مصر)، وفي عهد (الدَّولة الموحدية)، لما تقاسم عمَّالها بلاد المغرب العربي الحالي، وكانت الجمهورية التُّونسية الحالية من نصيب الدَّولة الحفصية، وكانت مملكة (بجاية) و(قسنطينة) تابعة لها، واستمرَّت هذه التَّبعية إلى عهد الدَّولة العثمانيَّة، كلُّ هذا مذكور في كتب التاريخ، إلاَّ أنَّ الفترة الانتقالية من العهد الحفصي إلى العهد العثماني، لا زال الغموض يكتنف بعض جوانبها، خصوصاً في المدَّة التي تخلَّلها الهجوم الإسباني، واحتلَّ ملك أسبانيا شارلكان (تونس) بإعانة آخر ملوك (الدَّولة الحفصية)، وهذه الفترة التي تناولتها بالبحث في موضوع حديثنا هذا، كما أشرت كذلك في عنوان الدراسة: (صفحات مجهولة من تاريخ التعاون الثقافي بين تونس والجزائر في أواخر العهد الحفصي)، احتفظ لنا التاريخ بوثيقة جوهريَّة ضمنها صاحبها هذه الأحداث، والوثيقة المذكورة عبارة عن تأليف خصصه صاحبه لتراجم علماء عهده وبعض من سبقهم وأثناء ترجمة أحدهم صادف أنه كان من ضحايا مشايخ جامع الزيتونة الذين اغتالهم الجيش الإسباني في الجامع المذكور، وهذا العالم كان

---

(1) مجلة (الحياة الثقافية)، تونس 1984م، عدد: خاص بالجزائر، (ص: 6 - 12). (ع)

من أجداد المؤلّف، ولهذا تتبع وسجل مراحل ترجمته بمزيد من الدقة، وبالطبع تعرض بتفصيل للأحداث المذكورة، كان هذا التّأليف مغموراً في حكم المفقود ولو أن مؤلّفه من المؤلّفين المشهورين الذين حظوا بتراجم معاصريهم، وقد اكتشف التّأليف بعد استقلال الجزائر واعتنيت بتحقيقه وكانت باكورة هذا التحقيق محاضرة بكلية الشعب في مدينة قسنطينة حيث كان من أعلامها.

### التعريف بالمؤلّف:

هو عبد الكريم بن محمد الفقون القسنطيني (988 - 1073هـ) ينتمي إلى بيت علم ومجد توارث أفراد العلم عدة قرون، كان عميد الأسرة الأديب الشهير أبا علي الحسن بن فقون صاحب الرّحلة المشهورة<sup>(1)</sup> التي ضمنها مؤلّفها مراحلها من قسنطينة إلى مراكش وافتتحها بقوله:

ألا قل للسري ابن السري ابن البدر الجوار الأريحي

إلى أن قال:

وفي أرض الجزائر هام قلبي بمعسول المراسيف كوثري

لمترجمنا عبد الكريم هذا تأليف قيّم، وهو كما سبقت الإشارة إليه من كتب التراجم إلا أنه فريد وغريب في بابه، حيث قسّم فيه مترجمنا [كتابه] أربعة أقسام:

1) العلماء الذين اتخذهم قدوة حسنة وهم بعض مشايخه وآبائه - من بينهم جده ضحية جامع الزيتونة السابق الذكر.

---

(1) ذكر هذه الرّحلة العبدري في (رحلته)، وأحمد المقرئ في (نفح الطيب) وغيرهما، وذكر ترجمة المؤلّف صاحب (عنوان الدّراية) الغبريني.

(2) العلماء الذين نالوا وظائف علمية من دون استحقاق وكانت الطريقة التي استولوا بها التزُّف والرشى وما إلى ذلك.

(3) المدَّعون للصلاح والولاية، وهم الذين ينطبق عليهم عنوان التأليف الذي سماه: (منشور الهداية في كشف من ادَّعى العلم والولاية).

(4) بعض معاصريه مستورو الحال، من بينهم صديقه أحمد المقرئ التلمساني صاحب (نفح الطيب) - الذي تبادل معه الرسائل ونشر بعضها في (نفح الطيب) -.

كانت ميزة هذه التراجم ذكر مترجميه بأسمائهم وألقابهم ثم مساوئهم أو محاسنهم، وهذا ما جعل المؤلف يلتمس مبررا لمنهجه الذي سلكه في تأليفه ولم يسبق إليه فقال: «وقد يهجس في النفس بأن ذكر هؤلاء في الأوراق والاعتناء بهم في الكتب تنويه بذكرهم وترفيح لقدرهم، وإهمالهم أولى وعدم التعرض لذكرهم أحق وأجلى، إلا أن النصح العام هو الملجئ لذكرهم والغيرة على حمى الله رسوله وبساط أوليائه وأصفيائه أن يدعي جلوس مثل هؤلاء عليه هو الموجب للتعرض لهم، ولي في هذا سلف من خير سلف، لقد أوضح علماء الدين وأئمة المسلمين نقلة حديث سيد المرسلين وكشفوا عن رواته وبينوا من يصح النقل عنه ومن لا يصح».

كما تعرَّض في مقدمته للداعي إلى تأليفه والتعرض لهذه الطبقات من مترجميه الذين كان معظمهم ممن لهم به صلة: «فقال لما رأيت الزمان بأهله تعثر، وسفائن النجاة من أمواج البدع تتكسر، وسحائب الجهل قد أطلت، وأسواق العلم قد كسدت فصار الجهل رئيسا، وصاحب الطريقة قد أصبح وأعلام الزندقة على رأسه لائحة، وروائح السلب والطرْد من المولى فائحة، إلا أنهم أعني الطائفتين تمسكوا من دينهم بمناصب شرعية، فموهوا على العامة بأسماء ذهب مسمياتها، وأوصاف تلاشت أهلها من زمان وأعصارها ... الخ».

وقد نوّه بالمؤلف وأسرته ومآثره علماء أجلة من بينهم أبو سالم العياشي صاحب (الرحلة)، وخصّص له عدّة صفحات، كما ترجم له معاصره أحمد المقرئ التلمساني.

وقد كانت أسرته - أحد أجداده - انتصرت للدولة العثمانية فاعترفت لها بالجميل، وخصّصت لها مشيخة الإسلام وإمارة ركب الحجّاج، فتوارثها الخلف طيلة العهد العثماني، ومن جملة مآثرهم خزانة من أهمّ وأغنى خزائن كتب التراث في بلاد العالم الإسلامي كما سنذكر ذلك.

تعرّض المؤلف لدى استعراضه لطبقات مترجميه للأحداث التي عاشوها جماعات وأفراداً، وكان عهده بعد انهيار الدولة الحفصية وتنمّر رؤساء الإقطاع الذين صار كلُّ منهم حاكماً بأمره في إقطاعه، غير مبالٍ بالسلطة، ولذلك ظهرت هذه الطبقات التي اعتنى بها بعض الكتّاب، أمثال مؤلّفنا، ولما كان مجال هذه الدراسة محدوداً تقتصر على الخطوط العريضة من الموضوع، وهو التّعاون الثّقافي، واخترتُ هذه الفترة إذ لم يصلنا عنها إلا ذكر بعض جوانبها، وصاحب هذه الوثيقة الذي يعدُّ شاهد عيان ضمّن ترجمة جدّه العلمية لبعض الأحداث التي عاشها ولها أهمية في موضوع دراستنا، وجده المترجم هو الذي استهل ترجمته في قائمة العلماء الذين اتخذهم قدوة في تأليفه بقوله: «أبو زكرياء يحيى بن محمد ابن الفكون، جدُّ والدي، كان (رحمه الله وغفر له) من العلماء المتقنين، وكان ممن له اليد الطولى في الفقهيات، وممن يعرف (المدوّنة)، وكان من المعتمدين بها، وله حاشية عليها بديعة في معانيها، ضمّنها نوازل ووقائع قلّ أن تُوجد في المطولات، وهي مسوّدة بخطّه (رحمه الله) ...»، إلى أن قال: «... ومن مشيخة الجد فيما يذكر الشّيخ العواد، وكان قاضي الجماعة بقسنطينة، أصله من حاضرة تونس، نقلته السلطة لقسنطينة لقضائها، وكان ممن يشار إليه في العلم، وممن يرجع إلى قوله، وانتقل الجد إلى تونس لواقعة بل وقائع فاستعظم سكناه ببلد يخرج إليها للأمر دون ما يخرج



منها، فصاهر الشيخ الزلديوي واستخلفه في إمامة جامعها الأعظم جامع الزيتونة، ثم استقلَّ بالإمامة وتزوَّج بها حفيدة الشيخ البرزلي، وولد له منها بنت، وتوفي مجاهداً في وقعة تونس الكائنة في عام أحد وأربعين قتيلاً، ويقال إن النصارى دخلت عليه بجامع الزيتونة وهو يروي البخاري، ويقال إن السلطان حسن مرَّ به قتيلاً هو والشيخ الزلديوي، فربما تفوَّه بما لا يليق بمنصبهما لما كانا يُنكران عليه سيرته، ثم لزم مواراتهما وحضر لدفنهما (رحمهما الله تعالى ونفع بهما) .»

ثم قال: «ومن سمعنا به ورأينا من بعض تلاميذه ولده العم قاسم، كان قاضياً بمدينة قسنطينة في زمن الشيخ الوزان»، عمر الوزان عالم قسنطينة ودفينها، وهو الذي جعله المؤلِّف في طليعة مترجميه الذين استهلَّ بهم أقوالَ مترجميه، وكان تولى إمامة جامع البلاط بتونس حين انتقل والده إليها به، ثم استأنف ذكر مشايخ جدِّه يحيى، فقال: «ومن شيوخه الشيخ مغوش الذي طبق حفظه الأرض وهو أشهر من أن يذكر، وقارن بينه وبين الشيخ الوزان ....»

نقتصر على هذه اللقطات من ترجمة المؤلِّف لجدِّه يحيى ولها ارتباط بموضوع بحثنا خصوصاً فيما يتعلق بإدانة الملك حسن الذي استنجد بالإسبان لطرد خير الدين من تونس وحضر وقعة جامع الزيتونة وهي شهادة لها وزنها، ثم ترجم المؤلِّف لبعض العلماء الجزائريين الذين انتقلوا إلى تونس في عهده من بينهم أحد مشايخه الشيخ التواتي من نواحي ميلة انتقل إلى باجة (تونس) وانتصب فيها للتدريس وكان من أكابر علماء عهده.

نكتفي بهذه اللقطات ولنواصل حديثنا عن اتِّصال المؤلِّف بعالمين تونسيين تبادل معها الجوائز في ظروف غير عادية، ذكرها المؤلِّف بتفصيل، فقال عند تعداد بعض تلامذته: «ومن أحببنا الله أبو إسحاق إبراهيم الجزيري صاحب خطة الوثيقة بالبلد

وقرأ في أول حاله على عمه أبي زكريا يحيى المذكور في فهرسته، وقرأ على الشيخ التواتي - السابق الذكر - وأنكرت عليه تعاطيه لبعض أمور مخزية لا أرضاها له وليست من شأن أمثاله وهو معترف بأخطائه في ارتكابه لها وإبائته عليها ويستجلب الدعاء لخلاصه من ذلك عامله الله بلطفه وكلنا أحباب الله تعالى»، ثم استرسل المؤلف في حديثه فقال: «ولنرجع إلى صاحبنا أبي العباس المذكور، كان معنا (نفعنا الله بنيتّه) كالولد مع الوالد في غاية البرور والتواضع وحبّ النفع، وقد اتَّفَقَ له حين وقع اجتماعه مع السيد أبي إسحاق إبراهيم الغرياني من بيوتات القيروان وأكابرها، ولهم ولأسلافهم صيت عظيم بتلك الناحية، ولهم زاوية يطعم فيها الغرباء، واجتمع أيضا بالسيد الإمام الخطيب السيد محمد تاج العارفين حفيد السيد أبي بكر الأموي في نسبه الذي رأيتُه بخطّه في مراسلاتهم، وهم أيضا دار علم وصلاح، كان جدّه خطيبا بجامع الزيتونة بتونس بعد امتحانه الواقع له، وكان خروج المذكورين رُسُلا من قبل عسكر تونس قاصدين الصُّلح مع عسكر الجزائر في الواقعة التي وقعت بينهما في عام سبعة وثلاثين (1037)، وكان صاحبنا أبو العباس المذكور ممّن توجّه مع عساكر الجزائر المحميّة، فتذاكر السيّدان مع حبيينا لله أبي العباس في شأنَي وما أنا عليه من طباع جبلني الله عليها، هي عند صاحبنا المذكور حسنة، والله يعلم المفسد من المصلح، جزاه الله على نيته خيرا، ووالى عليه أجرا، وجعلها له في المعاد ذخرا، فراسلاني برسالتين من كل واحد رسالة، أفصحها فيهما وأجادا اللفظ وبلاغته، وحسنا النظم وبراعته، ونسقا فيهما من البديع الشكل إلى شكله، ولسان حالهما ينادي فأتوا بسورة من مثله، وإذا بلغ الكلام إلى هذا المقام فذكرهما هنا مما لا يلحق فيه ملام، فتصور رسالة الخطيب الإمام أبي محمد تاج العارفين: الحمد لله الذي أطلع شمس الطلعة الفكونية من الأفق الغربي ويا عجبا من طلوع الشمس منه أمانا للعالم، وجمع منها ما افترق من شتات العلوم في كل تحرير عالم، وأزاح بها سحب الأشكال وأراح بها من سجع الجهالة المخدرة لوجه المعاني

والأشكال، وقيد بها شوارع العلوم، وقرن بها على طريقة التحقيق بين المنطوق منها والمفهوم، أحمده حمد من رغب الله في استصواب الصواب، وأشكره شكر من علم أن شكره سبحانه هو غاية المرغوب والثواب، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة عبد محقق من إيمانه، مخلص في عرفانه وإيقانه، وأشهد أن سيدنا ومولانا محمدا عبده ورسوله الذي أوتي من الكلام جوامعه، وعبر به من كل سبيل صوامعه، وجوامعه، اللهم صل وسلم عليه وعلى آله أولى الجد والتحقيق، وأصحابه خير صحب وأكرم فريق، ما ذر شارق وشرق غارب، وسكب هاطل وهطل ساكب، وبعد، فسلام يسابق النسيم، ويجابو برقته نفاسة التسنيم، يصافح الروض فيكتسب من نشره، ويقارح الأزهار فلا تجدوا أذكى من زهره، يسترق العنبر من عبيره، ويسترق المسك لقوته عنه في كثرة الشم وتكريره، كما قلت:

أهدي إليه سلاما      يفواح الندى عند نشره  
يلقاك من كل فج      إذا تلقاك بشـره

أهديه إلى كذا وكذا، ومدح من الأوصاف الجميلة ما أنا خال منها ولو من بعضها، ولا أستحقها علما وعملا، لكن أرجو من المولى بجاه نبيِّه سيدي ومولاي ومخدومي الأسمى محمد صاحب الجاه العظيم، أن يجعلني كما يظن الخلق بي، ولا يفضحني بينهم في الدنيا ولا في الدار الآخرة، إنه جواد رحيم، « ثم قال بعد الأوصاف المذكورة: «جرّنا إلى حبه ركون سيدي عبد الكريم الفكون (كان الله له في الحركات والسكون)، واعلم أيها الصديق الحميم (أذاقنا الله وإياكم برد الرضى والتسليم)، أي رقمته والخلجل في الوجنات بيدي حمرة، والوجل يظهر تارة صفرتة في منزل به خيام المحل، وقد تفاءلنا باسمه جابر<sup>(1)</sup>، وقد طاب منه مشربه الرائق الزاهر، منزل جبر الله فيه القلوب،

(1) قصر جابر في نواحي عنابة.

ويسر فيه كل مطلوب ومرغوب، من إصلاح الله سبحانه بين عباده ورد سيف المعاند والكائد في إغماد هو موجهه أوجب الله لكم السعادة، ويسر لكم أسباب الحسنى و زيادة، السيد الفقيه المشارك الوجيه، سيدي أبي العباس أحمد بن الحاجه، جعل الله حسناته في أسواق القبول رائجه، هو ومن معه من السادة الفقهاء الأعيان، شنفوا أسماع الفقير بما لا يسعه وقع لسان القلم وإملائه على الطرس والسطر من محاسن أخباركم التي تراءت لنا منهم كل وجه جميل، وكرروا علينا عائدها الذي وصلونا به في البردين والمقيل ولقد قلت في ذلك:

شغفت بكم لما تشنف مسمعي وعشق الفتى بالسمع مرتبة أخرى

لا جرم كاتبناكم وأيدي الأشواق تتلقف حبات القلوب، وقد شبَّ عمرها عن الطوق، وكفى أن علم ذلك علام الغيوب، وأعلمكم أني لا أنساكم من الدعاء، كما أني أطلب ذلك منكم لاسيما بإصلاح الوعاء، فإن الدعاء بظاهر الغيب مستجاب والتحابب في الله في هذا الزمان الصعب من العجب العجاب ولا تنسينا من مكاتبتكم مع الواردين كما أنها ترد إليكم منا مع الصادقين، سقاكم الله رحيق الود في كاسات الإخلاص، وأورد صحائفكم مبيضة الوجوه مع زمرة صحائف أهل الاختصاص، ومن معنا من الجماعة وهم سيدنا محمد العامري وسيدي علي الشرقي وسيدي محمد الأندلسي وسيدي الحاج عون الله يهدون إليك أطيب السلام ويخصونكم بالتحية والإكرام ويطلبون صالح دعواتكم في خلواتكم وجلواتكم، ومعادً عليكم السلام منَّا ورحمة الله تعالى وبركاته، رقمه بأنامل التقصير، العبد العاجز الفقير، المذنب الجاني، محمد تاج العارفين العثماني (لطف الله تعالى به بمنه)، بتاريخ أوائل شهر قعدة أو ذي القعدة الحرام منذ عام سبع وثلاثين وألف بقصر جابر، جبر الله صدع قلوبنا، وغفر عظيم ذنوبنا وجعل استعدادنا لمعاده وتوفر دواعينا فيها ينجينا ويقربنا منه زلفى بمنه

ورحمته، وصلى الله على مسكة الختام، ولبنة التهام، سيدنا ومولانا محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام... الخ».

وقد علّق على هذه الرسالة بالتنبيه إلى أخطاء لغوية، ثمّ قال: «وكتب السيد أبو إسحاق إبراهيم ما نصه: الحمد لله، وصلى الله على أكرم خلقه، وعلى آله وصحبه الكرام الأجلّة، يقول العبد الفقير إلى الله تعالى إبراهيم بن عبد اللطيف الغرياني، لما دعاني داعي الحب والتودد إلى سيدي عبد الكريم الفقون وطلب الدعاء منه لي ولأولادي أردت أن أكتب له هذه العجالة وأسأل المولى أن يجود علينا نواله، وهي هذه كما ترى، وذلك بعد أن ألهمني إلى ذلك الحبيب الصديق، سيدي ابن الحاجة (جزاه الله عني خيرا دنيا وأخرى) لأنه محب صديق، وكان لي في غربتي رفيق وعليّ شفيق.

وهذا نصّها: الحمد لله الذي خلق الأرواح جنودا مجنّدة، ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف، وجعل الغالب على الخلف، تبع السلف، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه أولي المختلف والمؤتلف، ما نظم ناظم، واستنبط وألف، وبعد فيقول العبد الفقير إلى الله تعالى إبراهيم بن سيدي عبد اللطيف الغرياني القيرواني خديم الزاوية الشريفة ذات المعالي المعمورة لبث العلوم والحديث وإقراء كتاب الله والسبع المثاني.

إن أحسن الاعتقاد، وطلب الوداد أغراني، أن أتطفل على ساحة الشيخ الإمام الرباني، سيدي عبد الكريم الفكون الخطيب الحقاني، وأكتب له أبياتا تكون راسخة للوداد، وتبلغني بدعائه غاية المراد، بفضل الملك الجواد، وأسأله أن ينظرها بعين الرضى، وأن يسدل عليها ذيل الإغضا، لأني كتبت وأنا مشوّش البال بالسّفَر، وأنا عند نفسي أقصر وأصغر، وقد قدمتها مقدمة مهملة الحروف مصليا ومسلما على النبي الرّؤوف، وعلى آله وصحبه ذوي الخيرات والمعروف وكان فيها حال الإقامة بمكان

يقال له قصر جابر، حيث قدمنا للصلح بين السادة الجيشين الأكبر، صحبة مولانا وسيدي أبي العز تاج العارفين ذي العز والإحسان والتمكين، في غرة قعدة الحرام من عام سبعة وثلاثين، (1037) من هجرة خير الأنام عليه أفضل الزكاة والسلام.

وهذه المقدمة كما ترى: الحمد لله وحده، وصلى الله على مولى اللواء والحلل، دواء أهل الهموم والعلل، موصل أصول أحكام الهدى لأهل الدول والملل، وعلى آله وأهل وُدّه الكرام والكمّل، ما هلّ صادع وصدع وهللّ، حمدُ الله هو أولى ما سُطرّ، وصدع المهلل، أول الحكم للمصارع، وأجلى ما ورد على المسامع، وأسعد ما رصع على أصول العلوم والمطالع، وأود ما حرر وأطرد على سمع السامع، وأعلى ما أهداه السعد إلى المساعد والمطاوع، وأكد ما أولاه الصلحاء لكل والبع صادع، ومهما كلل حلال الكلام على الدرر واللوامع، وهو الموصل إلى سمو أعلى المطالع، أحده حمد مملوك مادح حامد طامع، وأوحده وهو الواحد الملك المالك كل مصل راعع، وأودعُه ما سطر أهل الأود الهوامع لا إله إلا هو وحده لا حاكم معه ولا وال ولا مطالع، مصل ومسلم على الرسول الطاهر المراد، حامل لواء الحمد والمحامد، وأكرم كل مكرم وأحمد كل حامد ...»، وبعد انتهائه من المقدمة ذكر القصيدة، وهي تحتوي على أربعين بيتا استهلّها بقوله:

هل من يبلغ ذات الحلي والحلل      سلام صب بلي بالهجر والحلل  
بنية بنت عشر - عرف بنيتها      يحيي النفوس ويبري القلب من علل  
ليلية الشعر الهندي مفرقها      مبيضة مثل ضوء في السماء علا

هذه لقطات من هذه الصفحات المجهولة من تاريخ التعاون الثقافي بين البلدين في ظروف حرجة اجتازتها البلاد في أواخر العهد الحفصي، وتدعيما لإثبات ذلك نذكر ما قاله أحد المؤرخين في الموضوع وهو المؤرّخ المشهور الحاج أحمد المبارك قال في تأليفه:

(تاريخ حاضرة قسنطينة)، ولما وقع الصلح بين القبائل والأتراك اختلف أهل قسنطينة فمنهم من أذعن للأتراك ومنهم من امتنع وكان رأس الممتنعين الشيخ العالم سيدي عبد المؤمن ورأس الراضين بدخول الأتراك العالم الجليل سيدي عبد الكريم الفكون، ونزل الأتراك بسطح المنصورة وشرعوا في بناء قصبة هناك لعسكرهم، وأظهروا العدل والسياسة وخالف سيدي عبد المؤمن وأهل حومة باب الجابية على الترك وقاتلوهم ثلاث سنين إلى أن تحيلوا على الشيخ سيدي عبد المؤمن وكانت له مشيخة البلد فصالحوه ولم يزالوا ينصبون له حبالل المكر والخداع حتى تمكنوا به، دعوه لضيافة بقصبة المنصورة فأجابهم وخرج إليهم آمنًا فقتلوه وسلخوا جلده وملأوه قطنًا وبعثوا به إلى الجزائر ودفنت جثته بمسجده المعروف به اليوم، فلما قتله الأتراك ردوا مشيخة الإسلام وإمارة الركب (الحج) إلى ابن فكون<sup>(1)</sup> «اه ما كتبه المؤرخ السابق الذكر.

كانت هذه الأحداث أي تولية الشيخ عبد الكريم ابن الفكون<sup>(1)</sup> وهو جد مترجمنا مؤلف الكتاب حوالي سنة 975 هـ، وقد توارث أفراد أسرته هذه الخطة طيلة العهد العثماني.

نكتفي بهذا القدر ولنرجع إلى تميم ترجمة صاحب التأليف الذي عرفه معاصره أحمد المقرئ التلمساني بقوله: «عالم قسنطينة وصالحها وكبيرها ومفتيها سلالة العلماء الأكابر وارث المجد كابرا عن كابر، المؤلف العلامة الشيخ سيدي عبد الكريم بن الفكون (رحمه الله) ... الخ».

وقال أبو سالم العياشي في (رحلته) يصف في أخريات حياته إلى الحج قال: «وكان (رضي الله عنه) في غاية الانقباض والانزواء عن الخلق ومجانبته علوم أهل الرسوم

---

(1) عبد الكريم ابن الفكون هذا، كثيرا ما اشتبه على المؤرخين، ب: حفيده مؤلف الكتاب، وقد ولد الحفيد سنة 988 هـ وهي السنة التي توفي فيها جدّه.

بعدها كان إماما يقتدى به فيها، وله في كثير منها تأليف يُشهد له فيها بالتقدم عن أهل عصره...»، إلى أن قال: «... ومروياته (رضي الله عنه) مستوفاة في فهرسة شيخنا أبي مهدي عيسى الثعالبي، فنحن نروي عنه جميعا» اهـ.

كما ترجمه علي الأجهوري المصري وتبادل معه الإجازات.

نقتصر على هذه النبذ من ترجمة المؤلف ونختتمها بذكر ترجمة عالم شهير ختم به قائمة مترجميه وهي كل ما يسمح لنا به مجال هذه الدراسة، خصوصا وأن المؤلف تعرض في هذه الترجمة لجوانب من حياة بعض من ذكرناهم من العلماء الذين كان لهم به اتصال كما أن لهذا المترجم شهرة عالمية وما زال محل عناية العلماء والباحثين المعاصرين ومع كل هذا فالجوانب التي تعرض لها مؤلفنا في حياته أكثرها مجهول، ختم المؤلف تأليفه بقوله: «ومن جملة من نذكره هنا، وإن نأت داره، وبعد مستقره وقراره، الحافظ النحرير، أفصح زمانه ودره وقته وأوانه، أبو العباس أحمد المقرئ، وأختم - إن شاء الله - هذا التأليف: كان خطيبا بجامع القرويين بفاس وأصله من مدينة تلمسان، قريب خطيب إمام جامعها أبي عثمان سعيد المقرئ، وارتحل إلى فاس وقطن بها، وحصل له من العلم واستعان عليه بالحفظ، وبعد فساد بلد فاس بتبديل دولها بين أولاد أميرها، وتداعت للخراب ارتحل، يقال إنه عن خوف من الأمير الذي تولى آنذاك، لكونه فيما يقال له خلطة بالأمراء، والانتماء إلى بعضٍ دون بعض، فنزل بدار الجزائر على فقهاؤها وعلمائها، وتصدى للتدريس، وقرأ التفسير على ما قيل إلى أيام إقامته، وسأله عالمها وخطيبها حبيبنا الله تعالى أبو عثمان سعيد بن إبراهيم، الملقب ب: قدورة<sup>(1)</sup>،

---

(1) سعيد قدورة: من أصل تونسي، ولد ونشأ بالجزائر، له شهرة، وهو الذي ركز عليه الروداني (فهرسته)، وكذلك ابن زكور الفاسي، وله رحلة إلى الصحراء، وهو من تلاميذ سعيد المقرئ عم أحمد المقرئ المترجم.



وبيني وبينه محبة ورسائل (نفعنا الله بما فيها) ...»، إلى أن قال: «ثم سافر للمشرق واجتاز على تونس، وصحبه منها إمام جامع الزيتونة بها أبو محمد تاج العارفين المذكور قبله، ولم يكن آنذاك متولياً للجامع المذكور، وإنما تولاه بعد قدومه من الحج، فسافرا معا إلى الحج في البحر، وأقام أبو العباس المقرئ بمصر ودرس بها بجامعها الأزهر، وأولاه من فقهاءها الشيخ أبو الحسن الأجهوري، وهو صاحب الجواب الذي ذكرته عنه في تأليفنا: (محدد اللسان في إباحتها شرب الدخان)»، إلى أن قال: «... وظهر للمقرئ صيت عظيم بمصر، وقصد أشرف دولتها بالنظام، وأجازوه في غير ما مرة، وكذا تجارها، وتزوج بها بنت السادة الوفائية، وتكرر حجه وزيارته»، وقد ذكر المؤلف أن كثيرا من أصدقائه الذي اتصلوا به في الحج أثنوا عليه، ثم تعرض لذكر قضية إعراب قوله تعالى: ﴿وَلَا تُتَمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ﴾ (البقرة: 150)، في تفسير ابن عطية، كان تلميذ المؤلف سأل عنها أبا العباس المقرئ، وسبق له أن سأل عنها المؤلف - أي: ابن الفكون - واطلع المقرئ عليه، فظهر للمؤلف أن المقرئ لمزه، وانطلاقا من هذه القضية حمل عليه حملة شنعاء، فاكتفينا بالإشارة إليها، إذ لو أثبتناها لما وسعتنا عدة صفحات، ولهذا اقتصرنا على ما علق به المؤلف عن رأيه في القضية، ثم رأي المقرئ وعلق عليها بما يلي: «قلت: هذا جوابه، وقد ضمته التقيية من إبانة خطئه من صوابه، وليس هذا من شأن العلماء العاملين، ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (العنكبوت: 69)، ولعمري لقد خان الله ورسوله بزعمه أنه علم من الجواب أبوابا يدخل منها، فغطاها بتزويق الألفاظ، وما ألقاه لهذا الأمر إلا الثناء الجميل وحب المدحة المنهي عنه من الشرع، فباع إظهار الحق على زعمه بثمن عاجل، فدخل في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ، فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَأَشْرَوْا بِهِ مُمْنًا قَلِيلًا فَبُئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ (آل عمران: 187)، أليس الواجب

عليه تبيين ما في الجواب من الخطأ والصواب؟ ولا عليه ممن قال أو يقول، هذا، وهو في فسحة من دنياه، وبينه وبين صاحب الجواب بلاد ومهامه ومفاوز خطيرة، فكيف لو كان بقربه أو نزيله؟ وهذا الذي أورثه ما أورثه، والله عاقبة الأمور، وقد راجعتُ ما خرج من يدي من الجواب بعد كتابته ما كتبَ عليه، فلم أر فيه ما يخالف القواعد، بل ما تأولتُ به كلام ابن عطية هو الذي وقع لغيره من بعض العلماء في إعرابه، فإن كانت الأبواب من أجل التأويل المذكور فقد بيننا أنها على غير الظاهر، إلا أن الظن بابن عطية لم يُرد ظاهرها، فنزّهناه عن الورطة التي أحبَّ هذا الشخصُ إيقاعه بها، وإن كانت هي نفس التأويل، فهو قولٌ منصوص للعلماء، ودعوى إنكاره جهلاً وتجاهلاً، وتحريف من صاحبه، إلى أن يقول: لا لا، ولا أسلم، وليس العلم هو ذلك، أو سرد الروايات وحفظ الألفاظ، وقد قدّمنا ما قاله ابن العربي في ذلك من أن العلم ليس بكثرة الرواية، وإنما هو ما يظهر عند الحاجة إليه في الفتوى من الدراية، قال: فأما السردُ للمعلوماتِ فإنما حدثَ عند فساد القلوبِ بطلب الظهور، والتعالي عن الأقران، وكثرة الرياء في الأعمال. اهـ والله درّه فلقد أوضح في المقال وأبدع، فهذه صفة الحال، لا ترى إلا من يُبادر: قال فلان، قال فلان، أو يأتي بنصّ التأليف على ما هو عليه في الكتاب، فإن صادف الحكمُ الحكمَ نجا، وإلا صار أعجز من صيدٍ في شبكة، كلُّ ذلك من حبِّ المدحة في الدّعوى، وصرف قلوب الخاصة والعامة إليه، ثم هو إن سئل عن وجه الجمع بين المتشابهين أو الفرق بين المسألتين، يقول: النصُّ هكذا، ويستظهر بحفظ النصوص، وهل هذا إلا جمودٌ في غاية الجمود؟ ولقد حكى لي عن أبي العباس المذكور من أثقُّ به أنه سأله عن قول ابن مالك:

#### والخبر الجزء المتم الفائدة

وفيه إن كان فيه، فصرف الوجهة إلى أن حدود ابن مالك كلها مدخولة أو مفترضة،

فانظر هذا الجواب من هذا الحافظ الذي أوقعه فيما هو أدهى وأمر من الحكم بكلية لا تسلّم مقدماتها، ولا تصدّق نتائجها، مع أنه كان يسلم بالجواب عن المسألة المسؤول عنها فقط إن حصل له، أو: لا أدري، التي هي أسلم، وقليل من الناس يرضاها...»، إلى أن قال: «والرّجل فرح بما أوتي من فصاحة اللسان، وصوغ الشعر، وحفظ التصانيف والأقوال، وجانبته رياح التوفيق، فتغطى فكره عن اقتناص بنات التدقيق، وهل طلب المولى من العبد إلا العلم، والعلم غير الحفظ، وهو نور يقذفه الله في قلب من يشاء، ثم إذا أنعم المولى على العبد بنعمة الحفظ أو فصاحة اللسان، إنما تقابل بالشكر الذي هو سبب المزيد، لا بالاحتقار والاستصغار لغيره، وهل ما ناله من كده أو كدّ أبيه أو جدّه؟ إنما الفضل والمنة لله لا لغيره، ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ (النساء: 113)، فلا يرى الموفق لنفسه فضلا، ولا شفوفا على غيره ممن لم يصل إلى درجته، هذا هو عين الصواب، وطريقة العلماء العاملين، أي لو كان ما عنده من الحفظ الفهم فيما حفظ، والمعرفة بأبحاثه وتوجيهاته، فما بالك بمن هو جامد في ذلك، كما قال في جوابه: إنه منه كالصدى صوت خال عن معنى، ثم أوضح دخيلاءه، وأظهر ما كمن في النفس من الحسد ورفعة النفس وترفُّعها، أن جعل للدّماميني البيت المذكور، ليتوصّل به إلى إذاية المجيب وانتقاصه، حيث ذكر لفظة: عندي، بأن قال:

وَمَنْ أَنْتُمْ حَتَّى يَكُونَ لَكُمْ عِنْدُ؟

أرأيت هذا يحسن جوابا في معرض الأنظار، وإنما يصلح في محاوراة السب المنهي عنه شرعا، وكيف يتعاطاه من تصدّى لمرتبة وراثته النبوة؟ أما يكفيه بُعدا وطرادا من ساحتها أن رماها وراء ظهره، واتصف بأوصاف ما نهى عنه النبي ﷺ، فأبي طريق تسلك بهذا؟ وأي علم يؤخذ عنه أو يقلد فيه أو يؤتمن على سماعه منه؟ ثم يقال له: أي شيء أوجب لك من هذه اللفظة الإنكار؟ أفهمت منها ما لم يأمر الشرع به من تعظيم النفس، فهو

تنقير منك عن القلب، واتهام المسلم بما لا يقوله ولا هو في خلده، وهو تعالى يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، وما مثلك في ذلك إلا كمن اعترض قول العلامة ابن عرفة: لا أعرفه، زعما منه أنه تعظيم منه لنفسه، وأن ما لا يعرفه لا يكون معروفا، إذ لا يعلم من عدم الوجدان عدم الوجود، ولعل هذا مني ربما يفهمه صاحب (التطريز)، أو ما كان على شاكلته أنه تعظيم ورفعة للنفس لتشبيهه بابن عرفة، وإنما هو استظهار للواقع، وتنظير للقول لا باعتبار القائل، فإن لفظة: عندي، أوقعتها في موقعها، ولا يلزمني استحضار كل الألفاظ المؤدية لمعناها حتى أختير منها ما يصلح عند المعترض، بل البحث إنما أعرفه لنفسي، ووقع لي لا لغيري، فإن أطلقت البحث من غير تقييده بحيثية الإضافة إلى النفس أهملت الأمر على السامع، وأوهمت أنه لغيري، فربما تعطل النظر فيه...».

نكتفي بهذا القدر عملا بأقوال الحكماء: «ما لا يدرك كله لا يترك جله»، وقد ختمتها بنبذة من ترجمة أبي العباس أحمد المقرئ التلمساني، أحد مترجمي المؤلف الذي ختم به قوائم مترجميه في التأليف، اخترته كنموذج للمترجمين في التأليف وتتميمًا لترجمة العالم الذي تبادل معه المؤلف بالمراسلة من قصر جابر، وهو أبو محمد تاج العارفين (إمام جامع الزيتونة)، كما أن الجوانب التي تعرّض لها المؤلف عند ترجمته لـ: المقرئ مجهولة تماما، لا عند معاصريه، بل وحتى عند المتأخرين الذين تناولوا ترجمة حياته في عهدنا هذا، ومن بينهم من جعل ترجمته موضوع أطروحة نال بها الدكتوراه من جامعة الجزائر، وغيرهم من أساطين العلماء الباحثين، كما أن التعاون الثقافي بين البلدين لا يقتصر على من ذكرناهم في هذه الدراسة، بل هناك آخرون ممتازون منعنا من ذكرهم ضيق مجال هذه الدراسة، أمثال مصطفى برناز التركي الأصل، الذي أقام بمعهد متخصص في القراءات في وادي بجاية في القرن الحادي عشر، واتصل بكثير من علماء الجزائر آنذاك.

وأمنيته العود إلى الموضوع في فرصة أخرى.

## علاقات الجامع الأزهر بالجزائر بمناسبة عيدهِ الألفي (1)

فتحت (مصر) كما هو معلوم سنة 20هـ على يد عمرو بن العاص (رضي الله عنه)، وكان أوّل عمل قام به بعد الفتح، تأسيسه للمدينة المعروفة بـ (الفسطاط) العاصمة الإسلامية، وفيها أسّس مسجده المعروف بـ (جامع عمرو)، ثمّ (الجامع العتيق)، وذلك سنة 21هـ / 641م.

وفي سنة 123هـ / 750م أسّست قرب مدينة (الفسطاط) مدينة (العسكر)، أسّسها صالح بن علي بن عبد الله بن عباس قائد جيش الخلافة العباسية، الذي تعقّب مروان بن محمّد آخر خلفاء بني أميّة، وألقى عليه القبض ثمّ قتله، وبعد ذلك أسّس مدينة (العسكر)، التي هي عبارة عن معسكره، ولهذا وضع لها لفظ العسكر، وفيها بنى مسجده المعروف بها، ثمّ أسّس أحمد بن طولون مدينة (القطائع) سنة 256هـ / 870م، لتكون عاصمة أو قاعدة مملكته الجديدة، وبنى مسجدها الشّهير بـ (مسجد ابن طولون).

هذه هي المدن الثلاث أو الأرباض الثلاثة التي وجدها جوهر الصقليّ، قائد المعزّ لدين الله الفاطمي، عندما فتح (مصر) سنة 358هـ على رأس جيشه العمرم الذي كان معظمه من قبائل كتّامة الجزائرية.

---

(1) ملتقى الفكر الإسلامي، الملتقى السابع، تيزي وزو، 1393هـ / 1973م، ج/5، ص: 2123 - 2143. (ع)

وبمجرّد انتهاء الفتح أسّس جوهرُ المدينة التي عُرفت باسم (القاهرة) المعزية الخالدة، أي في سنة الفتح نفسها، ثمّ وضع أساس مسجده الذي عرف بـ (الجامع الأزهر) سنة 359هـ، وأنها سنة 360هـ أو 361هـ / 970هـ، وبعد إتمامه كتب جوهر بدائرة قَبَّته ما يلي: «مما أمر ببنائه عبد الله ووليه أبو تميم معد الإمام المعز لدين الله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه وأبنائه الأكرمين على يد عبده جوهر الكاتب وذلك في سنة ستين وثلاثمائة» فمن هذا يتبيّن أن الأزهر هو أقدم جامعة عالمية، لا جامعة بولونية الإيطالية التي قيل إنها أقدم جامعة عالمية، وذلك أنها تأسست سنة 1119م - أي: بعد الأزهر بمائة وتسعة وأربعين (149 سنة) - ثم نجد السوربون بـ : باريس تأسست بعد جامعة بولونيا في القرن الثاني عشر، وجامعة أكسفورد بـ : إنجلترا تأسست سنة 1224م.

ولا يمنع وصف الأزهر أنه أقدم جامعة عالمية من وجود جامعي الزيتونة والقرويين قبله: فجامع الزيتونة بتونس يرجع تاريخ تأسيسه إلى (80هـ / 699م)، إذ اختطه لأول الفتح الإسلامي القائد الأموي الطائر الصيت حسان بن النعمان الغساني، ثم أعاد بناءه القائد الأموي عبيد الله بن الحجاب في سنة 116هـ / 734م، وهذا التاريخ الأخير هو ما يقتصر عليه كثير من المؤرّخين الذين ينسبون تأسيس الزيتونة إلى عبيد الله بن حجاب، والحقيقة ما ذكرناه، وإنما كان الجامع عند تأسيسه سنة 80 بسيطا جدا، وهذا لا يمنع أنه جدد في موقعه الأول، والبساطة كانت تمتاز بها جميع مساجد الإسلام في عهد نشأتها.

كما أن القرويين بـ : فاس أسّس سنة 245هـ / 859م، وإنما اختصّ الأزهر بوصف القدم لأنه يمتاز عنهما بمواصلته لمهمته العلمية من دون انقطاع إلى يومنا هذا، وإن وجدنا في تاريخه الطويل فترات تخلّلتها ركود وضعف وتعطيل، ومع كل هذا فإنه

فرَضَ نفسه، وحافظ على صبغته الثقافية الدينية، إلى أن صار سكان مصر وغيرهم من المسلمين يرونه رمزا، وجزءا لا يتجزأ من تاريخ مجدهم الديني والدنيوي، وكل من حاول من الملوك والسلاطين أن يخفف من شأنه، أو ينهي مهمته الثقافية، حيث كانوا يرونه امتدادا للدعوة الشيعية بعد تقلص ظلها ابتداءً من عهد الأيوبيين، فكل من أراد ذلك ارتطم بالرأي العام الذي كان يفرق بين الملوك الشيعيين والأزهر، وهذا هو السبب في اكتساب الأزهر الحصانة التي جنّبه كل مكروه، وصارع بها الأجيال وأدى مهمته كاملة.

لما فتح جوهر الصقلي مصر، أدى أول صلاة له بالجامع العتيق، أي جامع عمرو بن العاص في الفسطاط وذلك في شعبان 358هـ، قبل الشروع في بناء الجامع الأزهر وفي هذه الصلاة خطب لأول مرة للخليفة المعز لدين الله الفاطمي بدلا من الخليفة العباسي، وقد أمر جوهر بنقش جدار المسجد العتيق المذكور وصبغه باللون الأخضر الذي هو شعار العلويين، وزيد في الخطبة: «اللهم صل على محمد المصطفى وعلى علي المرتضى وعلى فاطمة البتول، وعلى الحسن والحسين سبطي الرسول، الذين أذهب عنهم الرجس وطهرتهم تطهيرا، اللهم صل على الأئمة الراشدين أبناء أمير المؤمنين المهادين المهتدين».

كما أم جامع ابن طولون، وزيد في أذانه: «حي على خير العمل»، وهي عبارات شيعية، ثم أم جامع العسكر، وجامع ابن طولون على تعليم اللغة العربية وأصول الدين، وخصص الجامع الأزهر بصلاة الجمعة الرسمية، وذلك ابتداءً من أول صلاة صلاها فيه جوهر في 7 رمضان 361هـ، ولما فارق المعز لدين الله مملكة إفريقيا، وخلف عليها عامله بلكين بن زيري وأخذها عاصمة المملكة بدلا من المهديّة، افتتحت الدراسة بالأزهر في صفر 365هـ/ 975م، وكان أول من ألقى الدرس الأول القاضي

أبو الحسن علي بن النعمان، وكان موضوع الدرس: (مختصر الاقتصار) في الفقه الشيعي، تأليف والده القاضي الذائع الصيت النعمان بن محمد فقيه الشيعة الشهير، الذي صحب الملك المعز لدين الله عند مجيئه إلى مصر، وقد توفي سنة 353هـ وصلّى على جنازته الملك المعز، ولفقيه الشيعة القاضي النعمان القيرواني شهرة عظيمة في الأوساط الشيعية إلى يومنا هذا، وقد أحيا الشيعيون تراثه، وطبعوا عدّة كتبٍ من تأليفه، منها: (دعائم الإسلام)، فقد انتشر بالقاهرة منذ سنين قليلة، وما زال عمدة طائفة البهرة في الهند، وبعد وفاة الملك المعز لدين الله وتولية ولده الخليفة العزيز أبي الحاكم تطوّر الأزهر واستحال إلى معهد علمي له أهمية، حيث إنّ الخليفة المذكور عيّن فيه دفعة واحدة خمسةً وثلاثين مدرّسا شيعيا لتدريس الفقه على مذهب الدولة وبقية الفنون، ك: العقائد، والأدب، ثمّ ابتنى لهم مساكن مجاورة للجامع، وأجرى عليهم المرتبات، وصار يمنحهم مختلف الإعانات والهدايا، كما شملت رعايته جميع الطلبة الملتحقين بالأزهر فإنه التزم بجميع ما تستلزمه ضرورياتهم من مأكل ومشرب وملبس ومسكن.

وبعدما حول الخليفة العزيز أبو الحاكم بن المعز لدين الله مسجد الأزهر إلى معهد ديني، شرع في بناء مسجده الشهير ب: مسجد الحاكم، وذلك سنة 379هـ/ 989م، تحت إشراف وزيره الشّهير الذي كان الرأس المفكّر للدولة أبو الفرج يعقوب ابن كلس اليهودي الأصل، إلا أنه أسلم وحسن إسلامه، وبرهن على صدقه وإخلاصه، وكان من أنبغ علماء عصره ومفكّريه، وقد صلّى في المسجد الجديد - مسجد الحاكم - الخليفة العزيز قبل الانتهاء من بنائه، صلّى فيه الجمعة، وذلك في 14 رمضان سنة 381هـ وقد تمّ بناء هذا المسجد سنة 403هـ/ 1012م، وحبس عليه الأحباس، وصارت تقام فيه صلاة الجمعة بعد أن كانت مقصورة على الأزهر، ومن ذلك العهد سمّي ب: جامع الخطبة، كما صارت الجمعة تصلّى ب: جامع عمرو بن العاص، وجامع أحمد بن طولون،



على التوالي، وقد بقيت هذه المساجد وبعض آثارها إلى يومنا هذا، واهتمَّ بدراسة آثارها المعمارية كثير من الكتّاب، مسلمين وأجانب، هذه نبذة من تاريخ الأزهر في عهد مؤسسيه الفاطميين.

### الأزهر في عهد الأيوبيين:

لما قضى صلاح الدين الأيوبي على الفاطميين سنة 567هـ/1171م، وتولى الملك أراد أن يجرد الأزهر من صبغته الرسمية التي اشتهر بها طوال عهد الفاطميين، من أنه مركز انبثاق وإشعاع للتعاليم الشيعية، وتدعيمها بالحجج والبراهين، إلا أن الرأي العام لم يكن متهيئاً لقبول هذه الصدمة، رغم أنه كان متدمراً ببقايا الخلفاء الفاطميين، خصوصاً بعد أن ثار عليهم ولاية إفريقية بنو زيري وتبرؤوا من مذهبهم الشيعي، وأظهروا ما خفي على الناس من تصرّفاتهم وعقائدهم، بعد أن انتصروا للفقهاء السنيين الذين تزعموا المعارضة في إفريقية والأندلس، مما هو مذكور بمزيد من البيان والتفصيل في الكتب التي خصّصها أصحابها لتاريخ هذا الصراع السري والعلني، وأهمها كتاب: (رياض النفوس)، لـ: أبي بكر عبد الله بن أبي عبد الله المالكي الذي اعتنى بتقديمه وتحقيقه الدكتور حسين مؤنس، وتعرّض في تقديمه لجميع أطوار هذا الصراع الذي كانت بدايته مغادرة أو التفكير في مغادرة الخلفاء الفاطميين لإفريقية بعد ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد الخارجي الإباضي، المشهور بـ: (صاحب الحمار)، ونهايته بالقاهرة على يد صلاح الدين الأيوبي.

استعمل صلاح الدين طرقاً ملتوية للوصول إلى هدفه، فأصدر أوّلاً فتوى من قاضي القضاة الشافعي بالقاهرة عبد الملك بن درباس لنقل الجمعة الرسمية من الأزهر إلى الجامع الحاكمي - الذي وإن كان مركزاً شيعياً ممتازاً إلا أنه أقل أهمية من الأزهر - الذي بناه الخليفة العزيز أبو الحاكم، ووضع أساسه سنة 379هـ، فأفتاه قاضي القضاة

المذكور وعلل فتواه: «بأن الجامع الحاكمي أوسع رحاباً وأكثر جدة من الأزهر»، وبعد أن صارت الجمعة تصلّى بالجامع الحاكمي، وكان تعليل الانتقال مقبولاً، ولم يثر جدلاً، أصدر قاضي القضاة فتوى أخرى أفتى فيها بعدم جواز إقامة خطبتين للجمعة في مسجدين يقعان في بلد واحد، فتوصل صلاح الدين إلى هدفه، واستبدل الأزهر بالجامع الحاكمي، ولكن سمعة الأزهر وشهرته جعلت معظم العلماء الوافدين على مصر في طريقهم إلى الحج يقصدونه ويعقدون فيه حلقات دروسهم، ولم يرضوا برحابه بديلاً، ومن اشتهر من العلماء الوافدين على مصر في تلك الظروف إمام القراءات الشهير أبو القاسم الشاطبي الرعيني (538 - 590هـ) الذي كتب لتأليفه في القراءات: (حرز الأمان)، أو (الشاطبية)، أو (اللامية)، الخلود إلى يومنا هذا في العالم الإسلامي كله عند المشتغلين بالقراءات، خصوصاً في برامج الجامعات، ك: الأزهر، والزيتونة، والقرويين.

عقد الإمام الشاطبي حلقات دروسه بالأزهر وفي رحابه، رغم أنه دعي إلى التدريس بعدة مدارس، وضافت رحاب الأزهر بحلقات دروس علماء البلاد وخارجها رغم تجريده من صلاة الجمعة الرسمية، شاهد صلاح الدين الأيوبي أن الضجة التي أقامتها فتوى قاضي القضاة في تحويل صلاة الجمعة من الأزهر إلى الجامع الحاكمي لم تؤت ثمرتها المنتظرة، ولم ينس السكان الأزهر بل بقي مع الفاصل الزمني يؤدّي رسالته الثقافية، وكان محط رحال العلماء الذين ملأوا رحابه من مختلف البلاد الإسلامية، خصوصاً علماء الأندلس والمغرب، فعندئذ التجأ صلاح الدين إلى محاربة آثار الشيعة في الأزهر بالسلاح العلمي الديني، ففكر في إنشاء المدارس، واختار لها نخبة من العلماء السنيين، فأسس المدرسة الناصرية إلى جانب مسجد عمرو ب: الفسطاط، لتدريس الفقه الشافعي، ثم أسس مدرسة أخرى لتدريس الفقه المالكي،

والتي اشتهرت بالمدرسة القمحية، ثمّ كانت مدارس أخرى ك : الكاملية، والإصلاحية، وقبة الشافعي، وجوامع الحاكم، وابن طولون، وعمرو بن العاص ... فكانت كلها معاهد، ثم صادفت هذه الفترة استرجاع الإسبان لعدّة مراكز علمية بالأندلس، كطليطلة وغيرها، ثم اضطرابات بغداد فكانت هجرة كثير من علماء الأندلس إلى بلاد المغرب ثم القاهرة، وكان معظم المهاجرين إلى المغرب لما يذهبون إلى الحج ويمرون على القاهرة ينزلون بالأزهر وفيه يُلقون حلقات دروسهم، ويتصلون بالعلماء الأزهريين والواردين على الأزهر، فيتبادلون معهم الإجازات والتأليف.

### الأزهر في العهد المملوكي:

لما تولى الظاهر بيبرس رأى أن الفرصة سنحت لإرجاع الأزهر إلى مكانته، فكلف نائبه الأمير عز الدين ايدمر الحلي نائب السلطنة - كما كانوا يعبرون عنه إذ ذاك - للقيام بالمأمورية، فبدأ الأمير عز الدين بجمع ما تبدّد من أوقافه، وانتزعها من أيدي غاصبيها، ثم جدد الجامع الذي لقي الإهمال التام في العهد الأيوبي، وبلط أرضيته، وأنشأ له مقصورة رائعة فخمة ومنبراً، ثم شرع في ترتيب دروس فقهية فيه وعين لها فقهاء أجلة من مختلف المذاهب، كما عين إلى جانبهم أستاذة مشهورين محدثين ومفسرين ومقرئين، ثم استصدر بدوره فتاوى من علماء البلاد بجواز صلاة الجمعة فيه، فأفتاه جلهم وامتنع قاضي قضاة الشافعية إذ ذاك، وهو تاج الدين بن بنت الأعز، بل أفتى بمنع هذه الصلاة، وكان أغلبية سكان مصر إذ ذاك شافعيين، فكثرت الجدل حول هذه المسألة، فلم يسع نائب السلطان عز الدين إلا الاستمسك بفتوى القاضي الحنفي الذي أفتى بجواز الصلاة، وأقام الصلاة في الأزهر، وكان ذلك في يوم الجمعة 18 ربيع الأول سنة 665هـ وأقيمت هذه الصلاة في يوم مشهود شارك فيه الشعب بإقامة الأفراح المختلفة، وأقام نائب السلطنة مأدبة فاخرة لجميع من شاركوا في تدشين

صلاة هذه الجمعة وواصل الأزهر مهمته واسترجع الصلاة الرسمية بعد أن جرد منها حوالي مائة سنة كاملة، إلى أن نكب بالزلزال الذي أصاب جانبا من البلاد الشرقية سنة (702هـ/ 1302م)، وقضى على كثير من معالم القاهرة التي كان من ضمنها الأزهر، ثم جدد بناؤه على نفقة سيف الدين سلار الصالحي المنصوري مملوك علاء الدين علي بن منصور قالون المشهور بأثاره في مصر ومنها مدرسة ومسجد ما زالوا قائمين.

### الأزهر في العهد العثماني:

نجده يتلخص فيما قالته: سنية قراعة في كتابها (تاريخ الأزهر) قالت: «ولئن كان العصر العثماني في تاريخ مصر قد أراد للجامع الأزهر شيئا لم يردده الله الذي قدره للأزهر العتيد، مزيدا من الرفعة والعلو والمضاعفة في التبعات الدينية والعلمية، فإن نظام الحكم الذي أقره السلطان سليم في البدء، واتبعه خلفاؤه من بعده كفل للجامع العتيد وحلقات الدراسة فيه مزيدا من الحياة والبعث والرفعة».

وحقيقة أمكن للأزهر في العهد العثماني الذي حاول فيه السلطان سليم أن يطمس معالم القاهرة حيث نُسب إليه هدم كثير من المساجد الأثرية، ونقل ما اشتملت عليه من تُحف وزخارف إلى عاصمته (الأستانة) كما نسب إليه نقل ونهب نفائس المخطوطات، بل نقل جل علماء البلاد إلى الأستانة، ولكن الأزهر لم يبق مكتوف الأيدي أمام هذه التحديات والتعديت، فإن أحد علمائه حمل لواء المعارضة ووقف في وجه هذا الطغيان، وله قصص مشهورة لا يسع المقام لذكرها، وإنما ترضية له ولزملائه تقرب الوالي التركي إليهم بإحداث وظيفة شرفية وهي وظيفة شيخ الإسلام التي كانت لا تمنح إلا لأعظم شخصية دينية بالأستانة، عاصمة الخلافة العثمانية، وقد أعطيت هذه المشيخة للشيخ السنباطي الأزهري الذي كان أول من وقف ضد تصرفات الوالي التركي، ولكن السنباطي وزملاءه، كانوا مقتنعين بأنهم يشخصون الأزهر، الذي كان

الممثل الوحيد - من دون منازع - للرأي العام الإسلامي، بقي لقب: شيخ الإسلام،  
يمنح لعلماء الأزهر في العهد التركي أمثال الأئمة: المناوي الشيشيني، والعلقمي،  
والصفدي، والزرقاني، والشرنبلالي، والجبرتي الأكبر، والبحيري، وغيرهم.

### إحداث مشيخة الأزهر:

ثم بعد مشيخة الإسلام التي كانت شرفية، أُحدت مشيخة الأزهر التي اعترفت  
لصاحبها بالتصرف التام والإشراف على جميع شؤون الأزهر المادية والأدبية، وبقيت  
هذه الوظيفة السامية يتوارثها كبار العلماء إلى يومنا هذا، أحدثت هذه الوظيفة في العهد  
العثماني ابتداءً من أوائل القرن الحادي عشر، وكان أول من عين في هذا المنصب الإمام  
أبو عبد الله محمد بن عبد الله الخرشبي المالكي، المشهور في العالم الإسلامي بتأليفه  
خصوصاً شروحه على (مختصر خليل)، توفي الخرشبي عام 1101هـ/1690م، وقد  
توارث مشيخة الأزهر علماء أجلة أمثال: إبراهيم البرماوي الشافعي، وأحمد النفراوي،  
وعبد الباقي القليني، وإبراهيم الفيومي، ثم الشيخ سالم الحفني الذي كان الشيخ الثامن  
للأزهر، وكان عضواً في مجلس الحكم، وكانت له مواقف سجّلتها له التاريخ، منها أنه  
عارض والي البلاد لما أمر بإخراج حملة حربية إلى أحد أقاليم الصعيد، ولم يسع الوالي إذ  
ذاك علي بك الكبير إلا الرضوخ لرأي شيخه وتنفيذ أمره، والشيخ الحفني هذا هو أستاذ  
الشيخ محمد بن عبد الرحمن الجرجري القشطولي ناشر الطريقة الرحمانية في الجزائر.

### طلبة الأزهر:

اشتهر الأزهر في تاريخه خصوصاً في أواخر العهد العثماني، إنه كان يأوي طلبة العالم  
الإسلامي، خصوصاً بعد سقوط بغداد في حروب المغول، وخصصت لسكنى هؤلاء  
الطلاب أروقة الأزهر وكان عددها يصل إلى 25 رواقاً وكل رواق له شيخ يراقبه

ويتصرف في شؤونه، وكان طلاب الأروقة يعبر عنهم بالطلبة المجاورين، ولقب مجاور هذا قديم في تاريخ الأزهر، إذ أطلق في أواخر القرن الرابع في عهد العزيز الفاطمي على الأستاذة الذين كانوا نواة للأزهر وبنيت لهم مساكن بجواره، فصار يطلق عليهم المجاورون، كان هؤلاء الطلبة من عدة أجناس، ومن مختلف البلاد الإسلامية، زيادة على المصريين، وكانت لهم جراية من الأحباس تختلف مع الأزمنة قوة وضعفا.

### الأزهر والتطور:

وقد رأينا تعميما للفائدة نقل مقال قيم في الموضوع نشرته: (مجلة العربية) الكويتية تحت عنوان: (الأزهر في عيده الألفي يفتح أبوابه للفتيات)، وهذا العدد مؤرخ في ذي القعدة سنة 1392هـ قال في التطور: «في تاريخ الأزهر الكثير من محاولات الإصلاح والتطوير وذلك للقضاء على التخلف الذي لحقه نتيجة الفتح العثماني لمصر من عام 923هـ إلى 1123هـ (1517م - 1798م)، والذي أدى إلى هجرة الكثير من علماء الأزهر وطلبته إلى أقاصي الصعيد، فرارا من عسف الحكام وجورهم، وقامت نتيجة ذلك حركة علمية أدبية دينية، في مدن قفط وقوص وغيرها من مدن الصعيد، وفي القرن التاسع عشر بدأت في مصر حركة تجديد وتطوير، ودخلت نظم التعليم الغربية في مدارسها ...

ولكن الأزهر ظل على جموده بعيدا عن هذه التطورات، وكان أول من طالب بتطوير الأزهر رفاعة الطهطاوي (1216هـ - 1290هـ) تعلم في الأزهر واستكمل تعليمه في فرنسا حينما كان إماما للبعثة الموفدة من مصر في عهد محمد علي، وكان له أثر كبير في النهضة العلمية والفكرية، وهو مؤسس مدرسة الألسن ومنشئ جريدة الوقائع - قد نادى بإدخال العلوم الحديثة إلى الأزهر، ودلل على أن العلوم الحكيمة العلمية التي يقال أنها أجنبية هي علوم إسلامية ولا تزال كتبها محفوظة في الخزانة كالذخيرة، وذكر

في كتابه ( مناهج الألباب ) أن شيخ الجامع الأزهر أحمد الدمهوري الذي تولى المشيخة في الفترة ( 1182 - 1190هـ ) قد ذكر أنه درس العلوم العلمية وقال: «أخذت عن أستاذنا الشيخ علي الزعترى خاتمة العارفين بعلم الحساب، واستخراج المجهولات، وما توقف عليها كالفرائض والميقات - وسيلة ابن الهائم ومعونته في الحساب، والمقنع لابن الهائم، ومنظومة الياسينية في الجبر والمقابلة، ودقائق الحقائق وحساب الدرج والدقائق للسبط المارديني في علم حساب الأزياج، ثم يستطرد: «وأخذت عن سيدي أحمد القرافي الحكيم بدار الشفاء بالقراءة عليه كتاب الموجز واللمحة العفيفية في أسباب الأمراض وعلاماتها، وبعضها من قانون ابن سينا، وبعضها من كامل الصناعة، وبعضها من منظومة ابن سينا الكبرى، وكلها في الطب».

ويعدّ الشيخ الدمهوري بعد ذلك الكثير من الكتب في الفلك وعلم المساحة والهندسة وعلم الموالي والممالك التطبيقية إلى الحيوانات والنباتات والمعادن، وإن دل على شيء فإنما يدل على أن للأزهر في الماضي نصيب كبير في تدريس العلوم المختلفة، ومن بينها الطب والفلك جنباً إلى جنب مع العلوم الدينية.

وقد صدر أول قانون بتطوير الأزهر عام 1287 استصدره الشيخ محمد العباسي المهدي (شيخ الأزهر) أيام الخديوي إسماعيل، وقد اقتصر هذا القانون على أن يكون الحاصل على شهادة العالمية بامتحان أمام لجنة من العلماء، وأن تحدّد العلوم التي يمتحن فيها الطلبة بأحد عشر فناً، هي: الفقه، الأصول، التوحيد، الحديث، التفسير، النحو، الصرف، المعاني، البيان، البديع، والمنطق.

وبعد هذا القانون بدأ الشيخ محمد عبده حركته الكبرى لإصلاح الأزهر، ونجح عبده بالرغم من معارضة شيوخ الأزهر له، واستطاع عبده أن يقنع الخديوي عباس بإصدار قانون الإصلاح في عام 1312هـ/ 1895م، ودخلت مواد الحساب والهندسة

والجبر والجغرافية والتاريخ والخط إلى الأزهر، وقسمت مدة الدراسة إلى 12 سنة، وأصبح الطالب الذي يتم دراسة معينة في 8 سنوات وينجح فيها يمنح شهادة الأهلية، ومن يستمر بعد ذلك أربع سنوات ثم يجتاز الامتحان بنجاح يمنح شهادة العالمية، وجاء بعد ذلك من المصلحين الشيخ الأحمدي الظواهري الذي نادى بتقسيم الدراسة في الأزهر إلى ثلاث مراحل:

مرحلة ابتدائية، ومرحلة متوسطة، ومرحلة عالية، وهذا هو التقسيم الذي اقترحه محمد مصطفى المراغي الذي عين شيخاً بعد ذلك أي في عام 1347هـ/1928م، وعين بعده الظواهري الذي عمل على استصدار قانون الإصلاح في عام 1349هـ/1930م وهو القانون الذي عدد كيان الأزهر منذ ذلك الحين وقسمه إلى كليات ثلاث: «كلية الشريعة، كلية أصول الدين، كلية اللغة العربية» اهـ.

وتأييداً لما ذكرناه في هذه الدراسة نختم موضوع القسم الأول من هذا البحث بما كتبه في الثلاثينات من القرن الجاري العلامة الشهير محمد كرد علي (وزير المعارف) السابق لسوريا في عصره، وبما قاله ابن خلدون في عصره أيضاً، قال محمد كرد علي في مقال نشره في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، تحت عنوان: (مصادر الثقافة العربية وتأثيرها في الحضارة الحديثة) قال: «وكانت مصر في الدول العربية بأرباب الرحلات من المحدثين والفقهاء والأدباء والعلماء أكثر اتصالاً فكرياً بالأقطار الأخرى، من معظم الأمصار، لتوسطها بين البلدان العربية، لكونها في طريقهم إلى الحج.

ولما خرب المغول بغداد في القرن السابع رحل العلماء منها إلى مصر، وفي رحلات المرتحلين من مصر وإليها، ضرب من ضروب تبادل العلم والأفكار، وكانت الجوامع تأوي هذه الطبقات من المشتغلين قبل أن تنشأ المدارس في القرن، ولو وصل إلينا ما دونه أرباب الصنائع والفنون، كما انتهى إلينا ما دونه علماء الشريعة والأدب والتاريخ،



لعرفنا جمهورا نجهله من الناس، وكم من علم اندفن في صدر، ومن فن ما قدره الناس قدره فزهد الناس فيه، وهذه المصانع التي أبقت الأيام على خطوطها ورسومها، في الفسطاط، والقطائع، وما في جوارهما من القاهرة المعزية، من المدارس والجوامع والرباطات والمستشفيات، شاهدة على الدهر، بما أبدعت تلك العقول والأنامل التي حملت شيئا كثيرا من العلم والعمل ... الخ».

وقال ابن خلدون لما زار مصر لأول مرة في طريقه إلى الحج: «فرأيت حاضرة الدنيا وبستان العلم ومحشر الأمم ومدرج الذر من البشر وإيوان الإسلام وكرسي الملك تلوح القصور والأواوين في جوه، وتزهو الخوانق والمدارس والكواكب بأفاهه، وتضيء البدور والكواكب من علمائه»، ثم ذكر ما سمعه في وصف مصر قبل وصوله إليها من أستاذه الجزائريين:

أولهما: محمد المقرئ الجد الذي قال فيها: «مَنْ لم ير مصر لم ير عز الإسلام».

وثانيهما: أبو العباس أحمد بن إدريس البجائي - صاحب المعهد الشهير باسمه إلى يومنا هذا قرب العزازقة -.

قال ابن خلدون: «وسألت شيخنا أبا العباس أحمد بن إدريس كبير العلماء ببجاية مثل ذلك فقال كأننا انطلق بأهله من السحاب يشير إلى كثرة أمه»، وكان ابن خلدون ممن علم بالأزهر ومدارس القاهرة، بخلاف ما ذكر بأنه لم يعلم في الأزهر وإنما علم بمدارس القاهرة فقط، قال بعدما وصف مصر: «إن أهل البلاد طلبوا مني الإفادة مع قلة البضاعة فجلست للتدريس بالجامع الأزهر منها» (ديوان العبر).

وحكم ابن خلدون على مصر له قيمته ووزنه إذ قبل أن يصل إليها سبق له أن عاش في كثير من عواصم العالم كتونس وبجاية وتلمسان وفاس وغرناطة وفي كل منها تولى وظائف سامية.

نقتصر على هذا الموجز من تاريخ الأزهر وتطور الثقافة فيه عبر العصور، ولم يمكننا تتبع مواقف رجاله - طلبة وأستاذة - في قيادة الثورات ضد الظلم والطغيان من مختلف الحكام الجائرين، وكذلك مواقفهم في صدّ غارات الصليبيين، خصوصاً حملة سان لويس (Saint Louis) ملك فرنسا على دمياط في أوائل القرن السابع الهجري، كما ظهرت مواقفهم البطولية جلية بعد غزو نابليون في أواخر القرن الثامن عشر المسيحي.

أما الحكام المسلمون فإنهم كيفما كانت أجناسهم ومذاهبهم العقائدية، فإن كل دولة حكمت مصر إلا وأبقت فيها أثراً من آثار غيرتها على العلوم والصنائع، وعנית بنشر العلم والدين، فأنشأوا المساجد والمدارس والأضرحة، وأوقفوا عليها الأوقاف المتعددة، وأجازوا المؤلفين والباحثين، وعندما ظهرت المطبعة نشروا الكتب العلمية التي غزت العالم الإسلامي كله، وما زالت آثار الجميع أوجلها تثبت ما ذكرناه، وهي محل عناية المؤرخين أو الأثريين مسلمين وأجانب، ومن هؤلاء تأليف مع صغر حجمه كبير الفائدة، نشره منذ سنوات المستشرق الفرنسي قاصطون فيات (Gaston Fiat) يحمل عنوان: (جوامع مصر) وقد صور فيه معظم المساجد والمدارس والأضرحة القائمة، أو بقايا أو البقايا المندثرة منها ومواقعها مع تخطيط المدن الثلاث التي كانت قبل تأسيس القاهرة المعزية.

### القسم الثاني من دراسة علاقات الجامع الأزهر بالجزائر بمناسبة عيده الألفي:

كانت علائق الجزائر بمصر قديمة من عهد تأسيس مدينة القاهرة والجامع الأزهر بها، إذ معظم الجيش الفاتح الذي رافق جوهر الصقلي كان من كُتامة، ورؤساء جيش كُتامة وجنّده هم الذين قادهم جوهر قبل غزوه مصر للقضاء على دول بني رستم ب: تيارت، ومغراوة ب: شلف، وبني يفرن ب: وهران وإيفكان، والأدارسة ب: تلمسان والمغرب، كان يرافق الجيش الكتامي دعاة الشيعة المتخرّجون من مراكز ايكجان ثم

المهدية، وليست هذه العلائق هي المقصودة من هذه الدراسة.

كما أن مصر كانت أعظم محطة يقيم فيها الحجّاج المغاربة في طريقهم إلى الحجّ، ذهاباً وإياباً، على اختلاف طبقاتهم، وكان العلماء منهم يقصدون مدّة إقامتهم في القاهرة الأزهرَ الذي كان ملتقى العلماء المصريّين، والواردين على مصر من مختلف البلاد الإسلامية، فيتّصلون بهم ليتبادلوا معهم الإجازات والتأليف، ثم يفيدون ويستفيدون من حلقات الدروس التي يقيمونها في الأزهر، أو يحضرونها كما هو مبين بتفصيل في جميع الرّحلات، واجتماع العالم في طريق الحجّ، ووقوفه بالأزهر للإفادة والاستفادة، كان جانباً هاماً يُراعى في مقاصد الحجّ، ولا يمكننا التّعرّض لهذا النوع من العلائق بتفصيل، وإنما نقتصر على علائق بعض مشاهير العلماء، الذين اتّصلوا بالأزهر، سواء عابري سبيل، أو مجاورين للتعلّم، وتركوا آثاراً علمية لها أهمية، كما نتحدّث على التّأليف الجزائرية التي حظيت في الأوساط الأزهرية بالشرح والتعليق أو اعتمدت كمصادر، وأدخل الكثير منها في برامج الدراسات الأزهرية، وكتب لها الخلود إلى زماننا هذا، كما نتعرّض للحديث عن بعض العلماء الجزائريين الذين هاجروا إلى القاهرة، ولقوا فيها التجلّة والتقدير واهتمت الأوساط العلمية بهم وبآثارهم، ومن هذا القسم كتاب: (منامات الوهراني) الذي رغم مرور ما يزيد على الثمانية قرون لم يفقد جدته ولا حيويته، وقامت بطبعه وزارة الثقافة بالقاهرة سنة 1387هـ/ 1968م - أي: منذ (5) سنوات فقط - واختير له أربع كاتب وباحث لتقديمه وتحقيقه، وهو الدكتور عبد العزيز الأهواني المتخصّص في دراسات الأدب الأندلسي، والوهراني هذا صاحب التّأليف من أئمة الأدب، ولا زلت آثاره محلّ عناية الباحثين في تاريخ الأدب العربي كما سنشير إلى ذلك في آخر ترجمته.

هو أبو عبد الله محمد بن محرز الوهراني الملقّب ركن الدّين توفي سنة 575هـ، وقد

ترجمه ابن خلكان في (وفيات الأعيان)، وترجمه غيره، وقد تعرض لتحليل كتابه (منامات الوهراني) الأهواني في تقديمه، فقال: «وبعد، فإن هذه المجموعة من النصوص تمتاز في تاريخ النثر الفني في الأدب العربي بميزات ترفعها إلى مقام عال، ولا نكاد نجد في النثر العربي القديم نصوصا فيها ما في كتاب الوهراني من حيوية وذكاء ولمحات تعبر عن شخصية الكاتب، وتصوّر في دقّة وبلاغة بعض جوانب الحياة الفكرية والاجتماعية في عصر الانتقال من الدولة الفاطمية في مصر إلى الدولة الأيوبية، وقد اعترف القدماء بفضل الوهراني وبراعته، وخفّة روحه ورشاقة أسلوبه، وخاصة المنام الكبير الذي أثنى عليه ابن خلكان كثيرا، وفي الحقيقة فإنّ منامات الوهراني ومقاماته وأسلوبه يضيف إلى النثر العربي ثروة، ويفتح للدراسين آفاقا، ويقدم للقراء مادة شيّقة وممتعة، لا تقلّ عما اشتهر من عيون النثر العربي».

قال ابن خلكان في ترجمته للوهراني: «أحد الفضلاء الظرفاء، قدم من بلاده إلى الديار المصرية في أيام السلطان صلاح الدين الأيوبي - وفنّه الذي يمت به صناعة الإنشاء، فلما دخل البلاد ورأى بها القاضي الفاضل وعماد الدين الأصفهاني الكاتب وتلك الحلبة، علم من نفسه أنّه ليس من طبقتهم، ولا تتفق سلعته مع وجودهم، فعدل عن طريق الجدّ، وسلك طريق الهزل»، قال د. صلاح الدين المنجد في رسالة: (الوهراني ورقعته عن مساجد دمشق)، حقّقها ونشرها المجمع العلمي العربي بدمشق سنة 1384هـ - 1965م، قال بعد أن نقل ترجمة الوهراني من ابن خلكان: «وتابع ابن خلكان على ما قال كلُّ من ترجم بعده للوهراني»، وعقب عليه بقوله: «وهذا الكلام يحتاج إلى تصحيح»، ثمّ فنّده وأقام الأدلّة على أن الوهراني وصل إلى مصر قبل ولاية صلاح الدين بمدة لم يكن فيها ذكر ولا ظهور لا للقاضي الفاضل ولا للأصبهاني، ويبيّن أن طريقة الوهراني لم يكن يراعي فيها الزخرفة اللفظية، والتلاعب بالألفاظ والجمل،

بل كانت كما قال الأهواني في تقديمه: «تصوّر في دقة وبلاغة بعض جوانب الحياة الفكرية والاجتماعية في عصر الانتقال من الدولة الفاطمية إلى الدولة الأيوبية».

وقد ذكر الدكتور صلاح الدين المنجد في مقدّمة: (الوهراني ورقعته عن مساجد دمشق) محلّ فيها هذه الدراسة: «وخلاصتها أن مساجد دمشق والضياع التي من حولها أصابها في زمن نور الدين - قبل صلاح الدين الأيوبي - الخراب والضياع، فاجتمعت هذه المساجد، ولجأت إلى أميرها وسيدّها جامع بني أمية ... إلى أن وصل الأمر إلى الملك، فعزل القاضي المهمل، وأصلح ما يزيد على المائة مسجد ... الخ».

ولا يمكن التوسع في الموضوع، وإنما ذكرناه للاستدلال على العلائق الثقافية المتينة التي كانت بين الجزائر ومصر في الميدان الثقافي، وقيام مصر رغم مرور ثمانية قرون بهذا الواجب، حيث أحييت أثرا يعدُّ ذخيرةً من ذخائر الأدب العربي الجزائري، لا زال - مع الأسف - مجهولا في بلده، ونفس الكتاب الذي برزَ إلى الوجود منذ خمس سنوات، ووزّع وانتشر في مكتبات العالم الإسلامي، لا زال مجهولا ومفقودا في مكتبات الجزائر، اللهم إلا إذا عرضت نسخ منه تعدُّ على الأصابع.

إن للوهراني رسائل مهمّة متفرّقة في خزائن أوروبا وأمريكا، ومنها كتابه: (جلس كل ظريف)، الذي يشتمل على رسالة: (مساجد دمشق)، وجدّه المنجد في جامعة برنستن بالولايات المتحدة الأمريكية، وقد قال الدكتور المنجد في تحقيقه للدراسة: «استطاع الوهراني أن يجذب القلوب إليه، فقد كان ظريفا خفيف الروح، وكان بارعا في الهزل والسخرية، فصبَّ سخريته وتهكُّمه على كبار العلماء بدمشق وفقهائها وأطبائها وكتّابها، ك: التاج الكندي، والمهذب ابن النقاش، والقاضي الفاضل، والقاضي ضياء الدين السهروردي، والقاضي ابن أبي عصرون، وغيرهم، ولم يسلم من لسانه وقلمه علماء مصر ورجالها ...»

فألف رسائل هزلية مختلفة وابتدع في المنامات الأدبية ... وقد اشتهر (منامه الكبير)، الذي سلك مسلك أبي العلاء في (رسالة الغفران)، قال الصفدي: لكنه ألطف مقصدا وأعذب موردا، فتخيل أنه رأى في المنام كأن القيامة قامت ومناديا ينادي: هلموا إلى العرض على الله، فخرج من قبره حتى بلغ أرض المحشر، فلقي هناك كثيرين ممن عاصروه وعرفوه، أو ماتوا قبله، فسخر منهم جميعا، وذكر ما حوسبوا عليه « اهـ كلام المنجد.

ثم نجد هذا الاتصال الوثيق بين القاهرة والجزائر في القرن السابع عن طريق أبي علي ناصر الدين المشدالي البجائي الذي أقام عشرين سنة بالقاهرة، ولازم عز الدين بن عبد السلام وغيره، ولما رجع إلى مسقط رأسه أحدث ثورة ثقافية في المغرب العربي، كانت نتيجتها: «ظهور منهج جديد وضع فيه الفقه المالكي من جديد على بساط النقد والتمحيص، حيث دخل في مقاييس الاختيار والترجيح مقياس جديد، هو مقياس الفتوى والعمل، وهجر دارسو الفقه طريقة (المدونة) وتهاذيبها بعد ظهور مختصر ابن الحاجب».

هذا ملخص ما كتبه في الموضوع المنعم مفتي الجمهورية التونسية الفاضل بن عاشور العضو البارز في مجمع البحوث الإسلامية ومجمع اللغة العربية بالقاهرة في دراسة قيمة نشرها قبل وفاته بقليل في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق سنة 1389هـ/1969م، وذكر بعد: (الملخص): «وكان طريق اتصال مختصر ابن الحاجب الفرعي ببلاد المغرب العربي أن الشيخ ناصر الدين الزواوي (المشدالي) من فقهاء بجاية ارتحل إلى المشرق العربي في أواخر القرن السابع، فلقي تلاميذ ابن الحاجب بمصر وتخرج عليهم، فجاء معه بمختصر ابن الحاجب ونشره في تلاميذه ببجاية، ومن هناك انتقل إلى عامة أقطار المغرب العربي، فعكف الفقهاء على دراسته وشرحه ... الخ».

ومن هذه الاتصالات ما حكاه الملك أبو عنان المريني فيما نقله عنه المقرئ في:  
(أزهار الرياض) في ترجمة الشاعر ابن خميس التلمساني - قال أبو عنان إن شيخه الآبلي  
حكى لهم أنه لما زار مصر علم أن إمام تلمسان ورئيس علمائها أبا إسحاق إبراهيم  
التنسي الأصل لما ورد على مصر في طريقه إلى الحج احتفى به علماءها الذين كان من  
جملتهم الإمام تقي الدين بن دقيق العيد، وفي أثناء مذاكراته مع الصَّيف سأله عن  
الشاعر ابن خميس وصار يثني عليه، فتعجب التنسي، وأجابه: ومَن يكون هذا الذي  
حلَّتموه بهذه الحلَّى، ولا أعرفه ببلادي؟ فقال ابن دقيق العيد: هو القائل:

عجبا لها أيدوق طعم وصالها      من ليس يأمل أن يمر ببالها؟

فأجابه التنسي: إن هذا الرجل ليس عندنا بهذه الحالة التي وصفتموه بها، وإنما هو  
عندنا شاعر فقط ... الخ».

والشاهد عندنا هو أن الاتصال بين علماء الجزائر ومصر كان قويا في الميدان الثقافي،  
وأن ابن خميس - الذي كان خاملا فقيرا لا يعرفه مواطنوه - كانت آثاره يتناقلها كبار  
علماء القاهرة الذين كانوا لا يجهلون شيئا عن العواصم العلمية بالجزائر، ومن ذلك ما  
ذكره الرحالة العبدري في: (رحلته المغربية) أنه لما اجتمع في القاهرة ب: زين الدين أبي  
الحسين بن المنير وسأله عن تلمسان، فأجابه العبدري - على عادته - بأنها خالية من  
العلم والعلماء، فقال له ابن المنير: «أما بلاد يكون فيها مثل أبي إسحاق التنسي فما خلت  
من العلم».

وقد جاور بالأزهر علماء أجلة، ك: محمد بن مرزوق الجدي، المشهور ب: الخطيب،  
(المتوفى بالقاهرة سنة 781هـ)، وهو من مشايخ ابن خلدون، ولسان الدين ابن  
الخطيب، قال ابن خلدون في ترجمته: «لقي بالقاهرة أهل العلم وأمراء الدولة فنفتت  
بضائعه عندهم وأوصلوه للسلطان الأشرف فولاه الوظائف العلمية موفراً المرتبة

معروف الفضيلة مرشحا للقضاء ملازما للتدريس حتى هلك سنة إحدى وثمانين «، ويحيى الشاوي الملياني الذي أخذ عنه المحبي، وترجمه في: (خلاصة الأثر في بيان علماء القرن الحادي عشر)، ودفن بالقاهرة، وقد خصَّص علماء المشرق تراجم وافية للكثير من هؤلاء العلماء، ك: السخاوي في: (الضوء اللامع في بيان علماء القرن التاسع)، وجلال الدين السيوطي، والجبرتي، وغيرهم.

كما أن بعض العلماء اشتهروا في مصر والأزهر من أصل جزائري لم يعرفوا إلا أنهم من المغرب، أو من أصل مغربي، وذلك كالمؤلف الشهير محمد الأمير الكبير، فإن أصله من مازونة كما أخبر بذلك تلميذه المؤرخ أبو راس لما اتصل به في رحلته سنة 1204 هـ، وذكر ذلك في رحلته وأيده مواطنه القاضي الصادق ابن الحميسي المازوني (قاضي مازونة) ثم وهران في العهد التركي - حوالي 1240 - لخبر يطول .

كما يلحق بهذا القسم مفتي الجزائر الحنفي محمد بن محمود بن حسين، المشهور ب: ابن العنابي الذي نفته السلطات الفرنسية - الجنرال قوارول سنة 1830 - بعد إلقاء القبض عليه وسجنه فاختر الإقامة بالإسكندرية وولته الحكومة المصرية الإفشاء الحنفي وتصدر التدريس وكان مختصا في دراسة الحديث ومازلت فهارسه منتشرة ومتداولة في الأوساط العلمية الشرقية كفهرست تلميذه إبراهيم السقا الشافعي الأزهري، وفهرست تلميذه الآخر عبد القادر بن عبد القادر بن عبد المطلب الرافعي الحنفي، كما اختار الإقامة بالإسكندرية مفتي الجزائر المالكي مصطفى بن الكبابي الذي نفته السلطات الفرنسية بعد نفي مفتي الحنفية بنحو عشرين سنة، لاحتجاجه على اغتصاب أحباس الجامع الأعظم المالكي، ثم نجد العلائق القوية في عهد شيخ الإسلام مرتضى الزبيدي صاحب: (تاج العروس في شرح القاموس)، الذي كان يلقَّب ب: عالم الدنيا، في زمانه، فقد أخذ عنه كثير من علماء الجزائر، وما زالت إجازته تحتفظ بها أسر



تلامذته، وكان معظمها مؤرخاً في القرن الثاني عشر وأوائل القرن الثالث عشر، ومن هؤلاء المؤرخ أبو راس الناصري (1165 - 1238هـ)

ومصطفى بن المختار جد الأمير عبد القادر ومؤسس معهد القيطنة الذي ولد فيه الأمير عبد القادر، وقد ذكر الزبيدي في منظومته: (ألفية السند) الكثير منهم كما خص قسماً منها لمشايخه الذين أخذ عنهم ومنهم الجزائريون ولتقتصر على ما ذكره لواحد من مشايخه وهو محمد المنور التلمساني المتوفى سنة 1173هـ.

قال عنه في: (ألفية السند):

العالم الفاقد للأشباه .....  
عالم قطر المغرب الميمون .  
الجهبذ البارِع في الفنون أجازني ونلت منه المددا  
لقيته بمصر لما وردا

وترجمه في (تاج العروس) وسجّل تاريخ وفاته 1173هـ.

كما كان للزبيدي اتصال وثيق بالباي محمد بن عثمان فاتح وهران سنة 1206هـ الذي كان يرسل إليه سنويا منحا يفرقها على طلبة الأزهر ذكرها صاحب: (الشجر الجماني في ابتسام الشجر الوهراني)، كما ذكر رسالة الزبيدي إلى الباي يشكره فيها على إمداده المذكور.

أما التأليف الجزائرية التي حظيت باهتمام الأزهريين وأدخلت في برامج التعليم في الأزهر فهي مؤلفات عبد الرحمن الأخضرى البنطويسي - زاب الجزائر - ك: (الجواهر المكنون) في البلاغة، و(السلم) في المنطق فقد شرحها وعلق عليها الحواشي كثير من كبار علماء الأزهر، ومؤلفات السنوسي (دفين تلمسان) في التوحيد، ومنظومة أحمد بن

عبد الله الزواوي الجزائري، المشهورة بـ: (الجزائرية)، في التوحيد والسلوك، فقد شرحها عبد السلام اللقاني، وكلُّها طبعت في مصر فأمكن انتشارها، وأدخلت كذلك في برامج تعليم الزيتونة والقرويين ومما يدخل في هذا الباب هو أن أشهر مؤلف في الفقه المالكي يدرس في الجامعات الإسلامية وفي بقية البلاد الإسلامية، كالسودان، هو شرح مختصر خليل للدردير، فقد اعتمد شارحه تأليفا جزائريا هو حاشية على شرح التتائي على مختصر خليل للحافظ الفقيه مصطفى الرماصي (المتوفى حوالي سنة 1138هـ) قرب قلعة هراوة (غيليزان)، فقد ذكر محمد بن علي السنوسي في (فهرسته) بل في فهرسه أنه أخذ عن محمد بن القندوز المستغانمي المتوفى سنة 1222هـ، وأن ابن القندوز هذا أخذ بالأزهر عن الدردير، وهو أول من أدخل شرحه على مختصر خليل للجزائر، وأخبر تلميذه المذكور - السنوسي (دفين ليبيا) - أن الدردير عندما كان بصدد تحرير شرحه كان يعتمد حاشية مصطفى الرماصي، ويقول: «إن صاحبها من المحققين، فهي تُغني عن غيرها».

ونجد محمد عرفة الدسوقي أحد كبار مشايخ الأزهر في حاشيته على شرح الدردير هذا كثيرا ما ينقل على الرماصي، ويذكر هذه العبارة: «قاله طفى»، يقصد مصطفى الرماصي.

ولنختم هذا القسم بذكر شخصيات جزائرية تخرجت في الأزهر ولعبت أدوارا ونالت شهرة في البلاد، مثل: الشيخ عبد الرحمن الثعالبي (دفين الجزائر العاصمة) فإنه ذكر في (فهرسته): «ودخلت مصر فلقيت بها الشيخ أبا عبد الله محمد البلال فسمعت عليه البخاري، وقرأت عليه كثيرا من اختصاره لـ: إحياء علوم الدين ...»، إلى أن قال: «... ثم رجعت إلى مصر - أي بعد أداء فريضة الحج - فحضرت مجلس أبي عبد الله البساطي شيخ المالكية بها، وأكثرت الحضور والقراءة على الشيخ ولي الدين أحمد بن عبد

الرحيم العراقي شيخ المحدثين»، فحضرتُ عليه علوماً جمة، ومعظمها في علم الحديث. وقد نقل معه الثعالبي اختصار إحياء علوم الدين لشيخه البلاي، وما زال يتناقله الناس بالجزائر، كما نجد من هذه الشخصيات الشيخ محمد بن عبد الرحمن الجرجري القحطولي ( 1126 - 1208هـ) تلميذ محمد بن سالم الحفني الأزهري المتوفى سنة 1181هـ، وقد كان من المقربين لأستاذه الحفني، وكثيراً ما كان يوفده أستاذه على السودان للوعظ والإرشاد، وكانت طريقته التي اشتهرت باسمه: الرحمانية، تمتاز بمحاربتها للبدع، وكانت تنشر العلم، وكانت الطبقات الأولى من أتباعها يمتازون بمواقفهم البطولية في مقاومة جيش الاحتلال، ثم إن فضل اندلاع الثورة 1871 يرجع لرئيسها محمد أمزيان بن علي الحداد صاحب التأليف الذي ينكر البدع والشعوذة.

وفي هذا الميدان نجد أكبر دليل يتشخص في سير نخبة المهاجرين المهدي السكلاوي ورفقائه إلى البلاد الشرقية، وإجماع علماء المشرق على الاعتراف بفضلهم واستقامتهم، ونجد من هذه الشخصيات محمد بن عبد القادر الشهير بـ: ابن آمنة، خال الأمير عبد القادر، وهو من متخرجي الأزهر، وكان أعظم دور قام به هو تحريره وتلاوته لوثيقة مبايعة الأمير عبد القادر الأولى التي وقعت بجامع المبايعة بمعسكر في: 3 رجب 1248هـ/ 27 نوفمبر 1832م.

وقبل أن نختم هذه الدراسة نذكر من بين الأزهريين الذين قاموا بأدوار هامة في تاريخ البلاد، الشيخ عثمان الراشدي بطل ثورة بني شقران، وهو الذي دعا إلى الثورة ضد فرنسا في أوائل الحرب العالمية الأولى، وحكم عليه وعلى تلامذته وأقاربه بالإعدام، ولم يفارق هذه الحياة حتى وقف موقفاً مشرفاً، قيل عنه إنه لما حوكم جاءه للمحاكمة عالم رسمي وذكره مؤنباً: أما اطلعت على قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ (النساء: 59) ؟ ثم سكت، فصاح الأزهري

الثائر، وقال له: «منكم، يا عدوَّ الله»، وقد عثرنا على سندٍ كتبه بخطه في الفقه المالكي، يتَّصل بالإمام مالك، قال في مفتاحه: «... إني أخذتُ الفقه بالأزهر الشريف عن الإمامين الجليلين: الشيخ علي جمعة، والشيخ حسان بن عبد الرحيم، وهما عن شيخ الإسلام والمسلمين الشيخ محمد عيش، وهو عن الأمير الصغير عن والده الأمير الكبير عن الشيخ علي الصعيدي ... الخ».

ولما لم يسع مجال هذا البحث لذكر زيارة الشيخ محمد عبده إلى الجزائر واتصاله بعلمائها وما تركه من أثر، فقد تعرَّض لجوانب منها الأخ الأستاذ عبد الرحمن الجليلي في عدد: (مجلة الأصاله) الأخير - عدد: 13 - في حديثه عن عالم الجزائر المرحوم عبد الحلیم بن سماية، وكذلك زيارة عبد العزيز جاويش صاحب (المؤيد)، وأستاذ اللغة العربية بجامعة (أكسفورد) الذي زار الجزائر سنة 1905م، وشارك في مؤتمر المستشرقين المنعقد بها، وألقى دراسته القيِّمة: (الإسلام دين الفطرة)، وقد نشرت الرِّسالة وطُبعت عدَّة طبعات.

## وحدة المغرب العربي عبر التاريخ(1)

مما لا شكَّ فيه أنَّ الوحدة بين الأقطار الإسلاميَّة بصفة عامَّة، وبين أقطار المغرب العربي بصفة خاصَّة، كانت وحدة حقيقيَّة، لا مجرد دعاية تستخدم لمصالح معيَّنة ومؤقَّتة، ولنقتصر في هذه الدِّراسة على العلائق بين سكَّان الجزائر وسكَّان المغرب، فإنَّهما كثيرا ما عاشتا تحت حكم واحد، يستظلُّ بالإسلام، وذلك ابتداءً من عهد الفاتحين وممثلي الخلافة الإسلاميَّة بكامل بلاد المغرب العربي، إلى عهد الأدارسة، ثمَّ في فترة من عهد مغراوة، ثمَّ الرُّستميِّين وبنو يفرن والزَيَّانيِّين، ثمَّ في عهد صنهاجة بلقين بن زيري، وتجلَّت هذه الوحدة بأبهج مظاهرها في عهد الموحِّدين، وبقيت رغم ما كان يتخلَّلها من خلافات وحروب بعد انهيار الدَّولة المركزيَّة، وتجزئة المملكة الشَّاسعة وتقاسمها بين شيوخ الموحِّدين - كما كانوا يُدعون إذ ذاك - أي: الولاة، الذين صار كلُّ منهم يرى أنَّه الأحقُّ بالوراثة الرُّوحيَّة لفكرة مؤسِّس الدَّولة المهدي بن تومرت، وكانت للدُّويلات أو الإمارات التي تكوَّنت في عهد الموحِّدين بعاصمة الجزائر وسهولها، القول الفصل في انتصار دول بني زيان من جهة وبنو مريّن، أو بني حفص، والحرب بين الجميع سجال، إذ كانت الوطنيَّة الجغرافيَّة الضيِّقة مجهولة إذ ذاك.

ولمَّا احتلَّت الدَّولة التُّركيَّة الجزائر، وطردت منها الإسبان، وكان احتلالها إجابة لنداء سكَّانها، انضوت الجزائر بواسطة خير الدِّين تحت لواء الخلافة الإسلاميَّة كبحيَّة

---

(1) مجلَّة (الثقافة)، العدد: 76، ص: (89 - 95)، السَّنة الثالثة عشرة، رمضان - شوال 1403هـ/ جويلية - أوت 1983م.

معظم الدول الإسلاميَّة، وقعت خلافات بين (الجزائر) و(المغرب) في عهد حسن بن خير الدِّين، فأرسل حسن باشا - المذكور - العالم الشَّهير محمَّد بن علي الخُرُّوبي الطَّرابلسي الأصل، إلى ملك فاس ابن عبد الله محمَّد المهدي الشَّيخ، وكانت هذه السَّفارة مرَّتين، (الأولى): سنة 959هـ، والسَّفارة (الثَّانية) سنة 961هـ، فلقي السَّفير الجزائري حفاوة من الملك، ومن الأوساط العلميَّة، كما وقع بينه وبينهم خلاف في قضية دينيَّة لا صلة لها بمهمَّته السِّياسيَّة، فخصَّص لها كثير من علماء المغرب مكانا في تأليفهم، وألَّف السَّفير بعد رجوعه إلى مقرِّ عمله - إذ كان إماما خطيبا ب (الجامع الأعظم) المالكي ب الجزائر - رسالة سمَّاها: (رسالة ذي الإفلاس إلى خواصَّ مدينة فاس).

وفي أوائل القرن الحادي عشر، لما ثار الفقيه أحمد بن عبد الله المشهور ب: ابن أبي محلي السَّجلماسي على زيدان بن الملك أحمد المنصور الذهبي، ونادى بالجهاد للدِّفاع عن ثغور المغرب والجزائر وتوحيد الجهود، وأرسل صرخته إلى بعض قبائل الجزائر الذين بلغه أنَّهم تواطأوا مع إسبان وهران، قال مخاطبا لهم:

فيا معشر الإسلام هل من مجاهد يريد رضاء الله أو من مساعد  
من التل والصحراء ما بين راشد وطلحة والأحلاف من مصامد

ثمَّ يذكر ما تعهَّد به من إعلان الجهاد وتصميمه على ذلك، فيقول:

أما إنِّي وأيم الله لازلت صائلا عليهم بخيلي والرَّجال الصنادد  
إلى أن أموت أو أعذل مائلا عن الحقِّ بالصَّمصام في دين واحد  
فمن لي بوفد من نهار ومثلهم زواوة أهل السَّيف من بعد راشد  
وكل سويد سيِّد ومسود وحام وتيطري وابن يعقوب عاضد  
فيا أهل هذا الغرب عار عليكم تؤدون للكفار جزيَّة هائد

وكيف يؤمُّ المسلمون مكفر  
وشارب خمر جهرة شرَّ قائد  
وكيف يؤمُّ منكوحه كيناتكم  
فتبَّا لكم وليتكم بشواهد  
وأموالكم مغنومة وستوركم  
مهتكة وذلكم في تزايد  
وأخياركم أشراركم ورؤوسكم  
أكارعكم سحقا لكم من روافد

ثمَّ قال في قصيدة أخرى يحرض فيها سكَّان الجزائر، ويشنُّ بالقبائل الموالية لإسبان  
وهران، قال:

وبالزواوة كلها بملوكها  
وأتراكها من تونس والجزائر  
لبستم لباس الذلِّ مثل نساتكم  
وعار عليكم شككة المتصاغر  
كأني بكم من نومكم عن عدوكم  
خزايا تدون حزية الأصافر  
وتيجانكم مسلوبة ونساءكم  
وأبنائكم مملوكة للخواسر  
وأنتم ترون جهرة كل غادة  
يقودها كافر وابن كافر  
كما فعل الوهراني في بر دينكم  
ولا من غيور سويد وعامر

...الخ

وقد أجاب نداءه وذهب إليه وفد جزائري تحت رئاسة العالم الشَّهير سعيد قدُّورة،  
كما ذكر ذلك كلُّ المؤرِّخين الذين ترجموا لـ: ابن أبي محلي هذا، مثل مؤلِّفي كتب: (نزهة  
الحادي في علماء القرن الحادي)، و(الاستفصا)، و(نشر المثاني) للقادري، وهو في كتابه:  
(تهبيح الأسود)، ذكر ملاقاته واتِّصاله بالشَّيخ سعيد قدُّورة.

كما زار الجزائر إذ ذاك العالم الشَّهير محمَّد بن محمَّد بن سليمان الرُّوداني السُّوسي  
صاحب (الفهرس) الشَّهير، وأخذ عن سعيد قدُّورة وركَّز أسانيد (فهرسته) عن روايته  
عليه.

وزار الجزائر وأقام بها في تلك المدّة أيضا العالم المؤلّف علي بن عبد الواحد بن زاكور الفاسي الجزائري، وأقام بها مدّة لازم فيها علماءها وأخذ عنهم، وألّف (رحلته) المشهورة التي سمّاها: (نشر أزهار البستان فيمن أجازني بالجزائر وتطوان).

كما زار الجزائر عبد الرّحمن الجامعي صاحب (الرّحلة)، واجتمع بكثير من علمائها، وذكر كلّ منهم انطباعاته.

فقد قال ابن زاكور يصف مدينة الجزائر: «مدينة الجزائر ذات الجمال الباهر، وحلول مغانيها النّواضر، التي غصّ بيهجتها كل عدوّ كافر، فلذلك يتربّصون بها الدّوائر... والذي أعارها ذلك المرأى الجميل، وأصارها فضية الصّباح عسجدية الأصيل، وألحقها بهجة وإشراقا، وألبسها نضرة وإبراقا، وأبداها للعيون...».

[ثمّ قال عن علمائها]: «...غررّ أعلام ينجلي بهم الظّلام، وشموس أئمة تنفرج بهم كل غمّة، وتفتخر بهم أحبار هذه الأمة، من رجال كالجبال، وأجيال كالأقمار... الخ».

وقال الرّحالة عبد الرّحمن الجامعي الذي حضر في فتح وهران الأوّل، الذي أخرج فيه بكداش باشا أسبان وهران سنة 1119 هـ بعد احتلالهم إيّاها، وبقائهم فيها قرنين، وصادف وفود المهنيّين للباشا المذكور، فشاركهم بقصيدة مدح فيها الباشا ونوّه بجيش الجزائر، فقال:

تهز قدودا في دعوص كأنها	بنود نشئت في جنود الجزائر
جنود بها الإسلام عزمنا له	على كل جبار عنيد مناظر
حموا بالصّحاح البيض من كل عابث	حماه فلم يعبث به كف فاجر
فكم كسروا ثغرا به كانت العدا	تبسم في وجه من الدين كاشر
فيا حادي الأظعان حث براكب	يؤم حماهم رغبة في الذخائر



وسر بي إلى ذاك الرباط فإنه  
ديار بني عثمان حيث تألفت  
بلاد برأس الغرب تاج مكلل  
بدت بمنصات الزمان كأنها  
وقد قلدت من نحرها بموشح  
ولاح بها باب الجزيرة مثلها  
ولله أبراج بشاطئ بحرها  
كان الرياض الخضر - محذقة بها  
غصون وأنهار وتلك لهذه  
إلى أن أراد الله نصرته دينه  
وجرد منه الحزم سيف فراعته  
فجاش على وهران جيشين وندا  
وجر لها الإسلام جندا مؤيدا  
فطهرها من رجسها وأعادها

لخيرة ساع للجهاد وزائر  
ضباب ونوى مستقر المسافر  
وخلخال سوق الشرق غير ضوامر  
عروس تجلت في أعالي المنابر  
وصيغت لها الأمواج خلخال حاسر  
تبسم ثغر في وجوه البشائر  
تحاكي النجوم الزهر في عين حازر  
ذوائب أصداع الوجوه النواظر  
تحن فتحنو لاستلام الغرائر  
فنبهه تنبيه يقظان حاسر  
يفت صمام الصخر يوم التشاجر  
وآخر من رأى سديد مؤازر  
بتأييد منصور من الله ناصر  
عروسا تجلت في مراقي المنابر

وبعد أن ذكر الجامعي كثيرا من علماء الجزائر الذين زارهم وتبادل معهم الإجازات والتأليف، قال في وصف مدينة الجزائر: «وأما مدينة الجزائر فأول بلد لقيتُ بها مثل من فارقت من أدباء بلدي، وبها تذكّرت بعض ما كان بالأديب الماهر الدال وجوده على صحّة القول بوجود الجوهر الفرد في سائر الجواهر، هو أديب العلماء وعالم الأدباء، محيي طريقة لسان الدين ابن الخطيب»، وهنا يذكر الأديب الجزائري المشهور الشيخ محمد بن علي أقوجيل.

ثمَّ يتابع حديثه عن الجزائر، فيقول: «... فهي إلى الآن والحمد لله دار الجوهر الفرد في الأدب وعلم العقل والنقل، وتنبت العلماء والصالحين كما يُنبِت الماء البقل ... وهذه المدينة لا تخلو من قرّاء نجباء، وعلماء أدباء، وأعلام خطباء، مساجدهم بالتدريس معمورة، ومكاتب أطفالهم بالقرّاء مشحونة ومشهورة، وقد ذكرت ما فيه غُنية من علمائها الأخيار، وكلُّهم متحلُّون بما ذكره الغزالي في (الإحياء)، متضلِّعون بعلم النحو والفقه والحديث ... الخ».

ولم تكن زيارة هؤلاء العلماء للجزائر ولا السُّفراء للصالح وإبرام معاهدات الحدود، بل كثيرا ما كان السُّفراء يردون على الجزائر للتّوسط عند الدّول الأجنبيّة لافتداء الأسرى المغاربة، أو مبادلتهم بالأسرى الأجانب والعكس، من ذلك الوفد الذي أرسله الملك محمّد بن عبد الله العلوي سنة 1182هـ بعثه الملك المذكور تحت رئاسة العلامة الأديب أحمد بن المهدي الغزال، صاحب (الرّحلة) المشهورة: (نتيجة الاجتهاد في المهادنة والجهاد)، ورافقه في هذه السّفارة خالا الملك السّيدان: عمارة بن موسى، ومحمّد بن ناصر، إلى باشا الجزائر للتّوسط في مبادلة الأسرى الجزائريّين بالأسرى الإسبانيّين، وبمجرّد وصول الوفد المغربي إلى الجزائر، قصّد الوفد (الجامع الأعظم) على العادة، وتردّد على حلقات الدُّروس، فصادف درس العالم الأديب الشّيخ الشّريف فارنجل الغزال قصيدةً بليغةً نقتطف منها هذه الأبيات:

روينا أحاديث الأولى ورثوا العلا	قديما ففازوا بالثناء المؤبد
فقل أناس قد تقضى زمانهم	فهل مثلهم يوما شهدت بمشهد
فقلت لهم والقول مني صادق	ولم أك فـيـما قـلـتـه بمفند

إلى أن قال:

فما سمعت أذن ولا العين أبصرت	شبيها له غربا وشرقا بمعهد
------------------------------	---------------------------

وما هو إلا البحر بحر فضائل لقد فاز من أمسى له خير مورد

... الخ

وإذا أطلقنا العنان للحديث عن علماء المغرب الذين زاروا الجزائر وسجّلوا انطباعاتهم عنها وعن علمائها والعكس، لاحتاج ذلك إلى مجلّدات.

وقبل أن نختم هذا الفصل الذي ذكرنا فيه نماذج من هذه الانطباعات، نذكر ما يحسه علماء المغرب عندما تبلغهم أخبار هجمات الأعداء على الجزائر التي كانت أكثر بلاد الله عرضة لهجوم الأساطيل الأوربية، فعندما وقع في أواخر القرن الثّاني عشر هجوم الأسطول الإسباني وأشيع أنّه احتل الجزائر، أرسل عالم تطوان وأديبها إلى صديقه الشّيخ أحمد سليل الشّيخ سعيد قدّورة مستقصيا عن الإشاعة فقال - وهو محمّد بن سعيد أبو قريش - :

أحقا ما أشيع على الجزائر	من إرهاب البواطن والظواهر
لئن نزل الهوان بها فذلت	فقد شمل البوادي والحواضر
وكيف يلذُّ في بلد مقام	إذا هان الهوان على الأكابر
ويأبى البائعون نفوس عز	بالفضل ما يرام من الذخائر
وأى صواعق جعلت رجوما	فأحرقت الكسور خلال زاخر
فكم لمعت بوارقها برعد	به صعق المناضل والمناظر
لئن ثبت المقال كما سمعنا	فقد طاب الرحيل إلى المقابر
متى تصل النفوس لمبتغاها	إذا بقي الهوان على الجزائر

فأجابه الخطيب والإمام بـ (الجامع الأعظم) أحمد قدّورة بقوله:

هي الأقلام تنطقها المحابر لتسمعك اليقين عن الجزائر

أَتَاهَا مَا أَرَاكَ اللَّهُ حِينَا	فَكَادَتْ تَنْشِقُ لَهَا الْمِرَائِرَ
إِلَى أَنْ جَاءَهَا وَالْأَمْرُ أَمْرٌ	مَلِيكَ لَا يَجَارِي وَالْمَأْثَرَ
فَبَدَّلَ صَيْنَهَا ذَهَبًا نَضَارَا	وَأَصْلَحَ ذَلِكَ الْإِكْسِيرَ جَابِرَا
وَأَلْبَسَهَا ثِيَابَ الْعِزِّ فَخِرَا	فَأَصْبَحَ وَجْهَهَا كَالْبَدْرِ زَاهِرَا
وَأَنْفَقَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَالَا	وَجَهَزَ جَيْشَهُ لِلْقَاكِ الْكُوفَرَا
فَجَادَ لَهَا وَجَادَ لَهُمْ بِمَالٍ	وَوَطَّعَ فِي الصَّدُورِ وَالْحَنَاجِرَا
وَبَاءَ وَمِثْلَ مَا جَاءَ وَخَزَايَا	وَأَعْطَوْا مَا أَكْنَوْا فِي الضَّمَائِرَا
وَرَدَّ اللَّهُ بِأَسْمِهِمْ عَلَيْهِمْ	وَدَارَتْ فِي هَلَاكِهِمُ الدَّوَائِرَا
أَشَاعُوا مَا سَمِعَتْ مِنَ الْبَلَايَا	لِيَرْهَبَ مُؤْمِنٌ وَيُسْرَّ كَافِرَا
فَإِنْ نَزَلَ الْهَوَانُ بِهَا قَلِيلَا	فَكَمْ سُئِلَتْ لِرَفْعَتِهَا بَوَاتِرَا
وَكَمْ بَذَلَ الْكِرَامُ بِهَا نَفُوسَا	لِيَتَغَمَّوْا مِنَ اللَّهِ الْفُؤَاخِرَا
وَكَمْ رَمَتْ الْحِصُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ	صَوَاعِقٍ لَا تَعْدُ خِلَالَ زَاخِرَا
فَقُلْ لِلْعَالَمِ النَّحْرِيرَ نَفْسِي	فَدَاؤُكَ لَا تَخْفُ فَاللَّهُ نَاصِرَا
وَلَا تَحْرَفَنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مَعَنَا	إِذَا التَّقَتِ الْعَسَاكِرُ بِالْعَسَاكِرَا

هذه نماذج من تمتين الروابط بين سكّان البلدين، الذي كان يرباه علماء الدين، بقطع النظر عن الملوك والرؤساء، أي سواء كانوا في حالات رضا أو غضب، أو حالات سلم أو حرب، وقد اشتهرت الجزائر بتأييد الثورات التي كان يعلنها زعماء الدين، مثل تأييدهم لـ: ابن أبي محلي، وإيواء الجزائر لـ: أبي عبد الله محمد الحاج الدلائي، الذي أقام بتلمسان إلى أن توفي بها سنة 1062 هـ ودفن في مقبرة الإمام السنوسي.

ثم رأينا أخيراً أنّ الثائر الجليلاني الزرخوني أقام بالجزائر في زاوية بسيطة، ورغم

خضوع الجزائر إذ ذاك للاستعمار أمكن لهذا الثائر أن يرسم تخطيطه للثورة التي لم يشهد مثلها المغرب - وإن ترجمته مفصلة في دراسة منفصلة - وإننا نعرف أن كل ثورات المغرب سواء من كللت بالنجاح أو من أخفقت، كانت في بدايتها على هذا النمط، بل معظم الثورات التي وقعت في جلّ البلاد الإسلامية، فثورة المهدي بن تومرت، وابن أبي عمارة - المشهور بالدعي - الذي ثار على ملوك بني حفص ب: بجاية وتونس.

وهكذا شأن معظم بداية الثوار، والفرق الوحيد هو أن الذين نجحوا كَوْنُوا تاريخاً لأنفسهم ولأسرهم، ومن تصفح كتب تاريخ المغرب التي كتبها المغاربة أنفسهم، وكتّابها مسئولون كبار، وأيدوا ما كتبوه بالوثائق الرسمية، مثل المؤرخين الشهيرين عبد الرحمن بن زيدان (نقيب الأشراف)، ومحمد المختار السوسي<sup>(1)</sup> (وزير الأوقاف) بعد استقلال البلاد، يجد أنه في أوائل القرن الهجري الجاري عمّت الثورات وانتشرت، ولم يمرّ شهر لم تخرج فيه الجيوش لإخمادها، وقد اعترفت الوثائق الرسمية غير ما مرّة أن كثيراً من مناطق المملكة غير خاضعة لحكمها.

وهذه نماذج من التصريحات نقلناها من كتاب: (إتحاف أعلام الناس بجمال حاضر مكناس) ل: ابن زيدان المذكور، قال في (ج/ 1 ص: 386) عن حدود الصحراء: «(طرفية) هذه هي آخر حجرة المغرب، وسميت (طرفية) بذلك لوجود أشجار ثلاثة من الطرف بها، وهي بلسان الروم (كاب جوبي)»، وفي هذا (الفصل) ذكر أن أهل الصحراء لا تنالهم الأحكام السلطانية.

وفي (ص: 396)، بعد أن ذكر الفوضى التي عمّت البلاد في عهد الملك عبد العزيز، حوالي سنة 1313هـ، قال في فصلٍ عنوانه: (اختلال الأحوال بعده): «وبموت

---

(1) ذكر في تأليفه البليغ، المطبعة الملكية: 1386 - 1966م، (ص: 11) مقدّمته: «لما كان لها - أي: بلاد سوس - بعض استقلال عن العرش المغربي فلا تخضع له إلا خضوعاً أدبياً دينياً من بعيد».

صاحب الترجمة - أظنه وزيرا - حدثت حوادث وفضائع، يشيب لها الرضيع، ووقع الدخيل في الدولة، واختل النظام وفسدت الأحوال، وتراكت الأهوال، وتمررت الذئاب، وتفترزت البيادق، وأسع الخرق على الراتق، ولما استحكمت الفوضى وأشرفت الأمور على الانحلال، وانتشرت الحمايات بالأيالة المغربية أي انتشار... الخ»، ويقول في موضع آخر من (الجزء الثاني، ص: 344) من كتاب حرره الملك نفسه إلى عامله بالرباط يعترف فيه بأن أحكامه لا تنال الصحراء، جوابا عن مطالب سفير إسبانيا، قال فيه: «خديمنا الأرضي الطالب محمد بركاش - كان عاملا إذ ذاك ب: الرباط - و بعد فقد أجبناك في غير هذا عن مطلبني (باشدور أمبنيول) بما تظهره له من التلطف و المدافعة ...»، إلى أن يقول له: «... وأما المحل الذي قرب (وادي نون) فقد بحثنا الجوار عنه، ومن له خبرة بذلك واعتناء، وولوع بالأخبار والتواريخ، فأخبرنا على وجه التحقيق أن المحل المذكور قريب من الصحراء الغير الممكن فيها الأحكام يسمى بالعجمية (صانطا كروز ليكينا)، وهو الذي كان بيد (الصبنيول) قبل هذه المدة بنحو المتين سنة، يصطادون فيه المسك، و الأمر فيها سهل إن لم يصدر لهم من أهله حرج، فتأمل في ذلك وتسلمه لهم على شروطه، ومنهم إلي بحيث لا تكون علينا عهدة ولا درك فيما يلحقهم من الخبر، أي ومتى أعانهم من المتطوعين غير المخزن ... حرر في: 4 ذي القعدة عام 1293 هـ» .

وفي (ص: 249) قال: «وفي يوم الأحد خامس عشر رمضان 1305 هـ نهض - أي: الملك - من مكناس قاصدا القبائل البربرية (بني مجليد، وزيان، وغيرهم) لتفقد الأحوال، وإخماد نيران الأهوال التي أضرمها (بنو مجليد)، الذين سعوا في الأرض بالفساد، وأهلكوا ضعفاء العباد، ولم تنلهم الأحكام السلطانية منذ وقعتهم الشنعاء مع السلطان العادل مولاي سليمان، عام أربعة وثلاثين ومائتين (1234 هـ)» .

فإذا كان حال أعظم القبائل تبقى قرنا وثلاثين سنة منقطعة عن السُّلطة المركزيَّة، لم تنلها أحكامها، فماذا نقول في بقيَّة القبائل ؟

والخلاصة أنَّه لولا جيش الحماية والاحتلال، لما أمكنَ ملوك تلك الحِقبة من التَّاريخ أن يلموا بِحكمِ البلاد، ولنجح عَشْرَاتِ الثَّائرين.

المهدي البوعبدلي





## لقطات من تاريخ انتشار الإسلام

### والثقافة العربية في القارة الإفريقية عبر العصور(1)

إنني اخترتُ تناول هذا الموضوع الذي يدل عليه عنوان هذه الدراسة التي أتشرف بإلقائها في هذا الملتقى بهذه العاصمة الخالدة لبلاد توات، وقد سبق لي أن تشرفت بزيارة هذه المناطق الصحراوية في إطار النشاطات الثقافية التي كانت تشرف عليها وزارة الشؤون الدينية، وألقيت سلسلة محاضرات بـ : أدرار وعين صالح وتمنغاست وبشار، جلُّها مركز على ما وصلنا من الوثائق الأصلية منها المترجم ومنها الباقي على لغته الأصلية، وتاريخ هذه المناطق، وإن كان مفككا ومتشعبا، إلا أنه ثري بالوثائق الأصلية والمصادر الممتازة، كما أنه سبق لي أن زرت منطقة (تندوف) صحبة المنعم الحافظ الشيخ نعيم النُعيبي المفتش لوزارة الشؤون الدينية بقسنطينة، والعضو بالرابطة الإسلامية في الديار المقدَّسة، والشيخ أحمد قصبية الأغواطي المفتش للشؤون الدينية بالمناطق الصحراوية إذ ذاك، وقد أقمنا أسبوعا تمكَّن لنا فيه أن نفيد ونستفيد، حيث إن المنطقة كانت تحتفظ بخزائن أسر علمية شهيرة، توارث أفرادها العلم، وخزائن أنواع المخطوطات والوثائق الأصلية المتعلقة بتاريخ المناطق الصحراوية العقائدي والثقافي والسياسي وللظروف التي اجتازتها، ومن أهم هذه الوثائق ما يتعلَّق بطريقة الشيخ ماء العينين في أوائل القرن الميلادي الجاري، وأدواره في الدفاع البطولي عن جِمي هذه المناطق، ضاع الكثير من هذه الخزائن، وقد بقيت بقية تلقي أضواءً على تاريخ البلاد

---

(1) اعتمدنا في إثبات هذه المقالة على نسخة خطية تقع في (25) صفحة، وهي مبتورة الآخر. (ع)

الزاهر، إذ لا يخفى أن هذه المناطق تسلط عليها الاستعمار الأجنبي انطلاقاً من منتصف القرن التاسع عشر الميلادي، هذا وإنني أركز دراستي هذه على الجانب الثقافي الذي يتحدث عن انتشار الإسلام إثر الفتوحات الإسلامية مباشرة، وكان منطلقه من عاصمة إفريقية إذ ذاك مدينة القيروان، إذ من هذه المدينة الخالدة انطلقت الدعوة الإسلامية بكامل القارة الإفريقية، شرقها وغربها، شمالها وجنوبها، وكذلك من مدينة القيروان عبرت الدعوة الإسلامية إلى بلاد الأندلس وجزر البحر الأبيض المتوسط، كـ : صقلية، ومالطة، ولضيق المجال سأقتصر على رؤوس الخطوط العريضة من هذه الدراسة، إذ موضوعها يهّم كثيراً ملتقانا هذا، خصوصاً وإن كان تاريخ هذه المناطق شوهه المغرضون من الأجانب، وبعض كتّابنا الذين مع الأسف عندما تناولوا تاريخ هذه المناطق نقلوا حرفياً آراء الكتّاب الأجانب غثها وسمينها، وإن كان هذا النقل يوجد له ما يبرّره، كتقد المصادر الأصيلة، إلا أنّهم مع الأسف نقلوا حتى أسماء المدن والقرى المحرّفة من العربية والفرنسية، وقد كان فضل التاريخ على هذه المناطق التي بالغ كثير من الكتّاب الأجانب - على عاداتهم - محاولةً للحيلولة بينها وبين أصلها العربي، فتصدّى لهؤلاء المغرضين كتّاب أجانب من جنسهم، فنقضوا هذه الادّعاءات وأوقفوا حملاتهم المغرضة، وكان في طليعة هذه الفئة من الكتّاب كاتب فرنسي، ولو كان من غلاة العنصريين، وكان بعاصمة الجزائر يرأس تحرير جريدة يومية هي لسان حال غلاة المعمرين إلى عهد الاستقلال، وهي (L'écho d'Alger)، هذه هي المراحل التي سأتبعها في هذه الدراسة.

كانت عاصمة القارة الإفريقية إثر هذه الفتوحات الإسلامية مدينة القيروان، ولما ظهرت في الأفق الخلافات بين ملوك بني أمية وبني العباس، نقل ملوك بني العباس مركز العاصمة من القيروان إلى طنبنة، وبعد ظهور الدولة الشيعية التي قضت على

الدولتين الرستمية والمغراوية، واتَّخَذت المهدية عاصمة لها بدلاً من القيروان، إلا أن مدينة القيروان بقيت محتفظة بمركزها الثقافي ونشر الدعوة الإسلامية، وبقيت محافظة على مركزها هذا حتى بعد ما استبدلت بـ : قلعة بني حمَّاد التي صارت عاصمة لها، إذ وصفها أبو عبيد البكري في عهد ازدهارها فقال: «قلعة كبيرة ذات منعة وحصانة، وتمصَّرت عند خراب القيروان، انتقل إليها أكثر أهل إفريقية، وهي اليوم مقصد التجار، وبها تحلُّ الرِّحال من العراق والحجاز ومصر والشام وسائر بلاد المغرب، وهي اليوم مستقر مملكة صنهاجة - أي: بني زيري بن مناد -» اهـ.

ثم أجمع الرِّحالون الذين زاروا هذه المناطق فوصفوا القلعة بالخصب والازدهار، ومن بينهم ابن حوقل واليعقوبي والمقدسي، فذكروا أنها كانت تنتج أحسن أنواع القطن والزعفران، وجميع أصناف الفواكه، علاوة على تربية المواشي، كما أن كثيرا من سكَّانها كانوا يشتغلون بالفلاحة، ويستعملون وسائل الري الموروثة عن الروم والبيزنطيين التي كانت تستعمل بـ : طينة ومجانة ونقاوس.

ولنرجع إلى القيروان عاصمة إفريقية في عهدها، فنذكر أن كثيرا من الباحثين العالميين الأجانب اعترفوا لها بالمكانة والدور الذي لعبته في نشر الدعوة الإسلامية، بل لعبت دورا ممتازا في الناحية الاقتصادية، وهذا ما قاله الكاتب الفرنسي المتخصِّص في تاريخ الاقتصاد العالمي في تأليفٍ نشر في هذه السَّنوات الأخيرة بـ : باريز، يحمل عنوان: (الإسلام في عظمته الأولى) (L'islam dans sa premier grandeur)، وهو موريس لومبار (Maurice Lombard)، قال: «كان مركز التجارة العالمي بمدينة روما، وبعد سقوطها، أعقبه فراغ إلى عهد الفتوحات الإسلامية، فورثته بلاد الشرق، ثم تقاسمته مع بلاد المغرب، حيث اكتشفت بها معادن الذهب في السودان والجنوب»، - وهنا بين قوسين - نذكر أنه يعني: أوداغست بـ : موريطانيا، وقد خصَّص أحمد المقرئ

في (نفع الطيب) عند ترجمته لـ : لسان الدين ابن الخطيب السَّلْماني وأساتذته الذين كان من بينهم جدُّه القاضي محمد المقرئ الذي كان من مشايخ ابن خلدون أيضا، فذكر أوليته وأن أصلهم من مقرا، ب : الزاب، وقد انتقل جدُّه الذي كان من تلامذة الشيخ أبي مدين شعيب (دفين تلمسان) فاستقرَّ بتلمسان وخلفه أولاده الذين كان أحدهم أحدث شركة تجارية لها حرس خاص، ومراكز طول الطريق الرابط بين تلمسان وولاية ب : موريطانيا الحالية، والذي تتبَّع ما كتبه المقرئ في هذا الموضوع بتفصيل يجد نظام هذه الشركة تعجز عنه أكبر الدول في عهدنا هذا.

ولنواصل حديثنا عن كتاب: (الإسلام في عظمته الأولى) لـ : موريس لومبار السابق الذكر، فقال: «فمهدت له الطرق، وصارت مدينة القيروان محطَّ رحال القوافل التجاريَّة العالمية، وبعد سقوط القيروان خلفتها قلعة بني حمَّاد» اهـ.

وفي هذه الأثناء ظهرت في الأفق مسيرة بني هلال التي اكتسحت سهول المنطقة، فحينئذ خشي بنو حمَّاد خطر هذه الحملة، ففكروا في نقل عاصمتهم إلى محلٍّ مأمون، فكان اختيارهم لمدينة بجاية الحصينة بجبالها الشاهقة وبحرها.

ورثت بجاية مكانة قلعة بني حماد والقيروان لا في الميادين الاقتصادية والسياسية وحسب، بل في الميدان الثقافي، ولأهميته ركزت عليه هذه الدراسة، وقد اعتنى كثير من الرِّحَّالين والباحثين بـ : بجاية فخصَّوها بالتأليف القيِّمة والتَّعاريف المفيدة، تقتصر على ما وصفها به أحد كبار الأدباء صاحب المنظومة الشهيرة في تاريخ الأدب العربي التي ضمَّنها صاحبها رحلته من قسنطينة إلى مراكش عاصمة الدَّولة الموحدية في عهده، قال:

دع العراق وبغداد وشامها      فالناصرية ما إن مثلها بلد  
إن تنظر البر فالأشجار يانعة      أو تنظر البحر فالأمواج تطرد

وقد كانت في أول عهدها تسمّى: الناصرية، حيث إن مؤسسها هو الملك الناصر بن  
علناس الحمّادي.

سأقتصر على رؤوس الخطوط العريضة من هذه المرحلة من تاريخ القيروان  
العاصمة الإفريقية التي ورثت مكانتها قلعة بني حماد ثم بجاية، ثم أوصل الحديث عن  
دور القيروان في نشر التعاليم الإسلامية بالقارة الإفريقية والأندلس وجزر البحر  
الأبيض المتوسط.

كانت الطبقة الأولى التي نشرت تعاليم الإسلام إثر الفتوحات هي طبقات الفقهاء  
المالكية ولواقفهم بسيرتهم المثالية وثباتهم وشجاعتهم، الذين انتصروا على الدولة  
الشيعة رغم الجهود التي بذلتها لنشر مذهبها الشيعي، وسخرت له جميع المعطيات  
ووسائل الإعلام والقمع والإرهاب، فتغلّب الفقهاء المالكيون وخرجوا منتصرين من  
المعركة، وهذه قضية كما سبقت الإشارة إلى ذلك عويصة متشعبة تناولها كتاب  
وباحثون اخترنا من بينهم كاتبين معاصرين خصّصا مراحل هذه المعركة ببحوث قيّمة  
نزاهة على ضوء الوثائق الأصلية التي كادت أن تجمع آراء كلّ الذين تناولوا بحث  
مراحل هذه الفترة من التاريخ بنزاهة وأمانة مجردين من الأغراض، وعلاوة على ذلك  
فإن هاذين الباحثين زيادة على كفاءتهما وخبرتهما في هذا الميدان توفّرت لدهما معطيات لم  
تُح لغيرهما بسهولة وهذان الباحثان هما د. حسين مؤنس الكاتب المصري الشهير،  
وثانيهما العلامة المرحوم الشيخ الفاضل ابن عاشور مفتي الجمهورية التونسية،  
فالدكتور حسين مؤنس ضمّن بحثه مقدمته التي خصصها لكتاب: (رياض النفوس)  
لابن المالكي الذي أعاد طبعه، والشيخ الفاضل بن عاشور ضمّن بحثه دراسة قيمة  
ألقاها في مجمع البحوث الإسلامية بـ: مصر، وفي (مجمع الدراسات الحديثية) بالرباط،  
ونشرها في مجلة المجمع العلمي العربي بـ: دمشق، كما سنتعرض لهما في دراستنا هذه ولو  
بنقل فقرات منها.

ولنبداً بدراسة الشيخ الفاضل ابن عاشور التي تهم موضوعنا وهي ألصق به - إن صحَّ التعبير - إذ خصصها للتيار الفكري الذي انتقل من تخوم الصحراء الإفريقية واجتاح بلاد المغرب العربي ثم بلاد الأندلس، وهذا التيار هو الذي يرجع إلى تعاليم الفقيه المالكي أبي عمران الفاسي الذي كان على رأس فقهاء القيروان، ولما مرَّ وفد من حجاج سجلماسة على القيروان ووجدوا حلقات دروسه الفقهية مكتظة بنبغاء الطلبة والعلماء من جميع جهات البلاد الإسلامية، التمسوا منه أن يرسل إليهم فقيها من تلامذة معهده إلى بلادهم، فكان اختياره للفقيه عبد الله بن ياسين المفكر الروحي والعقائدي لدستور دولة المرابطين اللمتونيين، التي كان أبرز رؤسائها الملك يوسف ابن تاشفين البطل الإسلامي العظيم (دفين مدينة مراكش) الذي احتلَّ في عهده بلاد المغرب العربي - المغرب الأقصى، والجزائر - ثم بلاد الأندلس، والحديث عن يوسف بن تاشفين ومآثره خصَّصت بالتأليف القيِّمة، ولا زالت إلى يومنا هذا مرتبطة بتاريخ المغرب العربي والأندلس.

وبناء على القاعدة المشهورة: «ملا يدرك كله لا يترك جله»، نتحدَّث عن فقرات من دراسة الفاضل ابن عاشور السَّابقة الذِّكر، وكما ذكرنا خصَّصها لتعاليم الفقه المالكي التي بثَّها في بلاد الصحراء ثم المغرب العربي فالأندلس ملوك دولة المرابطين أي يوسف بن تاشفين حيث بنوا مذهب دولتهم العقائدي على تعاليم الفقه المالكي الذي استقاه عبد الله بن ياسين من مدينة القيروان، وطريق عبور هذه التعاليم من صحراء المغرب إلى بلاد المغرب العربي، أي: المغرب الأقصى والجزائر ثم الأندلس.

قال الفاضل ابن عاشور ما يلي: «كان الشرق الإسلامي في عنفوان ازدهاره وريعان إشراقه بالحكمة الدينية الطيبة الثرى، والراسخة الأعراق الملتفة الأغصان التي أثمر في روضتها: المنطق والكلام وأصول الفقه والجدل والتصوف، وكان العقل الإسلامي قد

اقتدى بالإمام الغزالي وصار على محجة التطور البعيدة المراحل وراء تلك الشعلة الوضّاءة من المعرفة والرشاد، ولما كانت بلاد المغرب العربي من أقصى الأندلس إلى إفريقية قد وقعت في أزمة خانقة من أزمت العقل والمعرفة بظهور قوة ناشئة خرجت من وسط إفريقية، مندفعة بحرارة إيمانها تقطع رمال الصحراء الكبرى إلى ضفة وادي درعة وواحات سجلماسة، فإذا وهاد المغرب ونجاده، تُقبل بأعناق المهاري الصهب وقد تمكنت من عواربها أجسام بشرية ملتحفة الأثواب الزرق، ومُلتئمة بها، يلين الحديد ولا تلين، وتخبو النار ولا تنطفئ حرارة تلك النظرات المتدفقة بين أطباق اللثام».

إلى أن قال: «أولئك هم المرابطون الذين انبعثوا ينشئون عاصمة المغرب الجديدة مدينة مراكش ويُمِدُّون رواق سلطانها على طول العدو الأندلسية في يوم الزلافة العظيم لِتَقُومَ الشوكة، وتحيا الدولة تحت أمير المسلمين يوسف بن تاشفين».

ثم استرسل صاحب البحث الفاضل ابن عاشور فتعرّض ببيان وتفصيل للظروف التي تكونت فيها دولة المرابطين ومسيرتها إلى المغرب الأقصى والجزائر ثم إلى الأندلس، هذا ولا يفوتنا أن نذكر أن صلة بلاد بجاية العاصمة الإفريقية التي خلفت مركز سابقتيها قلعة بني حمّاد والقيروان صلتها بفقهاء المذهب المالكي لم يكن عبورها عن طريق القيروان فقط، بل كان أيضا على طريق الأندلس حيث التجأ إلى بجاية كثير من أساطين علماء وفقهاء مالكيون من الأندلس بعد تفكك أوصال دولة الخلافة الأموية المركزية، التي تقاسمت أشلاءها دول الطوائف، وهؤلاء الفقهاء المالكيون هم الذين كانوا في طليعة تدبير الانقلاب إثر ظهور دولة الموحدين وقضائها على دولة المرابطين بالأندلس والمغرب العربي، إذ كما هو معروف في التاريخ أن منطلق الثورة على دولة المرابطين التي وإن طال أمدها هي التي أطاحت بدولة الموحدّين، وقد عرفت هذه الثورة في كتب التاريخ ب: ثورة بني غانية، الذين كانوا بجزيرة ميورقة ونزل أسطوهم

على حين غفلة ب : بجاية، وأتهم الفقهاء المالكيون اللاجئون من الأندلس - كما تقدّم لنا ذكره - وكان على رأس المتهمين العالم الشهير عبد الحق الإشبيلي ومواطنه الشيخ شعيب أبو مدين (دفين تلمسان) وغيرهما، وهذه الثورة التي كانت سبب مغادرة الشيخ أبي مدين بجاية استجابة لدعوة خليفة دولة الموحدّين ب : مراكش، وتوفي في طريقه ب : تأبالت، ودفن ب : تلمسان.

هذه أحداث هامة اجتازتها البلاد الإسلامية، ومن حسن حظ التاريخ أن كثيرا من هذه الأحداث سجلت، ومن بينها ديوان شعر ل : عبد الحق الإشبيلي المتهم الأول في الانقلاب، يقول فيه كاتبه: «أنشدنا الفقيه العالم عبد الحق الأشبيلي بجامع بجاية سنة 581 ما يلي»، وما زال هذا الديوان من مدّخرات خزانة جامع القرويين - وسنثت نموذجا منه في هذه الدّراسة تدل على قيمة الرجل وتقديسه للعلم، حتى إنه جرّد الجاهل من الإنسانية [فقال]:

إذا أنت لم تعلم ولم تتعلم      و كنت امراً عما يراد به عم  
فكن كما شئت أن تكن      ولا تك إنسانا فما أنت متهم  
وإن كنت لم تعلم بذلك فاعلم      .....

وهو ديوان كلّه غرر ودُرر، من هذه الفقرات يظهر لدينا أن عنوان البحث، وهو دور مدينة القيروان في انتشار التعاليم الإسلامية بإفريقيا والأندلس غير مُبالغ فيه، إذ انتصار الفقهاء المالكيين بالقيروان على الشيعة كما بسط ذلك بحُجج وأدلة د. حسين مؤنس الذي ستحدّث عنه بعد انتهائنا من دراسة الشيخ الفاضل بن عاشور، الذي خصّصها لتعاليم الفقه المالكي بالقيروان، وظروف انتقالها إلى بلدان إفريقية والأندلس عن طريق دولة المرابطين، وأن ثورة المرابطين على دولة الموحدّين تزعمها فقهاء المذهب المالكي ب : بجاية، وهي وإن لاقّت مقاومة عنيفة من دولة الموحدّين الناشئة، والتي



قلّبت الأوضاع واكتسبت الأنصار، فإنها انتهت بانتصار المرابطين الذين كانت ثورتهم تعرف بـ: ثورة بني غانية، أقارب يوسف بن تاشفين، وبالضبط المنحدرين من أخوته، وكانوا مرابطين بجزيرة ميورقة.

كانت ثورة الموحدين والقضاء على دولة المرابطين من النوع الذي تحدّثنا عنه، عرفته البلاد الإسلامية من عهد الصحابة والخلفاء الراشدين، وبالضبط من وقعة صفين وانشقاق الدولة الرّستمية عن الخلافة المركزية، ثم لحقت بها الدولة الشيعية، وإن التزمت الدولة الرّستمية بنشر مذهبها المحكّم بطرق سلمية، إذ لم تصطدم دولتها بـ: تاهرت بدولة الأمويين، ولا بالأدارسة، اللهم إلا مع الدولة الشّيعية التي اكتسحت الدول المتواجدة في المشرق والمغرب، ومع هذا كلّ فلم تنجح، إذ وجدت في طريقها مقاومين أشدّاء أقوياء، أما المالكيون فإنهم ولو كانوا يستعينون المرّة بعد المرّة بالرستميّين، ويتعاونون معهم كما أثبت ذلك التاريخ في ثورة مخلد بن كيداد، المشهور بـ: صاحب الحمار.

والآن أنتقل إلى نشر لقطات من آراء د. حسين مؤنس التي سبقت لنا الإشارة إليها، وقد سبق لي أن تحدّثت عن دراسته التي أثبت فيها انتصار الفقهاء المالكيين، وقال: «هذا الانتصار هو السبب الوحيد في مغادرة عبيد الله المهدي الشيعي بلاد المغرب العربي إلى القاهرة».

كان د. حسين مؤنس اهتمّ بهذا الموضوع حيث أعاد نشر كتاب: (رياض النفوس)، الذي ألفه صاحبه تدعيماً للمذهب المالكي وتتمّة لكتاب: (طبقات علماء إفريقية) لـ: أبي العرب التميمي، وملحقه لتلميذه محمد بن الحارث الخشني، وهذان الكتابان كان الفضل في نشرهما بعد تحقيقهما للعالم الجزائري المرحوم محمد بن أبي شنب، الأستاذ في عهده بالمدرسة الثّعالبية وجامعة الجزائر.

قال د . حسين مؤنس في تقديمه لـ : (رياض النفوس)، متحدّثاً عن نتائج المعركة الحاسمة بين فقهاء المذهب بالقيروان والمذهب الشيعي ومغادرة عبيد الله المهدي المغرب العربي إلى القاهرة المعزية ما يلي: «جاهره شيوخ إفريقية بإنكار مذهبه، وأزوروا عنه، وتبعهم في ذلك عامّة الناس، ووقفت إفريقية كلّها موقف معارضة وأعلم عبيد الله الشيعي أنه بين رعية لا تطيعه، ولا تُقبل عليه، فحاول إرغامها على السير معه بحدّ السيف، وأراق من الدماء شيئاً عظيماً، فلم يتحوّل الناس عما كانوا عليه، وحسب أنه إذا ندب بعض الظّاهرين من فقهاء مذهبه الشيعي ودعائه لمساجلة شيوخ إفريقية (المالكية طبعاً) لاستطاع إلزامهم الحجّة وتسفيه آرائهم، ومن ثمّ انطلقت هذه ...».

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَقَدْ كُنَّا مِنْ تَارِيخِ انْتِشَارِ الْإِسْلَامِ  
وَالثقافة العربية في القارة الأفريقية  
عبر العصور

أنت اخترت تناول هذا الموضوع الذي يدل على  
مفهوم هذه الدراسة التي أنتشرت بالقاهرة  
في هذا الملتقى وهذه العاصمة الخالدة  
لإسلامنا، وقد سبق لي أن تشرفت بزيارة  
هذه المناظر الجميلة والحدائق الجميلة  
النشاطات الثقافية التي كانت تُشرف  
عليها وزارة الشؤون الدينية وألقيت  
سلسلة محاضرات بالمراتب العالمية  
تمتغاست وبتاريخ جليل مركزه ما  
جاء من الوثائق الأصلية منها المترجم

صورة عن الصفحة الأولى من النسخة المعتمدة



## لقطات من الثمرات الإيجابية للتعاون الثقافي بين بلدان إفريقيا الشمالية والبلدان الأوربية في حوض المتوسط عبر التاريخ<sup>(1)</sup>

أستهلُّ دراستي هذه بحديثٍ قدسي هذا نصُّه: «الخلق عيال الله، وأقربكم إلى الله أحسنكم إلى عياله» أو كما قال.

هذا، وإنِّي سأتناول في هذا البحث ما يدلُّ عليه عنوانه، وسأبتدئ بالحديث عن أول طبقة من الكُتَّاب اشتهرت بدراسات موضوع بحثنا، وأثرت بعض جوانبه بصفة ملموسة، هذه الطبقة هي طبقة المستشرقين، ثم أتبعها بالحديث عن طبقات أخرى من الكتاب الذين اشتغلوا بهذه المواضيع بحكم ظروفهم الخاصة المختلفة، من بينهم رحالون، وتجار، ومبشرون، وأسرى حروب، وغزاة مديون وعسكريون، بقطع النظر عن الأسباب التي دعتهم إلى الكتابة، وإنما كل ما يهمننا من كتاباتهم، هو ماذا استفاد التاريخ منها، وإنني عملاً بالقاعدة المشهورة: «ما لا يدرك كله لا يترك جله»، فسأقتصر على عيّنات تنعكس بعض فوائدها على موضوع دراستنا المتشعبة الأطراف، فستتخذها نماذج.

ولنرجع إلى الحديث عن طبقة المستشرقين الذين أثارت كثيرٌ من بحوثهم عواصف

---

(1) مجلّة (الثقافة)، العدد: 80، ص: (69 - 76)، السّنة الرّابعة عشرة، جمادى الثانية - رجب 1404هـ/ مارس - أبريل 1984م، كما اعتمدنا أيضاً في تصحيح بعض فقرات هذه المقالة على ملخص لها يقع في (6) صفحات، بخط يد الشيخ المهدي (رحمه الله تعالى). (ع)

من الرُّدود والتَّعاليق، لا زال مَعينُها لم ينصَّب بعد، ومما لا شكَّ فيه أنَّ تَأليفَهُم وآراءَهُم أثارت حَساسيات كثيرة من القراء والكتَّاب، مسلمين وغير مسلمين، حيث أتهموهم بالتزوير وتشويه الحقائق، والتقاط النقائص وبلبلة أفكار النِّشء وراء خدمة الأغراض والمصالح الاستعمارية في الميادين السياسية والعقائدية، إلا أنه مع طول الزَّمان وتطوُّره تجلَّت كثير من الأعمال الإيجابية لهذه الطبقة، خصوصا بعد انعقاد مؤتمراتها في مختلف العواصم الأوروبية، ابتداء من سنة 1873، تلك المؤتمرات التي فتحت أبوابها للباحثين المختلفي الأجناس والأديان، وعززت هذه المؤتمرات بوجود الخزانة العلمية الشهيرة في كثير من العواصم الأوروبية، كانت تزخر بنوادير المخطوطات العربية الإسلامية، فراعوها بعنايتهم وصانوها صيانة، لا تختلف عن رعايتهم لتأليفهم الخاصة، كما فتحوا أبوابها لمختلف طبقات الباحثين الذين كانوا يترددون عليها للاستفادة والإطلاع على مخبَّاتِها، كما سنذكر ذلك بمزيد من التفصيل، فحينئذ تجلت بعض الثمرات الإيجابية لهذا التعاون المثمر، ووقع الفرز بين أفراد طبقة المستشرقين لتمييز التزيه من المغرض، وتراجع كثير من الكتاب المسلمين عن تعميم أحكامهم القاسية على عموم المستشرقين، بل ظهر في الميدان بعض المشاهير من الكتاب أنصفوا المستشرقين وأشادوا بأعمالهم الإيجابية بعدما شاركوهم في أعمالهم وحضروا مؤتمراتهم، نكتفي بذكر اثنين منهم لضيق مجال البحث وهما الشيخ مصطفى عبد الرازق (وزير الشؤون الدينية) في عهده بمصر وشيخ الجامع الأزهر، والشيخ أحمد زكي باشا الكاتب الشهير المصري الذي كان يلقَّب بشيخ العروبة.

كان مصطفى عبد الرازق علاوة على تضلعه في العلوم الإسلامية حائزا لشهادة الدكتوراه من جامعة الصوروبون بباريس، وعندما كان بصدد تأليف كتابه القيم في تاريخ المذاهب الفقهية الإسلامية الذي سماه: (الشافعي واضع علم الأصول)، تعارض

لديه مصدران أو بعبارة أصح روايتان إحداهما لعالم مسلم، جرى بها العمل، عدة قرون والثانية لمستشرق كثيرا ما كانت آراؤه غير مسلمة عند الكتاب المسلمين، وبعد التروي رجح عبد الرازق رواية المستشرق المدعمة بالحجة التي لا تقبل جدالا، وإنني رغم ضيق المجال أثبت هذه القضية للاستدلال على نزاهة الحكم وأمانته المثالية، ولأهميتها أيضا في موضوع بحثنا، كان مصطفى عبد الرازق عند حديثه على تاريخ تدوين الفقه الإسلامي أدلى برواية هشام بن عروة في الموضوع، وعقب عليها بما يلي: «ويقول (Goldziher) في (دائرة المعارف الإسلامية) في مقاله عن كلمة: (فقه): وينبغي أن لا تعطى كبير ثقة لما نسب لهشام بن عروة من أنه في يوم الحرّة حرقت لأبيه كتب فقه، ولا يمكن أن يتصور بحال أنه في ذلك العهد البعيد كانت توجد كتب بالمعنى الصحيح، وإنما هي صحائف متفرقة، وتوفي عروة سنة 94هـ وهي السنّة التي كانت تسمّى: سنة الفقهاء، لكثرة من مات فيها من الفقهاء».

ثم يواصل مصطفى عبد الرازق حديثه، فيقول: «وبالجملة فإنه إذا كان دون شيء لضبط معاهد القرآن والحديث ومعانيهما في عهد بني أمية، فإن التدوين في الفقه بالمعنى المحدث لم يكن إلا في عهد العباسيين ...»، إلى أن قال: «هذا هو الرأي الذي كان مقررا بين الباحثين».

يذكر (Goldziher) (1871 - 1944) في المقال الذي أشرنا إليه آنفا ما يأتي: «وقد اكتشف جرفيني بين المخطوطات الامبروزيانية بميلانو الخاصة (مجموعة زيد بن علي) المتوفى سنة 122هـ/740م، وهو منسوب إلى مؤسس فرقة الزيدية من الشيعة، وعلى هذا تكون هذه المجموعة أقدم مجموعة في الفقه الإسلامي، وعلى كل حال ينبغي أن يوضع هذا الكتاب موضع الاعتبار فيما يتعلق بتاريخ التأليف في الفقه الإسلامي، وإذا صح أنه وصل إلينا من بطانة (زيد بن علي) الفقهية من مؤلفات الشيعة الزيدية، وكل

ما علّق به مصطفى عبد الرازق على اختياره وترجيحه لرواية المستشرق فقرتان قصيرتان: الأولى: «على أنّ البحث الذي أثير لتعيين مركز هذا الكتاب بين المؤلفات الفقهية لم يكمل»، الفقرة الثانية قال فيها: «ومن أسف أنّ هذا البحث لم يثره مسلمون ولا أثير في بلاد إسلامية» اهـ

أما العالم الثاني وهو أحمد زكي باشا فقد حضر عدّة مؤتمرات على رأس وفود هامة من مشاهير الكتاب والأدباء، نخص بالذكر منهم الشاعر المصري الشهير أحمد شوقي، وذلك ابتداء من سنة 1892م حيث انعقد مؤتمر المستشرقين في لندن بإنكلترا، وقدم أحمد زكي فيه عدة مخطوطات نادرة وبعض تأليفه الخاصة، وفي هذا المؤتمر أشاد أحمد زكي باشا<sup>(1)</sup> بأعمال المستشرقين في الخطاب الذي ألقاه أول مرة في مؤتمرهم، قال: «أشكر مسعاكم عن ذلك الشرف الذي لم يقدره القوم حق قدره، حتى جاءت أعمالكم وزحزحت عنه ستار الاعتقادات الباطلة، وأنكم تعلمون أن قومكم كانوا يجهلون قدر ما عندنا ويحكمون علينا بما نحن براء منه، حتى وقعت الألفة العلمية وانكشف لكم ما انطوى عليه العالم الإسلامي من جليل الشعائر المنبثقة عن الطوية الخالصة» اهـ.

وفي مؤتمر أثينا سنة 1912م الذي حضره أيضا، اقترح أن يعتبر المؤتمر اللغة العربية من لغات المؤتمر الرسمية، فقبل اقتراحه، وحينئذ ألقى خطابه وقسمه إلى قسمين، نصفه بالعربية والنصف الآخر بالفرنسية، وكان موضوعه ما يمكننا أن نطلق عليه: «التاريخ يعيد نفسه» حيث تعرض للعلائق العربية اليونانية، وللتعاون الثقافي بينهما ثم استعرض ما بذله المسلمون في عهد الدولة العباسية من جهود في ترجمة الكتب اليونانية، وما بذلوه في اقتناء هذه الكتب وترجمتها إلى العربية، وكان الكثير من المثقفين المسلمين يشدّون الرحال إلى أثينا لطلب العلم واقتناء الكتب، وكانت أثينا تسمّى

---

(1) عن (أعلام العرب)، عدد: 29، أحمد زكي باشا لأنور الوجداني.



عندهم ببلاد الزيت، ثم صارت تعرف عندهم ببلاد العلم والحكمة « اهـ.

نكتفي بهاتين الشهادتين لعالمين جليلين كانا يمثلان الرأي العام لمواطنيها في عهديها.

ولنرجع إلى مواصلة بقية الحديث عن طبقات الأوربيين الذين تعرضوا في كتاباتهم المختلفة المقاصد والأسباب والغايات، وإنما انعكست بعض فوائدها على تاريخ البلاد، كما سبقت الإشارة إلى ذلك، فمن هؤلاء الكتاب طبقة تركت بصماتها في تاريخ الشمال الإفريقي بصفة عامة وفي الجزائر بصفة خاصة، وذلك أن في عهد الحكم التركي بالجزائر طيلة ثلاثة قرون، بلغ عدد الأسرى المسيحيين فيها ما يربو على العشرين ألف أسير، فعندئذ أذن حكام الجزائر لمرشديهم من رهبان وقسس ورؤساء إرساليات من مختلف المذاهب المسيحية الإقامة بمدينة الجزائر، ليسهل عليهم مرافقة الأسرى وإقامة شعائرهم في المواسم والأعياد فترك الكثير من هؤلاء المرشدين ومن الأسرى مذكرات وتآليف سجلوا فيها انطباعاتهم، وتعرض كثير منهم لتسجيل أحداث اجتازتها بلاد الجزائر في مدة إقامتهم بها، وقد نشر معظمها فصارت من أهم المصادر رغم ما في بعضها من تزييف، أو تحامل، وبعد عن الحقيقة، ومن بين هؤلاء الكتاب: ( Miguel de Cervantés) الإسباني الشهير الذي بعدما قضى مدة في الأسر بالجزائر وأطلق سراحه رجع إلى بلاده، فأرسل في عهد الملك فيليب الثاني إلى مدينة وهران، التي كانت مهددة من طرف أسطول حسن باشا بن خير الدين، إذ كانت هجومات هذا الأسطول متتابعة على المرسى الكبير بوهران ألف (Cervantés) عدّة رسائل في قالب روايات خلد فيها مدّة إقامته بوهران من بينها: (الرجل الشجاع)، وفي هذه الرواية تعرض لهجومات الباشا حسن بن خير الدين، وبين بتفصيل سبب عدم نجاحها، ثم تعرض أيضا للقبائل الجزائرية التي كانت تشارك الباشا في هجوماته، واحدة، واحدة، مما لم نجد له أثرا في

المصادر العربية الجزائرية، وقد وقعت أيضا عدة ثورات وانتفاضات على الأتراك مدة حكمهم بالجزائر جلها لم يذكر على حقيقته، ومن بين هذه الثورات التي زعزعت الحكم التركي في القطاع القسنطيني وطال أمدها، ثورة آل الصخري أمراء قبيلة الذواودة العربية، واختلفت آراء الكتاب الأهالي في أسبابها وآثارها فخصصها الأب (Dan) رئيس إرسالية مسيحية في تأليفه المشهور (1643م) وكشف الغموض الذي كان يكتنفها، كما تعرض لمسائل هامة من تاريخ ذلك العهد من بينها الظروف التي اعتقل فيها الباشا بكداش الذي فتح مدينة وهران سنة 1120هـ، وبقيت تحت حكم الجزائر مدة 25 سنة ثم استرجعها الإسبان وبقيت تحت حكمهم إلى أن فتحت نهائيا سنة 1206هـ/1792م.

كما نجد كتابا آخرين من أفراد هذه الطبقة استفاد من كتابتهم تاريخ البلاد فوائدها جلية من بينها: كتاب الإسباني (Tray Diego de Haédo) المسمى : (Typographie et Histoire d'alger)، وقد ترجمه إلى الفرنسية الكاتبان الشَّهران الفرنسيان: (Monnerreau) و (Berbrugger) ونشراه مسلسلا في (المجلة الإفريقية) الخاصة بالتاريخ، ابتداءً من سنة 1870م، نكتفي بهذا القدر من ذكر أفراد هذه الطبقة ونتقل إلى الحديث عن بعض النتائج الإيجابية في إطار التعاون الثنائي بين القارتين ابتداء من صفاء الجو السائد بعد زوال سوء التفاهم بين المستشرقين والكتاب المسلمين والذي أعقبه التعاون المثمر بين الجانبين، وعلى سبيل المثال نذكر أن معظم ما نشر من مؤلفات التراث الأندلسي هو مدين إلى مكتبة الأسكوريال الإسبانية: (L'Escorial)، وأساطين أساتذتها الذين كرسوا حياتهم لتحقيقه بعد اكتشافه ونشره، وقد ساهم في هذه الجهود المستشرق الفرنسي الشهير (Levy provençal) وما يقال عن التراث الأندلسي، ينطبق تماما على تراث الدولة الرستمية الإباضية التي نشر معظم تراثها ابتداء من سنة 1905م

عند انعقاد مؤتمر المستشرقين بالجزائر، وقدم الأستاذ الفرنسي (Motylinski) مدير المدرسة الرسمية بقسنطينة في عهده، فقد حقق التأليف المشهور: (تاريخ أئمة الإباضية) لابن الصغير الذي كتب في عهد الدولة المذكورة، ومما زاد في قيمته أن مؤلفه غير إباضي، بل سني، إذ كتب هذا التأليف سنة 290هـ، أي قبل زوال الدولة الرستمية بست سنوات، ثم اعتنى بعض المستشرقين بمواصلة تحقيق ونشر كثير من أمّهات الكتب الإباضية إلى عهدنا هذا، حيث نجد المستشرق (Lewicki) البولوني واصل جهوده - رغم شيخوخته وهرمه - في التحقيق العلمي النزبه المفيد لهذا التراث، حتى عد من الاختصاصيين الأفاضل في تاريخ هذه الدولة ومذهبها، كما نجد من كتّاب هذه الطبقة كاتباً فرنسياً عسكرياً، ترك أثراً في طليعة هذا النوع من التأليف الجوهريّة، واسم هذا التأليف: (أربعة قرون من تاريخ المغرب: في الصحراء من 1504 إلى 1902م، وفي المغرب من 1894 إلى 1912م)، مطبعة (lerowx) بباريس 1922م، وصاحب التأليف (Ct.H.Martin)، كان رائداً مترجماً في الصحراء الجزائرية إثر الاحتلال الفرنسي، وقد جمع كل ما عثر عليه من الوثائق العربية في الخزائن العامة والخاصة، وترجمها حوالي سنة 1904، وتأخر طبعها لأسباب ذكرها في مقدّمة (تاريخه)، ومن بين الوثائق التي ترجمها: رحلات محلية، وتأليف في تاريخ المنطقة لا نظير له، وهو وإن ذكر في بعض المصادر إلا أنه لم تعط له أهمية، وهذا الكتاب هو (الوسيط في أخبار تمنظيط)، وتمنظيط هي عاصمة منطقة توات الشهيرة، لعبت أدواراً في تاريخ البلاد، وقد لفتت أنظار قراء العالم الإسلامي ابتداءً من القرن التاسع الهجري، حيث اندلعت فيها ثورة فكرية بين طبقتين من علمائها، مشهورة عند المؤرّخين إلى زماننا هذا بـ (قضية يهود توات)، حيث حرّض الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني السكّان على هدم بيعة بناها اليهود، ومقاومتهم بالسّلاح، وقد عارضه قاضي البلدة وأميرها، إلا أن علماء العواصم الإسلامية الذين سبق أن استفنّاهم وأفقوه، وهم علماء تلمسان، وفاس،

وتونس، ورددت صدَى هذه المعركة بلاد العالم الإسلامي، وأثبتها أحمد بن يحيى  
الونشريسي في موسوعته الفقهية (المعيار) بمزيد من البيان والتفصيل، وقد لعبت مدينة  
تمنيط هذه أدوارا في التاريخ الحضاري والثقافي والاقتصادي بالصحراء منذ تأسيسها  
في القرن السادس الهجري، وذكر صاحب التأليف تاريخ تخطيط المدينة وسكانها الذين  
لجأوا إليها من بلدان الشمال، وعدد التُّجار وأصحاب الحرف بكيفية وتدقيق قلَّ  
نظيرهما في هذا النوع من الكتب، كما أن بقية الوثائق المنشورة في مجموع الرائد الفرنسي  
المذكور تمتاز بوصف طرق ومحطّات الرحالين، وأنواع السلع المنقولة من الجنوب إلى  
الشمال وبالعكس، وكذلك طرق قوافل الحجّاج ومحطّاتها، ووسائل الري - خصوصا  
الفقاقير (Foghara) - وقد أهمل الكتاب والمؤرّخون هذا التأليف - أي: (تاريخ  
تمنيط) - فلم تعطَ له الأهمية التي يستحقّها، إلى أن بلغني أنه منذ أربع سنوات قدّم  
أحد الأساتذة بحثا عنه ضمّنه أطروحة نال بها الدكتوراه - فيما أظن - من جامعة  
الجزائر، والكتاب رغم صغر حجمه يستحقّ العناية، خصوصا وأن تاريخ هذه المنطقة  
قاحل، وما وصلنا منه يحتاج إلى إعادة النظر في كثير من جزئياته وتفصيله، ولهذا  
اغتمننا هذه الفرصة لِّلْفَتِ أنظار المعنّيين بهذا النوع من البحوث إلى أهميته.

مدينة تمنيط - قرب أدرار، عاصمة بلاد توات، تبعد عن مدينة بشار بحوالي ست  
مائة (600 كلم) جنوبا.

وحيث ضاق المجال عن التوسُّع في البحث نختمه بتعليقٍ قصير نرجع فيه إلى  
تدعيم ما سبق لنا استنتاجه من أن اللقطات التي تناولناها بالبحث ينطبق عليها أنها من  
ثمرات التعاون الإيجابية بين مدُن الشمال الإفريقي وبلدان البحر الأبيض، خصوصا في  
ميدان الثقافة، إذ لما زال سوء التفاهم ووقع التَّعاون الذي أشار إليه أحمد زكي باشا  
المصري في مؤتمر لندن سنة 1892 بقوله: «حتى وقعت الألفة العلمية - التي يقصد بها

لا محالة التعاون العلمي - وانكشف لكم ما انطوى عليه العالم الإسلامي من جليل الشعائر المنبثقة عن الطوية الخالصة «، وحقيقة إنه لما فتحت أبواب المؤتمرات وخزائن أوروبا التي كانت مستودعات للتراث الإسلامي النادر حتى في عواصم البلاد الإسلامية في العالم، تضخّم عدد المؤتمرات التي خصّصت للتعاون الثقافي المثمر، المذكور في عنوان هذا البحث، ولم يبق خاصاً بين بلدان الشمال الإفريقي وبلدان البحر الأبيض، بل كاد أن يكون عالمياً ومتزايداً، وعلى سبيل المثال نذكر الملتقى الذي خصّصه الكوليج دو فرانس سنة 1974 بمفرده في باريس، ودعا إليه شخصيات من مختلف بلاد الشرق والغرب، وكان موضوعه:

Les archives et les sources inédites d'histoire des pays arabes (16° et 20° siècle)

والمؤتمران اللذان انعقدتا في مالطا سنتي 1971 و 1976 م.

« Association Internationale d'Étude des Civilisation Méditerranéennes »

كما سبق هذه المؤتمرات مؤتمر خصّص لدراسة الخلافات المذهبية العقائدية في الإسلام (juin 1959 Strasbourg) بمقر:

Centre d'Études supert spéciales d'histoire des religions

واسمحوا لي إن أضفتُ إلى هذه القائمة « ملتقى الفكر الإسلامي » الذي أحدثته وزارة الشؤون الدينية بالجزائر، ويحضره العشرات من العلماء الغير المسلمين من القارات الخمس، ومما تجدر الإشارة إليه أنه في هذه السنة فإن الملتقى السابع عشر انعقد في مدينة قسنطينة، وكان موضوعه الاجتهاد في الفقه الإسلامي، وقد نشرنا لأول مرّة وثيقة نادرة احتفظت بها خزانة الفاتكان البابوية منذ قرون، ولأهميتها بالنسبة لموضوع اجتماعي، نذكر الظروف التي اكتشفت فيها هذه الوثيقة كما ذكر ذلك مكتشفها، وهو الكاتب المصري المشهور محمد عبد الله عنان الذي نشرها في (مجلة الثقافة المصرية)

بعدها المؤرخ في 10 نوفمبر 1951م، عدد: 724، وهذا نص ما كتبه محمد عبد الله عنان، قال: «في صيف سنة 1951م، أتيح لي أن أقضي زهاء أسبوعين في العمل بمكتبة الفاتكان الرسولية بروما، باحثاً منقّباً في مجموعة المخطوطات العربية التي بها منذ قرون...».

وبعدما ذكر الظروف التي اكتشفت فيها الوثيقة قال: «وقد لفتت هذه الوثيقة أنظار الأستاذ واضع الفهرس الحديث لمكتبة الفاتكان، فأوردَ عنها عند حديثه عن المخطوط الكلمة الآتية بالإيطالية: «صورة من خطاب مؤرّخ في رجب عام 915هـ/ 28 - 10 - 1504م، بقلم من يدعى جمعة المغراوي الوهراني<sup>(1)</sup>، موجّه إلى الغرباء الذين يعيشون تحت حكم النصارى، يعظّمهم في الدين، ويوضّح لهم طريقة مراعاة أحكام الإسلام مع التّظاهر باعتناق النّصرانية، مقرونة ببتّ الأمل في أنفسهم بنهضة الإسلام... الخ»، والشيء بالشيء يذكر، على ذكر هذه الوثيقة ونشرها بسجّل الملتقى السادس عشر للفكر الإسلامي الذي انعقد في هذه السنة بمدينة قسنطينة نذكر أنّ في تاريخ 19 سبتمبر 1975، تشرّفتُ بالقاء محاضرة في (المركز الثقافي الإسلامي) بمدينة الجزائر التابع لوزارة الشؤون الدينية محاضرة في نفس موضوع مؤتمرا عنواها: (نشاط البحوث التاريخية حديثاً في البحر الأبيض المتوسط وفي العالم)، وقد نشرت هذه المحاضرة في (مجلة الأصالة)، لسان حال وزارة الشؤون الدينية، وهذا كلّ يقوي في نفوسنا روح التفاؤل والتشجيع.

المهدي البوعبدلي

---

(1) هو أحمد بن بوجمعة. (ع)

1  
 ما هي الكافرة؟  
 العنوان: بعض الثقافات الإيجابية للتعاون  
 L'Europe و L'Afrique septentrionale  
 Méditerranéenne  
 في الميادين الثقافية والاجتماعية والاقتصادية

أفتتت هذه الكافرة بحدث نبوي قدس  
 هذا ناله: «الخلق عيال الله وأقربهم إلى الله  
 يوم القيامة اسمهم إلى عياله»  
 (وقد ترجم الشيخ ابن رمال في عمدة)  
 L'humanité est la famille de Dieu  
 Celui qui est de proche de Dieu est celui  
 qui de plus utile à ses semblables»  
 ثم تعرفت إلى استعراض لبقات امتياز  
 في الميادين المثمرة في المصالح ما حده التعاون  
 والثقافة وكان في كليتها قيمة  
 المستشرقين إلا أن هؤلاء المستشرقين  
 يعرفون الكثير منهم إلى حملات  
 كثير من الباحثين مسلمين وغيرهم فما تصوره  
 يتبع العولمة وجمع النقائيل والغلو في  
 الغمق لبليلة أفكار الغراء جريا وراء الأثر

صورة عن الصّفحة الأولى من النسخة المختصرة





**Quelques aspects positifs  
de la coopération culturelle, sociale et économique entre  
l'Europe méditerranéenne et l'Afrique septentrionale<sup>(1)</sup>**

**HADJ EL -MAHDI BOUABDELLI**

**Alger**

Permettez-moi, Mesdames et messieurs de citer au début de cette conférence ce hadith (paroles du prophète de l'Islam):« l'Humanité est la famille de Dieu, celui qui est le plus proche de Dieu est celui-là qui est le plus utile à ces semblables ».

Je traiterai ensuite le sujet annoncé par le titre de ce texte évoquant d'abord la première catégorie d'écrivains qui se sont rendus célèbres. Par leurs travaux sur notre sujet, et l'ont enrichi de manière indiscutable: ce sont les orientalistes.

Je citerai ensuite les autres catégories d'écrivains qui se sont occupés du sujet à des titres différents et dans des circonstances plus ou moins particulières: des villégiateurs, des négociants, des missionnaires, des prisonniers de guerre, des conquistadors civils ou militaires, faisant volontiers abstraction des motivations de ces auteurs, nous nous préoccupons seulement du concours profitable de leurs écrits à l'Histoire.

En m'inspirant de la règle célèbre: «Ce qui ne peut s'obtenir en entier doit être recherché dans sa plus grande quantité », je me limiterai à présenter ici des échantillons dont les rapports avec notre sujet aux multiples facettes offrent quel- qu'utilité.

Revenons à cette première catégorie: celles des orientalistes, il est

---

(1) اعتمدنا في إثباتها على نسخة مرقونة تقع في (11 ص).

évident que leurs travaux ont soulevé des tempêtes de réactions et de commentaires dont les échos, à nos jours, survivent encore.

Il est de fait que leurs écrits et leurs idées ont choqué la sensibilité de beaucoup de lecteurs et d'auteurs musulmans et non musulmans qui les ont accusés de dénaturer les faits et de maquiller les réalités, de rechercher systématiquement et d'exagérer les points faibles et les insuffisances, dans le but d'abuser les esprits des jeunes générations au profit des intérêts politiques et idéologiques du colonialisme.

Mais au fil des ans et des évolutions de l'Histoire apparurent de nombreux travaux positifs des orientalistes en particulier à partir des congrès qui, depuis 1873 se sont régulièrement tenus dans différentes capitales européennes accueillant des chercheurs de nationalités et religions diverses.

La tâche et l'efficacité de ces congrès furent augmentées par l'existence en Europe de plusieurs bibliothèques scientifiques, renommées dans le monde entier pour les précieux et rares manuscrits arabes qu'elles renfermaient en grand nombre.

Grâce à eux également, l'accès à ces œuvres était ouvert aux chercheurs de diverses appartenances qui se relayaient continuellement pour les consulter et découvrir les secrets qu'elles recélaient, comme nous le verrons dans le détail, c'est alors que commencèrent d'apparaître certains résultats tangibles de cette coopération positive entre les deux côtés de la Méditerranée.

Apparut également le concept de distinction entre deux catégories d'orientalistes ceux qui étaient objectifs et impartiaux et ceux qui ne l'étaient pas, un grand nombre d'écrivains musulmans révisent leurs jugements sévères sur l'ensemble des orientalistes. Certains parmi les plus prestigieux ont exprimé en termes élogieux des opinions plus justes sur l'œuvre méritoire et positive des orientalistes après avoir participé à leurs travaux au sein de leurs congrès.

Au nombre de ces écrivains nous nous contenterons dans le cadre limité de notre intervention de citer deux parmi les plus réputés ce sont: le Cheïkh Mustapha Abderrazak ministre en son temps des Affaires Religieuses de l’Egypte et recteur de l’Université d’El Azhar et Le Cheïkh Zeki Bacha le grand écrivain égyptien surnommé Cheïkh El Oroba.

Mustapha Abderrazak en plus de sa haute compétence dans les sciences islamiques avait obtenu un doctorat à la Sorbonne de Paris.

Alors qu’il rédigeait son célèbre livre sur l’Histoire des différentes écoles juridiques musulmanes qu’il a intitulé « Ech-chafie, précurseur de la science des sources du droit » il s’est trouvé en présence de deux variantes différentes, la première, celle d’un auteur musulman était connue et suivi depuis plusieurs siècles, la seconde appartenait à un orientaliste dont les thèses ont été souvent contestées par les écrivains musulmans. Après réflexion, le Cheikh Abderrazak a opté pour la thèse de l’orientaliste appuyée par des arguments édifiants.

Je me proposerais, en dépit de l’exiguïté du temps disponibles d’exposer le détail de cette anecdote comme preuve de l’équité de juge et de sa loyauté exemplaire d’une part et d’autre part parcequ’elle a un rapport évident avec notre sujet, voici cette anecdote: Mustapha Abderrazak, traitant de l’historique de la codification du Droit musulman cite la source de Hichem Ibn Ouroua et mentionne à ce sujet: «Goldziher dans l’encyclopédie Musulmane, au chapitre du mot (Figh=Droit) écrit: il ne faut pas accorder une grande confiance au témoignage attribué à Hichem Ibn Ouroua selon lequel des livres de Droit de son père ont été brûlés le jour de Hahna (nom d’une bataille) car il est difficile d’imaginer que des livres au sens réel du mot à cette époque reculée, il ne s’agit en fait que de quelques feuillets épars, Ouroua est mort dans l’année 94 de l’Hégire(713 J.C.), qui fut appelée l’année des juristes à cause du grand nombre de juristes qui sont morts cette année-là » (fin citation de Godjiher), Mustapha Abderrazak

poursuit dans son livre:« S'il est certain que des travaux de mise en ordre des textes législatifs du Coran et du Hadith et de leurs commentaires pendant l'époque Oméïade, la codification du Droit dans l'acceptation établie du terme, ne s'est faite que sous les Abbassides...

Il ajoute:« C'est l'avis le plus répandu parmi les chercheurs, Goldziher (1871-1944) écrit cependant dans le chapitre que nous avons cité plus haut »: Griffirri (1878-1925) a découvert parmi les manuscrits ambrosiennes de Milan, un recueil attribué à Zeid Ibn Ali (mort en 122 H-740 C) fondateur de la branche hérétique du rite Chîite. Dans ce cas, ce recueil serait le plus ancien en droit Musulman.

De toute manière, ce livre ne doit pas être pris en considération dans ce qui concerne l'histoire de l'élaboration du Droit Musulman.

L'explication que donne Mustapha Abderrazzak sur son choix et sa préférence de la thèse de l'orientaliste tient en deux paragraphes très courts:

Dans le premier, il écrit: «Il est de fait que la discussion ouverte pour déterminer la place de ce livre parmi les écrits juridiques n'est pas terminée ».

Dans le deuxième nous lisons: «Il est navrant que cette discussion n'est pas été engagée par des musulmans et ne l'a pas été en pays musulman ».

Le deuxième auteur auquel nous avons fait allusion est **Ahmed Zaki Bacha**. Il a participé à de nombreux congrès, à la tête d'importants groupes de chercheur et d'écrivains célèbres parmi lesquels nous trouvons le grand poète égyptien **Ahmed Chaouki** et ce à partir de 1892, date de la tenue du congrès des orientalistes à **Londres** où **Ahmed Zaki** a présenté plusieurs manuscrits rares et quelques unes de ses propres œuvres.

Au cours de ce congrès, il a fait l'éloge des orientalistes dans le premier discours qu'il y ait prononcé. Il a dit entre autres:« Je vous

remercie de vos efforts au nom de cet Orient que les gens n'ont apprécié à sa juste valeur que lorsque vos travaux eurent dissipé devant lui les écrans des préjugés. Vous savez que vos populations ignoraient ce que nous possédions et nous condamnaient pour ce dont nous sommes innocents, jusqu'aux jours où se réalisa l'harmonie du savoir et que se révéla devant vous tout ce que contient l'Islam de nobles sentiments inspirés de la bonne volonté la plus sincère ».

Au congrès orientaliste d'**Athènes** auquel il a également participé, il a suggéré que la langue arabe soit considérée parmi les langues officielles du congrès. Cette proposition acceptée, il a prononcé un discours en deux parties: l'une en langue arabe et l'autre en langue française.

Quant au sujet, nous pouvons lui donner pour titre: «L'Histoire est un éternel recommencement », il y a évoqué les relations arabo-grecques et la collaboration entre les deux peuples dans le domaine culturel. Il a ensuite cité les efforts méritoires fournis sous la dynastie Abbassides dans la traduction en arabe, des livres grecs et leur étude. Un grand nombre d'intellectuels musulmans se rendaient à Athènes pour y étudier et acquérir des livres, Athènes que les musulmans connaissaient jusqu'alors sous le nom de « pays de l'huile » et qu'ils appelèrent par la suite, « le pays du savoir et la sagesse ».

Nous arrêtons là ces témoignages des deux célèbres savants, authentiques représentants des concitoyens de leur époque.

Nous voulons parler maintenant des auteurs européens, qui pour des raisons avec des motivations et dans des buts diverse ont évoqué dans leurs écrits des faits directement ou indirectement liés à l'Histoire de nos pays.

Ces écrits par certains aspects pouvaient apporter à l'étude de l'Histoire des éléments précieux, Parmi ces auteurs, figure une catégorie qui a marqué de son empreinte l'Histoire de l'Afrique du Nord, en général et l'Algérie en particulier.

Ils se sont révélés en Algérie durant les trois siècles de la présence turque.

On dénombrait à l'époque plus de vingt mille prisonniers chrétiens et les gouvernants du pays autorisèrent des aumôniers (prêtres et missionnaires de différents ordres) à vivre à Alger pour pouvoir assister les prisonniers et célébrer les cérémonies rituelles pendant les fêtes religieuses notamment.

Un grand nombre de ces aumôniers et de ces prisonniers nous ont légué des mémoires ou autres écrits où ils expriment leurs impressions et leurs états d'esprit du moment. Certains ont noté des événements vécus par l'Algérie durant leur séjour.

Ces écrits dont la majeure partie a été publiée sont devenus des sources de documentation en dépit des inexactitudes des parties prises et des contrevérités qui caractérisent un certain nombre d'entr'eux.

Dans la liste de ces auteurs, figure le grand écrivain espagnol Miguel de Cervantes qui après un premier séjour forcé à Alger où il avait été fait prisonnier de guerre, fut libéré et s'en est revenu dans son pays. Le roi d'Espagne Philippe II l'a ensuite chargé d'une mission à Oran qui était alors menacé par l'escadre d'Hassan Bacha Ibn Khair-Eddine qui multipliait des assauts sur le fort de guerre d'Oran: Mers El Kébir.

Cervantes a écrit durant son deuxième séjour d'Oran plusieurs contes dont: «**l'homme courageux** » dans ce récit, il évoque les attaques de Hassan Bacha Ibn Khair-Eddine contre **Mers El Kébir** en révélant dans le détail la cause de leur échec, il y a cité ensuite une à une les tribus algériennes qui participaient à ces combats au côté de **Hassan Bacha**, et qui n'ont été mentionnées par aucun document algérien de langue arabe.

L'Algérie a connu d'autres soulèvements de la population contre les gouvernants turcs et d'autres révoltes qui, dans les écrits locaux n'ont pas été mentionnés ou l'ont été de façon peu rigoureuse.

Parmi ces soulèvements qui ont fortement et longtemps secoué l'autorité turque dans le constantinois (tout l'Est Algérien), figure la révolte des **Emirs Sakhri**, chefs de la tribu arabe des Dhouaoudas.

Les opinions des auteurs algériens sur les causes et les séquelles de cette révolte sont divergentes. Par bonheur le Père Dan chef de mission chrétienne lui consacra une partie importante de son livre célèbre 1643.

Dissipant le mystère qui l'entourait, il a traité des événements importants de l'histoire de cette époque, entre autres les circonstances dans lesquelles fut fait prisonnier le **Bacha Bakdache** qui avait reconquis **Oran** sur les espagnols 1120 H-1708 J.C.

Après 25 années, les espagnols occupèrent à nouveau Oran jusqu'en 1260 H- 1792 J.C. ou ils en furent définitivement exclus.

D'autres auteurs de cette catégorie ont rendu de grands services à l'Histoire de l'Algérie. Nous trouvons parmi eux Fray **Diego de Haedo** qu'ont traduit de l'Espagnol au Français deux grands écrivains **Berbrugger** et **Monnereau** qui l'ont édité en feuilleton à partir de 1870 dans la **Revue Africaine**, spécialisée en études historiques.

Ce livre a pour titre: «**Typographie et Histoire d'Alger** ».

Après ce bref aperçu sur quelques personnalités parmi les auteurs orientalistes, nous voudrions parler de certains acquis positifs dans le cadre de la coopération culturelle entre les deux continents, après que se fussent dissipés les quelques nuages qui régnaient dans les rapports entre les orientalistes et les écrivains musulmans laissant place à la prospère collaboration des deux parties.

Nous constatons par exemple que la majeure partie des œuvres connues appartenant au patrimoine andalous a été conservée grâce à la bibliothèque madrilènes l'Escorial et ses professeurs d'élite qui en consacré leur vie à leur authentification et leur publication après les avoir découvertes.

L'éminent orientaliste français **Levy Provençal** est de ceux qui ont

participé à ces prouesses. Ce qui est vrai pour le patrimoine andalous peut être affirmé pour celui du règne **Rostomide Ibadhite** dont la plus grande partie a été publiée à partir de l'année 1905 à l'occasion du congrès orientaliste qui s'est tenu à **Alger** et au cours duquel le professeur français, « Motylinski » Directeur à l'époque de la Medersa Officielle de Constantine a présenté après l'avoir authentifié l'œuvre réputée d'**Ibn Zssaghaïer** « **Histoire des Imams Ibadhites** » auteur contemporain de ce règne.

Ce qui ajoute à la valeur de ce livre, est que son auteur n'est pas Ibadhite mais sunnite. Il a écrit ce livre en 290 H-903 J.C., soit 6 ans avant la disparition de la dynastie **Rostomide**.

D'autres orientalistes se sont par la suite attachés à continuer jusqu'à nos jours, l'œuvre d'authentification et d'édition de nombreuses œuvres Ibadhites fondamentales:

L'orientaliste polonais Lewichiqui, en dépit de son âge avancé n'a pas cessé ses efforts dans son travail hautement impartial et profitable d'authentification scientifique de ce patrimoine Ibadhite. Il est considéré comme l'un des plus grands spécialistes de l'Histoire de ce royaume.

Nous trouvons parmi les auteurs de cette classe, un écrivain militaire français qui a laissé dans ce genre une œuvre considérée parmi les écrits fondamentaux: Quatre siècles de l'Histoire du Maghreb au Sahara, de 1504 à 1902 et au Maroc, de 1894 à 1912, Imprimerie Leroux, Paris 1922.

Cet écrivain, le commandant **H. Martin** était officier interprète dans le Sahara Algérien sous l'occupation française. Il a rassemblé tous les documents arabes qu'il a trouvés dans les bibliothèques publiques et les a traduits vers l'année 1904. L'impression de ces écrits fut retardée pour des raisons qu'il a évoquées dans l'introduction de son Histoire.

Parmi les documents qu'il a traduits, figurent des relations de voyages locales, et un livre de grande valeur sur l'Histoire de la région et qui bien que cité dans certaines sources, n'avait été l'objet d'aucune attention particulière.



Ce livres est: «**El Ouacit fi Akhbar Timantit** ».

Timantit est la capitale de la célèbre région de Touat qui a joué un rôle important dans l'Histoire du pays et qui attiré l'attention des lecteurs du monde musulman dès le 9è siècle de l'Hégire lorsque s'y déclencha la révolution idéologique restée célèbre chez les historiens jusqu'à nos jours sous le titre de «**l'Affaire des juifs de Touat**».

Cette « affaire » commença lorsque le cheikh Mohammed Ben Abdelkrim El Meghili Etilimsani a poussé les habitants de Timantit à détruire une synagogue construite par les juifs et à combattre ces derniers par les armes. Il a été alors combattu par le Cadi et l'Emir de la ville ; cependant que les Ulémas des défférentes capitales Islamiques (Tlemcen, Fez et Tunis) se rangèrent du coté du cheikh El Meghli.

Les échos de cette bataille furent répercutés à travers les pays du monde musulman. Elle est évoquée et commentée avec beaucoup de détails par le cheikh **Ahmed ben Yahia El Ouancharissi** dans son encyclopédie juridique « **El Myâr** ».

La ville de Timantit a par ailleurs, joué dans l'histoire de la civilisation de la culture et de l'économie du Sahara, un rôle très important depuis son édification et l'installation dans son enceinte des populations du Nord du pays qui s'y sont réfugiées au 6é siecles de l'Hégire, ainsi qu'un grand nombre de négociants, d'artisans. Ce livre est conçu dans un style et une concision rares dans ce genre.

Le reste des documents édités par l'officier français comporte des descriptions des voies de communications des étapes et relais de voyageurs, des variétés de marchandises transportées du Sud au Nord et vice versa, ainsi que les pistes suivies par les pèlerins se rendant à la **Mecque** et les étapes de leur voyage, les méthodes et moyens d'irrigation, notamment les célèbres **Foghara**.

« **L'Histoire de Témantit** » a été délaissé par les écrivains et les historiens qui ne lui ont pas donné l'importance qu'il méritait j'ai

cependant, appris il a quatre ans qu'un enseignant a présenté à l'Université d'Alger une thèse de Doctorat sur ce livre qui en dépit de son petit volume est digne d'attirer beaucoup plus d'attention étant donné surtout qu'il traite un sujet dont l'indigence documentaire est connue, le peu d'écrits qui nous soient parvenus sur l'Histoire de cette région doivent souvent être compulsés avec circonspection et vérifiés dans leurs détails.

C'est pour ces raisons que nous avons voulu mettre cette occasion à profit pour attirer l'attention des coutumiers de ce genre de recherche sur l'importance de ce sujet.

La ville est voisine d'**Adrar**, chef-lieu de la région du Touat, elle est située à environ 600 kms au Sud de Béchar.

Et, puisqu'il nous faut arriver à la fin de cette conférence, nous voulons finir par ce court commentaire à l'appui des thèses que nous venons de présenter:

Les points que nous avons examinés corroborent l'idée de la coopération féconde entre les villes de l'Afrique du Nord et celles du Nord de la Méditerranée, notamment dans le domaine de la culture. Car depuis la dissipation des malentendus et le début de la collaboration évoquée par **Ahmed Zaki Bacha** au congrès de Londres en 1892 lorsqu'il a dit: «Lorsque se réalisa l'harmonie du savoir (il s'agit de l'harmonie dans la coopération scientifique) et que se révéla devant vous tout ce que contient l'Islam de nobles sentiments inspirés de la bonne volonté la plus sincère ».

En effet dès l'ouverture des portes des salles de congrès et des bibliothèques de l'Europe qui étaient de véritables réserves de rares pièces du patrimoine Islamique introuvables même dans les capitales du monde musulman, le nombre de congrès consacrés à la coopération culturelle des plus prospères augmenta, comme nous l'avons indiqué dans le titre de cette conférence.

Cette coopération n'est pas restée limitée au pays de l'Afrique du Nord et du Sud de la Méditerranée, elle s'est progressivement étendue aux autres régions du monde, nous n'en voulons pour exemple que:

1) Ce congrès que le collège de France a tenu dans ses murs en 1974 avec la participation de personnalités des pays orientaux et occidentaux sur le thème:« Les archives et les sources inédites de l'histoire des pays Arabes ».

2) Les deux congrès qui en 1972 et 1976 se sont tenus à Malte sous l'égide de « l'Association Internationale d'Etudes des Civilisations Méditerranéennes».

3) Le congrès de juin 1959 qui s'est tenu à Strasbourg, au Centre d'Etudes Supérieures Spéciales d'Histoire des religions et qui fut consacré aux antagonismes de doctrine et d'idiologie dans l'Islam.

Permettez-moi d'ajouter à cette liste le « congrès de la pensée Islamique » inauguré et régulièrement organisé en Algérie par le Ministère des affaires Religieuses et auquel participent des dizaines de savants non musulmans représentant différents pays des cinq continents.

Nous signalons que le 16<sup>e</sup> congrès de la Pensée Islamique s'est déroulé cette année à Constantine sur le thème de «l'Ijtihad (jurisprudence) dans le Droit Musulman », a cette occasion nous avons présenté pour la première fois un document rare conservé par la bibliothèque papale du Vatican durant des siècles.

Etant donné son importance par rapport à notre sujet, nous rappellerons brièvement les circonstances de sa découverte telles qu'elles sont exprimées par l'auteur de cette trouvaille, le célèbre écrivain égyptien Mohammed Abdallah Inan qui l'a publié dans Revue égyptienne « **Aththaqafa** » No.724 du 10 novembre 1954.

Dans cette présentation, M. Inan écrit: «Au cours de l'été 1951, il me fut offert de passer deux semaines de travail dans la bibliothèque papale du Vatican à Rome, cherchant et compulsant parmi un ensemble de manuscrits arabes qui y demeuraient depuis des siècles ».

Après avoir indiqué comment fut faite cette mise à jour, il écrit encore: «Ce document a attiré l'attention du professeur Della Vida auteur du nouveau fichier de la bibliothèque du Vatican, qui l'a évoqué dans ses impressions sur le manuscrit, en ces termes en langue italienne: Photographie d'une déclaration datée du mois de Radjab 915/ 28-10-1504 de la main du nommé: **Djomâa El Maghraoui El Ouahrani**, adressée à tout les expatriés qui vivent sous le joug des chrétiens, les exhortant à conserver leur foi, leur indiquant la ligne à suivre dans l'observance des préceptes de l'Islam tout en affichant la conversion chrétienne et enfin en prêchant l'espérance dans le triomphe de l'Islam ... ».

L'évocation de ce document et de sa présentation au congrès de Constantine nous amène à rappeler que nous avons eu l'honneur de donner le 19-09-1975 au Centre Culturel Islamique d'Alger une conférence sur notre sujet d'aujourd'hui et sous le titre de « L'évolution de la recherche contemporaine en histoire dans le bassin méditerranéen et dans le monde »<sup>(1)</sup>.

---

(1) Ce texte a été publié dans la Revue «**El Açala**», organe officiel du Ministère Algérien des Affaires Religieuses, Ces multiples constats renforcent notre optimisme dans le devenir et la prospérité de cette coopération qui nous a rassemblés aujourd'hui.

قلت: لم تُنشر هذه المحاضرة في (مجلة الأصالة)، وإنما نشرت في (مجلة الثقافة) كما سبق. (ع)

## أغناتي كراتشوفسكي وأثاره في الاستشراق العربي (1)

نشرت (مجلة المدار) التي تصدرها وكالة نوفوستي السوفيتية في عددها الأول، المؤرخ: يناير 1972م، مقالا عنوانه: (الاستعراب في الاتحاد السوفيتي) بقلم: ع. شوباتوف (الدكتور في علم الفلسفة)، قال فيه: «الاستعراب السوفياتي اليوم علم كبير متعدد الجوانب، وهو يبحث عن تاريخ العرب القديم والحديث، ولغتهم أدهم الكلاسيكي والحديث، وفلسفتهم واقتصادهم ... وقد أدّى الأكاديمي كراتشوفسكي إمام المستعربين السوفيات خدمات جليلة في ميادين دراسة الأدب العربي، ووضع في مدة (45) عاما من النشاط العلمي أكثر من (450) مؤلفا، ومن أعماله أول دراسة في العلم العالمي للأدب العربي الحديث، وعدد كبير من المقالات حول إبداع شعراء الجاهلية والقرون الوسطى ...» اهـ.

كان أهم ما ألفه المستشرق المذكور هو كتابه: (مع المخطوطات العربية)، وهو شبه مذكرات تحدّث فيها عن المدة التي اشتغل فيها بدراسة اللغة العربية، وزار المشرق ومعاهده، ومكتباته التي اكتشف فيها نواذر المخطوطات التي نقد معظمها بأسلوبه الساحر الجذّاب، وبمجرد ظهور الكتاب اعتنى به كثير من الكتاب ونقدوه، ثم ترجموه إلى عدّة لغات، كان من جملة من نقد الكتاب وترجمه إلى الفرنسية، ونشر دراسته القيّمة

---

(1) مجلّة (الأصالة)، العدد: 12، ص: (57 - 68)، السّنة الثّالثة، ذو الحجّة 1392هـ - محرم

1393هـ/ جانفي - فيفري 1973م. (ع)

في: (المجلة الإفريقية) <sup>(1)</sup> الأستاذ - سابقا - ب : كلية الآداب بالجزائر، كانار، قال: «كتاب: (أربعين سنة مع المخطوطات العربية)، أو (مذكرات مستعرب)، هما العنوانان اللذان اخترتهما للكتاب القيم الذي ألفه كراتشوفسكي، عضو المجمع العلمي بالاتحاد السوفييتي، وأستاذ اللغة العربية ب : جامعة لينغراد، وذلك الكتاب ألفه مدة الحرب العالمية الثانية، نال نجاحا كبيرا في روسيا، ذلك النجاح الذي جعل مؤلفه يُتبع طبعته الأولى التي ظهرت سنة 1945، بطبعة ثانية ظهرت سنة 1946 ... يعرف المستشرقون إنتاج كراتشوفسكي، حيث إن كثيرا منها نشر أو تُرجم إلى اللغات الغربية، ويعرفون أيضا مكانة المؤلف في أوساط الاستشراق.

أما عامة القراء فإن معرفتهم له ضئيلة، ولهذا فإني كثيرا ما أفاجئ أصدقاء بالجزائر، ومنهم الروسيون، عندما أقول لهم: إن روسيا يمكن لها أن تفتخر بوجود أعظم مستشرق - مستعرب - في العالم أجمع ببلادها، وهذا هو رأي الاختصاصيين في ميدان الاستشراق.

إن مذكراته التي أتمت ترجمتها إلى الفرنسية، والتي أنوي نشرها قريبا، ستعرفه لا محالة في محيط أوسع، وتعرف فيه زيادة على العالم الاختصاصي، العالم الإنساني الذي لا يخلو عمله في الميدان العلمي من حيوية مقرونة بعمق في التفكير يفتح الآفاق الواسعة في تاريخ التمدن». انتهى كلام كانار.

تُرجم الكتاب - أي: (مع المخطوطات العربية)، أو (المذكرات) كما سمّاها كانار- إلى عدة لغات، منها العربية، فقد ظهرت سلسلة فصول منه في (مجلة الرسالة) المصرية سنة 1946م، ثم ظهرت ترجمة عربية مستقلة سنة 1963م، تُرجمت من الأصل الروسي مباشرة، قامت بها زوجته العاملة الجامعية فيرا كراتشوفسكي بإعانة بعض مواطنيها.

---

(1) المجلة الإفريقية: أعداد: 406 إلى 409، سنة 1946م، ص: 118.

وقدّمت لها مقدّمة هامّة، وسمّيت التّأليف: (مع المخطوطات العربية)، عرّفت في هذا التّقديم بزوّجها، واهتمامه المبكّر بالاستشراق، ورحلته في شبابه إلى البلاد العربية الشرقية، وذلك بين سنوات 1908 و1911، زار خلالها: لبنان وسوريا وفلسطين ومصر، فتعرّف ببعض الأدباء المشهورين إذ ذاك، ك: أمين الريحاني، وجرجي زيدان، وأحمد تيمور، ومحمد كرد علي، وميخائيل نعيمة، وكان يتبادل معهم الرسائل، حتى إنّ كثيراً من الكتاب التجأوا إلى تلك الرسائل ليستعينوا بها على تراجم بعضهم، من ذلك الرسائل المتبادلة بينه وبين الأديب الشهير ميخائيل نعيمة، ونشرها كراتشوفسكي تحت عنوان: (ميخائيل نعيمة يحكي قصّة حياته) <sup>(1)</sup> لم يكتب المترجم طيلة مدة إقامته بالديار الشرقية، لم يكتب بالترّد على المعاهد العلمية وخزائن الكتب ومخالطة الأدباء والعلماء، بل كان يقضي أوقاتاً طويلة في الأسواق والمقاهي ومجالس القصّاص والزّجالين، حتى أمكنه أن يجيد اللغة الدّارجة بمختلف لهجاتها كما كان يتقن الفصحى.

ثمّ ذكرت أرملة الكاتب أنّ زوّجها ألّف كتابه أيام الحرب العالمية الثانية، إذ شرع [فيه] بالصّبط سنة 1941 بـ: لنينغراد عندما كان محافظاً على القسم العربي من مخطوطات المتحف الآسيوي قبل نشوب الحرب (الألمانية - الروسية)، وبعد اندلاع الحرب انتقل المؤلّف إلى ضواحي موسكو «إثر مرضٍ عضال أصيب به وقت حصار لنينغراد»، ورغم أنه كان يُعالج في بعض المصحّات، فقد واصل بها إتمام تأليفه، وأبى الله إلا أن يتأخّر إتمامه إلى سنة 1945 بـ: لنينغراد نفسها بعد ردّ هجومات العدو والنّصر النهائي.

كان ابتداء دراسة المستشرق للغة العربية سنة 1901، فالتحق بـ: كلية اللغات

---

(1) وقد ترجم هذه الرسالة محمد منير مرسي في (مجلة الرسالة) المصرية، بعددها: 1052، 28 شوال

الشرقية بـ : جامعة بطرسبوغ (لنينفرد)، ثمَّ واصلَ تعليمَه إلى أن رحلَ إلى المشرق كما ذكرنا، وبعد رجوعه من رحلته الشرقيّة إلى بلاده عيّن عضواً في أكاديمية العلوم السوفييتية سنة 1921، ثمَّ انتخب سنة 1923 عضواً في المجمع العلمي العربي بـ : دمشق، كما عيّن عضواً في مختلف الأكاديميات والجمعيات العلمية في جملة بلدان أخرى .«

ثمَّ ذكرت زوجته أنّ مجموع ما كتبه ستهاة دراسة علمية، معظمها في تاريخ الآداب العربية القديمة والحديثة، وتذكر أنه عندما حاصر المحورُ مدينة ليننغراد في الحرب العالمية الثانية، وكان كراتشوفسكي محافظاً لقسم المخطوطات العربية بـ : المتحف الآسيوي، وكان بصدد كتابة تأليفه، بذل جهوداً جبّارة في صيانة تلك الذخيرة، وأنقذها - مجموعة المخطوطات - بالفعل، فقدّرت الحكومة السوفييتية صنيعه هذا، ومنحته بعد الانتصار أعلى وسام سوفييتي (وسام لينين)، كما عزّزت له ذلك سنة 1945 بوسام ثانٍ تقديراً لماثره العلمية.

طُبِع هذا الكتاب خمس مرّات باللغة الروسية، ونفدت هذه الطبعات بسرعة، ثم تُرجم إلى الألمانية سنة 1949م، وإلى البولندية [سنة] 1952م، والانجليزية [سنة] 1953م، والفرنسية [سنة] 1954م<sup>(1)</sup>، وقد علمنا أنّ كانار (أستاذ جامعة الجزائر) ذكر أنه ترجمه سنة 1946م.

ثمَّ تذكر زوجته ما قاله المترجم في مقدّمته للتأليف الذي يمكننا أن نعتبره تلخيصاً لدواعي تأليفه، قال: «إنني لم أعمد في هذا الكتاب السّعي إلى تبسيط العلم، فليس يهمني أن لا يتذكّر القارئ جميع ما ورد فيه من الوقائع المنفردة أو أسماء الأعلام،

---

(1) ذكر تاريخ هذه التراجم عبد الرحمن بدوي في (مجلة الكتاب العربي) المصرية، عدد أكتوبر 1964م.



ولكنني اقتصرْتُ في تحديد مادّة الكتاب على المواد القريبة من محيط عالمي، وأكتب عن أشياء متعدّدة أخرى بطريقة تختلف عن ذي قبل، ولهذا فقد يجد القارئ من حين لآخر في هذا الكتاب أشياءً جديدةً ومفيدةً للعلم، على أن هذا ليس ما يهمني من الأمر، وإنما الذي يهمني هو شيءٌ آخر، إنني لا أخفي أنني أردتُ أن أقوم بشيءٍ من الدعاية لميدان عملي، وأن أتحدّث بملء صوتي عن علم اللغات والآداب الشرقيّة، لقد أردتُ أن أبيّن قدر طاقتي كيف أن ثمةً أناسًا يعملون في هذا الميدان لمجرّد أن لديهم ذوقًا ذاتيا غريبا - على حدّ ظنّ بعضهم - يجذبهم إلى هذا العمل، وإن هؤلاء الناس يطوفون بهذا الميدان، لا بدافع الولع بالغرائب، وإنهم ليسوا بزهاد ينزلون عن الحياة، إن ذكريات مشاعري نحو المخطوطات تحتم عليّ أن أتكلّم عن كلّ نقطة تفصيلية فيها، لأنها تتكامل فيما بينها، وترتبط بمسائل صخمة تتعلّق بتاريخ الثقافة، وجميعها تصبُّ آخر المطاف في تيار قويٍّ نحو مثل الإنسانية الرّفيعة، هذا هو ما كان يستحوذ على فكري دائما، وإني أودُّ أن تجد هذه الأفكار الطريق إلى عقول وقلوب من سيقروون هذا الكتاب».

ثم نرجع قليلا إلى نقد الأستاذ كانار، حيث قال « إن الإقبال الذي لاقاه التّأليف في روسيا يثبت أن جماهير القراء يمكنهم أن يهتمّوا بهذا النوع من البحوث (الاستشراق العربي) بشرط أن تُفرغ وتقدّم لهم في إطارات حيوية».

ثمّ يصف لنا الكتاب، فيقول « إنه يحتوي على 28 مقالا، تشملها سبعة فصول مع مقدّمة وخاتمة، كلّ مقال يذكر فيه الظروف التي اكتشف فيها تلك المخطوطات العربية التي لعبت دورا كبيرا في حياتي، والتي شاء لي الحظ، أن أقع عليها، أو التي شقت طريقها إلى دنيا العلم عبر يدي».

ولنقتصر على تقديم مقالتيّن من هذه المقالات المذكورة:

(1) دراسة بعض أوراق بالخطّ الكوفي من مصحف.

(2) دراسة ديوان أبي بكر بن قزمان الأندلسي.

فالدراسة الأولى عنون لها: (قرآن كوفي، وحدّة عربية)، والثانية: (مخطوط وحيد، وعلماء اثنتي عشرة لغة).

قال عن (قرآن كوفي، وحدّة عربية) ما يلي: «يمثّل القرآن الكوفي من القرنين الهجريين الأول والثاني شيئاً نادراً جداً في مجموعة المخطوطات، وتعتبر النسخ الكاملة منه أحادية في كل العالم، وكان زينة مكتبتنا العامة مدّة طويلة القرآن الذي يُعرف بالعثماني أو السمرقندي، وقد حُمّل إلى مدينتنا بأمر الجنرال فون كاوفمان، كغنيمة حربية عند غزو آسيا الوسطى، ثمّ عاد من جديد إلى آسيا الوسطى بعد ثورة أكتوبر، وبالطبع فإنه لم يكن مطلقاً في يد الخليفة في اللحظات التي مات فيها، مثله كمثل توائمه التي عرف منها في العالم ما لا يقلُّ عن ثلاث أو أربع نسخ، ولكنها تُنسب كلها أو ترجع إلى القرن الأول الهجري، فإن تلك النسخة الكاملة لم تبقَ في لينينغراد، وكان الأمر هنا وفي البلاد الأخرى عادة أن القرآن الكوفي في كل مكان يتمثل في أوراق ناقصة من الرق، يختلف عددها باختلاف الأماكن، بل إن مارسيل المشهور (مؤسس المطبعة العربية) في مصر وقت حملة نابوليون، والهاوي الكبير لفنّ الخطوط ولعلم تطوّر الخطوط الأثرية لم يستطع أن يحمل معه من مصر إلا أوراقاً منفردة، وقع جزء منها في مكتبتنا العامة، ولقد شكّلت أمريكا طيلة القرن الأخير وبفضل ملايينها، مجموعات في مجالات مختلفة، يكشف ضوءها أحياناً مجموعات العالم القديم، إلا أنها حتى الآن ليست أسعد من هذا العالم في المخطوطات الكوفية، وهي تقوم بنشاط بوصف وبحث الأوراق الجزئية المختلفة التي تقع لديها من وراء المحيط، إلا أن مثل هذه الأوراق لم تكن تظهر بصورة كثيرة.

ولذلك يصبح من المفهوم كيف خفق قلبي، عندما وقع في يدي ذات مرة في خريف

1936، بضع عشرات من الأوراق الرقية الكبيرة الرائعة بخط كوفي قديم، وكانت سيده مجهولة قد حملت هذه الأوراق إلى معهد الاستشراق لتبيحها...».

وهنا تبدو قصة جزء المصحف الذي اشتراه المؤلف لخزانتهم وذكر ضمنها المصحف العثماني الذي كان بالمتحف الآسيوي ببلينغراد.

ولنقف قليلاً لتحدث عن المصحف العثماني المذكور، كانت هذه المصاحف - أي: المنسوبة لعهد الخليفة عثمان بن عفان - يتسابق إلى اقتنائها الملوك والسلاطين، وبالفعل يحكى أن واحداً منها ختم به المطاف بـ: بجاية<sup>(1)</sup>، وكان الناس يجتمعون للتبرُّك به ليلة 27 رمضان لخبر يطول، ثمَّ عُرِفَ أنَّ مصحفاً آخر كان بخزانة تيمور لنك بـ: سمرقند، وبالفعل لا زالت آثار سمرقند تحتفظ بالقاعدة الرخامية - أي: مصطبة من رخام بساحة البلدة - وقيل إن هذه المصطبة كانت داخل مسجد الخواجة أحرار، وقد أمر ببنائها العالم الفلكي الشهير أولغ بك<sup>(2)</sup> حفيد تيمور لنك ليوضع عليها المصحف وإثر الزلازال التي هدمت كثيراً من معالم البلدة أُخرجت هذه المصطبة إلى الساحة العمومية، وقد تعرَّضت مجلة: (دعوة الحق) التي تصدرها وزارة الأوقاف بالمغرب

---

(1) عثرتُ في بعض الأوراق على قصيدة وصف فيها صاحبها حالة بجاية، ويذكر أن أهلها كانوا يخرجون ليلة 27 رمضان إلى ساحة سفح (جبل فليفلة) ليتبرَّكوا بالمصحف العثماني، وبالفعل استحال هذا الاجتماع إلى ما سمي بـ (صلاة 27)، ونسبت تلك الصلاة أنها كانت لإحياء ذكرى أحد مشايخ الطريقة الرَّحمانية، والحقيقة أو ما يقرب منها هو ما ذكره الشَّاعر حيثُ بقي سكَّان البوادي يزورون البلدة ومساجدها ليلة 27 رمضان من كل سنة.

(2) أولغ بك الذي خصَّه العالم الإنكليزي المستشرق (Thomas Hydo) (1636 - 1703) بتأليف قيِّم، والذي ما زالت آثاره بمتحف إنكلترا، بني له متحف بضواحي سمرقند على أنقاض مرصده الفلكي الذي اكتشفه العالم الأثري الروسي فاتكين سنة 1934م، وقد كانت تأليفه عمدة في الفلك إلى القرن الثامن عشر.

للحديث عن هذا المصحف في معرض سلسلة أحاديث كانت نشرتها بمناسبة زيارة الوفد المغربي الذي زار الاتحاد السوفيتي سنة 1968 تحت رئاسة السيد أحمد برقاش (وزير الأوقاف) حينئذ، قالت المجلة المذكورة في عددها المؤرخ - شوال (1388 - 1969) تصف مكتبة طشقند (عاصمة أوزبكستان): «إنها تضمُّ عشرين ألف مجلد من بينها نحو الألفين من المخطوطات التي لا توجد إلا في هذه المدينة .. وفيها من الآثار النفيسة والأعلاق الثمينة نسخة فوتوغرافية من مصحف عثمان رضي الله عنه وهو يعتبر من الآثار التي قدمتها الدولة السوفياتية إلى المسلمين حيث اهتمت الحكومة بأن تعيد إلى المسلمين مقدساتهم وذخائرهم الدينية ... وفي سنة 1968 أي بعد استيلاء القوات القيصرية على سمرقند بوقت قصير عثر حاكم تركستان العسكري على هذا المخطوط القديم القيم في مسجد «خواجه أحرار» وأرسله إلى المكتبة الإمبراطورية بطرسبروغ ... وبإيعاز من لنين أعادت السلطات السوفيتية على الفور إلى المسلمين هذه الذخيرة القومية التي يحترمونها احتراماً عميقاً.

وقد أبدى فضيلة الأستاذ عبد الله قنون (أحد أعضاء الوفد الزائر) شكه في نسبة هذا المصحف إلى سيدنا عثمان لأن الفن الدقيق الذي كتب به وأبعاد الحروف الهندسية الجميلة للكلمات كل ذلك بعيدٌ عن شكل الكتابة المتداولة في عهد سيدنا عثمان (رضي الله عنه) حيث كانت رسوم الكلمات إذ ذاك غير مستحكمة في الإجابة ... « انتهى ما نشرته المجلة.

ورغم خفقان قلب كراتشوفسكي عندما قدمت له السيدة المجهولة الأوراق الكوفية فقد ذكر كيف استشار اختصاصيين في علم تطوُّر الخطوط الأثرية العربية، كلاً على حدِّته، واتفق جوابها له أن تلك الكتابة ترجع إلى بداية القرن التاسع الميلادي أو ربما إلى نهاية القرن الثامن، ذلك أنه رغم تخصُّصه فقد رأى عدم الاتكال على نفسه

بالتحقيق في قيمة الأوراق المعروضة عليه، ثم يتحدّث عن بائعة الأوراق فيقول: « وهذه السيدة سمّيت نفسها باسم روسي عادي، إلا أنها قالت إنه كانت لديهم منذ وقت بعيد جدّة عربية توفيت لا تذكرها»، ثم يذكر كيف أمكنه أن يغري تلك المرأة حتى تلحق بقية الأوراق التي عدّها من أعظم النفائس، وبالفعل ألحقت البقية التي صار مجموعها يشتمل (ربع المصحف)، واكتشف أثناء تصفّحه للأوراق ولبعض كتب ألحقتها مع الأوراق أن البائعة الروسية ليست لها جدّة عربية، بل جدّ عربي من أكابر العلماء المستشرقين، والذي يهّمنا من أمر هذا المستشرق وحفيدته هو ما ختم به مقاله: «... وبعد أعوام كثيرة عرفت مصادفة أن تخميني كان مضبوطا وإننا اشترينا القرآن الكوفي حقيقة من حفيدة نوفل».

حفيدة نوفل هذه التي قال عنها المؤلف بأن جدّها « كانت مكتبته جيدة في وقت ما ولم تحو الكتب فحسب بل والمخطوطات أيضا... وكان نصيب المكتبة لسوء الحظ مؤسفا، بأولاده نصف الروسيين ونصف الفرنسيين كانوا قد تلقوا تعليمهم في المدارس الخاصة بأولاد كبار الشخصيات، وكانوا من أولئك الأولاد « ذوي الملاعق الذهبية» الذين كانوا معروفين آنذاك، ولم يكونوا يهتمون لا بالعلم ولا بالأدب.. وانتهى بهم الأمر تدريجيا إلى أنهم انتهزوا فرصة شيخوخة والدهم فأخذوا يبيعون الكتب المختلفة.. ولعل حفيدته لم تُرد أن تتذكّر مساوئ والدها، أو لعلّها خافت أن تكشف عن جدّها الذي كان مستخدما كبيرا في وزارة الخارجية في زمن القيصريّة، وبسبب هذا استبدلت الجدّ العربي، بالجدّة العربية، ومن الصعب القول أيا من هذين الاحتمالين هو الأصح».

والدراسة الثانية هي تحليله لديوان ابن قزمان وللظروف التي اكتشف فيها ووصل إلى خزانة ليننجراد فقال تحت عنوان: (مخطوط وحيد، وعلماء اثنتي عشرة لغة).

وقبل أن نذكر مقال المترجم نذكر بإيجاز نبذة من حياة ابن قزمان كما حرَّرها أحد الأدباء الاختصاصيين<sup>(1)</sup>، فقال: «لولا المصادفة التي حفظت لنا ديوان ابن قزمان في نسخة وحيدة كتبت في صنفد في القرن السابع الهجري لكان مبلغ علمنا عن إمام الزجالين لا يتجاوز كثيرا القدر الضئيل الذي نعلمه عن حياة أيِّ زجال آخر، ذكره صاحب المغرب ومع هذا فالنسخة التي جمعت فيها أزجاله قد سقطت منها أوراق، ولم تذكر شيئا عن المناسبات التي قيل فيها الزجل، ولا عن تاريخ نظمه.

وقد ندرت أخبار ابن قزمان لأن أصحاب كتب التراجم من الأندلسيين أعرضوا عن ذكره، كما أعرضوا عن ذكر الزجالين قبله وبعده، فابن بسام لم يفرد له ترجمة في (الذخيرة)، وابن خاقان لم يشر إليه في (القلائد)، أو (المطمح) ... أما ابن الخطيب فقد ترجم له في (الإحاطة) ولكنه خلط بينه وبين عمِّه، أما الذين ترجموا له من الأندلسيين فهم ابن الأبار في (تحفة القادم) ذكر اسمه وأنه من أهل قرطبة وقال: إنه توفي سنة 554هـ.

وبعد أن يذكر الأهواني من ترجموا لابن قزمان من القدماء شريين وأندلسيين يقول... ذلك مبلغ ما وصلنا من عناية القدماء بابن قزمان.

أما المحدثون والغربيون منهم بنوع خاص، فكان لابن قزمان عندهم شأن آخر، إذ إن اكتشاف ديوانه كان لديهم حدثا جديدا في تاريخ الشعر الأندلسي بل الأوروبي كله، فعكف عليه العلماء، سواء في ذلك أصحاب الدراسات العربية أو الدراسات الرومانية في القرون الوسطى، يقتبسونه منه الشواهد ويقارنون بين نظام القوافي عنده وعند التروبادور، ويحاولون تفسير بعض ألفاظ أعجمية استخدمها الزجال، إلى غير ذلك من أبحاث عد منها الأستاذ ليفي بروفنصال في مقالة له كتبها سنة 1944 تسعة

---

(1) هو الدكتور عبد العزيز الأهواني: (الزجل في الأندلس)، طبع مصر سنة 1957م، ص: 67.

وعشرين بحثاً أو إشارة أو اقتباساً، ويمكن أن يضاف إلى هذا العدد مقالات جديدة صدرت بعد التاريخ المذكور « أه كلام الأهواني.

ولنواصل حديث كراتشوفسكي: قال إثر العنوان: «غالباً ما كنت في حياتي الاستعرابية ألتقي بمخطوطات كانت قد اكتشفت منذ زمن بعيد دون أن يشعر أحد ودون أي جلبة أو ضوضاء، إلا أن قصة دخولها بالتدريج إلى دنيا العلم، تذكر أحياناً بأسطورة سحرية: في هذه القصة يقوم بالأدوار مجموعة من الشخصيات ارتبطت أقدارهم معا بدون انتظار، ومع أن موضوع القصة « بدون رتوش » إلا أنها تعطي صورة ذات دلالة للعمل الجماعي لعلماء كثرة من الشعوب الذي يجذب إلى مجراه موهوبين ممتازين وعاملين بسطاء وشعباً كاملة بتراتها الاستعرابي القديم والقوميات التي نالت استقلالها أمام عيوننا، بل ويجذب إلى مجراه الشرق والغرب كافة على اختلاف أشكالها الظاهرية، حقاً إنها لصورة جذابة تحمل بين جوانبها قوة معلمة، ومثل هذه الصورة كمثال: « الشمس على قطيرة ماء » تعكس حركة الثقافة الإنسانية التي لا تعرف الكلل».

ثم يذكر المؤلف ابن قزمان ونبذة من ترجمة حياته والوسط الذي عاش فيه وكيف وصل (ديوانه) الوحيد<sup>(1)</sup> إلى مكتبة لينغراد وذلك أن أحد أحفاد الكاتب الفرنسي الشهير جان جاك روسو كان له حفيد عين قنصلاً لحكومته بحلب وبغداد، وأنجب

---

(1) يذكر كراتشوفسكي أن ديوان ابن قزمان « شقَّ طريقه رويدا رويدا من الأندلس إلى المشرق العربي، وهناك في فلسطين، وبالضبط في مدينة صنفد، قام شخصٌ عربي بعد مائة سنة من ظهور (الديوان) بنسخ هذه الأزجال، ورغم قيامه بكتابتها بدقّة وعناية إلا أنه كان يجهل لهجات الأندلس والإسبانية، فلهذا تسرّبت الأخطاء»، ثم يقول: «وعلى كلِّ حال فما كنا لنعرف الشيء الكثير عن ابن قزمان لو لم يخزن هذا المخطوط في (المتحف الآسيوي)».

هناك ولدا شغف بالعربية حتى صار من علمائها، وجمع مجموعة من المخطوطات القيمة منها: (ديوان ابن قزمان)، وانتقل روسو المستشرق إلى طرابلس الشام وتغيرت ظروفه المادية، إذ كان من كبار المثريين في أول عهده، فالتجأ إلى بيع خزانته وكان ذلك بواسطة المستشرق الفرنسي المعروف سيلفيستر دوساس « أكبر مستشرق مشهور في عصره الذي كان يقدر جيدا قيمة هذه المجموعة » فاتصل بواسطة تلاميذه بوزير التعليم الشعبي بروسيا فبيعت المجموعة على دفعتين في عامي 1819 و 1825 و « حرمت فرنسا مجموعة قيمة » يذكر أن هذه المجموعة هي التي كانت أساسا لمجموعات المتحف الآسيوي العالية الشأن التي جذبت بدورها المستشرق فرين « أول خازن للمتحف الآسيوي ومؤسس استعراينا العلمي » وإن هذا المستشرق هو أول من أعد فهرسا لهذه المخطوطات التي كان من ضمنها « ديوان ابن قزمان » وحفظت وجوده إلا أنه بقي مغمورا أكثر من ستين عاما، ولما عين روزن المستشرق الألماني (عضوا معاونا) للأكاديمية الروسية طبع ونشر فهرسا للمخطوطات الموجودة بالمتحف الآسيوي، ووجه اهتماما خاصا لـ : ديوان ابن قزمان، وطبعه بانفراده باللغة العربية لأول مرة، واستعان على شرح المفردات التي كان الكثير منها باللغتين العربية والإسبانية الدارجتين، واستعان بالمستشرق الشهير دوزي الهولندي « الذي كان خبيرا بالموضوعات الإسبانية أحسن من كل المستشرقين في أوروبا »، إلا أن دوزي كان كما قال كراتشوفسكي: « كان يشعر بأن أيامه تميل نحو الغروب - وقد مات فعلا بعد عامين - وعلى هذا لم يجزأ على أن يربط نفسه بعمل جديد مجهد، ولم يستجب لتحرش (كذا) دوزي إلا بخطاب يتضمّن بعض ملاحظات طريفة تتعلّق بالشاعر ابن قزمان وبأشعاره، وحوالي سنة 1880 قام المخطوط برحلة خاصة إلى غرناطة حيث كان يدرسه الأستاذ الجامعي الإسباني سيمونيت، وقد قام بتعريف أبناء وطنه بالشاعر القرطبي في مقالة خاصة كتبها، وكثيرا ما كان يستعين بعناصر من مؤلفات ابن قزمان



في أعماله العلمية عن تاريخ الإسبان المستعربين إلى أن قام البارون دافيد غينتسبورغ  
تلميذ دوزي، وهذا البارون رغم أنه من رجال الأعمال وكبار الرأسماليين فإنه كان يهتم  
بالعربية وبتاريخ الأندلس، فقام بنشر ديوان ابن قزمان بهاله الخاص ... وهكذا أصبح  
المخطوط في متناول كل راغب في دراسته.

وبعد أن يذكر اهتمام المستشرقين الإسبانين بالديوان، ك: ريبيرا ... والمراحل التي  
اجتازها بعد هذه الطبعة، يذكر اهتمام المستشرق التشيكي نيكول المتخصص في  
الدراسات الرومانية الذي رأى أن الحروف العربية « لا تعبر عن صوتياته إلا بصورة  
رديئة »، فاختار طبعه بالحروف اللاتينية، وكانت هذه الطبعة هي المرحلة الثانية بعد  
طبعة غينتسبورغ، في خلق أدوات العمل على أزجال ابن قزمان .. « وقد استمرت  
التأليفات عن ابن قزمان تنمو دون توقُّف، حيث إنه يوجد في المجلد التكميلي للطبعة  
العالمية لدائرة المعارف الإسلامية التي صدرت بثلاث لغات، ظهرت المقالة الثانية عن  
ابن قزمان، والمقالة الأولى موجودة في مجلد أساسي، وكان قد كتبها علامة في ذلك  
الوقت الذي بدأت فيه فقط دراسة ابن قزمان، وظهر أن مؤلف المقالة الثانية هو رائد  
الاستشراق العلمي في يوغوسلافيا بيرقترافيتش الذي كانت تتوحد في استخدامه  
جامعتا فينا والجزائر، ولا يقل دلالة أن قد ظهر بعد مرور ستين سنة بعد صدور مقالة  
دوزي الفرنسية الأولى المتعلقة بالمخطوط، بحث تحليلي دقيق عن بعض أشعار ابن  
قزمان، وكان قد كتب هذا البحث باللغة الفرنسية البليغة أوفوتوليو المستعرب  
الفلندي الموهوب، والمتخصص في الدراسات الرومانية.

وختم كراتشوفسكي دراسته القيمة بعدما وصف المخطوط الأصلي ل: الديوان  
بأنه متواضع بسيط مائل إلى الصفرة، وغلافه رديء من الورق المقوى، بألوان مختلفة  
انطفأت من تأثير أشعة الشمس، وهذا الجلد يرجع في أصله إلى الشرق، ثم يقول: «...»

وفي كلِّ مرَّةٍ كنتُ أمرُّ فيها أمام المخطوط كنتُ أتوقَّف قريباً منه بشعور خاصٍّ يُسيطر عليّ أن هذا الكتاب هو مخطوطنا الفريد المشهور لـ : ديوان ابن قزمان، وبدا لي أن المخطوط يملك قوة جذابة بالنسبة للعلماء، فإن كثيرا منهم من تطلع باهتمام بل وسنوات طويلة في هذه الأوراق الصفراء أو في صورها الفوتوغرافية، ومن هؤلاء العلماء: الإنجليز والفرنسيون والروس والهولنديون والإسبانيون والألمان، وكان أحيانا كل من اليهودي والتشيكي يحاولان فك رموز سطوره الملعزة بإصرار، لا يقل عن إصرار العربي أو الفنلندي، إنها لأهمية العلم حقا يوحدها هدف واحد، وبأي إمتاع ترى كلمات العالم الفنلندي الأخيرة في عمله عن ابن قزمان التي أملاها وهو على سرير المرض في آخر أيام حياته، أثناء فترة قصيرة ما بين الحربين اللتين عذبتا وطنه الصَّغير: « أيها العمل السلمي العالمي، ليتك تَسْتَطِيع أن تستمر وتتصل بصرف النظر عن كل ما يهددك اليوم بالدمار» (إن للمخطوطات أقدارها) فإن قوتها السحرية التي توحد العلماء الكثيرين في اندفاع مشترك تطرد نهائيا في يوم من الأيام أرواح الظلام الشريرة التي ترمي إلى التفرقة بين الناس والشعوب « اهـ

كما ظهرت لكراشفوسكي تأليف أخرى منها « الأدب العربي في القرن العشرين» قرظته (مجلة الرِّسالة) المصرية فقالت: «هذا عنوان كتاب أخرجه حديثا المستشرق الروسي الشهير يوليفيتش كراتشوفسكي، تناول فيه بالبحث والتحليل التيارات الأدبية في العالم العربي، ومؤلفات الكتاب العرب البارزين، وعقد فصلا خاصا للحديث عن الأدباء المصريّين الذين امتدَّ تأثيرهم إلى العراق وسوريا والأقطار العربية المختلفة، وختم الكتاب بفصل مطوّل عن المؤلّفات التي ظهرت لكتّاب العرب في مرحلة الحرب العالمية الثانية وما بعدها، كما تحدّث في هذا الفصل عن قصائد الشعراء العرب في الموضوعات الحربية وما نظم منها خاصة في تمجيد بطولة ستالينجراد.

وكراتشوفسكي وثيق الصلة بالشرق العربي من قديم، وله صدا كثيرة بعلماء العربية ورجال الأدب العربي.

ثم يذكر رحلته في زمن التعليم - التي ذكرناها - ويقول « نشر كراتشوفسكي كثيرا من الآثار العربية النادرة بعد أن قام بتصحيحها واستكمالها وفي عام 1930 أَلَّف كتابا خاصا عن الشيخ عياد الطنطاوي الذي سافر من مصر لتدريس اللغة العربية في روسيا، فعاش هناك من عام 1847 حتى عام 1861 (وهو الذي خلفه نوفل جدُّ بائعة أوراق المصحف الكوفي) وتوفي ودفن هناك، وفي العام الماضي أخرج كتابا طريفا بعنوان مع المخطوطات العربية، وقد تحدث فيه حديثا قصصيا خلافا عن رحلته إلى بلاد الشرق العربي ... فالمستشرق كراتشوفسكي وثيق الصلة بالأدب العربي القديم والحديث، وقد عاصره عن قرب أكثر من أربعين عاما، فإذا حدَّثنا عن الأدب العربي في القرن العشرين فلا شك أن حديثه حديث العالم الخبير » اهـ تقرِّظ (الرَّسالة).

وقد ظهر كثير من تأليفه في ميدان الإستشراق، وقد اهتمَّ بها الكتاب فترجموها إلى اللغة العربية ونقدوها، ومن أهمَّ هذه التأليف: (تاريخ الأدب الجغرافي) الذي ترجمه بالقاهرة سنة 1963 م، ونقده كثير من الكتاب، منهم الدكتور عبد الرحمن بدوي، نقده في (مجلة الكتاب العربي) بعددها الخامس المؤرَّخ في جمادى الآخرة سنة 1384-1964 فقال: «هذا الكتاب ممتاز أعدُّه من خير ما أخرجت المكتبة العربية من كتب علمية في تاريخ العلوم عند العرب، وترجمته إلى العربية عمل جليل، خصوصا والمترجم الدكتور صلاح الدين عثمان هاشم من السودان قد ترجمه عن اللغة الروسية مباشرة، ولم يترجم إلى لغة أخرى: انجليزية أو فرنسية حتى يكون في متناول الباحثين، ولم يوجد في بابه غير كتاب جوزيف رينو (1795 - 1867) المستشرق الفرنسي المعروف الذي بدأ فنشر مع ماك جوكين دي سلان كتاب: (تقويم البلدان) لأبي الفداء سنة 1840 م، ثم ترجم الكتاب إلى الفرنسية ... ومنذ دراسة رينو هذه لم يظهر غير مقالات متفرقات عن

الجغرافيين العرب، إلى أن جاء أجناتي كراتشوفسكي من تلاميذ رُوزن المستشرق الروسي الكبير (1849-1902م)».

ثم يذكر ترجمة المؤلف (التي سبق أن ذكرنا مجملها في هذه الدراسة) ويقول: «وقد طبع كتابه هذا لأول مرة سنة 1957م الجزء الرابع من (منتخبات كراتشوفسكي)، وإنما طبع منه قبل ذلك فصولا متفرقة غير كاملة، أو مبتورة على هيئة مقالات مستقلة، وكان تأليفه له في الفترة بين عامي 1938 و1945م، فكأن الكتاب لم ير النور بصورته الراهنة في حياة المؤلف الذي توفي سنة 1951م، وقد أشرف على طبعه زوجته ميخايلوفا يعاونها بلبائف، وبيكوف، وبيسافسكي، وتسريتلي، والترجمة التي بين أيدينا هي القسم الأول من الكتاب» - وقد ظهر منذ ستين أو ثلاث القسم الثاني منه -.

ثم يذكر الناقد: «إن المؤلف اتبع في تأليفه الترتيب التاريخي، فبدأ ببداية الجغرافية الرياضية عند العرب قبل ظهور المصنّفات الجغرافية الأولى، وبقى على ذلك بدراسة بداية الجغرافية عند العرب، ثم الجغرافيين العرب المتأثرين بكتب الجغرافيا اليونانية (الحوارزمي، والزرقاني، والخازني، والمراكشي، ونصير الدين الطوسي ... الخ)».

ثم يتناول الجغرافيين اللغويين، ثم يذكر الرحالة الذين رأوا الأصقاع الشمالية (روسيا وغيرها)، مثل ابن فضلان الذي كتب عن رحلته بعض المستشرقين الروس والدانماركيين ... ثم يصل إلى الرابع الهجري وعلى رأسها البلخي، والاصطخري، وابن حوقل، والمقدسي، وبها تبدو الخرائط الجغرافية العربية.

ثم يذكر جغرافي القرن الخامس، مثل البيروني، وأبي عبيد البكري الأندلسي، ثم جغرافي القرن السادس، ك: الإدريسي صاحب كتاب: (نزهة المشتاق في اختراق الآفاق) الذي كتبه في بلاط ملك صقلية روجارو الذي امتاز بأنه أول كتاب رسمت فيه خريطة للعالم.

ثمَّ يجتُم الدكتور بدوي دراسته بقوله: «المؤلّف في ذكره لكلِّ علم من هؤلاء يتحدّث عن أهمية ما نشر له ومصادره وقد يتحدّث حول المؤلّف والكتاب وما ترجم إلى اللغات الأوروبية».

أما الدكتورة عائشة بنت الشاطيء فكتبت في (جريدة الأهرام) المصرية بعددها المؤرخ 19 / 4 / 66، تحت عنوان: (تاريخ الأدب الجغرافي العربي، كتاب من موسكو) ما يلي: «هذا كتاب يحمل آثار جهد شاق صابر، وعمل مخلص دائب، استغرق ثلث قرن من الزمن، أمضاه المستشرق الروسي كراتشوفسكي في جمع مادته الخصبة من تاريخ الأدب الجغرافي عند العرب، من الإيحاءات الأولى في قديم ما وصل إلينا من الشعر الجاهلي إلى قريب من العصر الحديث.

ويأخذني العجب، وأنا أتمثّل هذا العالم الكبير يستقري مئات المصادر الأدبية والعلمية، ويراجع دواوين الشعراء وأساطير العرب، ويطالع في القرآن الكريم والأحاديث النبوية، ويتتبع قصص الرحلات والأسفار وكتب البلدان ومؤلفات العرب في الجغرافيا الوصفية والرياضية والإقليمية، ليستخلص منها جميعا معالم تاريخنا الجغرافي على امتداد سيره الطويل، وليسجل ما وعى الزمان من خيالاتنا الأسطورية وتصوراتنا الأدبية وبحوثنا العلمية وكشوفنا الجغرافية، متتبعا مجرى التيار على درب الزمن، ليرقب روافده الأصيلة التي انطلقت إلى الخارج تحمل إلى الدنيا ثقافة العرب ومعارفهم الجغرافية، ويميز في الوقت نفسه ما تلقى التيار من روافده الخارجية على مر العصور والدهور.

يا لها من رحلة مثيرة في أعماق تاريخنا الجغرافي يرويها لنا شيخ المستشرقين الروس بكل ما حوت من عجائب وغرائب، ويضع بين أيدينا بعد كل مرحلة من مراحلها، حشدا من المصادر والمراجع التي كشفت له عن معالم الطريق وأضاءت مسالكه،

ووجهت خطوات السير فيه فما انتهت الرحلة إلا وقد اجتمع لنا الفهرس الجامع  
لمراجع البحث في تاريخ الجغرافيا عند العرب، دليلا مرشدا للمتخصصين في  
الدراسات العربية والإسلامية، ومؤرخي الحضارة الإسلامية بوجه عام...».

## آثار الحضارة الفارسية وتطورها في العهد الإسلامي (1)

خصّصنا هذه الدراسة بمناسبة عرض شريط خاص بالمسجد الجامع في مدينة أصفهان، فكانت هذه الدراسة كمدخل للتعريف بهذا المسجد بصفة خاصة، والتعرض لبعض آثار الحضارة الفارسية في مجال الفن المعماري المسجدي وتطورها عبر العصور بصفة عامة.

كان اتصال المسلمين ببلاد فارس ابتداء من تاريخ فتحها في عهد الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه وأرضاه)، كما كان للعرب اتصال وثيق بالدولة الفارسية قبل الإسلام، ومن ذلك صلة عرب الحيرة واليمن بالدولة الساسانية التي كانت تحكم بلاد فارس قبل الإسلام، ولهذا كان اتصال المسلمين بالحضارة الفارسية قبل اتصالهم بأية حضارة أجنبية خارج الجزيرة العربية، والتراث الحضاري كما هو معروف سلسلة متصلة الحلقات اتصالاً مباشراً، أو غير مباشر، بثقافات وشعوب ذات سوابق حضارية، قال الجاحظ في الموضوع بالنسبة للحضارة الإسلامية<sup>(2)</sup>: «وقد نقلت كتب

---

(1) اعتمدنا في إثبات هذه المقالة على نسخة مرقونة تقع في (8) صفحات، جاء في آخرها بخطّ الشيخ المهدي (رحمه الله تعالى) ما يلي: «نُشرت هذه الدراسة في مجلّة الأصالّة بالجزائر، ولضيق وقت إعداد هذه الدراسة ألحقت بها دراسة خصّصتها لقائمة المصادر، آملاً أن أتوسّع في الموضوع، حقّق الله آمالنا»، ولم نقف عليها في جميع أعداد مجلّة الأصالّة، ولعلّه أرسلها إلى إدارة المجلّة ولم تنشر، وحسب أنها نشرت. (ع)

(2) كتاب الحيوان (1/ 38).

الهند ترجمة حكمة اليونان، وحولت آداب الفرس، فبعضها ازداد حسنا وبعضها ما انتقص شيئا، ولو حولت حكمة العرب لبطل ذلك المعجز الذي هو الوزن، مع أنهم لو حولوها لم يجدوا في معانيها شيئا لم يذكره العجم في كتبهم التي وضعت لمعاشهم وفطنهم وحكمهم، وقد نقلت هذه الكتب من أمة إلى أمة ومن قرن إلى قرن، ومن لسان إلى لسان، حتى انتهى إلينا، وكنا آخر من ورثها».

كانت مدينة أصفهان من أهم العواصم الفارسية حيث اتخذتها عدة دول عاصمة لها ابتداءً من الدولة الساسانية وبلغت عبر فترات تاريخها الذهبي أوج الحضارة والازدهار، وتطور فيها الفن المعماري الذي يتجلى في أبهى حلله بالمساجد التي يعد المسجد الجامع بها - موضوع دراستنا الذي هو من آثار الدولة السلجوقية - في طليعتها.

كان المسجد الإسلامي في أول عهده بسيطا، وقد وصف المؤرخون مسجد الرسول ﷺ (المسجد النبوي بالمدينة المنورة) بمزيد من التفصيل، إذ مسجد المدينة هو المثل الأعلى لمساجد العالم الإسلامي، وأنه رغم تطور المسجد في هيكله بعد نقل العاصمة الإسلامية من المدينة إلى دمشق، واحتكاك الحضارة الإسلامية بالحضارات السابقة، فإنه لا زال محتفظا بتخطيطه وتصميمه وشكله المربع الذي نجد عرضه يفوق طوله حسب الصفوف في الصلوات، كما لا زال المسجد يحتفظ بمرافقه، كالمحراب والمنبر والمنارة والميضأة في مختلف البلاد الإسلامية.

تطور المسجد في البلاد الإسلامية، وكان في مقدمة هذه المساجد الجامع الأموي بدمشق الذي تجلى فيه الفن المعماري تجليا جعل الاختصاصيين العالميين في الفن المعماري الإسلامي يحكمون بأن المسجد الأموي بدمشق أرقى ما وصل إليه الفن المعماري الإسلامي ومن هؤلاء الاختصاصيين الفنان المشهور سوفاجي (Sauvaget).

وفي العهد العباسي كان عظماء رجال الدولة فرسًا حتى إن كثيرا من المؤرخين كانوا



يعدون هذه الفترة امتدادا للحضارة الساسانية السابقة للإسلام، وظهرت آثار الفن المعماري الفارسي في العهد العباسي في بغداد وسامراء، كانت مدينة بغداد التي طبعتها الحضارة الفارسية ببصمات أصابعها في سابق عهدها، قرية صغيرة، من منتزهات المدائن (عاصمة الدولة الساسانية) وكان بها سوق تجاري للفرس، بقيت آثاره إلى أواخر القرن الأول من الهجرة، كما كانت للسَّاسانيِّين في بغداد قصور وبساتين، كـ: قصر عيسى بن علي، عم المنصور العباسي، وهو من القصور العظيمة في بغداد - قد بني على أساس قصر من قصور السَّاسانيِّين المشهور بقصر سابور - وأنه استفيد في بنائه من مواد بناء ذلك القصر ومعداته كما أن المنطقة المجاورة لموضع المشهد الكاظمي (قرب طوس) كانت قبل إنشاء مدينة المنصورة بستانا لبعض هؤلاء الملوك، هذا كله يدلنا على أن الحضارة الساسانية في أرض بغداد كانت مستمرة متواصلة حتى عهد المنصور العباسي، أما المدائن عاصمة الساسانيين قرب بغداد فقد استمرت فيها الحياة حتى قيام بغداد، إلا أن سكانها بدأوا ينزحون عنها تدريجيا إلى العاصمة الجديدة بغداد، وعندما أخذت بغداد تنمو وتزدهر لما صارت مركزا للخلافة العباسية، وصارت مواد القصور الساسانية في المدائن تستخدم لبناء قصور جديدة في بغداد، كقصر التاج وغيره، ولما ذكرناه نجدُ المؤرخين حين يتناولون بالدرس موضوع الانتقال الحضاري من مرحلة تاريخية إلى مرحلة تاريخية أخرى، أو من أمة إلى أمة مغايرة، يعدون الخلافة العباسية وريثة الدولة الساسانية دون سواها من الدول<sup>(1)</sup>.

نكتفي بهذا التمهيد كتقديم لتاريخ مساجد أصفهان وغيرها من المدن الفارسية وتطورها عبر التاريخ.

---

(1) كتاب (الترجمة والنقل عن الفارسية في القرون الإسلامية الأولى)، د. محمد أستاذ الأدب العربي بطهران.

عرّف كثير من الرّحّالين والجغرافيين مدينة أصبهان، منهم ياقوت في (معجم البلدان) الذي قال في تعريفها: «وأصفهان اسم للإقليم بأسره منهم من يفتح الهمزة وهم الأكثر وكسرها آخرون، منهم السمعاني وأبو عبيد البكري الأندلسي... إلى أن ختم تعريفه بذكر واديهما الذي تغنى به الشعراء، وقال بعضهم فيه:

لست آسى من أصبهان على شيء      سوى مائها الرحيق الزلال  
ونسيم الصبا ومنخرق الريح      وجو صافٍ على كل حال  
ولها الزعفران والعسل الما      ذي والصفانات تحت الجلال

كما خلد مدينة أصبهان الشاعر الفيلسوف ناصر خسرو في عهده فقال: «إنها كانت عامرة بالبساتين والمروج».

ومن معالم أصفهان الأثرية المسجد الجامع الذي يرجع عهد بنائه إلى السلجوقيين الذين بلغت النهضة الفنية في عهدهم بإيران قمة ازدهارها، فتطورت عمارة المساجد التي يعد المسجد الجامع بأصفهان أحسن نموذج لطراز المساجد في ذلك العصر، إذ يتوسط ثلاثة من أضلاع صحن الجامع المكشوف، إيوانات مائية ضخمة أكبرها إيوان القبلة، ويزخرف قبة شريط دائري من الكتابة الكوفية بالآجر البارز، ويُميّز عهد السلجوقيين في مجال الفن المعماري الميل إلى استخدام أسلوب النحت على الحجر والحصص في زخرفة الجدران، وتتكون هذه الزخارف من نقوش كتابية وتوريقات نباتية، ولقد وُجِدَت نماذج جميلة لحروف كوفية تنتهي بتوريقات، كما تميز عهدهم باستخدام الوحدات الآدمية والحيوانات، إلى جانب الزخارف النباتية والهندسية والكتابية، ويصل بروز الزخارف الآدمية أحيانا إلى درجة كبيرة تجعل الناظر إليها يتخيل أنها منحوتة نحتا كاملا بالرغم من أنها متصلة بالجدار، ومن أبداع ما توصل إليه الإيرانيون في زخرفة جدران عمائرهم هو كسوتها بالطوب والبلاطات الخزفية، كما ازدهرت

أصفهان في عهد الملوك الصفويين حيث جدد عمائرها الشاه عباس الكبير، ومن جملة مآثره فيها مساحتها المشهورة بميدان الشاه والتي تبلغ مساحتها أربعة هكتارات إلا ربعاً، أي يبلغ طولها 500 متراً وعرضها 75 متراً، وهذه الساحة محاطة بالقصر الملكي ومسجد الشاه، ومسجد الشيخ لطف الله والسوق التجاري، وتعد هذه الساحة من أجمل منتزهات الدنيا، وخصّصت لها تأليف منها ما كتبه عنها الفارس الفرنسي دو شاردان (De Chardin) والقسيس البرتغالي أنطوان دوقوفا (Antoine de Gouvea)، إذ كان الشاه عباس الصفوي من عظماء الملوك، بناء الدول المتفتحين، فكان ملوك أوروبا يتسابقون إلى ربط الصلات به.

لا يمكننا أن نتبع آثار مدينة أصفهان ومعالمها الدينية، وقد تركت فيها معظم الدول الفارسية آثاراً رائعة ابتداء من الدولة السامانية التي كانت أعظم دولة فارسية مستقلة، وكان نفوذها يشمل خراسان وما وراء النهر، وكانت خراسان تنقسم إلى أربعة أقسام:

القسم الأول عاصمته نيسابور، والقسم الثاني عاصمته مرو، والقسم الثالث عاصمته هراة، والقسم الرابع عاصمته بلخ التي تنتمي إليها أسرة الساسانيين، والبرامكة - وزراء العباسيين قبلهم -.

أما بلاد ما وراء النهر فإنها تنقسم إلى خمسة أقسام: الصغد وله عاصمتان بخارى وسمرقند، والقسم الثاني خوارزم، والقسم الثالث صغانيان، والرابع فرغانة، والخامس الشاش وهي مدينة طشقند الحالية - أي: عاصمة أوزبكستان - وأوزبكستان هي التي كان يطلق على إقليمها ما وراء النهر، وقد رحل المقدسي إلى خراسان وما وراء النهر في العهد الساماني، وأعجب برقيهم وتمدّنهم، فقال في وصفهم: «إنهم أشد الناس تفقها وبالحق تمسكا، وهم بالخير والشر أعلم»، ورسومهم كانت تعقد كل يوم أحد وأربعاء

بحضرة صاحب الجيش أو وزيره، وحوله القاضي والعلماء والأشراف، فكل من رفع إليه قصة أنصفه.

وامتدح المقدسي سيرة السامانيين في الحكم فقال: «إنهم من أحسن الملوك سيرة هذا فضلا عما عرف عنهم من إجلال العلم وأهله، فقد كان من رسومهم ألا يكلفوا أهل العلم تقبيل الأرض بين أيديهم» انتهى [كلام] المقدسي.

وقد أيد هذا التعريف ابن خلكان الذي وصف السامانيين بقوله: «كان يغلب عليهم العدل والعلم والدين».

وإننا نرى أن الدول الفارسية التابعة للخلافة الإسلامية، سواء منها من كانت تتمتع باستقلال داخلي، كالطاهريين، الذين أقطعهم الخليفة المأمون خراسان، والصفاريين في سجستان، أو الدول المستقلة التي كانت مرتبطة بالخلافة ارتباطا روحيا، كالسامانيين، والغزنويين، وبني بويه، والسلجوقيين، ثم الصفويين، فإنهم خدموا الإسلام، وشيّدوا المساجد، وحموا العلماء، وأعانوهم، وما من بلدة كبيرة أو صغيرة في فارس، ك: تبريز، وشيراز، وهراة، ومرو، وبخارى، وسمرقند، والشاش، إلا ونجد ثلة من كبار علماء الإسلام في مختلف فروع المعرفة ينتسبون إليها، وقد خصص في الموضوع الشيخ محمد عبده دراسة قيمة في نشرة (العروة الوثقى)، التي كان يصدرها صحبة أستاذه جمال الدين الأفغاني بأوروبا، وإن ظهرت في هذه البلاد فئة من العلماء زاغوا أو انحرفوا عن تعاليم الإسلام، وأشادوا بمذاهب لم تستسغها عقول معاصريهم، فإن ذلك لا يبرّر الاتهامات التي كالمها لهم كثير من الكتاب قديما وحديثا، وخصوصا كثير من المستشرقين.

ولنرجع إلى الحديث عن تطوّر الفن المعماري ببلاد فارس، فنرى أن المساجد الأولى كان يستعمل في بنائها اللبن أو الطوب كما نسميه في بلادنا، ثم صارت بعد مدة وجيزة

تَزَخَّرَفُ بالنقش على المرمر، وأروع مثال على تطور الفن المعماري الذي يمزج تقاليد البناء القديمة بالمنجزات الحديثة، هو ضريح إسماعيل الساماني في القرن الرابع الهجري، وهو عبارة عن بناية صغيرة ذات قبة تتصل بقسم أساسي مكعب على أساس بنائي جديد، وهو طبل مئمن الأضلاع، وقد ساد هذا المبدأ طيلة خمسة قرون تالية، وضمت التصاميم العمرانية بقاء هذه البناية خلال أكثر من ألف سنة.

إن عناصر حجمها متناسقة وأشكالها منسجمة، ويعتبر هذا الضريح بمجموعة صفاته التصميمية الفنية، فريدا من فرائد البناء<sup>(1)</sup>.

ومما يلحق بضريح إسماعيل الساماني ضريح الملك السلجوقي سنجر بمدينة مرو، فإن قبة الداخلية مغطاة بقبة خارجية ترتفع قليلا فوقها، ومكسوة بالطوب الأزرق، وقد كتب ياقوت الحموي الذي جال في بلدان الشرق وآسيا الوسطى -: إن قبة الضريح الزرقاء تمكن رؤيتها من مسيرة يومين - ويبلغ علو الضريح في الوقت الحاضر دون وجود القبة الخارجية أي من الأرض حتى القبة الداخلية 36 مترا، ويبلغ قطر القبة 17 مترا - أي: أنها أكبر قبة في آسيا الوسطى باستثناء قبة ضريح خواجه أحمد ليسوي - وينم المنظر الداخلي للضريح على مظهر الأبهة والجلال، ومع ذلك فإنه لا يطغى على المرأى بأحجامه.

نكتفى بهذا القدر فيما يخص آثار الدول الفارسية المتعاقبة على حكم آثار البلاد، كالسامانيين، والغزنويين، والسلجوقيين، ثم الصفويين الذين ترك جملهم آثارا رائعة بمختلف بلاد فارس، وما وراء النهر.

ولنتقل إلى آثار المغول الذين إن حاربوا كثيرا من هذه المدن، وأتلفوا معالمها، فإنهم

---

(1) عن كتاب: آثار الاسلام التاريخية في الاتحاد السوفياتي.

تركوا آثارا خالدة، وتطوّروا في عهد بعضهم - خصوصا تيمور لنك وبنيه - الفن المعماري.

إنَّ غزو جنكيز خان لبلاد فارس وما وراء النهر وعاصمة الخلافة الإسلامية في أوائل القرن السابع الهجري مشهور بالتدمير والتخريب، وإبادة السكان الوحشية، إلا أن خلفاءه الذين اعتنقوا الإسلام، نشطت في عهدهم حركة بناء المساجد، والأضرحة والمدارس، وكان الأسلوب السلجوقي هو المتبع في طراز العمارة الدينية مع استتالة الزخرفة التي أكسبت المباني أناقة واتساقا، كما ازدادت المداخل فخامة، ويزيد من فخامتها المآذن المرتفعة، وكثرت العناية بزخارف الحنايا الموجودة بالجدران الداخلية والخارجية، أما في العصر التيموري فقد تأثرت ببعض العناصر التي كانت في العصر الأتخاني، فظل طراز المساجد والإيوانات الأربعة والصحن المكشوف، الذي أدخله السلاجقة إلى إيران، هو المفضل، ومن أهم خصائص العمائر التيمورية الاهتمام بعمارة المدخل، واستخدام القباب الضخمة، وتغطية الجدران بزخارف الفسيفساء، ومع هذا فقد ظهر في إيران طراز يختلف عن طراز المساجد ذات الصحن المكشوف التي انتشرت في ذلك العصر، ويتضح ذلك في الجامع الأزرق الذي شيد في تبريز في القرن الخامس عشر الميلادي، ويعد تصميمه ابتكارا جديدا لم يكن معروفا في إيران.

ولقد اهتمَّ معظم الحكام التيموريين بتشيد الأضرحة والمدارس والقصور، إلا أن الزخارف الجصية التي انتشرت في عمائر العصر المغولي قد قلت، واستخدم المعماريون بدلا منها الفسيفساء الخزفية والآجر المزجج والبلاطات الخزفية من كسوة الجدران، وقد قيل: إن الفن المعماري في عهدهم تأثر كثيرا بالفن الصيني، ويظهر لنا من هذا الاستعراض أن المدينة الفارسية العريقة في الحضارة واصلت مسيرتها الحضارية، وفرضتها على الغزاة كالمغول.

ونختم هذه الدراسة بما صرح به في الموضوع شاه إيران رضا بهلوي في دراسته القيمة لتاريخ إيران فقال: «إن المغول احتلوا فارس حوالي قرنا كاملا، ثم جاء على أثرهم تيمورلنك المغولي الأصل الذي يتمتع بسمعة لا يستحقها، إذ هو كسلفه جنكيز خان الذي استعمل الإبادة العامة، إن هؤلاء البرابرة الذين حكموا بلاد فارس إلى عهد اكتشاف القارة الأمريكية قضوا على الملايين من سكان الفرس، إلا أن المعجزة حالت بينهم وبين القضاء على الحياة الثقافية والحضارية، وكانت العاقبة أنهم خضعوا لحضارة البلاد وواصلوا خدمتها وحماتها» اهـ<sup>(1)</sup>.

الأستاذ المهدي البوعبدلي

(البحاثة الجزائري في التاريخ)

---

(1) مجلة: (Historia)، عدد 253 دجنبر 1967 باريس.

## آثار الحضارة الفارسية وتطورها في العهد الإسلامي

فخصنا هذه الدراسة بمناسبة عرض شريط خاص بالمسجد الجامع في مدينة أصفهان ،  
فكانت هذه الدراسة كمدخل للتعريف بهذا المسجد بصفة خاصة ، والتعرض لبعض  
آثار الحضارة الفارسية في مجال الفن المعماري المسجدي وتطورها عبر العصور بصفة  
عمامة .

كثان اتصال المسلمين ببلاذ فارس ابتداءً من تاريخ فتحها في عهد الخليفة عمر  
بن الخطاب ، كما كان للعرب اتصال وثيق بالدولة الفارسية قبل الإسلام ، ومن  
ذلك مهلة عرب الحيرة واليمن بالدولة <sup>الساسانية</sup> التي كانت تحكم بلاد فارس قبل الإسلام ،  
ولمبدأ كان اتصال المسلمين بالحضارة الفارسية قبل اتصالهم باية حضارة أجنبية  
خان الجزيرة العربية ، والتراث الحضاري كما هو معروف سلسلة متصلة الحلقات  
اتصالاً مباشراً ، أو غير مباشر ، بثقافات أمم وشعوب ذات سوابق حضارية ،  
قال الباحث في الموضوع بالنسبة للحضارة الإسلامية قال : <sup>(1)</sup> وقد نقلت كتب الهند ،  
وترجمت أكسة اليوناني ، وحولت آداب الفرس ، فبعضها ازداد حسناً وبعضها  
ما انتقص شيئاً ، ولو حولت حكمة العرب ، لبطد ذلك المميز الذي هو الوزن ،  
مع انه لم يحوّلها لم يجدوا في متانيتها شيئاً لم يذكره المعجم في كتبهم التي  
وضعت لعمما شعهم وفطنهم وحكمهم ، وقد نقلت هذه الكتب من أمة الى أمة ومن  
قرن الى قرن ، ومن لسان الى لسان ، حتى انتسب اليها ، وكما أكرم من  
ورشها . كانت مدينة أصفهان من اهم العواصم الفارسية حيث اتخذتها عدة دوا عماصمة

(1) كتاب الحيوان ج 1 ص 38

صورة عن الصفحة الأولى من النسخة المعتمدة



## البيعة والشورى في الإسلام وتطورها عبر التاريخ(1)

إنَّ بحثنا في هذه (الندوة)، سيشمل: البيعة ومبدأ الشورى وتطورهما عبر التاريخ. وحيث إنَّ البيعة والشورى، هما من دعائم الخلافة الإسلامية، فإنَّني سأتناول بالبحث: الخلافة بصفة عامَّة، ثمَّ تطورها عبر التاريخ، وما آلت إليه في العهد الأخير - أي: عهد الانحطاط، والتدهور - وتفكُّك ما تبقى من أوصالها. ولما كانت وُجُوهات نظر أئمَّة الإسلام تختلف في هذه القضية الهامَّة في الإسلام، ركَّزتُ في القسم الأخير الذي ختمتُ به هذه الدِّراسة على مواقف بعض أئمَّة المذهب المالكي ببلاد (المغرب الأقصى) كـناذج، إذ بقيَّة بلاد المغرب العربي كـ (الجزائر)، و(تونس)، و(ليبيا)، كانت منضوية تحت حكم الخلافة العثمانية، كما أنَّ لضيق مجال البحث ذكرتُ المراجع في دراسة موسَّعة ستُنشر في مجلَّة: (الأصالة).

الخلافة الإسلامية هي رئاسة عامة في الدين والدنيا، وهي خلافة عن النبي ﷺ،

---

(1) مجلَّة (الأصالة)، العدد: 28، ص: (70 - 75)، السَّنَة الرابعة، ذو القعدة - ذو الحجة 1395هـ/ نوفمبر - ديسمبر 1975م، ووقفنا على أصلِ مخطوط بقلم الشَّيخ المهدي (رحمه الله تعالى) يقع في (11 ص)، وأصلها محاضرة شارك بها في (الندوة) الثانية التي نظَّمتها (المركز الثقافي الإسلامي) بالعاصمة، بتاريخ 19 سبتمبر 1975، حول المفهوم الدِّيني الصَّحيح للبيعة، شارك فيها مع مجموعة من المشايخ، وهم: الشَّيخ أحمد حمَّاني، والشَّيخ عبد الرَّحمن الجليلي، والشَّيخ سليمان داود بن يوسف. (ع)

فلأمة عليه الولاية العامة، والطاعة التامة، وله حق القيام على دينهم، من إقامة الحدود، وتنفيذ الشرائع، وله أيضا القيام على شؤون دنياهم، وبالجملة فهو الحاكم الزماني والروحي، ومع هذا كله لا تجب طاعته إلا في حدود الشَّرْع، وقد بين حدود الخلافة أبو بكر الصديق في خطبته بعد مبايعته مباشرة فقال: «أيها الناس، إني وليت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنتُ فأعينوني، وإن أسأتُ فقوموني، فالضعيف فيكم قوي عندي حتى آخذ له حقه، والقوي فيكم ضعيفٌ عندي حتى آخذ الحق منه، أطيعوني ما أعتُ الله ورسوله، فإن عصيتُ الله فلا طاعةَ لكم علي»، وعزَّز فحوى هذا الخطاب عمر بن عبد العزيز في خطابه المنهجي الذي ألقاه بعد توليه مقاليد الخلافة، فقال: «ألا لستُ بقاضٍ ولكني منفذٌ، ولست بمبتدعٍ ولكني متبِّعٌ، ولست بخيرٍ من أحدكم ...»، إلى أن قال: «... وإنَّ الرجل الهارب من الإمام الظالم ليس بظالم، ألا لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق».

وقد اعتنى بالخلافة أعلام الإسلام وأئمة، فخصَّصوها بالتأليف القيِّمة، الجامعة المانعة، وأهم ما كتب له الخلود منها: (الأحكام السلطانية) لـ: أبي الحسن الماوردي، وقد تُرجم إلى عدَّة لغات، وسأقتصر على لقطاتٍ من مواقف بعض علماء الإسلام أظهروا فيها آراءهم، وطبَّقوها قولاً وعملاً عندما انحطَّت الخلافة، وتدهورت دعائمها، كـ: البيعة والشورى، خصوصا في بلاد المغرب العربي.

إن علماء الإسلام ومفكِّريه متَّفِقون على أن تاريخ الخلافة ينقسم إلى فترتين:

الفترة الأولى تشمل عهد الخلفاء الأربعة، والفترة الثانية تبتدئ من تولية يزيد بن معاوية، إلى إلغاء الخلافة العثمانية إثر الحرب العالمية الأولى، وهم متَّفِقون على أن القسم الأول توفَّرت في أصحابه شروط الخلافة بأنَّهم مدلولاتها.

وأما القسم الثاني فإنهم كادوا أن يتَّفِقوا على إطلاق لقب الخلافة على من ادَّعواها من

باب التَّجَاوُزِ، بل هي نظام ملكي بحت، واستثنوا من بينهم الخليفة عمر بن عبد العزيز.

كان في طليعة أصحاب هذا الرأي القاضي الفقيه محمد المقرئ التلمساني - أستاذ عبد الرحمن بن خلدون - الذي كان يرى أن نظام الملكية منافٍ للشريعة الإسلامية، وإنما الذي يوافق مبادئ الإسلام هو الخلافة المبنية على الشورى، واستدلَّ على رأيه بقوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ (النور: 55) الآية، ثمَّ قال: «ولم يجعل في شرعنا إلا الخلفاء، فكان أبو بكر خليفة، ولم يستخلفه رسول الله ﷺ نصا لكن فهم الناس ذلك فهما، وأجمعوا على تسميته بذلك، ولما توفي لم يورثها لأولاده، وإنما ترك نظر الاختيار لأصحابه، وهكذا بالنسبة إلى عمر وعثمان فعليّ ...»، ثم قال: «ثم كان معاوية أول من حوّل الخلافة ملكا، والخشونة لينا، فجعلها ميراثا، فلما خرج بها عن وضعها لم يستقم ملك فيها»، وأيد ابن خلدون رأي أستاذه هذا بمزيد من الوضوح والتفصيل فقال: «إن الخلافة الخالصة كانت في الصدر الأول إلى آخر عهد علي، ثم صار الأمر إلى الملك، وهكذا كان الأمر لعهد معاوية ومروان وابنه عبد الملك، والصدر الأول من خلفاء بني العباس إلى الرشيد وبعض ولده، ثم ذهبت معاني الخلافة، ولم يبق إلا اسمها، وصار الأمر ملكا بحتا ... وجرت طبيعة التغلّب إلى غايتها، واستعملت في أغراضها، من القهر والتقلب في الشّهوات والملاذ ... الخ».

ولا يمكننا التعرّض لتحليل حكم الشورى وآراء العلماء في شروط وجوبها، فنكتفي بسردها ما ورد فيها من بعض الآيات القرآنية، مثل قوله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ (آل عمران: 159)، وقوله: ﴿وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ (الشورى: 38)، ونكتفي أيضا بالإشارة إلى عمل النبي ﷺ وعمل خلفائه من بعده، ذلك العمل الذي كان مبنياً

على التَّشاور، وعدم الاستقلال بالرأي، وكل ما هنالك أن الشريعة الإسلامية ولو قرّرت مبدأ الشورى كأصلٍ من أصول الحكم، فإنها لم تنظّم طريقة تطبيقه، وإنما تركت ذلك للظروف والمقتضيات، ومن جملة اختلاف وجهات نظر علماء الإسلام في الخلل الذي يطرأ على أثر البيعة والشورى، ونتيجته انحراف مَنْ وُضعت فيه الثقة، وأخل بواجبه من سوء سلوك أو إهمال واجباته الحيوية، فإنه بمجرد ثبوت ذلك تسقط أهليته، وحينئذ يمكن لأهل الحلّ والعقد عزله، وإن لم يستجب، فيجب قتاله، وهذا العزل وما يترتب عليه، هو محلّ الخلاف الجوهري بين العلماء، أجازوه بل أوجبوه بعضهم، وتردّد آخرون واحتفظوا بأرائهم، ورأى بعضهم عدم الجواز، وآخرون أفتوا بالمقاطعة السّلمية - أي: ملازمة البيت - وعلّلوا ذلك بالخوف من إحداث الفتن، وللمثال نذكر أنّ المعتزلة يرون أن عزل المنحرف واجب، وإن أبى فقّتاله، وجعلوا ذلك أصلاً من الأصول الخمسة في مذهبهم، وكذلك الصُّفريّة من الخوارج، فهم يرون أن الإمام المنتخب ولو توفّرت فيه الشروط المطلوبة وحافظ عليها مدّة ولايته، إلا أنه إن ظهر مَنْ هو أصلح منه وأكفأ عُزل ونصّب الأصلح مكانه.

ولضيق مجال هذه (النّدوة) نكتفي بذكر بعض علماء المغرب من الفقهاء المالكيين، [الذين] لم يتردّدوا في إصدار فتاويهم بعزل الإمام المنحرف، وقاتله إن لم يمثّل لحكم العزل، وطبق هؤلاء العلماء آراءهم قولاً وعملاً، ومن هؤلاء الفقيه الذائع الصّيت أبو العباس أحمد بن عبد الله، المشهور بـ: ابن أبي محلي، فقد أعلن الثورة على أبناء الملك المنصور الذهبي السعدي الذين اتهمهم بموالاتة البرتغاليين عند احتلالهم لمدينة العرائش، ومن جملة ما قاله في الموضوع: «والبيعة لا تعقد للملحد، ولا تلزم لمعد مكره عليها كل موحد، والجهاد عليه هو فرض عين، والجائر المنفّر لمشتت للجماعة لا يصعد خطيباً بالأمة كلها على المنبر، على هذا نحيا، وعليه نموت إن شاء الله»، ثم قال يصف

مجتمعه إذ ذاك: «اللهم إني أبرأ إليك مما فعل أهل عصري وقطري بدينك، عالمهم مداهن، ومرابطهم كاهن، وسلطانهم فاجر أو كافر ودليلهم حائر، وسبيلهم عن القصد بها جائر، فإليك الشكوى، في رفع هذه البلوى».

ثم ظهر جلياً أن البيعة كانت تعقد تحت حكم السيف قهراً وغلبة، وقد روي أن أول من هدّد باستعمال السيف لأخذ البيعة أحد الدعاة لـ: يزيد بن معاوية، وذلك أنه عندما جمع معاوية أهل الحل والعقد لمبايعة يزيد قام من جملة الخطباء الذين أشادوا بفضائله يزيد ابن المقفع، وألقى خطاباً موجزاً، ختمه بقوله: «أمير المؤمنين هذا» - وأشار إلى معاوية - : «فإن هلك فهذا - وأشار إلى يزيد - ومن أبى فهذا» - وأشار إلى السيف -.

ولنختتم هذا البحث بما استحالته إليه البيعة والشورى في عهدنا الأخير:

لما ابتليت بلاد المغرب العربي باحتلال بعض أجزائها وحماية الأجزاء الأخرى، وكانت بلاد (المغرب الأقصى) هي البلد الوحيد الذي احتفظ بالنظام الملكي، فثبت أنه رغم ما كان ينشر ويذاع من أن مجلس علماء البلاد وأعيانها، وذوي الحل والعقد من نخبتها، رشّحوا الملك الفلاني، وحرّروا عقد البيعة بعد التشاور، وأمروا بتلاوتها على منابر المساجد، ومحلات التجمّعات، فإنّ اختيار الملك كان يقع سرّاً في الإقامة العامّة، وهي التي تستشير بدورها الوزارة الخارجيّة، وبعد الموافقة يؤمر العلماء والأعيان وأصحاب الحلّ والعقد بالاجتماع وتحرير عقد البيعة أو إمضائه، ثمّ يتولّون نشره وإذاعته على الطّريقة المألوفة، وكدليل على هذا ما كتبه رئيس الجمهورية الفرنسية السّابق (Poincaré)، الذي ذكر في تأليفه الشّبيه بـ (المذكّرات)، المسمّى: (إثر أحداث أفادير)، ذكر في سياق حديثه عن (المغرب) قبل الحماية وبعدها، عندما كان رئيس الوزارة الفرنسية، كيف أمكن للمقيم العام (الجنرال ليوطي)، بعد إبرام معاهدة الحماية

مع الملك عبد الحفيظ سنة 1912م اختيار من هو أليين عريكة، ومحل ثقة الفرنسيين، فوقع اختياره على (مولاي يوسف)، وأمكنه أن يحصل على تحلي (الملك عبد الحفيظ) بدلا من جراية سنوية، قدرها ستون وثلاثمائة ألف فرنك، وقد خلع الرئيس (Poincaré) على (الجنرال ليوطي) لقباً جديداً، وهو: (صانع الملوك)، وكان (المغرب) إذ ذاك لم تتغير وضعيته التي وصفها ابن أبي محلي في عهده، وهو يصف كثرة المتوئبة للملك قال: «وكل من تغلب على جهة قليلة منهم إنما يبايعه من لا بال له، أو مكره على بيعته خوفاً من ظلمه فسابت الأمة، وعمت البلبلة والغمة».

ولهذا كله إن ظهرت كتب مثل: (الإسلام ونظام الحكم) لـ: علي عبد الرزاق، ذلك الكتاب الذي أحدث هزة عنيفة إثر سقوط الخلافة العثمانية، وحكم بإحراقه، وصدور، وجرّد مؤلفه من إجازاته الأزهرية، هناك ما يبرره.

تقديم  
 ومبدأ

ان بحثنا في هذه الندوة، سيشمل البيعة والشورى  
 وتطورهما عبر التاريخ  
 وحيث ان البيعة والشورى، هما من دعائم الخلافة  
 الاسلامية، فاننا سأتناول بالبحث الخلافة بلغة  
 عميقة، ثم تطورهما عبر التاريخ، وما آلت اليه  
 في العهد الأخير عهد الأنظمة، والتدهور  
 وتفكك ما تبقى من أوصالها  
 ولما كانت وجهات النظر ائمة الاسلام  
 تختلف في هذه القضية الهامة في الاسلام،  
 ركزت القسم الأخير الذي عنت له هذه الدراسة،  
 على مواقف بعض ائمة المذهب المالكي ببلاغة  
 المعنى الاقل كمنهج، اذ بقية بلاغ المعتز العربي  
 لا يجزئهم تونس وليبيا، كانت منلووية ثم حكم الخلافة  
 العثمانية. كما انك للغة مجال البحث. ذكرت المراجع  
 في دراسة موسعة ستعشر في مجلة الاحالة

صورة عن الصفحة الأولى من النسخة المعتمدة





## آثار التبشير المسيحي في الجزائر قبل الاحتلال الفرنسي وبعده<sup>(1)</sup>

القسم الأول:

كانت جل الوثائق التاريخية تثبت أن انتشار المسيحية في إفريقيا الشمالية كان ابتداءً من أواخر القرن الثاني المسيحي، وبالضبط سنة 180 م، ومن جملة أصحاب هذا الرأي الراهب الإفريقي الشهير سانت أوغستين (st. Augustin) قال يصف مدينة قرطاج التي تخرّج من مدارسها: «كانت قرطاج مدينة كبيرة مشهورة، إن قسيسها اتصلوا بكنيسة روما وغيرها من الكنائس التي انطلقت منها تعاليم الإنجيل لإفريقيا».

والحقيقة التي وصل إليها الباحثون الاختصاصيون في تاريخ الكنيسة أن التعاليم المسيحية التي وردت إلى قرطاج كان منبعها مدينة طير (Tyr) عاصمة فينيقيا التي كانت قرطاج تابعة لها، وطير هذه هي مدينة صور بלבنا.

وبعد اتصال قرطاج بروما أخذت منها نظامها اللاهوتي، كانت كنيسة قرطاج في عهد سانت أوغستين (St. Augustin) أي: في القرن الرابع تشرف على ست أسقفيات تشمل 700 راهب.

---

(1) ملتقى الفكر الإسلامي، الملتقى السابع، تيزي وزو، 1393هـ/1973م، ج/3، ص: 1321 - 1353، أما التعقيبات وردُّ الشَّيخ المهدي عليها فقد اخترنا مجموعةً منها، وهي ضمن الجزء الثالث (ص: 1357 - 1394)، كما اعتمدنا أيضاً في نشرها على نسخة خطية تقع في (43 ص). (ع)

## ظهور الحروب الصليبية:

كانت بداية العلاقات بين القدس والعالم المسيحي بعد الفتوحات الإسلامية في عهد الخليفة العباسي هارون الرشيد، ففي عهده وقعت معاهدة تجارية بين بغداد وفرنسا التي كان على رأسها إذاك الإمبراطور شارلمان (Charlemagne) وذلك سنة 181.

وقد نتجت عن هذه العلاقات التجارية صداقة شخصية بين الملكين، إذ أثبتت الوثائق التاريخية الفرنسية أن هارون الرشيد أكد هذه الصداقة بتصريحه الذي قال فيه: «إنني أفضل صداقة شارلمان على صداقة جميع ملوك وأمراء الدنيا».

كما كان من نتائج هذه الصداقة اعتراف هارون الرشيد للملك شارلمان بالحق في رعاية المؤسسات المسيحية بالقدس وبقية البلاد التابعة للخلافة الإسلامية، ك: سوريا، وفلسطين، ومصر، وقرطاج، وذلك سنة 192هـ.

تجلت هذه الرعاية في الإعانات التي كانت ترد على بطريركية القدس من طرف الملك شارلمان لترميم الكنائس وتجديدها، ومنها بناء مستشفى في مدينة القدس وحماية (كنيسة القيامة) التي بنتها هيلانة أم الإمبراطور قسطنطين إلى أن دمرها الخليفة الحاكم بأمر الله الفاطمي، وألغى هذه الحماية سنة 400 هجرية.

وقد استحوطت هذه الصداقة مع الزمان إلى عداوة شديدة، حيث إن أول حرب صليبية سجلها التاريخ، انطلقت شرارتها من فرنسا سنة 490هـ، وذلك أن البابا (pape) الذي أفتى بوجوبها ودعا إليها في إيربان (Urbain) الفرنسي، والراهب الذي قام بتنفيذ خطتها هو بيير لرميت الفرنسي (Pierre l'Ermite)، وجل المشاركين فيها ودعاتها فرنسيون.

وهذه الحروب وإن اكتست الصبغة الدينية وهي أخذ الثأر من المسلمين الذين

دَسَّسوا منزل الوحي و(قبر المسيح) وما إلى ذلك، فالداعي الحقيقي الذي اهتدى إليه واكتشفه كثير من الباحثين، وفي طليعتهم الباحثون الفرنسيون، كان ماديا محضاً لا يسع المقام للتحديث عنه، وإنما نكتفي بما قاله البابا إيربان (Urbain) المذكور، في مؤتمر مسيحي عقده بمدينة كلرمون (Clermont) بفرنسا وحضره زيادة على الرهبان الكثير من الأرسقراطيين الفرنسيين الذين كانوا يشكون الأزمة الاقتصادية خاطبهم بقوله: «إنكم تسكنون أرضاً سدت أبوابها عليكم من جميع الجهات برا وبحرا، وقد ضاقت عليكم بما رحبت، هذا الضيق هو سبب انتشار التحاسد والإحْن، والفتن بينكم فأجيبوا داعي دينكم، واذهبوا إلى القدس تفرج عنكم الأزمة».

لم تكن الأزمة الاقتصادية نصيب فرنسا وحدها، بل كانت كثير من دول أوروبا تشكو من أثرها، خصوصا إيطاليا التي كانت معظم مراكزها التجارية مهددة بالإفلاس بسبب مضايقة الخلافة العثمانية لها، كما أن هناك أسبابا أخرى لا يسع مجال هذه المحاضرة المحدود لتتبعها، إذ لم أقصد التعرض لتاريخ الحروب الصليبية التي حظيت بمئات التأليف، وموضوع دراستي هذه، كما يدلُّ عليه عنوانها: (آثار التبشير المسيحي في الجزائر قبل الاحتلال الفرنسي وبعده)، وإنما رأيت أن أمهد لهذه الدراسة بمدخل أتعرض فيه لجوانب من نشأة التبشير المسيحي الذي تقمص في أول ظهوره الصبغة الدينية، وكانت بلاد القدس والشرق الإسلامي مسرحا لغزوه، وسأتعرض لها بإيجاز.

كانت الحرب الأولى التي شنها الفرنسيون سنة 489هـ، وتبعتها سبعة حروب أخرى كانت نهايتها سنة 669هـ، كان القدس عندما مني بالحروب الصليبية، تحت حكم المسلمين وذلك ابتداءً من فتحه على يد الخليفة عمر بن الخطاب قبل سنة عشرين هجرية، إلى أواخر العهد العثماني الذين لحق الضعف دولتهم في أواخر عهدها، وفي

تلك الفترة لفظت الدولة الفاطمية أنفاسها وخلفها الأيوبيون، وكان لهذا الضعف وللفترة الانتقالية من الدولة الفاطمية إلى الدولة الأيوبية تأثير في نجاح الحملة الصليبية الأولى التي سقطت فيها أنطاكية والقدس وغيرهما، امتازت الحملة الأولى بالإقبال عليها من كل جانب في جو من الحماس لا نظير له، وبعد ما رد الهجوم الأول وخفت وطأته، تلتها حرب ثانية دعا إليها القديس سان بيرنار (St. Bernard)، والملك الفرنسي لويس السابع وغيرهما، كلفت هذه الحرب الثانية المغيرين خسائر جسيمة في الأنفس والأموال، ثم انتهت بالفشل وخيبة الأمل وذلك ما بين 542 و544هـ، وهنا تدخل صلاح الدين الأيوبي (رضي الله عنه وأرضاه) فاسترد بيت المقدس (أعاد الله للمسلمين)، ولم يبق للصليبيين إلا مدن صور وأنطاكية وطرابلس، ثم تدخل ملوك أوروبا لإعلان الحرب الثالثة وهم: (Philippe Auguste) ملك فرنسا، وفريديريك الأول (Frédéric 1er Barberousse) ملك ألمانيا، ورشارد قلب الأسد (ملك انكلترا)، وكانت ما بين سنوات 585 و588هـ.

ورغم ما أعدوه لها من العتاد ووفرة الجيش خسر المغيرون فلسطين، وابتداءً من هذه الحرب الثالثة فقد إقبال المتطوعين من طبقات الشعب، وبالخصوص حماسهم، وإن استمرت قرناً كاملاً، ثم ظهر للتجار أن الصلح مع المسلمين - كيفما كانت شروطه - أجدى وأنفع لهم من مواصلة الحرب. ثم وقعت الحرب الرابعة بين سنوات 599 و601هـ.

أشرف عليها البابا إينوسان الثالث (innocent) بواسطة وإعانة الراهب فولك (Foulque) قسيس مدينة نوي (Neuilly)، وكان أكثر جنود هذه الحرب من الإيطاليين والفرنسيين، ثم وقع خلاف وتعاضت الأهواء والمطامع فأبطلها البابا الذي كان المتسبب فيها.

ثم وقعت الحرب الخامسة بين سنوات 614 و619هـ، وكان هدفها مصر لتتخذ مطية إلى فلسطين فخابت، ثم كانت الحرب السادسة بين سنتي 626 و627هـ، قادها ملك ألمانيا فريديريك الثاني، ألدُّ أعداء البابا، وقد احتلَّ القدس صلحا وغادره في ظروف مريبة.

إن هاتين الغزوتين: الخامسة والسادسة، امتازتا بتجردهما من الصبغة الصليبية، وظهرتا بمظهرهما الحقيقي، حيث كان المتسبب فيها ملك فرنسا لويس التاسع المشهور ب: سان لوي (St. Louis)، وكان يتمتع بالسمعة الطيبة والإخلاص للمسيحية، إلا أنه بلغ من ضعف الإدارة ما حقق تهم المؤرخين الموجهة إليه عندما هاجم تونس ولقي فيها حتفه، وبينوا أن الداعي إلى تحويل سان لوي إلى الحروب من المشرق إلى تونس غرض مادي، وكان في طليعة هؤلاء المؤرخين ابن خلدون الذي وضع القضية ببيان مسهب.

والحرب السابعة كانت بين سنتي 646 و647هـ، قام بها ملك فرنسا لويس التاسع المذكور وقصد مصر، فأسره المماليك، وقد خصّصت بتأليف عديدة.

والحرب الثامنة والأخيرة ترأسها أيضا الملك لويس التاسع المذكور وقصد تونس، ولقي فيها حتفه ولا زال ضريحه مزار المسيحيين بقرطاج وذلك سنة 669هـ، وهذه الحرب التي شارك في ردِّ عدوانها الجيش الجزائري، وكان لمشاركته أثر له وزنه ستتعرض له بمزيد من التفصيل في موضعه، هذه هي الحروب الصليبية الثمانية ذكرناها باختصار.

### الدين المسيحي في الجزائر:

انتشرت المسيحية بالجزائر في أواخر القرن الثاني المسيحي في عهد قرطاج، وامتازت

الكنيسة الإفريقية بفضائل أعلام وضعوا بصمات أصابعهم - على حد تعبير المعاصرين - في تاريخ المسيحية العالمية، ولا زالت الكنيسة تشيد بأسمائهم اللامعة وآثارهم وتفتخر بهم، ومن هؤلاء ترتوليان (Tertulien) المتوفى سنة 240م، وسيبريان المتوفى سنة 258م، وهما إفريقيان، وفي عهد سيبريان ضاهت كنيسة قرطاج روما وبلغت درجتها، ويعدُّه المسيحيون من ضحايا العقيدة والمبدأ، إذ لما حكم عليه إمبراطور روما فلريان (Valerien) بالإعدام، ومكته أنصاره من الفرار من السِّجن، امتنع وبقي في سجنه إلى أن نفذ عليه الحكم، ثمَّ ظهر أحد العباقرة الذين سجلهم التاريخ في قائمة أعلام الفكر البشري وهو القديس أوغستين (st. Augustin) البربري الجزائري المولود بـ : ثقاست (مدينة سوق أهراس الحالية) بالشرق الجزائري، وصل هذا القديس إلى القمة التي انتهت إليها الحياة الفكرية في إفريقيا المسيحية، وبعد تلقيه معلوماته الأولى بمسقط رأسه وبقادور (مداورش الحالية) القريبة من سوق أهراس ارتحل إلى قرطاج فتعلم بها اللاتينية والفينيقية وقد خلف ما يزيد على المائتي تأليف جلها باللاتينية، وقد ظلَّت هذه التأليف المصدر الوحيد للتدريس في جامعات القرون الوسطى بأوروبا إلى ما بعد عصر النهضة، وقد أطلق على عصره في تاريخ المسيحية والآداب اللاتينية: (العصر الأفوسطيني)، ومن أهمِّ تأليفه وأشهرها: (الاعترافات)، و(مدينة الله)، و(التوفيق بين الأفلاطونية والنصرانية)، أو(بين العقل والإيمان)، كما عدَّ بأنه واضع علم التَّصوُّف الذي استقت منه التعاليم المسيحية، وتأثَّرت بجوانب منه الصُّوفية العالمية، وظلَّت الحياة الفكرية المسيحية متأثرة بشخصيته وبآثاره إلى يومنا هذا.

ولهذا كلها كان المسيحيون على اختلاف مذاهبهم وأجناسهم يرون أن الفتوحات الإسلامية خصوصا ببلاد إفريقية جناية عظيمة لا تغتفر، إذ هي التي تسببت في قطع صلة سكان إفريقيا المسيحية بكنيسة روما العالمية، ويرون من نتائج هذا الانقطاع

تعطيل المدينة الإفريقية، وهذا من أعظم المناكر في نظر المتقدمين منهم والمتأخرين.

وإذا تتبّعنا ما كتبه وصرّح به رؤساء الكنيسة العالميون على اختلاف مللهم قبل الحروب الصليبية وبعدها، وقارنّا بين قديمها وحديثها، نجدّها متشابهة متواصلة، وما دام حديثنا عن المسيحية في الجزائر، نذكر ما قاله في الموضوع أحد كبار رؤساء الكنيسة، ملخصاً لنظرية الكنيسة لبلاد إفريقية في خطابٍ تنصّيه أسقفاً بالجزائر سنة 1867، وهو رغم الفارق الزمني لم يفقد جدّته، قال: «ما هو تاريخ إفريقيا الشمالية، أسألوا عنه الآثار التي تملأ أرضكم تجدونها آثار ثلاث دولٍ أو أجناس، وهي بقايا حضارات ماجدة مختلفة»، وبعدها خصّ بالذكر قرطاج وهيبون (عنابة)، وعدّة شخصيات، منهم: سيبون، وحنبل، وماريوس، وكاطون، ويوغرطة، وسيزار، أجاب عن سؤاله المطروح بقوله: «أما نحن المسيحيين، فإنّ التاريخ الذي يهْمُنّا من إفريقيا، هو تاريخ الكنيسة الإفريقية ذات السبعمئة قسيس، وكنائسهم المنتشرة طول البلاد وعرضها، وديورهم وأضرحتهم وعلمائهم، حيث كانت أرضها تتبخّر بدماء ضحايا العقيدة»، وبعدها أشاد برؤساء الكنيسة الأقدمين، ك: سيريان، وأوغستين، تعرّض لتاريخ البلاد بعد سقوط روما، وتحدّث عما لاقته بعد احتلال الوندال من تخريب وتدمير وتقتيل، ثم قال: «وبعد أن تحلّص المسيحيون من ذلك الشعب الذي لا زال اسمه في التاريخ يرادف اسم الوحشية والهمجية عند جميع الأمم، ولم يمر على كارثته قرن واحد حتى اكتسحت إفريقيا فرق المتعصّبين المتوحّشين من جزيرة العرب أصحاب دين الحسبة، عبيد الشّهوات واللذائذ، فلم يتركوا للأمم المغلوبة إلا الخيار بين الدخول في دينهم أو القتل».

لم تنفرد الكنيسة ورؤساؤها بهذا الرأي بمناسبة العيد المئوي لاحتلال الجزائر وكتبه في العدد الخاص الذي أصدرته المجلة المصورة البريزية (l'illustration)، قال فيه: «إن

علماء الآثار نبشوا أرض إفريقيا من حدود ليبيا إلى المغرب، ووجدوا أن كنيسة إفريقيا ليست مجموعة علوم لاهوتية، وليست مجلدات ضخمة توضع في رفوف الخزائن، فإنها بلاد عظيمة مملوءة بالكنائس والديور والمعابد والأضرحة المسيحية الأولى، إنها تعمر فراغا وتحتوي على آثار مسيحية تفوق بكثير الآثار المسيحية الموجودة في إيطاليا وروما عاصمة المسيحية العالمية وقلبها النابض، إن هذه الآثار كانت بهذه البلاد قبل وجود الإسلام وظهوره، وهي تشهد لنا وتثبت حقاً بأننا المحتلون الأولون، وإن هذه الآثار هي لأساتذتنا في الحضارة، وهم الذين حكموا هذه البلاد ونحن ورثتهم، ولقائل أن يقول: إن كلامي هذا لربما يتخذ حجة بعض جيراننا - يقصد الإيطاليين - فيقولون نحن أحق منكم بوراثنة الإمبراطورية الرومانية، وما علينا إلا أن نجيبهم بأن الحضارة الرومانية والديانة المسيحية لم تكونا خاصيتين بمدينة أو أمة، فإنها كانتا ب: دمشق كما كانتا ب: الأستانة، وهما في طنجة كما هما في كولونيا، والحاصل أن كل رجل حر متمدن كان رومانيا، وكان قياصرة روما ينتمون إلى إسبانيا وإفريقيا وسورية وألمانيا وفرنسا، إذ كانت الإمبراطورية الرومانية نصير القوى الذي يملك إمكانيات الغلبة، ونحن لم ينزل علينا القطر الجزائري من السماء، كما لم نملكه بطرق التمويه أو الخداع، بل نملكه بقوة سيوفنا، وهذه بضاعتنا وبضاعة آبائنا وأجدادنا ردت إلينا وهي ما نفتخر بها».

هذا هو المنطق الذي كان يستعمله أساطين الكنيسة الإفريقية وأنصارهم إثر الحروب الصليبية، وهو نفس المنطق الذي رده أحفادهم بعد احتلال الجزائر، والفرق الوحيد، هو أنه عندما فاه به لافييجري ثم لوي برتران عضو الأكاديمية الفرنسية بباريس، كانت الجزائر تحت حكم الفرنسيين يتصرفون فيها كما يشاؤون.

وفي الحقيقة كانت الكنيسة المسيحية المتصرفة في شؤون البلاد بواسطة مجمع شيوخ البلديات (الحاكمين بأمرهم)، وأعضاء النيابة المالية والبرلمانيين مما هو معروف، وإذا



تتبعنا ما كتبه وصرح به أساطين الكنيسة، وما أفرغوه من الشتائم في حق الديانة الإسلامية ورجالها ورسولها، احتاج ذلك إلى تأليف، فلنكتف بهذه العينات أو النماذج.

### الجزائر والتبشير المسيحي عبر التاريخ:

كان بداية اتصال الجزائر بالتبشير المسيحي أو الحروب الصليبية هو ما ذكرناه في أول هذه المحاضرة عند الحديث عن الحروب الصليبية الأولى.

بعد انتقال رحاها من المشرق إلى تونس وحصار ملك فرنسا سان لوي التاسع لتونس، فحينئذ استنجد ملك تونس المستنصر بالله الحفصي بصهره محمد بن عبد القوي الجزائري (أمير ونشريس)، فأجاب ندائه وجهز جيشا من نخبة الفرسان من القبائل الصغرى والكبرى، قال ابن خلدون في الموضوع الذي خصص له عدة صفحات، نقل منه الفقرات المتعلقة بمساهمة الجزائر في رد عدوان الملك المذكور، قال: «وبعث السلطان - أي: المستنصر بالله الحفصي - في ممالكة حاشدا، فوافته الأمداد من كل ناحية، ووصل أبو هلال صاحب بجاية، وجاءت جموع العرب، وسد، ويكش، وولهاصة، وهوارة، حتى أمده ملوك المغرب من زناتة، وسرح إليه محمد بن عبد القوي عسكر بني توجين لنظر ابنه زيان ...»، إلى أن قال بعد ذكره للمعارك والأحداث التي سبقت عقد المهادنة الذي استحال إلى صلح، قال: «وبعث مشيخة الفقهاء لعقد الصلح في ربيع الأول سنة تسع وستين فتولّى عقده وكتبه القاضي ابن زيتون لخمسة عشر عاما وحضر أبو الحسن علي بن عمرو، وأحمد ابن الغماز، وزيان بن محمد بن عبد القوي (أمير بني توجين)».

وكان سبب حضور زيان الأمير الجزائري في إبرام هذا الصلح، دون غيره من بقية الأمراء، لما امتاز به جيشه في المعارك الحاسمة التي وقعت قبل الصلح، وألزمت المغيرين بالمفاوضة.

كانت مساهمة الجزائر في هذه الحرب الصليبية - وهي مساهمتها الأولى - تلقائية، ثم شاءت الأقدار، بعد سقوط مملكة غرناطة في أواخر القرن التاسع، أن استأنفت الحروب الصليبية، وانتقلت رحاها من المشرق إلى المغرب، وهاجمت إسبانيا التي كانت تتبنى هذه الحروب باتفاق وإذن البابا، هاجمت مدن شواطئ المغرب الأقصى ثم الجزائر ف: تونس وليبيا مما هو معلوم في تاريخ البلاد. وقد اكتسى المهجوم على وهران صبغة مسيحية صرفة، فإن رئيس أعظم كنيسة في إسبانيا وهو الكردينال كسمنيس أسقف مدينة طليطلة هو الذي تولى تجهيز هذه الحرب، وتمويلها وقيادتها كقائد عسكري برتبة جنرال خلعها عليه ملك إسبانيا لهذه الغاية.

ولما دخل وهران منتصرا ارتدى لباسه الرسمي الديني، وكان أول عمل قام به، هو تحويل مساجد وهران إلى كنائس، قبل أن يأذن بنقل جثث القتلى التي امتلأت بها شوارع وهران، وقد رأينا مواصلة هذه الحرب الصليبية وأثرها بتونس التي احتلها الإمبراطور شارلكان، وأدخل خيله لجامع الزيتونة، ومزق كتب خزائنها، وإن المؤرخين مسلمين وأجانب مجمعون على أن المدن الإسلامية التي ابتليت بالاحتلال الإسباني خربت مساجدها ومعالمها ومزقت كتبها أو أحرقت في الساحات العمومية، ولا يمكننا التوسع في الموضوع أكثر من هذا.

كانت لهذه الحروب الصليبية التي أعقبها تداخل الأتراك في الميدان، وتوحيد الدولة الجزائرية المرتبطة بالخلافة العثمانية، ثم تمتين أسس هذه الدولة التي لعبت أدوارا في التاريخ العالمي، وأمكنها أن تهيمن ثلاثة قرون على البحر الأبيض المتوسط، وتلزم جميع دول أوروبا وأمريكا بدفع جزية تضمن حرية اجتياز بواخرها فيه، وبلغ عدد الأسرى المسيحيين المنتمين إلى إسبانيا وحلفائها عشرات الآلاف كانت تضيق بهم محتشدات الجزائر، فعندئذ فكرت الدولة المعنية بالأمر إرسال مئات المنظمات التبشيرية من مختلف الأجناس والمذاهب المسيحية التبشيرية إلى عاصمة الجزائر.

## ظهور إرساليات المبشرين المسيحيين في الجزائر:

ظهرت فرق تبشيرية لم تخف مبادئها ولا غايتها، منها: إرسالية (الثالوث الأقدس) (la sainte trinité) التي أسَّسها الفرنسيان جان دوماطا (jean de matha)، وفيليكس لوفالوا (Félix le Valois) سنة 1194، واشتهر أتباعها باسم: ترينيتار (Trinitaires)، ثم إرسالية (notre dame de la merci) التي أسَّسها بيير نولاصك الفرنسي ( pierre nolasque)، وهناك منظمات أخرى تعد بالعشرات كالكابسان، والفرنسيكان والزاريت والردميتور، (Lazariste , franciscain calcapucins , rédempteurs).

ولم يقتصر نشاط هذه المؤسسات في ميدان الاهتمام بالأسرى المسيحيين في غربتهم، بل كان الكثير منهم تابعا للمؤسسات التي تكونت لتنصير المسلمين، وإقناعهم بأن دين الحق هو دين المسيح لا الإسلام، وتفرض على دعائها الذهاب إلى بلاد المسلمين، وإقناع السكان بالحجج والبراهين ليتنصروا، وأكثر مسيري هذه المنظمات ومؤسسيها كانوا ينتمون إلى منظمة الملك الفرنسي سان لوي الذي كان بدوره ينتمي إلى منطقة الملك النورمندي روجي (Roger) ملك صقلية الذي اتخذ سان لوي - الذي لقي حتفه بتونس - مثلاً أعلى، ظهر من أفراد هذه الطبقة ريمون لول الميورقي (Raymond Lulle)، وهو من أشهر علماء زمانه ومفكره.

قام في أول مرّة بالدعوة إلى استئناف الحروب الصليبية، واتصل بملوك أوروبا وبيابا روما بونيفاص الثامن (Boniface) فوافقوه على رأيه، وجمع أموالاً طائلة من أغنياء أوروبا لهذه الحرب في انتظار اندلاعها، عقد جولة ليمهّد لها السبيل، وعندما قصد مدينة بجاية خاطب الجماهير في إحدى ساحاتها، ثمّ غرز صليبيه، فما كان جوابهم إلا أن انهالوا بالضرب عليه حتى أردّوه قتيلاً، وقيل إنه نقله التجار الإيطاليون المرابطون هناك ومات بعد هذه الواقعة في بلاده، كانت هذه الواقعة سنة 713هـ / 1314م.

## معاملة سَكَّان الجزائر للمسيحيين وتسامحهم المثالي:

بقيت كثير من الجاليات المسيحية بعد الفتح الإسلامي للجزائر، خلاف ما ادَّعاه كثير من كَتَّاب الكنيسة الذين ذهبوا إلى أن المسلمين الفاتحين جعلوا المسيحيين بعد الفتح أمام أمرين لا ثالث لهما، وهما:  
إما الدخول في الإسلام أو القتل، مثلما ذكر الكاردينال لافيغري في خطابه الرسمي، وذكرنا نبذةً منه.

وإنني أقتصر على ما قاله في الموضوع مؤرِّخ فرنسي مشهور بأفكاره الاستعمارية اليمينية، ولكنه خبير في تاريخ الشمال الإفريقي، وهذا المؤرِّخ هو العالم الأثري جورج مارسي عميد كلية الآداب بالجزائر سابقاً في تأليفه: (بلاد البربر الإسلامية) ( La Berberie Musulmane)، قال: «إن دخول البربر في الإسلام يثير مشكلة تاريخية لا نأمل في وجود حلٍّ لها، إن هذه البلاد كانت من البلدان التي انتشر فيها الدين المسيحي من قديم، ويشهد لهذا ما صرَّح به ترتوليان (Tertullien) الإفريقي في آخر القرن الثاني المسيحي حيث قال: إنا نحن الأكثرية في كل بلدة، ثم قال: إن اعتناق سَكَّان البربر للإسلام بسُرعة مُدهشة في أقلِّ من قرن حيرَّ الباحثين، وأدَّاهم إلى التساؤل عن هذه الظاهرة الخاصَّة بإفريقيا، خلافاً لما وقع في بقية البلاد التي فتحها المسلمون في المشرق مثلاً، فقد بقيت في المشرق أقليات من المسيحيين يتمتَّعون بحرية تامة، ك: اللبنانيين مثلاً في بلاد الشام، والأقباط في مصر، وإن وجدنا المسيحيين ذابوا في إفريقيا ولم يبق لأغليبتهم أثر، فاليهود الإسرائيليون بقوا محافظين على دينهم وتقاليدهم طيلة هذه القرون».

ثم يذكر المؤلف مارسي أن الوندال لما اكتسحوا البلاد المغربية سنة 429م، قضوا على الكنيسة المسيحية، حتى إنه عندما انعقد مؤتمر قرطاج سنة 525م، لم يحضره من

المسيحيين إلا بعض سكّان نواحي هيون (عنابة)، وعندما استولى البيزنطيون على البلاد، واسترجعت الكنيسة المسيحية ثقتها وحرّيتها، دبّ الخلاف في صفوفها بعد تولية الملك جوستينيان (Justinien) وقطع الصّلة بينه وبين والي قرطاج، واشتدّ التّطاحن بين المذاهب، حتى صار يضربُ به المثل - وهو الخلاف البيزنطي - ففقدت الكنيسةُ ثقةَ الجماهير الذين كان اعتناق جلهم - أي: البرابر - للمسيحية صورياً من أول مرّة، ثم يختم حديثه بقوله: «إن الإسلام كان صريحاً في معاملته لأهل الكتاب، فإنه كان يخيّرهم بين دفع الجزية والدخول في الإسلام، والتاريخ يثبت أن المسلمين لم يكن لديهم ميل قوي إلى إدخال النصارى وغيرهم في الإسلام داخل البلاد المحتلّة، بل كانوا يفضّلون أخذ الجزية والخراج منهم، ثمّ إن إقامة عدد كبير من المسيحيين واليهود وتمتعهم بالحرية الدّينية في البلاد الإسلامية، ك: تجار وجنود وصنّاع، دليل على ذلك» انتهى كلام جورج مارسي.

ومما يؤيّد ما قاله جورج مارسي ما نقله عن تاريخ الكنيسة المؤرخ الفرنسي شارل فيرو في تأليفه: (تاريخ بجاية)، قال: «في عهد البابا قريقوار السابع (7 Grégoire) - أي: في أواخر القرن الخامس الهجري - كانت مدينة قرطاج وعنابة تحتفظان بأسقفيتيهما، وعندما فقدت عنابة أسقفها سنة 469هـ في عهد الملك الناصر الحمادي (مؤسس مدينة بجاية)، أمر البابا قريقوار المذكور أسقف قرطاج بترشيح أسقف عنابة، فاختار لذلك الراهب سيرفان (Servant) فوافقه ملك بجاية الناصر على اختياره، وعندما تأهب الراهب سيرفان للسّفر إلى روما، أرسل معه الملك رسائل وهدايا إلى البابا قريقوار السابع، ومن جملة هذه الهدايا افتداء جميع الأسرى المسيحيين الموجودين بمملكة بجاية بهاله الخاص، وكان عددهم كثيراً، فأثّرت هذه الأريحية في البابا، وأقيمت الأفراح لهذه البشارة ب: روما، ولما رجع الراهب سيرفان إلى مهامّه حمّله البابا رسالةً إلى الملك الناصر، وذلك سنة 470هـ، وكانت هذه الرّسالة الأولى من نوعها في وثائق الكنيسة،

إذ لم يعهد كتابة رسالة من نوعها حتى للملوك المسيحيين فضلا عن ملك مسلم، وفي مضمون هذه الرسالة سجّل المؤرّخون عبارات لم يسبق أن صرّح بها مسيحي له مكانته ومسؤوليته في صفوف الكنيسة، ومن هذه العبارات قوله: «إن المسيحيين والمسلمين يعبدون إلهًا واحداً، وفي كلِّ يوم يحمّدون ويقدّسون خالق السماوات والأرض»، ومن جملة ما قاله البابا في هذه الرسالة قوله: «إن أعيان سكان مدينة روما بلغهم بواسطتي قيامكم بأسمى واجب إنساني ألهمكم الله إليه، فهم يقدرّون هذه الأريحية السامية، وقد كان من بينهم اثنان - ذكرهما باسميهما - يريدان التشرّف بمعرفتكم، ويلتزمان بالقيام في روما برعاية مصالحكم، وإنهما أرسلتا لكم رجالاً من طرفيهما ليبرهنّا لكم على ما يكفّنه لكم من الودّ والإحترام، ويتشرّفان بخدمتكم»، ثم يختم البابا رسالته بالدعاء لطول حياة الملك وسعادته في الدارين.

وعلاوة على هذه العلائق نجد وجود كنيسة مسيحية بعاصمة قلعة بني حماد، كانت تسمّى: كنيسة مريم العذراء، وكان موقعها بالحلي الرئيسي في البلاد، قرب القصر الملكي، وبقرها مسكن الأسقف ومقبرة، وذلك سنة 512هـ/ 1118م.

كما نجد آثار هذا التسامح الديني ببلاد الجزائر في أخرج أوقات الصّراع والحروب بين الجزائريين ودول أوروبا، وهجومات أساطيل أوروبا البحرية المتتابعة على عاصمة الجزائر، نجد التسامح يظهر جلياً ويسجّله المؤرّخون الأجانب، ومنهم رؤساء الإرساليات التبشيرية أنفسهم، فقد سجّلوه ضمن مذكراتهم وتقاريرهم لرؤساء بعثاتهم، يذكر الراهب جول ترني (Jules Tournier) في تأليفه: (الكنيسة الإفريقية الجديدة أو الإحتلال الديني للجزائر من سنة 1830 إلى سنة 1845)، الذي قدّمه الكاردينال بودريار (Baudriart) (عضو الأكاديمية الفرنسية)، قال فيه بعد أن ذكر محتشدات الأسرى المسيحيين في الجزائر وجهود الإرساليات التبشيرية: «إنه كان في

عاصمة الجزائر خمس كنائس خاصّة بالأسرى، واحدة في محتشد الملك - أي: الباشا - واثنتان في محتشد علي بتشين، والرابعة بقنصلية فرنسا، والخامسة ببناية أسقفية الجزائر، وكانت هذه الكنائس كلّها تزَيّن بشتّى أنواع زينة الكنائس، وتضاء ليالي الاحتفالات والمواسم بمئات القناديل المختلفة الألوان».

ثم قال المؤلّف: «عندما تقام الاحتفالات الدّينية بهذه الكنائس يدخل رهبان الإرساليات إلى محتشّات الأسرى ليالي الاحتفال ليتمكّنوهم من إقامة الصلوات في الصباح الباكر، وفي أزمنة الوباء يقيم هؤلاء الرهبان باستمرار في المحتشّات ليعالجوا الأسرى ويلقّنوهم الشّهادة عند الموت».

ثم نقل المؤلّف ما ذكره الراهب الأب برناردو منتروا ( le Pere Bernard de montroy) سنة 1612م، وهو من أتباع إرسالية الثالوث الأقدس (Trinitaire) يصف عيد الفصح الذي قضاه مع الأسرى في محتشدهم، قال: «إنّ التجار الجزائريّين المقيمين بعاصمة الجزائر يزورون الأسرى بمحتشّاتهم، والكثير من هؤلاء التجار يقضون معهم الليل، وفي يوم العيد يُعرض القربان المقدّس في المصلّى المزَيّن بالزّرابي اللائي تبرّع بها الجزائريون أو المسيحيّون الذين أسلموا، وتوقد نحو الخمسين والمائة مصباح، كما يشارك في هذه الحفلات بالمحتشّات الأسرى الموجودون بالقرى النائية»، ثم يقول المؤلّف: «إنّ الإرساليات لم تقتصر على المستشفيات والمقابر، ففي سنة 1551 أسّس الراهب الإسباني الأب سيصطيان دابور (père sébastien Daport) بإذن من الباشا مستشفى بسيطا، استحال إلى مستشفى نال إعجاب حكّام البلاد وإعانتهم، وجعل تحت رعاية قنصلية فرنسا، وفي 1571 أذن الباشا لمرشد ولي عهد النمسا دون جوان (Don Juan D'autriche) الذي كان أسيرا بالجزائر شراء قطعة أرض اتُّخذت مقبرة للمسيحيّين بـ (باب الوادي)».

وكلُّ ما كانت تمتاز به عن المقابر أنه يمنع تشييع جناز الأُسرى بالطقوس الدِّينية خارج المقبرة، [وإنَّها] ينقلُ رفقاء الميت جثَّته، ويمكن لمن له به صلة أن يشيِّعه، وفي باب المقبرة يستقبلهم الراهب ليدفن الميت بالطقوس الدِّينية، ويؤيِّد هذا ما ذكره وكتبه كثير من الكتَّاب الأوروبِّين الذين أشادوا بالتَّسامح الدِّيني الجزائري في تلك العهود ردًّا على الإرساليات التبشيرية التي كانت تنكِّر الحقائق وتروِّج الأكاذيب والمثالب لأغراضٍ مادية وأحقادٍ عنصرية، ومن هؤلاء الكتَّاب لوجي دوطاسي ( Langier de tassy) الذي قدَّم كتاباً لمؤلِّفٍ مجهول هولندي طبع سنة 1725 ب: أمستردام، عنوانه: (تاريخ مملكة الجزائر)، تهجَّم فيه مؤلِّفه على الجزائر وعلى المسلمين، فردَّ عليه دوطاسي قائلاً: «إنَّ أحسن ما يذكره الإنسان عندما يتحدَّث عن الدِّين والمتدِّين هو التَّسامح الذي يتَّصف به المتدِّينون، وهذا التَّسامح موجودٌ في الجزائر، ويستحقُّ سكاؤها الثناء عليه، حكومة وشعباً»، ثمَّ قال: «إنَّ حكومة الجزائر لها سلوكٌ مثالي في هذا الميدان، فإنَّها تترك الحرِّيَّة التَّامة للمتدِّين السَّاكنين ببلادها، وبقدر ما يشتهر عندهم الإنسان باتباعه للدِّين يحترمون ويحُمونه»، ويتكلم دو ساسي على رهبان إرسالية المبشِّرين المعروفة ب: الافتدائيِّين (Redempteurs) المؤسَّسة في نابولي سنة 1731، فيقول: «إنَّهم هم الذين يروِّجون هذه التُّهم التي لا أساس لها، وهي إكراه الجزائر الأُسرى المسيحيِّين على اعتناق الإسلام»، ويخاطبهم بقوله: «إنَّ شهادتكم لا تقبل لتعصُّبكم، ولعدم مُراعاتكم تعاليم المسيح، حيث تضطهدون المسيحيِّين الذين ولدوا ونشؤوا على مذهب المحتجِّين (Protestants)»، ثمَّ يذكرهم بأنَّ المشهورَ عند جميع المقيمين بالجزائر من المسيحيِّين، أنَّ الجزائريِّين لا ثقةَ لهم في الأُسرى الذين يدخلون الإسلام، لأنَّ مَنْ يطلب منهم الدخول في الإسلام [إنَّها] يُقدِّم على ذلك لمنافع شخصية عاجلة، ويمكنه أن يرجع عنه بمجرد ما يطلق سراحه، ثمَّ يحمل دوطاسي على الكاثوليكِّيِّين الإسبان ويتَّهمهم بالتعصُّب المناقض لتعاليم المسيح.



لم تقتصر مواقف بعض الإرساليات على ترويح الإشاعات الكاذبة، بل كان الكثير منها يعمل للجوسسة، وللسعي في الاتّصال بالتمردّين على الحكم، وبالخصوص الباشا حسن بن خير الدين الذي قتلَ صديق والده الكونت دالكادوت (والي وهران)، وهزّمه شرّ هزيمة بـ: مستغانم، هزيمة خسرَ فيها الجيش الإسباني (19) ألف بين قتيلٍ وأسير، في معركة لم تجاوز الثلاثة أيام.

كما أن هزيمة والده الملك شارل كان التي خُتِمت باستقالته من الحكم، والانزواء بـ: دير، لما أصابه من أثر الهزيمة حتى ادّعي أنه جنّ.

كان الملك فيليب الثاني يريد الانتقام بطرق الكيد والخداع، وهذه الأسباب اتّصل بال كاتب الشّهير ميغال دو سرفانتيس الذي كان أسيرا بعاصمة الجزائر، وأطلق سراحه بفداء، ولكنّه بمجرد وصوله أتّمه بعض رفقاءه باتّصالاته المريبة مع حكّام الجزائر، لخبّر يطول ... فكلفه الملك بمهمّة يقوم بها في وهران ليحقّق غرضه، حيث كان بـ: وهران إذ ذاك ولد دالكادوت، وكان هو الآخر يسعى في الانتقام من الباشا حسن، وقد فشل دو سرفانتيس في مهمّته، إلا أنه كتب مدّة إقامته بـ: وهران مسرحية تعرّض فيها لحصار الباشا حسن وهران ثلاث مرّات، فخصّص له هذه المسرحية، وهي مهمّة جدا، إذ ذكر فيها معالم وهران والباشا حسن ورفقائه ابن القاضي (أمير جبل كوكو) بالقبائل الكبرى، والمقراني (أمير القبائل الصغرى)، وقد مثلت هذه الرواية في كثير من بلاد العالم.

بهذا القدر نكتفي عن ذكر الأحداث التي كانت في العهد الإسباني، ولم نتعرّض للتنصير الذي قام به الإسبان في مدّة ثلاثة قرون، والتي حكّموا فيها مدينة وهران، حيث كانوا يشنون الغارات ليلا على القرى ليختطفوا سكّانها، كبارا وصغارا، ولما حوصروا بـ: وهران كوّنوا عصابات من المتعاونين معهم لاختطاف الصّبيان وإرسالهم

إلى إسبانيا للتنصير، وقد تعرّض كثير من المؤرّخين لهذه الأحداث، منهم صاحب: (مهبجة الناظر في أخبار الدّاخلين تحت ولاية الإسبان من الأعراب كبنّي عامر)، وقد طبع أخيرا بتحقيق د. محمد بن عبد الكريم الزموري.

## القسم الثاني:

### التبشير المسيحي بالجزائر بعد الاحتلال الفرنسي:

اكتست الحملة الفرنسية سنة 1830 صبغة صليبية، إذ كان بابا روما يشجّعها ويؤيّدّها، وقد أرسل بالفعل إلى ممثله ب: فرنسا الماركيز دوسنت كروا ( Marquis de st croix) يأمره بأن يبلغ إلى الحكومة الفرنسية، زيادة على تأييده، أنه يتعهّد لها بتكوين جيش من المتطوّعين المسيحيّين على نفقته، وكان قائد الحملة المارشال دورومون عازما على تجنيد المنظّمات المسيحية، ومنها منظّمة فرسان مالطا، ليشاهدوا تحقيق أمنية الجندي صافنيك (savignac) الذي كان صُحبة فرقة مع جيش الإمبراطور شارلكان عند هجومه على الجزائر سنة 1541م، وحاولت فرقة فرسان مالطة اختراق الصّفوف عند باب عزون، مستعملة السّلاح الأبيض، وقد لقيت مقاومةً عنيفة ألزمتها الانسحاب والفرار، فأمكن لأحد أفرادها - وهو الجندي صافنيك - أن يغرّز علّمه وينادي بأعلى صوته: «سنعود»، وقد ردّد هذه الكلمة كثير من الكتّاب الصليبيّين، وسجّلها الفرنسيون بعد الاحتلال على حائط دار بُنيت في ذلك المحلّ.

رافق جيش الاحتلال عدّة رهبان، وأقيمت الصّلوات والدُّعاء بالنّصر داخل البحر، ثم جُدّدت بعد نزولهم بشاطئ سيدي فرج، حيث بنوا مصلى أدّوا فيه أوّل صلاة بالتراب الجزائري لإله الجيش، دعوا فيه لجميع من حاول احتلال الجزائر وإفريقيا، ك: الملكين سان لوي، ولم تمض إلاّ ثلاث سنوات على الاحتلال حتى هدمت أكثر المساجد

بدعوى توسيع الشوارع وإحداث السّاحات العمومية، وحوّلت البقية إلى مخازن تجارية أو كنائس، كما أُثمت الأحباس، وعُطلّ التعليم، وهذا ما تعرّض له كثير من المؤرّخين بتفصيلٍ وتوضيح.

وإذا راجعنا الوثائق التاريخية المعتمدة الرّسمية، مثل: الخطب، والمذكرات، ومجموعات التّقارير، لمختلف الولاة الذين كانوا كلهم عسكريين، وتداولوا الحكم بعد الاحتلال، فإذا راجعناها نجد معظم قادة الجيش البرّي والبحري متّفقين مع الكنيسة، وهدف الجميع تنصير السكّان، إلا أن الوسائل كانت تختلف.

كانت بالجزائر نيابة أسقفية من عهد الحكم التركي، وتعطلت عند انقطاع العلائق مع فرنسا سنة 1827، وفي سنة 1838 أحدثت أسقفية بقرار ملكي، وعيّن على رأسها الأسقف ديبش (antoine adolphe dupuch) باتّفاق الملك لوي فيليب وقريقوار الثامن (بابا روما).

ولا نتعرّض للسبع سنوات التي قضاها ديبش على رأس الأسقفية، فقد جمع واستعان بكثير من المنظّمات المسيحية، والكثير منها سبقت لهم الإقامة بالجزائر لافتداء الأسرى، حاول ديبش تأميم ما تبقي من مساجد وهران وقسنطينة، ورغم تظاهره بالصّداقة لـ : الأمير عبد القادر، وتبادل المراسلة بينهما، تلك المراسلة التي كان من نتائجها إطلاق سراح الأسرى المسيحيين، فقد طغت على تصرّفاته الجوانب المادية، إلى أن صار تاجرا مضاربا، وبالغ في ذلك حتى تنكّر له كل حماته، منهم الماريشال بيجو (والي الجزائر إذ ذاك)، ففضح دسائسه، ولم يسعه أمام حملة دائنيه ومضايقتهم إلّا الاستقالة الإجبارية والالتجاء إلى روما، وبعد استقالته كاتب البابا شاكيا من الموانع التي تعرّضت له في تنفيذ خطّته السّرية التبشيرية التي التزم بها لـ : (البابا)، وهذه بعض الفقرات من الرسالة التي تكشف الخطّة التبشيرية التي رسمها البابا، والتي أعلن من

أجلها احتلال الجزائر، قال فيها: «ماذا فعلت منذ سبع سنوات لأبلغ تعاليم الإنجيل إلى الكفار الذين أرسلت إليهم أنا ورفقائي، فعندما أتذكر تعاليمكم عن أسقفية جليا سيزاريا (Julia cesarea) - أي: مدينة شرشال - وماضي إفريقيا المسيحية الزاهر فقد عبرتم لي بكلام مؤثر عميق أن أمنيتكم ورغبتكم هي مشاهدة رجوع ذلك العهد الذي ازدهرت فيه الكنيسة، بعد انقشاع السُّحُب وذهاب أيام النَّحس، تلك الأيام التي استولى فيها البرابرة الكفار، ودنَّسوا البلاد والآثار، وقد ذهبَت من دون رجعة، وإن هذه الأيام السعيدة التي ظهر في أفقها النور، ستمكِّن الإنجيل من الانتشار بغاية الحرية، وإنَّ سكَّان هذه البلاد الذين ما زالوا في غيابات الظلام، ظلام الكفر والبعد عن الطريق السَّوي، سيهتدون ويرجعون إلى تعاليم المسيح، هذه وصاياكم التي أوصيتموني بها أيها الأب المقدَّس، وهي مضمون تعاليمكم التي وردت إليَّ، إلا أن حكومة بلادي لم تسهَّل عليَّ مهمَّتي، بل عرقلتني وجعلت في طريقي الحواجز والموانع.»

كان دبش يشرف على تنصير الصبيان ويخفيه في الجزائر، إلا أنه بمجرد وصوله إلى فرنسا يعلنه على الملأ مفتخراً، وكان يستغلُّ المناسبات لفتح باب التبرُّعات من شتى المنظمات المسيحية التي كانت مؤسَّسة لهذه الغاية، وقد كان أول عملٍ قام به سعيه في نقل جثة سانت أوغستان من مدينة بافي (Pavie) الإيطالية إلى هيبون (عنابة)، وقد شاركت الحكومة الفرنسية بصفة رسمية، حيث أرسلت باخرة حربية لنقله باقتراح من وزير الحربية الماريشال سولت (Soult)، كما شاركت الجالية الفرنسية بالجزائر، وممثِّلو جميع السلطات في المهرجانات التي أقيمت بالبلاد لهذه المناسبة.

ثمَّ بعد استقالة الأسقف دبش خلفه الأسقف بافي (Pavie)، وكان أول ما افتتح به أعماله محاضرة في كاتدرائية الجزائر، طعن فيها الإسلام ورسوله طعناً فاحشاً بذيئاً،

وختمها بقوله متوجّهاً إلى الإمبراطور نابليون الثالث: «إنَّ نابليون الأول أمله في منفاه هذه الكلمات ك: وصية لولده: إنه يجب على ولدي أن ينشر عند الأمم البربرية محاسن الدين المسيحي والحضارة الأوروبية، ولهذا فإنني أرفع هذه الوصية إلى مَنْ له التصرف في مصير فرنسا والجزائر، وأتوجّه إلى الله القدير الذي قال: لا ينبغي أن يكون في البلاد إلا قطع غنم واحد وراع واحد».

وكان بافي أيضا يستغلُّ المناسبات، ومن ذلك اكتشافه - حسب زعمه - جثة الشاب الجزائري المنتصر في أوائل القرن السادس عشر، والذي قتله باشا الجزائر، وألقى جثته في أساس بناية كان يشرف عليها، ذكر هذه القصة المؤرخ الإسباني هايدو (Haedo)، وقد بكى القسُّ بافي، واستبكى النَّاس، وألقى عدّة محاضرات يندبُ ضحية التوحُّش الذي لقب باسم (Geromino)، وأعان القسُّ في هذه المهمة المؤرخ الفرنسي (Berbrugger)، وعيّنت الحكومة لجنة بحث لفحص ما تبقى من عظام الضحية، هذا في الوقت الذي كان الإسبان يخرجون آلاف المدجنين من دورهم بالأندلس، ويحرقونهم في ساحات غرناطة وغيرها، بتهمة التحدُّث مع أهلهم بالعربية<sup>(1)</sup>.

ثم خلف بافي الكاردينال لافيغري سنة 1867م، ولافيغري هذا له مكانة مرموقة في الكنيسة المسيحية، إذ كان الساعد الأيمن، والرأس المفكّر لـ : (البابا) في روما، وأمكناه بدهائه وعبقريته وثقافته القوية الواسعة في مختلف فروع المعرفة، وإتقانه لعدة لغات، القديمة والحديثة، أمكنه أن يذلل جميع الصعوبات، ويسخر جميع المعطيات لبلوغ أهدافه، وكان أول عمل قام به عندما وصل إلى الجزائر، إزالة سوء التفاهم بين الحكومة والكنيسة، إذ كانت الحكومة في حاجة إلى ذلك، وإلى تسهيل مهمته أمام الرأي

---

(1) Œuvre de Louis Antoine Augustin, PAVY T. E. Paris, Librairie Poussielguesand, 1558.

العام الفرنسي، لكنه رغم ذلك كلّه، فقد ختمت أعماله بالفشل الذريع، وقد رأينا كما ذكرنا ذلك في أوّل هذه الدّراسة، أنّ رجال الكنيسة كانوا متواطئين على فكرة واحدة، وهي إرجاع هذه البلاد مسيحية مهما كانت العقبات التي يُلاقونها في طريقهم، وأنهم رغم الجهود التي بذلها كلٌّ من الأساقفة المتداولين على تسيير الشؤون الدينية بالجزائر، والتأييد المادي والمعنوي من طرف المنظمات المسيحية، وأعضاء الحكومة والسكّان، وعلى رأس الجميع بابا روما، اعترف جلّهم بخيبة الأمل، وشاركهم في هذا الاعتراف كثير من كبار الكتّاب والمفكرين الفرنسيين، وجاهوهم بالحقيقة المرّة، وهي أن أعمالهم في ميدان التبشير ارتطمت بالرّوح الدينية القويّة المتغلّغلة في نفوس سكّان هذه البلاد، وسنعرض لها، وإنما لا يفوتنا أن نسجّل أنه رغم هذا كلّه نجد كثيرا من الكتّاب تمادوا في مواقفهم فلم يغيروها، وفي حقدهم على الإسلام فلم يغفروا له زلّته - حسب زعمهم - وجنابته على الكنيسة المسيحية بإفريقيا، وقد أدّى التّعصّب بكثير منهم إلى أن صاروا يتجاهلون في تاريخ البلاد الجزائرية - خصوصا في الكتب المدرسية - الفترة الإسلامية، فإنّ الحضارة في نظرهم تبتدئ من عهد روما، ثمّ تنتقل أو تقفز إلى العهد الفرنسي، وفي هذه الظاهرة التي تملأ عليها هؤلاء الباحثون في تأليفهم، وفي جمعيات التّقيب على الآثار، فنرى مدن: جميلة، وتيمقاد، وشرشال، وتيبازا، وغيرها، احتفظ على ما تبقى من آثارها، وخصّصت لها ميزانية من أموال البلاد، ونظّمت لها قوافل السياح من بلاد العالم، وخصّصت بالتأليف، أما بجاية، وتلمسان، وقلعة بني حماد وأرشقول، وملاّة، وايقاجان، فلم يلتفت إليها، اللهمّ إلا ما قام به بعض الهواة، والأنكى أن بعض علماء الآثار العالميين، وصلت بهم الحماسة والعنصرية، إلى أن صرّحوا في كتبهم بما سكت عنه أو أغفله زملاؤهم، ومن هؤلاء أوجين ألبريني العالم الأثري الشهير، عضو الأكاديمية الفرنسية الذي شارك في مهرجانات العيد المثوي للاحتلال، وصرّح في الموضوع بقوله: «قبل احتلال الجزائر والاستعمار الفرنسي، لم تكن إلا فترة

من الزمان شاركت الجزائر في الحياة العامة، وهي الفترة الرومانية، أما قبلها فكانت الجزائر بلادا عذراء، مواردها ضعيفة يستغلها التجار الفينيقيون الذين كانت مراكزهم التجارية منحصرة في بعض شواطئ البلاد، وبعد انحلال دولة روما، رجعت الجزائر إلى البربرية الهمجية، فكانت مسرحا للأحداث الفوضوية، حيث لم توجد فيها أية رابطة تربطها بالعالم الخارجي اللهم إلا رابطة قراصنتها وذلك إلى سنة 1830 .»

هذه آراء معظم الكتّاب والمفكرين المسيحيين، ذكرنا عيّنات منها، ولو تبّعناها كلّها لما وجدناها تختلف عما نقلناه، فلهذا تعرّضت الجزائر لخطر شديد في تلك الفترة، لم تعرّض له بلاد إسلامية في المشرق أو المغرب، وإن الرأي العام العالمي الذي كان يتبّع مأساة الاستعمار السياسي غفل عن الناحية التنصيرية، بل رآها وسيلة من وسائل التمدّن والرّقي، إذ كان القائمون بها، ك: لافيغري مثلا، الذي أحيا التبشير المسيحي في الجزائر، وفي إفريقيا، وفي كثير من بلاد العالم الإسلامي، أمكنه أن بكيفية ويخلق له المناسبات لتضليل الرأي العام، ومن ذلك أنه بمجرد تعيينه على رأس أسقفية الجزائر صادف المسغبة المشهورة في الجزائر إلى يومنا هذا ب: عام الشّرّ، مات فيه ثلاث مائة ألف نسمة، فالتقط (1753) طفلا، وافتتح اكتتابا للتبرّعات، استغلّها لإنشاء مركز انطلاق للتبشير، فبنى قبة جعل فوقها صليبا سمّاها: سان سيريان (St. Cyprien)، رمزا لضحية العقيدة القرطاجني<sup>(1)</sup>، وسمّى قرية أخرى ب: سانت مونيك، اسم والدة سان أوغستان، وهيا الصّبيان الملتقطين، إذ لما مرّ خطر المجاعة امتنع من إرجاعهم إلى ما تبقى من أفراد أسرهم بدعوى يتبرأ منها كلّ دين، وهي: إنهم لي، إذ أنا الذي حافظت على حياتهم، وقد عارضه الوالي العام بالجزائر الماريشال ماك ماهون (Mac-Mahon)، ورُفعت القضية إلى الإمبراطور نابليون، إلا أنه عجز عن حلّ المشكل،

---

(1) الآثار الرومانية بالجزائر: Par e. Albertine Revue illustration paris N° spécial :  
centenaire mai 1930

وتمادى لافييجري في عناده وتعتته، وبقي أولئك التّعساء بالقريتين المؤسستين لانطلاق التبشير رغم ما يقرب من القرن، وكانوا شبه الهنود المنبوذين، يشير إليهم أقاربهم بالأصابع، ويسمّونهم: (المطورنيين)، وقاطعوهم، كما قاطعهم الأوروبيون وأوهم دخلاء، حيث كانت ألوأنهم مطبوعة بالطابع المحلي، أقامت هذه القضية ضجة اهتزت لها الصحافة العالمية، وخرج لافييجري منتصرا فيها على الوالي والإمبراطور.

ثم لما أراد أن يستأنف عمله، وينفذ خطته التي رسمها لنشر التبشير في الصحراء والسودان، بواسطة الآباء البيض الذين كوّنهم لهذا الغرض، اختلق قضية مقاومة بيع الرقيق، وقام بدعاية واسعة النطاق بعواصم أوروبا.

وكانت زيارته الأولى صحبة أفراد من الآباء البيض إلى بابا روما، اغتناما لفرصة استدعائه للحضور في حفلة أقامها البابا إحياءً لذكرى (St. augustin).

أسس لافييجري منظمة الآباء البيض سنة 1872، وكان من جملة ما يمتاز به أفرادها الثقافة العليا، زيادة على العلوم الدينية، والفلسفية، واللغات الأجنبية، كالعربية والبربرية، والعلوم الإسلامية، والآثار والرحلات، والتزّي بالزّي الإسلامي المحلي، وعندما وصل بهم إلى القصر البابوي، استقبله البابا مستبشرا، وصرّح له أثناء حديثه: إننا في الوقت الذي توالى فيه الضربات على الكنيسة من كل الجهات في أوروبا، جاءتنا هذه البشارة من بلاد إفريقيا التي كانت منذ أربعين سنة فقط مسلمة، فأجابه لافييجري: «أيها الأب المقدس، هذه مقدّمة لمنظمة الإرسالية التبشيرية أقدمها لكم، فبعد رجوعهم سيذهبون إلى داخل إفريقيا، باركوهم ليتشجّعوا ويتحمّلوا الأتعاب في سبيل العقيدة، وإذا اقتضى الحال فسيهبون لها رؤوسهم»، فلم يمهل البابا بل قاطعه وردّد معه: «رؤوسهم»، وقال: «حقيقة، ففي زماننا هذا لا ينبغي أن تلازم رؤوسنا أجسادنا كثيرا إذا أردنا أن نقوم بواجبنا نحو الإله كاملا غير منقوص»، ثم قال: «إن



رأسي في روما معرّض لمفارقة الجسد مثل رؤوسهم في الصحراء».

كان البابا إذاك بيوس التاسع (9 Pies)، ثم خلفه ليون الثالث عشر (13 Léon)، فأقرّ بدوره البعثات المسيحية بإفريقيا، وكانت مدينة بسكرة منطلق حملة التبشير ونشره بالصحراء والسودان، ولهذا أقيم له تمثال في إحدى ساحاتها، مثله واضعا على رأسه التاج اللاهوتي وحاملا عصا الأسقفية ذات الصليبين، متظاهرا برميها لوجهة الصحراء، رمزا لنشر التبشير، وقد احتاط لذلك وتعهد له الحكام العسكريون بتسهيل مهمّتهم ومساعدتهم، إلا أن السكّان كانوا على علمٍ من مقاصدهم، فقتلوا أفراد البعثات الأولى الواحد بعد الآخر، إذ كان لافييجري متفائلا من حملته ومن نتائجها، حتى كان يصرّح علانية ويكتب آراءه، بخلاف سالفه دبش وبافي.

وكانت من جملة تصريحاته هذه: «ينبغي أن نرقي هذا الشعب، ولنضرب صفحا عن غلطات الماضي، فأول واجب نقوم به في هذا الميدان هو الحيلولة بينهم وبين القرآن، ينبغي لنا على الأقل أن نهتمّ بالصبيان، وندخل في عقولهم تعاليم الإنجيل، وبعد هذا يمكننا أن نخالطهم، وإلا فلنبعدهم إلى الصحراء بعيدين عن الشعب المتمدّن»، كما صرّح أيضا بقوله: «إن التاريخ والإنجيل يؤكّدان لنا أنه من العار على فرنسا أن تترك الأهالي في حظيرة القرآن»، ثم أظهر تأسّفه على معاملة الحكومة لسلفيه: دبش، وبافي، اللذين ضيقت عليهما باب التنصير، بينما بقيت تساعد بناء المساجد وتسهّل الحج، وتعلّم القرآن، حتى للذين لم يعرفوه أصلا، ك: سكان القبائل».

من هذه الفقرات يتبيّن لنا ما بلغه الرجل من النوايا السيئة وتزييف الحقائق، إذ نرى أن بلاد القبائل كانت أشهر ناحية حافظت على مواصلة تعليم القرآن، وبالخصوص علم القراءات.

إثر تعرّض سكّان الصحراء للإرساليات التبشيرية الأولى، وقتل جل أفرادها،

أمكن لـ : لافيغري باتفاق مع ممثلي الحكومة والقواد العسكريين أن يحدث منظمة الحرس المسلح، ظاهرهم مبشرون وباطنهم حماية الآباء البيض، وسمي هذه الفرقة المحدث بـ : (منظمة الإخوة البيض)، وجل أفرادها شبان مسيحيون أوريون، ولم يكن ظهور التبشير المسلح خاصا بالصحراء وبالآباء البيض، بل ظهر مع بداية الاحتلال، ذكر الراهب مينوز (Munoz) في تأليفه المسيحي: (في إثر خطوات الراية) قال فيه: «في سنة 1831 عندما وصل جيش الاحتلال إلى وهران لم يبق شيء من الكنائس، والمنظمات المسيحية التي كانت بالبلدة في عهد الإسبان، إن تأسيس وإحياء المعاهد المسيحية وقع إثر خطوات راية الجيش التي كان يغرزها في داخل البلاد، كانت نتيجة التبشير بالصحراء إحداث أسقفيتين بالسودان، ثم ولاية دينية (préfecture apostolique) بالصحراء، فولاية أخرى وثمان أسقفيات بإفريقيا الجنوبية، 660 مرشدا من الآباء البيض، 50 مرشدا إفريقيا، 350 أخوات بيضاء كلهم «يعملون لفرنسا والمسيح»، كما كان يعبر عنهم لافيغري، وقد أمكنهم أن ينصروا 400 ألف إفريقي، كان نشاط لافيغري دينيا وسياسيا، أقام سنة 1857 بتركيا رئيسا للبعثة المسيحية الفرنسية المرافقة للجيش الفرنسي الذي أرسلته الحكومة لإعانة تركيا في حرب القرم (Crimée)، واغتنم فرصة وجوده بالأستانة فهياً الجو لاسترجاع ضريح العذراء ومولدها بالقدس، الذي كان أول من حصل عليه شارلمان، وبقي إلى عهد صلاح الدين الأيوبي فحواله إلى مدرسة، وفي سنة 1860 كلفته الحكومة الفرنسية والبابا بالذهاب إلى الشام لتبليغ شكرهم إلى الأمير عبد القادر الجزائري الذي أنقذ حياة المسيحيين من المذابح التي تعرضوا لها إذ ذاك، وجريا على عادته التي يعبر عنها أهل بلادنا بقولهم: «يضرب عصفورين بحجرة»، قدم اقتراحا لفرنسا باحتلال الشام (سوريا) بدلا من المكسيك. ثم ذهب إلى تونس سنة 1877 فوجد جالية أوروبية يبلغ أفرادها خمسين ألف، معظمهم ايطاليون مسيحيون، ومن بينهم منظمات مسيحية قوية،

وكان التنافس بين المنظمات الايطالية ولافيجيري، ظهرت بوادره بمجرد وصوله، ولما حذره بعض أصدقائه - كان متخوفا من وفرة الايطاليين - أجابه لافيجيري: «إنني أعوض الطاقة البشرية التي تنقصني، بفتح باب خزانة الدنانير (ECU)، إذ كل دينار يعادل عمل ثلاثة إيطاليين...»، وبالفعل درس الأوضاع وفتح خزانة الدنانير لأول مرة، فقدّم منها كمية باسم: «هدية سنية» للباي بعد استشارته لقنصل فرنسا بتونس وقد ساءها: «هدية سنية» بدلا من «الرّشوة»، تأدّبا مع حاكم البلاد الصّوري، ولم يغلط لافيجيري، إذ فتحت له الأبواب حتى صار كلما تردّد على تونس في الباخرة يجد زورق الباي في مقدّمة مستقبله، فأسس معهد سان لوي وجدّد ضريحه، وتصرّف كيف شاء في آثار مدينة قرطاج، وختم نشاطه التونسي بالاحتلال للبلاد، فكان اقتراح الحكومة الفرنسية على البابا تعيينه كاردينالا، فأجابها لرغبتها وعيّن بالفعل، وخيّر بين تنصيبه في روما أو في الجزائر مقر أسقفيته، فاختر قرطاج، فجاء مبعوث البابا وألبسه قلنسوة (Calotte) الكاردينالية بقرطاج، قرب ضريح ومعهد سلفه الصليبي الملك سان لوي، وحيثنذ ولى وجهته إلى القدس من جديد، حيث عزم على تشجيع التنصير، ولكن كيف يتمكّن له ذلك ومسيحيّو الشرق الإسلامي لا يعترفون بسلطة كنيسة روما، ومن هنا بدأ، فطلب الإذن بتأسيس معهد بالقدس غايته توحيد نصارى الشرق بروما، وفي بوتقة هذا المعهد ينصّب دعاة هذه الفكرة.

ورغم أن المشروع كان يتطلّب مالا ضخما فقد ذلّل جميع الصعوبات وذهب بنفسه إلى باريس، وأقنع رئيس الحكومة (Gambetta) اليساري اللاديني فتنبّى المشروع، وحصل على موافقة البرلمان الذي أمدّ الدفّعة الأولى وهي تسعون ألف فرنك، فبنى المعهد وكانت النّواة الأولى من مدرّسيه ومسيّريه بعثة الآباء البيض، المتخرّجين من منظمة (لاطراب) (la trappe) الجزائرية وكان عددهم اثني عشر قسيسا.

وهذا من جملة نشاطات الأسقف الذي ابتليت به الجزائر وأمكنه مع فتح باب تنصير سكّان إفريقيا، فتح باب الاحتلال الفرنسي الكلي والجزئي الذي مهد لتكوين إمبراطورية إفريقيا الفرنسية.

لم تمض إلا مدة قليلة بعد أحداث معهد القدس حتى جرت له حملته مقاومة (الرّق الإسلامي) كما سهاها والتي درت عليه الأموال الطائلة من مختلف منابر المعاهد المسيحية بأوروبا، وقد كان من حسن حظ التاريخ أن سجّل أحد الكتّاب المصريّين إحدى خطبه التي ألقاها ب: كنيسة سان سبليس (St. Supplice) ب: باريس، وحمل فيها كعادته على الإسلام، كان هذا المصري هو أحمد شفيق باشا الذي نشر الخطاب بحذافيره وردّ على جزئياته ونقضها<sup>(1)</sup>.

كما كان الفضل لفقيد العروبة أحمد زكي باشا، فعرب تلك الرسالة المسماة: (الرّق في الإسلام)، أو (ردّ مسلم على الكاردينال لافيغري)، وعززها بترجمة مسهبة للكاردينال وما قاله فيه أنصاره وشانئوه.

جرت عليه حملته هذه وابلا من الانتقادات والتهم، وكانت جريدة الصباح الباريسية منبرا لها، اتهمه خصومه بأنه كان يبدد ما يجمعه من التبرعات في مبادله، حيث مصاريفه الشخصية تتراوح بين المائة والخمسين والمائتي ألف فرنك سنويا، وأظهروا وثيقة كتبها سنة 1884 إلى الكونت دي شامبور (Di chambord) تثبت موافقة الحكومة الفرنسية على إصدار قوانين تمسّ الدّين في الصميم، وساهم في هذه الحملة الأستاذ بالوطني الإيطالي الذي كان مدرّسا بمعهد إيطاليا في القاهرة، واتهمه بالفجور والاستيلاء على أحباس المسيحيّين التي كانت بتونس لفرقة الكايسان (Capicins) ...

---

(1) الرّق في الإسلام، أو ردّ مسلم على الكاردينال لافيغري: تأليف أحمد شفيق باشا، وتعريب أحمد زكي باشا، طبع عدّة مرات.

الخ»، وقد اعترف لافيجري قبل وفاته بأن هذه الحملة من خصومه قتلتها، إذ جعلت أنصاره مثل البابا يشكون في مواقفه، وبدلاً من أن يدافعوا عنه أمره البابا بترك قضية الرق، وقطعت عنه المنظمات مددها فأصيب بالفالج ولزم بيته، تارة ببسكرة وتارة بالجزائر إلى أن توفي بالجزائر في ديسمبر 1892 ودفن بها.

وفي الجزائر، وهو على سرير الموت، زاره الوالي العام جول كامبون ( Jules Cambon) برفقة الوزير جول فيري (Jules Ferry)، وكانت واقعة توات - جنوب الجزائر - الشغل الشاغل لحكومة فرنسا، فطلب منه الوزير نظره، فكان جوابه: احتلاله بالسلاح، فأجابه: «إن ذلك غير ممكن للمعاهدات الدولية»، فعرض عليهم أن يقوم هو باحتلال تلك المنطقة بواسطة فرق (الإخوة البيض)، فوعدوه بدرس القضية، وبمجرد وصول الوزير إلى باريز، أمر الوالي كامبون بحل منظمة (الإخوة البيض) وتجريدتهم من السلاح، إذ هالهم أمر هذه المنظمة التي كان عسكريو الصحراء يخفون عنهم حقيقتها.

وقع حلُّ هذه المنظمة بقرار مؤرَّخ في نوفمبر 1892، أي قبل وفاة لافيجري بشهر واحد، إذ توفي في ديسمبر 1892 واحتفل بتشييع جنازته رسمياً بعد أن نقل نعشه من داره إلى الكاتدرائية - جامع كشاوة الحالي -.

ولنذكر الآن ردَّ فعل السكان المسلمين، ومواقفهم حسبما اعترف به مشاهير الباحثين الفرنسيين المعترف لهم بالموضوعية والنزاهة العلمية النسبية، ومن هؤلاء المتخصص في تاريخ الاستعمار الفرنسي جورج هاردي (Georges Hardy) الذي تولى في الثلاثينيات من القرن الجاري إدارة عدة جامعات بفرنسا، ثم إدارة التعليم بالجزائر قال في تأليفه: (القضية الدينية في الإمبراطورية الفرنسية) <sup>(1)</sup>، قال: «في الجهات التي

---

(1) le problème religieux dans l'empire français, par G. Hardy, Recteur a Lille Presses universitaire, paris 1940.

يوجد فيها الإسلام محتفظا ببعض حيويته، تراجعت الإرساليات المسيحية، وتخلت عن التبشير، واكتفت بالمؤسسات الخيرية، كالعلاج المجاني للمرضى، وتوزيع الصدقات، ونشر التعليم ... الخ»، وفي تأليفه: (مشاكلنا الاستعمارية الكبرى)<sup>(1)</sup>، قال: «كانت الديانة المسيحية تعتقد أنه في إمكانها تنصير المستعمرين، إذ بتحويلهم وإخراجهم من البربرية يرفع مستواهم، وقد نجحت هذه الإرساليات التبشيرية بالفعل، بفضل نشاط المبشرين وصمودهم وسيرتهم المثالية والإحسان ونشر العلم، واطلاعهم على طبائع سكان البلاد الذين يعملون فيها، لكن نجد بعض الأيديولوجيات الأهلية لم تؤثر فيها المسيحية، كالديانة الإسلامية مثلا، فكل ما حصل عليه التبشير المسيحي عند المسلمين، تنصير فردي، مشتت ومؤقت، ثم إنَّ جُلَّ الدول الاستعمارية اليوم - أي: سنة 1940 - تخلت عن التنصير الرسمي، بل ظهر لهم من المصلحة تشجيع بعض الديانات التي يرون فيها وسيلة لتقريب السكان من التقدم والتمدن، ولهذا رئي من مصلحة بعض البلاد الإفريقية أن يشجع فيها نشر الإسلام بدلا من محاربتة، وذلك تمهيدا لتطوير الأخلاق، وتكوين وحدة تساعدنا كثيرا، فبانتشار الإسلام يمنع الخمر، الذي كان يفتك بسكان هذه المناطق، وكذلك جعل حد أو إبطال الانتقامات الشخصية، واعتراف الفرد بنظام الجماعة وحتى الدولة، وطاعة الرؤساء المحليين المتوفرة فيهم شروط الرئاسة من نزاهة، وأخلاق.

وقال في الموضوع الكاتب بيير بوايي (Pierre Boyer) محافظ الوثائق السابق بولاية الجزائر في تأليفه: (تطور الجزائر الوسيط)<sup>(2)</sup>.

قال بعد ما ذكر تطور المسيحية في الجزائر، و أحصى منظماتها وآثارها في التبشير قبل

---

(1) nos grands problèmes coloniaux, par G. Hardy, Edit Colin, Paris 1942.

(2) L'évaluation de l'Algérie Médiane, par Pierre Boyer.

الاحتلال وبعده، قال: «إن الإكليريوس المسيحي الذي كان يعتقد ويحلم أنه يمكنه تنصير المسلمين، انتبه من غفلته، وجابهته الحقيقة المرة، وهي رد فعل الرأي العام الإسلامي المخيف إثر محاولة تنصير مسلمة، وكان لقيام السكان المسلمين ضد القضية درس قاس، وخشيت السلطات من عواقبه، وأمرت السلطات الدينية بالابتعاد عن التنصير العلني»، احتلت فرنسا الجزائر، ولم يمر على الاحتلال ستان حتى هدمت المساجد، وحول باقيها إلى محلات تجارية، أو ثكنات عسكرية، ثم توقف التعليم، وأُمتت الأحباس، ونبشت المقابر.

كل ذلك لم يحرك ساكنا للجماهير في العاصمة، وإنما كانت مقاومة النخبة التي اجتمع أفرادها بباريس، واتصلوا بالرأي العام والصحافة والنواب وكان على رأس هذه النخبة محمدان بن عثمان خوجة الذي جمع هذه الشكاوى في تقرير قدمه للجنة البحث البرلمانية التي جاءت إلى الجزائر سنة 1833م، وقد عرف هذا التقرير بـ: (المرأة)<sup>(1)</sup>، وهو أحسن مرجع يقارن بين حالة الجزائر قبل الاحتلال وبعده، وما لحقها من التخريب والمظالم بجميع أنواعها.

وفي تلك الأثناء وقعت محاولة تنصير فتاة جزائرية لخبر يطول، فكان رد فعل السكان مفاجئاً للسلطات، وهز الأوساط الجزائرية والباريسية هزة عنيفة، حيث تظاهر الجماهير لأول مرة، وعلى رأسهم قاضي البلاد ومفتيها، وأغلقوا المحاكم احتجاجاً على ذلك، وأيدهم الرأي العام عندما عزل الوالي العام بالجزائر القاضي والمفتي، واجتمعت السلطات لتنصيب القاضي المعين، ودعت البلدية ثمانين شخصاً من أعيان المسلمين لحضور حفل التنصيب فلم يجب الدعوة إلا قليل منهم، وكان

---

(1) كتاب: المرأة، طبع بباريس سنة 1833م بالفرنسية، وترجم إلى العربية، ونشر مسلسلًا بجريدة الشعب الجزائرية.

جلهم من المستخدمين، ومع هذا طلبوا من السلطات أن تطلعهم على اسم القاضي الذي عين، وعندما أخبروا أنه قاضي البلدية رفضوا قبوله، وعندما أحضر للتنصيب، قام إليه بعض المتظاهرين فشتمه وجذب لحيته<sup>(1)</sup>، فعندئذ تقدم القبطان بليسي (Pelissier) (مدير ديوان الوالي العام)، وأمر بإلقاء القبض عليه وعلى بعض رفقائه، فنفّرَ الباقيون، وانتظمت مظاهرات شعبية قصدت الجامع الأعظم، ولم تفرق إلا بعد أن أطلق سراح المقبوض عليهم، كان لهذه الواقعة آثارها بالجزائر وباريس، وفتح بحث في القضية، وتبودلت رسائل عديدة بين وزير الحرب وسلطات الجزائر الحربية والمدنية، نشر الكثير منها الجنرال دوري ديرلون (Douret d'eron) الوالي العام بالجزائر، الذي عين مكان الجنرال فوارول (Voïrol) الذي وقعت هذه القضية في عهده، ونقل من منصبه بسببها، كانت هذه القضية هي الشرارة الأولى التي جعلت السلطات تعيّر خطتها التبشيرية العلنية إلى أن تولى لافيغري أسقفية الجزائر.

ولم تتغير الأحوال كثيرا بعد موت لافيغري، إذ ظهرت شخصية قوية في ميدان التبشير، لها مكانتها ووزنها في تاريخ التبشير والكنيسة المسيحية، هذه الشخصية هي شخصية القس دوفوكو (De foucauld) المولود بفرنسا سنة 1858.

بدأ حياته ضابطا مستهترا، مكنته ثروته العريضة أن يجيا حياة البذخ والترف، وعندما ختم به المطاف في عاصمة الجزائر اتصل بالمستشرق الشهير ماك كارتى (Mac-carty) الذي كان محافظا بالمكتبة الوطنية، وكان أول عمل كلف به هو الذهاب إلى المغرب للجوسسة وتصوير خريطة تنمة للخريطة التي قام بها الجغرافيون قبله، ولم تجاوز 689 كم.

كانت أرض المغرب إذ ذاك لا تطأها إلا أرجل المسلم أو اليهودي المغربي، فاختر له

---

(1) جذب اللحية: يعدُّ إهانة في الوسط الجزائري إذ ذاك، إذ هو رمز لعدم الرجولة والغيرة.



ماك كارتي التقمص باليهودية، فكلف الرّبي حاييم ماردوشي (Haim Madorché) القيام بمهمة تهويد القس، فبعد أن دربه على اللباس واللهجة والعادات رافقه إلى المغرب حيث أقاما سنة أمكن للقس دو فوكو أن يصور 2250 كم وقد أقيمت له بعد رجوعه حفلات تكريم بالمعهد الجغرافي بباريس، قضى دو فوكو جل حياته التبشيرية بصحراء الجزائر إلى أن قتل بتمنراست سنة 1917 لخبر يطول، وكانت طريقته في التبشير تخالف طريقة أستاذه لافيغري، وكان لا يميل إلى التنصير الفردي والعلني إلا أنه أخفق في مهمته.

واعترف بذلك في (مذكّراته) رغم ما أحيطت بشخصيته في حياته وبعد مماته، من الدعايات الكاذبة، وقد خصص بعدة تأليف لا تقل عن التأليف التي حظي بها لافيغري، والحديث عنه لا تسعه المحاضرة، وإنما أردت أن أذكر أن التنصير بالجزائر كانت تؤيده اليهودية التي تحرم على أفرادها النظر في الصليب ولو مصورا ... وقد كانت شخصية دو فوكو مرادفة لشخصية لافيغري، لا تذكر إحدهما دون الأخرى، خصوصا عند الحديث عن الصحراء والسودان، وقد رأينا أن كل من تحدّث عن التبشير في الجزائر وتاريخه، خصوصا في الاحتفال المئوي، إلا ويذكر هاتين الشّخصيتين ويشيد بآثارهما، لا فرق بين أصحاب اليمين واليسار، المتديّنين منهم والملحدّين، ومن اليساريين القريبي العهد، الوالي العام السابق بالجزائر نيجلان الاشتراكي (Naegelen)، فقد عيّن بعد مغادرته الجزائر عضو (أكاديمية العلوم الإستعمارية) بباريس (l'académie des sciences de coloniales) ونصّب بها في ديسمبر سنة 1952.

وقال في خطابه الرسمي<sup>(1)</sup> مشيدا بأعمال المبشّرين في الصحراء ما يلي: «إن الضباط

---

(1) نشر أكاديمية العلوم الاستعمارية بباريس عدد 12 سنة 1952 م.

بالصحراء هم مُريدو رجال لا زالت أسماؤهم لامعة في العالم، منهم الجنرال لابرين (Général Laperrine) قائد المنطقة الصحراوية وصدّيق الماريشال ليوطي ودوفوكو)، والأب دو فوكو الرجل الصالح، ففي الهقار وفي القليعة انحنيتُ أمام قبريها بخشوع، متدبِّراً الدروس التي أعطوها للإنسانية في العمل المثمر ونكران الذات «، وبعد أن تكلمت عن تمارست، وتندوف، وعين صالح، وجانات، تطرق إلى الحديث عن الكاردينال لافيجري، والآباء البيض، والأخوات البيضاء، وأشاد بأعمالهم.

نكتفي بهذا القدر، ونختم هذه المحاضرة بأن كثيرا من المبشرين اعترفوا بخيبة أملهم، فقد كان ديبش وباقي بعده، يريان أن المسلمين لم يتأثروا بالدعاية المسيحية، لأنهم كانوا يرون المسيحيين يترددون على الحانات ويجهرون بالفسوق، فيجيبونهم دائما عن المسيحية بأنها ليست بدين، وكيف يتصوّر ارتكاب هذه المعاصي من رجال متديّنين أو منسوبين إلى دين سماوي، ويضربان المثل لمستمعهم بالحياة المثالية التي يجيهاها المسلمون في الجزائر بعد الاحتلال، ثم جاء لافيجري بعدهما وبسط جناحيه على تسيير المسيحية في جهات العالم الإسلامي، وسخر لدعوته وسائل جبّارة، لكنه لم يفارق الحياة حتى رأى أعماله تتلاشى، فزيادة على قضية (الرق الإسلامي) التي جرّت له الويلات والتُّهم، نجده وهو على سرير الموت بلغه أن أكثر المنتصرين في إفريقيا - وفي جهات معينة منها - نبذوا دينهم، والتحقوا بخلايا أو زوايا المهدوية - السودان المصري إذ ذاك - والسنوسية، وذلك أن محمد بن علي السنوسي كان يشتري العبيد ويورّثهم على زواياه ب: ليبيا، وعندما يفقههم يشترط عليهم الرجوع إلى بلادهم، ونشر الدعوة الإسلامية فيها، كما يشترط عليهم إحياء الموات وغرسها بالنخيل، فلهذا وبمجرد رجوعهم وتنفيذ خطة السنوسي، نبذ السكّان المسيحية ومنظّماتها، فلم يسع لافيجري إذ ذاك إلا أن يعطي أوامر لأعوانه بأن يُجّلوا عدّة مراكز وينسحبوا منها، ثم كاتب البابا برسالة

قال فيها: «إن المسلمين بأوروبا وآسيا لا زالوا في سباتهم العميق، أما قارتنا الإفريقية فإنهم استيقظوا، وإن الطبقة الصاعدة التي فيها الطبقات المتكوّنة في المدارس المهدوية والسوسية، هي أقوى نشاطا وحرارة من الطبقات السابقة، وإن ممالك أوروبا لا تفهم ولا تعرف من هم العرب - الداء الخطير - إن هؤلاء المتعصّبين أمكنهم أن يحدثوا خلايا سرّية لجميع ممتلكاتنا، وإنني أرى من واجبي أن ألفتَ نظركم إلى هذا الخطر الذي غفّلت عنه أوروبا، فثّقوا بخبرة ربّان حنّكته التّجارب، ولديه دراية بصخور وزوابع بحار البربرية».

والخلاصة أنه ينبغي أن نسجّل الجوانب الإيجابية أيضا في التبشير المسيحي ومنظّماته بالجزائر، رغم إفلاسه النسبي وانحراف رؤساء الكنيسة، والاستغلال المادي، والأخطاء المتنوّعة التي ارتكبوها.

فإنهم برهنوا وأعطوا أمثلة متعدّدة على الاستماتة في سبيل نشر ما كانوا يعتقدونه حقّا، وروّضوا أنفسهم على حياة الخشونة والتّقشّف، رجالا ونساء، في القرى النائية، والصحارى بعد حياة قضاها في بحبوحة العيش والتّرف، ثمّ ضرب أمثلة رائعة في الطاعة لبعضهم بعضا، والتعاون على العمل الجماعي، كما كانوا يشترطون في من عيّنوهم للقيام بنشر الدعوة ما لم يشترط في أساتذة الجامعات في يومنا هذا، كما اعتنوا بإحياء آثار رجال الكنيسة القدامى، والإشادة بأعمالهم، وتأليف الكتب الخاصّة بهم، والابتعاد عن ذكر الكرامات المنسوبة إليهم، فقد أحيوا سان سيران، وسانت أوغستين، وكسمنيس، وسان لوي، ثمّ أحيوا لافيّجري ودوفوكو، ولم يتنكّروا لماضيهم في الميدان المسيحي رغم الثورات المتكرّرة ضدّهم، وربطوا بأعمالهم هذه حاضرهم بماضيهم.

ولنختم هذه الخلاصة: إننا نعيش في زمان لا نتكل فيه على حصانة الدّين

الإسلامي، وارتطام محاولات التنصير بها، فإن التطور الزمني له تأثيره، ومطالب الحياة المادية غيرت الأوضاع المألوفة، ومساكنة أمم ذات مبادئ دينية ولا دينية، ووسائل الدعاية والإعلام لا تقابلها بذكر اللطيف في المساجد، كما كان يفعل إخواننا المغاربة إلى وقت قريب، والله درُّ أبي مسلم الخراساني حيث قال:

فَمَنْ رَعَى بِأَرْضِ مَسْبَعَةٍ      وَنَامَ عَنْهَا تَوَلَّى رَعِيهَا الْأَسَدَ

١  
آثار التبشير المسيحي بالجزائر  
قبل الاحتلال الفرنسي

إن سجل الوثائق التاريخية تثبت، أن دخول المسيحية  
إلى أفريقيا الشمالية كان ابتداءً من أواخر القرن  
الثالث المسيحي، ومنه الحجاب هذا الرأي الراجح  
بالأفريقيين Augustin. قال يلف مدينة قرطاج  
«إنها مدينة كبيرة مشهورة، وقد نقل مسيحيوها  
بكنيسة روما وغيرها من الكنائس التي انطلقت  
منها تعاليم الإنجيل لأفريقيا»  
أ، التعاليم المسيحية التي وردت إلى قرطاج كان  
منبعها مدينة طبر (Tyr) عاصمة فينيقيا،  
التي كانت قرطاج تابعة لها، وطبر هذه هي  
مدينة صور الحالية بلبنا.  
وبعد انتقال قرطاج بروما، أخذت منها نظامها الآف

صورة عن الصفحة الأولى من النسخة المعتمدة

## تعقيب الأستاذ محمد أبي زهرة

(أستاذ الشريعة وعضو مجمع البحوث الإسلامية جمهورية مصر العربية)

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

أشهد أنني لم أنتفع بمحاضرة كهذه المحاضرة، الدارس للنصرانية ينصرف نظره في أول دراسته إذا كان له بعض العلم إلى الأفلاطونية الحديثة، وقد اعتراني هذا عندما اتجهت إلى دراسة النصرانية لألقي هذه الدروس على أبناء طلبة كلية أصول الدين، وجدت توافقاً غريباً بين الأفلاطونية الحديثة وبين النصرانية، فالثالوث الأفلاطوني هو الثالوث المسيحي بلا افتراق بينهما في شيء، وقرأت لبعض كتاب الفرنجة أنه ينكر وجود المسيح، ينكره إنكاراً تاماً، ويقول: «إن النصرانية هي الأفلاطونية الحديثة»، أراد كاتبها أن يجعل هذه الأفلاطونية ديناً، فلم يجد إلا المسيح يحمله أوزارهم، ولكن لم أصدق هذا، لأن القرآن الكريم ذكر المسيح عيسى ابن مريم وذكر أمه، ثم ذكر أقوال النصارى في المسيح وأمّه، وأقول: إنه لولا القرآن الكريم - وإنه أعظم كتاب نزل من السماء - ما عرف أحد عن المسيح شيئاً، هذه حقيقة أقولها وأقررها، وأدعو أبناءنا وإخواننا الذين يجادلون النصارى أن يسألوهم ما الدليل على وجود المسيح؟ فيلجأون حتماً إلى القرآن ليتعرفوا المسيح منه، أقول: علمني هذا المحاضر ما لم أعلم، ذلك أنني كنت أرى هذه الموافقة، هذا التوافق التام بين الأفلاطونية الحديثة والنصرانية، ولكن الكاتب المحقق لا يأخذ الآراء من عقله وتفكيره فقط، بل لابد أن يُسند الوقائع التاريخية إلى أصلها، فحاولت إسناد هذه الواقعة التاريخية من أين جاءت الأفلاطونية الحديثة إلى النصرانية؟ وقد رأينا ظواهرها، حتى لقد قال كاتب إفرنجي في إنجيل يوحنا: إنه قد كتبه طالب للأفلاطونية الحديثة.

لم نجد سندا تاريخيا، فأخذنا نتلمَّسُه من بين الكتب، فوجدنا كتاب: (مبادئ الفلسفة) يقرّر أنه في آخر عهد الرومانية الوثنية، أراد الرومانيون أن يسندوا فلسفتهم إلى ديانة تجمع بين الديانات القائمة إبان ذلك، تجمع بين اليهودية والوثنية والمسيحية، أو النصرانية الجديدة.

في هذه الديانة الجديدة، تجد اليهودية قائمة في أنهم اعتبروا كتب العهد القديم، كتب التوراة المكذوبة وما قيل حولها، وأخذوا من الوثنية الرومانية ذلك الثالوث المدنّس، ونسبوا ذلك إلى المسيح (عليه السلام)، وهو منهم براء، ثم أخذت أتلمّس من أين جاء هذا الثالوث للأفلاطونية الحديثة، فوجدت أن المعلم الثاني لهذه الأفلاطونية الحديثة ذهب إلى المشرق، وهناك تعلّم آراء البوذيين في بوذا، وهم يقولون بالتثليث، وآراء البراهمة في كرشنة، وهم يقولون بالتثليث، فعلمت المصدر من هنا، جاء المحاضر الفاضل (أكرمّه الله وأعزّه) وذكر لي أوّل من أدخل الأفلاطونية الحديثة في الديانة النصرانية، ذكر اسمه، ولكنني لم أتمكّن من حفظه لسرعته في الإلقاء، لحثّ رئيس الجلسة له على أن يسرع، وتمنيت لو تمهّل في القول حتى استوعبه كلّ... ذكر من ربط بين النصرانية والأفلاطونية الحديثة فقال: إنه فلان<sup>(1)</sup>... واعدروني إذا لم أنطق باسمه، أوّلا لأنني لا أحفظ الأسماء الفرنجية كثيرا، وثانيا لأن المتكلّم لم يكن معربا في قوله، مبيّنا بصوته الأسماء بيانا صحيحا، وإنّ رئيس الجلسة كان يدفعه إلى ذلك دفعا، قال: «إنه ألّف كتابا أدخل فيه الأفلاطونية الحديثة، وسماه (التوفيق بين الإيمان والعلم)»، وهكذا يقول النصارى عندما نقول لهم: ديانتكم أفلاطونية وليست دينا، وقد كتبت ذلك في كتاب يُسمّى: (محاضرات في النصرانية)، وزكاه أخ لي (رحمه الله) الدكتور محمد يوسف موسى، فقالوا: «لماذا تعرّض على النصرانية بهذا؟ لأن معناه أن النصرانية

---

(1) القديس أغسطين (saint augustin).

متَّفقة مع العقل، كذبتم، ليست الأفلاطونية متَّفقة مع العقل، ولا دياتكم المكذوبة على الرسول عيسى (عليه السلام) متَّفقة مع العقل.

كلمة ثانية استفدتها، ذكر أن بعض أمراء المسلمين لرغبتهم في أن يختاروا الدين الإسلامي اختياراً وألا يكرهوا عليه إكراها، خشي أن يكون فرض الجزية إكراها لهم في الدين، فامتنع عن فرض الجزية عليهم حتى لامه الإمام عمر بن عبد العزيز، وكتب إليه: «اسقط الجزية عمَّن يُسلمون، فإن الله لم يرسل محمداً جابياً، ولكنه أرسله هادياً»، أقول قولي هذا، وأكرّر شكري للأستاذ المحاضر، لأنه علّمني ما لم أعلم، وأشكر لكم، والسلام عليكم.

### تعقيب الأستاذ أحمد سحنون

(رئيس قسم التعليم العالي بوزارة التربية الوطنية بالمغرب)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أشكر فضيلة الأستاذ المهدي بوعدلي على محاضراته القيّمة، وأريد في هذا التعقيب:  
أولاً: أن أوضح وأقترح.  
وثانياً: أن أبشّر ولا أنفر.

فيما يتعلّق بالتّوضيح، أقول إن كلمة: التبشير، فيها دسٌّ، ولذلك يجب تغييرها، كلمة (التبشير) هي غير صالحة، وكلمة (التمسيح) أيضاً غير صالحة، لأنّ المسيح بريء مما يفعله هؤلاء، لأنهم يقولون بالتثليث، وهو يقول بالتوحيد، والكلمة الصحيحة التي تطابق ما يقوم به هؤلاء، هي: (التكفير)، لأنهم يكفّرون ولا يمسخون، فإذا اقتُرِح أن تكون الكلمة هي التّكفير، لا التّبشير ولا التّمسيح، هذا من ناحية.



ومن ناحية أخرى، أيها الإخوان، منذ ثلاثة أيام ونحن في موضوع التبشير، ولا نسمع إلا الوجه المظلم القاتم، وما يقوم به المبشرون، ولكنَّ الوجهَ الوضوء المشرق الذي يقوم به الإسلام لم يحدثنا عنه أحد، هل حدثنا أحدٌ ممن تحدّثوا عن التبشير في الجزائر، أو عن التكفير في الجزائر، عن موقف الجزائر من هذا التبشير، أو من هذا التكفير؟ هل كان أحدٌ يحلم قبل الخامس نوفمبر 1965<sup>(1)</sup> أننا سنقف في هذا المكان لنعلن صوت الإسلام في تيزي وزو؟ وهل كان يحلم أحدٌ بأن كنيسة تيزي وزو ستقلب إلى مسجد، وأن عشرات الكنائس في الجزائر انقلبت إلى مساجد؟ هذا هو الوجه الآخر - أيها الإخوان - يجب أن نتعرّف عليه، فإذا بنى المسيحيون كنيسةً في أبو ظبي، فقد انقلب عشرات الكنائس في الجزائر إلى مساجد، وفي إفريقيا أيضاً، ونحن في الجزائر، إفريقيا التي نقول إنها ذهبت وانقضت ولم يبقَ فيها الإسلام، ألم نستمتع من الأخ الأوغندي أن ثلاثة آلاف وثني أسلمت دفعةً واحدة؟ ألا نعلم أنه في نيجيريا أسلمت قبائل (الايبو) عن بكرة أبيها بعد انتصار الإسلام في بيافرا، لقد كان الانتصار في نيجيريا على بيافرا انتصاراً للإسلام، وانتصاراً للإسلام على المسيحية.

هذا في إفريقيا، وهو شيء كثيف، حيث إن الأفارقة يدخلون في دين الله أفواجا بدون تبشير، وفي أوروبا، أليس هناك عشرات من الأطباء والمهندسين والأساتذة والمفكرين يدخلون في دين الإسلام عن اقتناع وعن عقيدة؟ فاقروا كتاب: (لماذا أسلمنا؟)، فاقروا كتاب: (رجال ونساء أسلموا)، فستجدون عشرات من كبار العلماء في الغرب يدخلون في دين الله، وفي دين الإسلام، بدون تبشير وعن عقيدة واقتناع، نعم لنقم بجولة في أوروبا، في باريس ألا نرى أن هناك عشرات المساجد أسست للمسلمين؟ وفي بلجيكا سأحدثكم عن مسألة ستستغربونها، وهي أن كنيسةً قد

---

(1) كذا، والصواب: الخامس جويلية سنة 1962م، وهو تاريخ استقلال الجزائر. (ع)

حوّلت إلى مسجدٍ بمدينة (لييج) بـ : بلجيكا، وهذا المسجد قد حضرتُ في تدشينه، وقد كان كنيسةً وأصبح اليوم مسجداً، وتشرفُ عليه وزارة الأوقاف المغربية.

وهناك مسجد آخر في (باريس) تُشرف عليه وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية الجزائرية، ثم بعد هذا أليس من المحاضرين عندنا مفتش التعليم الأصلي والشؤون الدينية في أوروبا؟ أليس هذا علامة من العلامات على أن للإسلام دوراً كبيراً أيضاً في إفريقيا وفي أوروبا؟

هذا ما يجب أن تعرفوه وغيره كثير - أيها الإخوان - عن انتشار الإسلام، وعن انتصار الإسلام، وهو الوجه الوضّاء المشرق المقابل لهذا الوجه القاتم الذي سمعناه طيلة ثلاثة أيام، ولكن مع هذا كلّه يجب أن نحذّر، وأن نكون على بينة من أنفسنا، وألا نكتفي بما نراه، فإن هذا الشيء الواقع هو روح الإسلام تنتشر وحدها، والإسلام له وقاية من نفسه، والإسلام له حماية خاصة، وهو دين الله، ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَيْنَ أَن نُبْطِئَهُمْ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (التوبة: 32)، فيجب أن يعرف شبابنا هذا الوجه الوضّاء، وأن الإسلام رغم كلّ هذا ينتشر وينتصر، وأن ما يقع الآن في بنغلاديش، وما يقع في باكستان، كلّهُ سرابٌ وسيذهب وسيضمحلُّ، وسينتصر الإسلام أخيراً - إن شاء الله -.

والسلام عليكم ورحمة الله.

تعقيب الأستاذ عبد الرحمن شيان

(مفتش عام بوزارة التعليم الابتدائي والثانوي

وعضو المجلس الإسلامي الأعلى بالجزائر)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إني أشكر الأستاذ المهدي البوعبدلي الذي أثنى عليه الأستاذ الأكبر الشيخ محمد أبو زهرة، إن محاضرته محاضرة منهجية مركزة، تزيد في الحصيلة التي جئناها قبل اليوم في هذا الموضوع، وإنما أذكر بصفة خاصة نقطاً وردت في هذه المحاضرة، أذكرها بشيءٍ من الاعتزاز بصفتي مسلماً جزائرياً.

النقطة الأولى: ورد في المحاضرة أن الجزائر المسلمة ساهمت بجيشٍ في ردِّ عدوان الحروب الصليبية الأولى بالشرق.

النقطة الثانية: ورد في المحاضرة تسامح أجدادنا المسلمين مع المسيحيين، يوم كان الأجداد المسلمون هم الحاكمين بلادهم، فقد ورد في المحاضرة أن أجدادنا المسلمين [كانوا] يشاركون المسيحيين في بعض أعيادهم زيادةً على تمكينهم من إقامة شعائرهم بكلِّ حرية، فهم يشاركونهم في فرحة تلك الأعياد، وهذا إن دلَّ على شيءٍ فإنَّها يدلُّ على تسامح المسلمين، وعلى مدى فهمهم للإسلام من أنه قائمٌ على السَّاحة والتَّسامح، لكن أي تسامح؟ التَّسامح الذي لا يُخشى منه الدُّوبان.

وهنا أعودُ إلى نقطةٍ ذكرتها بالأمس في التعقيب، وكتبها مندوبُ (جريدة الشعب)، وأخشى أن تؤوَّل ويُساء تأويلها، وهي أن أجدادنا رفضوا الحوار، أي حوارٍ رفض أجدادنا؟ في عهد الأمير عبد القادر لما كاتبهم ييجو وطلب إليهم أن يستسلموا، أجابوه بقولهم: إنَّ

تخلينا عن الأمير - عن أميرنا وقائدنا - فإن هذا التخلي نعهه كفرا، ونعهه عارا.

فالحوار الذي يدعو إلى الاستسلام، هذا حوار لا يُستجاب له، بل يجارب، إذن فأنا إذ قلت بالأمس إن أجدادنا قد رفضوا الحوار، إنما أعني الحوار الذي يدعو إلى الاستسلام.

النقطة الثالثة التي أريد التصريح بها، هي أن المحاضر ذكر أن الجزائر أخذت منطلقا لحملة تنصيرية تبشيرية لم يُعرف لها مثل في إفريقيا، وهذا مُرتبط بالغزو الاستعماري نفسه، فالجزائر أخذت محطة للاستعمار، بعد أن احتلت الجزائر امتد الاحتلال إلى شرقها (تونس)، وإلى غربها (المغرب الأقصى)، وكذلك المسيحية أو التبشيرية، أو الحملة التبشيرية أخذت من الجزائر منطلقا، والاستعمار والتبشير يسيران جنبا إلى جنب، ولما أراد الله لهذه الرُبوع أن تتحرر من الاستعمار وتسعى الآن للتحرر من التبشير، كان آخر معقل الذي أحرز على استقلاله وحرية هي الجزائر، خرج الاستعمار من المغرب ومن تونس، وخرج في الأخير وإلى الأبد - إن شاء الله - من الجزائر.

ولكن الذي أريد أن أُنبه إليه هو أننا الآن في الوقت الحاضر، الجزائر مثلما أشار الأخ الأستاذ سحنون، تقوم بدور فعال في ردّ الحملات التنصيرية في هذه البلاد، وما تصريحات ومواقف أختينا وزير التعليم الأصلي والشؤون الدينية إلا دليل على صدق عزيمتنا في هذا الميدان، وما انتشار المعاهد الإسلامية، أو الثانويات الإسلامية التي أشرت بالأمس إلى أن مؤامرات وقعت للحيلولة دون أن تتوفر الجزائر على هذا النوع من التعليم الذي يحمي شخصيتها وأصالتها، ولكن تلك المحاولات ذهبت وباءت بالفشل، والدليل على ذلك وجود هذه الثانويات الإسلامية المنبثّة في كل ناحية من نواحي الجزائر، والكليات الإسلامية التي يزمع إنشاؤها - إن شاء الله - الآن هناك محاولات إلى بعث القديس أوغويستان، وهو ما تساءل عنه فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ

أبو زهرة، مَنْ هو هذا المسيحي الذي أدخل الأفلاطونية الحديثة إلى المسيحية ؟ هو القديس أوغريستان الذي أشرت إليه بالأمس حين قلت: «إن عنابة (بونا) تعدُّ مركزاً أساسياً من مراكز التنصير والتبشير»، الآن يحاول - وقد تحرّرت الجزائر وتخلّصت من الاستعمار - أن يجعل من الجزائر قطباً للمسيحية في إفريقيا، في شخص مَنْ ؟ في شخص شخصية مسيحية كبرى في هذا الوطن، وأنا أعتقد أن بعث سانت أوغريستان آخر جديد بعد أن تحرّرت هذه الرُبوع من الاستعمار الذي كان يحمي التنصير أو التكفير.

أقول بأنه لا أمل يُرجى في هذه المحاولة، فسنتغلّب الجزائر على كلِّ مُناورة ترمي إلى أن تمكّن للتبشير بأن يعودَ في شكلٍ آخر، وفي صورة أخرى، ويهيمن في هذه البلاد، ولن تكون آية سُلطة، لا لشيوعية ولا لتنصير جديد في هذا الوطن الذي ضحّى أبناؤه بنحو مليون ونصف مليون شهيد، الجزائر اتّخذت منهاجها ودُستورها مما سنّه لها الإسلام، ومما أحياه وبعثه الإمام ابن باديس (رحمه الله) حين أعلن سنة 1937 قبل الثّورة بسنوات:

شعبُ الجزائر مُسلم      وإلى العروبة يتنسب  
مَنْ قال حادَ عن أصله      أو قال مات فقد كذب  
أورامٍ إدماجاً له      رام المحال من الطلب

وتعرّض للوسيلة، فقال:

يا نشءُ أنتَ رجاؤنا      وبك الصّباح قد اقترَب  
خُذ للحياة سلاحها      وخُض الخطوبَ ولا تهب

ثمّ ذكرُ بُندا آخر أساسياً للوصول إلى تحقيق هذه الأهداف، إلى أن تكونَ الجزائر مسلمة، وإلى أن تكونَ الجزائر حرّة، ذكرُ الوسيلة وقد سارَ عليها جيشُ التحرير في

حرب التَّحرير، فقال:

وأذِقَ نفوسَ الظَّالمينَ السُّمَّ يمزجُ بالرَّهبِ  
واقْلَعِ جذورَ الخائنينَ فمِنْهُمْ كَلَّ العَطْبِ  
واهزُزْ نفوسَ الجامدينَ فربما حييَ الخَشْبِ

ونقول عن الحوار: إننا مستعدون للتَّحاور مع كلِّ مَنْ يريدُ الحوار، ونأخذُ ذلك من قول ابن باديس (رحمه الله):

مَنْ كان يبغي وُدَّنا فله الكرامة والرَّحْبُ  
أو كان يبغي ذلَّنا فله المهانة والحربُ

فنحن نُوالي مَنْ يوالينا، ونُحارب مَنْ يحاربنا، وأختمُ بقول شاعر النَّهضة الجزائرية الشَّيخ محمد العيد آل خليفة، إذ يقول:

سوف تهوي مبادئ الكفر صرعى ويخلد الإسلام

تعقيب الدكتور أحمد الشرباصي

(أستاذ بكلية أصول الدين جمهورية مصر العربية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إخواني وأخواتي، من محاسن الأقدار على الإنسان إنِّي كنتُ في جوف الليل أقرأ تحقيق الأستاذ المهدي بوعبدلي (الشجر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني)، وأرى مقدِّمته الجليلة لهذا الكتاب، ثمَّ نفتحُ هذا الصِّباح باستماعٍ إليه في محاضرته الجليلة القيِّمة التي أفادتنا الكثير والكثير، لكن هناك ظاهرة في أغلب البحوث التاريخية المتخصصة المتعلقة بالتبشير في المغرب الإسلامي، هذه الظاهرة هي أننا عُنيْنَا على نطاقٍ واسعٍ بما اعتقد أنه

قارب مرحلة التّمجيد والتّخليد لجهود المنصّرين في بلادنا، دون أن يكون أمام هذا تبيان كافٍ واسع لردود الفعل، أو للجهود المقابلة من المسلمين عامة، ومن علماء الإسلام خاصة أمام هذه الجهود، كدّت أشعرُ بالخوف على عقول شبابنا وأنا أسمع من الأستاذ الجليل خبرَ ذلك القسيس المنصّر الذي حمل الصّليب وأقبلَ على ميدان محشود بالمسلمين وركز الصّليب في وسط الميدان، وكان يعلم تماما مصيره أو جزاءه الذي حدّثنا عنه، وهو أن عامة المسلمين أقبلوا عليه وضرّبوه حتى مات بين أيديهم، إذا كان المسلمون قد أدّوا في هذا الموقف واجبهم كعامة، فقد خشيتُ أن يكون موقف القسيس الذي عرّض حياته للموت أكثر تأثيرا في عقول الشّباب، وخاصة إذا لم يجدوا أمامهم الصّورة المقابلة من المسلمين عامة وخاصة في مقاومة هذا التّنصير، وفي الاستمسك بعتيقتهم والغيرة عليها، واستعدادهم للموت في سبيلها شهداء، كما يموتُ الدّخلاء أو بعضهم شهداء في سبيل العقيدة التي يَعتقدونها ولو كانت عقيدة باطلة.

كذلك كنتُ أخاف على تصوّر الشباب وعقولهم عندما سمعتُ من الأستاذ الجليل خبر ذلك المنصّر الدّخيل الذي ركز الصليب في الأرض المسلمة عقب مرحلة انهمازية لجهود النّصرانية مؤقتة، وهو يقول آخر ما يقول: «سنعود ... سنعود»، أحببتُ بل تميّنتُ من صميم قلبي أن أتعرّف إلى الجهود المقابلة في تلك الأزمنة الطويلة، وخاصة لعلماء المسلمين، لا يعقلُ عاقلٌ أبدا أن تمرّ هذه الجهود النّصرانية، وهذه الجهود الموصولة باستمرار لإفراغ المسلمين من دينهم ومحاولة القضاء عليهم في أوطانهم دون أن تكون هناك أصوات بادية أو خافية للجانب الآخر، صاحب الأرض، وصاحب الدّين، وصاحب العقيدة، ليتنا نُعنى في مرحلة قادمة قريبة بأن نتبّع الجانب الآخر، الجانب الإسلامي، جانب ردّ الفعل لهذه الجهود النّصرانية في بلاد الإسلام والمسلمين، لأننا محتاجون إلى أن نجليّ لأنفسنا ولشبابنا - بوجه خاص - أن هذه الأمة المسلمة في

أشدّ مراحل الضعف والظلام، لم يخفّت صوتُ الإسلام فيها، ولم تهدأ حركة المقاومة لهذا التّصير وتلك النصرانية، وإذا كان من الشعوب من يستبّيح أن يصنع لنفسه تاريخاً مزوّراً يملؤه بالمفاخر ومواقف الجهاد والنضال، حتى ولو كانت غير حقيقية، فإن تاريخ أمّتنا المسلمة في ماضيها البعيد والقريب وحاضرها لم تخل يوماً من أصوات حقّ، ومواقف مقاومة لهذه النصرانية ولأولئك المنصّرين.

سمعتُ في طفولتي أنّ محمد عبده (عليه رضوان الله) تصدّى لحمالات رينان، ولتهجّم فرح أنطوان عندما كتب ما كتب ضدّ الإسلام، فكان من وراء ذلك كتاب الأستاذ الإمام: (الإسلام والنصرانية)، وهو كتابٌ جيّد في المقاومة، وردّ الفعل ضدّ حملات التّصير.

أيضاً أتذكّر أنّ الأقباط في مصر عقدوا مؤتمراً باغياً متطلّعا طموحاً في سنة 1912م، فكان ردّ الفعل المباشر والسريع أن عقد المسلمون مؤتمراً إسلامياً يردّون على هذا المؤتمر، وكتبَ المرحوم السيد محمد رشيد رضا كتابه: (المسلمون والقبط)، [وهو] جزءٌ من مقاومة هذا التّصير النّصراني في وادي النيل، كذلك عندما ظهر كتاب: (في الشّعْر الجاهلي)، وظهر فيه بجلاء تأثر صاحبه بالمبشّرين وأفكار المنصّرين وأفكار المستشرقين وأفكار المغرّبين، كانت هناك ردود كثيرة، ردّ للأستاذ محمد أحمد الغمراوي في كتابه: (النقد التحليلي)، ردّ لأمير البيان شكيب أرسلان في مقدّمته المبسوطة الواسعة لكتاب: (النقد التحليلي)، ردّ الشيخ محمد الخضر حسين (عليه رضوان الله)، ردّ الأستاذ محمد أحمد عرفة، ردودٌ كثيرة لا أذكرها الآن، كانت تصويراً للوجه الآخر، وهو موقف علماء المسلمين من هذه الحملات التّصيرية على مدى الزّمن.

كلُّ رجائي هو أن نعي في مرحلة قادمة وقريبة بأن نراجع تاريخنا، ونبرز عن قصد وهدفٍ وعمد المواقف التي كانت تقابل هذه الحملات التّصيرية، سواء أكانت من



العامة أو من الخاصة، وخصوصاً مواقف علماء الإسلام في هذه المراحل، فإنني لا أشكُّ أقلَّ شكِّ في أنه كانت هناك ردود، ربما كانت ضعيفة، ربما كانت بعيدة، ربما كانت في دولة من دول الإسلام غير الدولة التي يتبجح فيها التنصير، ولكن على كلِّ حالٍ كانت هناك مقاومة، فنحنُ أحوج ما نكون إلى أن نجد السَّواند والحوافظ التي تحفظ علينا ثقتنا بأنفسنا، وثقتنا بتاريخنا، وثقتنا برجالنا، وإلا فإن الرِّيبَ والشَّكَّ قد يتسرَّب إلى عقولِ بعضِ الضَّعاف، أو قلوبِ بعضِ الضَّعاف، فيتوهَّمون أننا فقدنا الصِّلاحية للحياة، بينما صلح غيرنا للحياة وللسيطرة على الأحياء، شكرالكم.

والسَّلَام عليكم ورحمة الله.

### تعقيب الأستاذ محمد شريقي بلحاج

(عضو المجلس الإسلامي الأعلى، وأستاذ بثانوية المقراني بالجزائر)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الشيخ المهدي البوعبدلي في آخر ما قاله، وأظن أن هذا من مسك الختام، وهي ملاحظة أريد التّعقيب عليها، قال: «نجد في الجزائر - وهذا ما يؤسف له - بعض مدارس التّبشير الكثيرة، ونجد إخواننا الجزائريين يتسابقون في تسجيل أبنائهم لما يجدون في هذه المدارس من الجدِّ والنظام».

وهذا واقعٌ لا جدال فيه، بل إننا - ويا للأسف - نجد الذين يقصدون هذه المدارس هم من المسؤولين الذين لديهم مكانة مرموقة في المجتمع، وإنكم لتقدرون مدى الخطر الذي يتّخذهُ هؤلاء بالنسبة للطبقات الأخرى الشَّعبية التي ترى في نفسها وكأنها محرومة من أن تصل إلى هذه المدارس، ترى نفسها من هذه، طبقةً دونية، وتبقى فيها دائماً هذه العُقدة، لأن أولئك يفتخرون عندما يجتمعون بهم في الشوارع أو في المدارس،

وخاصة في الجامعة، أنهم تخرَّجوا من مدرسة كذا ... وكذا ... وخاصة المدارس المشهورة في العواصم بالخصوص، ولذلك فإنَّ مسؤولية المسؤولين هنا عظيمة جدا، وأرجو أن ينتبهوا إلى هذا الخطر، ولكن لا يكفي أن نقف مكتوفي الأيدي أمام هذه الأخطار، ومن حسن حظِّي أن يسبقني إلى المنصة الدكتور أحمد الحوفي، وهي نفس الكلمة التي أريد أن أركِّز عليها اهتامي، يجب أن لا نبقى مكتوفي الأيدي، بل يجب أن نواجه هذا:

أولا: بتحسين تعليمنا، وجعله في مستوى يُسائر أو يفوق مستوى تلك المدارس التبشيرية.

وثانيا: يجب أن نربي أبناءنا، وخاصة الشباب في كلِّ المراحل بالتربية الدِّينية الكافية التي تمكِّنهم من الحصانة التي بها يستطيعون أن يواجهوا هذا الخطر.

واسمحوا لي أن أعطيكم تجربةً قام بها الإخوان هنا في الجزائر، وأظن أنها تصلح أن تعمم هذه التجربة شهدت الجزائر - كما تعلمون - هجرةً قويَّة من القرى إلى المدن، وأغلب التلاميذ الذين يأتون من القرى لا تزال فيهم تلك السِّداحة القروية، وأغلبهم يتمسكون بالصلاة، وإذا وصلوا إلى العاصمة - خاصة - فإنهم لا يجدون في التكميليات، وفي الثانويات، وفي الجامعات المكان الذي يقيمون فيه الصلاة، فعمد بعض الإخوان والشباب بصفة خاصَّة إلى أن يكونوا في كثير من الثانويات قاعات، سمَّوها: (مصلَّى)، أو سمَّوها: (مسجدا)، أو سمَّوها ما شاءوا، ولكن كان الطلبة يعلمون أن هنالك محلاَّ خاصَّا تقام فيه الصلاة، وبمجرد ما فتحت هذه القاعات تسابَق إليها كثير من الشباب، وكان هؤلاء الطلبة والتلاميذ هم الذين يقومون بكلِّ نشاط إسلامي الذي يُطالب به اليوم، كانوا في كلِّ مناسبة يملؤون أروقة الثانوية بالشُّعارات الإسلامية، فإذا جاءت مناسبة دينية أقاموا الحفلات، وإذا وصل إليهم عالم ديني

استدعوه ليلقي عليهم محاضرة، وإذا كانوا في كل رأس سنة هجرية، وفي كل مولد يقيمون حفلة خاصّة لذلك، هذا العمل هو الذي به وحده نستطيع أن نقاوم، أو هي إحدى الطُّرق التي نستطيع أن نقاوم بها ما يسمّيه الدكتور (كذا) محمد الغزالي بحق: (التّهجين الثقافي)، فإذا قابلنا هذه الحركة التي تغزونا في الصميم (الحركة التبشيرية)، قاومناها بحركة دينية تُعنى بالشباب، بالطفل في التكميلية وفي الثانوية، فإنه بعد ذلك يستطيع أن يتحصّن هؤلاء الطلبة الذين حدّثتكم عنهم، هم أنفسهم الذين يقومون الآن في جامعة الجزائر في المسجد بحركة النشاط الديني، وهو نشاط مبارك، وهو نشاط نرجو منه خيرا كثيرا، ولذلك بهذه المناسبة أحيي الشائين اللذين تفرّغا إلى هذا الموضوع، وهما من شباب الجامعة، ونبّها الأساتذة المسؤولين في الجامعة وفي سائر مراحل التعليم عن واجبهم إزاء الطلبة، هذا هو الموضوع الذي أريد أن ألفت إليه نظر الشّباب خاصة، والشابات أيضا، لأننا نجد حتى في مسجد الجامعة شابات يُقمن صلاتهنّ كما تلزمه الشريعة، وهذه خطوة مباركة أرجو أن تعمّم.

والسلام عليكم ورحمة الله.

### تعقيب الدكتور عمر فروخ

(عضو مجمع اللغة العربية في القاهرة، وعضو المجمع العلمي العربي في دمشق،

وعضو جمعية البحوث الإسلامية في بومباي)

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

هذه المحاضرة قيّمة جدًّا، إن حضرة السيد المحاضر لم يرفق بنا - كما قال غيري - ولذلك عندي ملاحظتان في التاريخ، ولهما صلة في التبشير، وما ينتج منه.

أولا: صلة شارلمان وهارون الرشيد هذه غير موجودة، وإنّا اخترعها المبشرون

والمستشرقون، حتى يقال إن هنالك أسبابا تاريخية جعلت فرنسا تنزل في هذه البلاد، ولذلك سأشير إليها هذه الإشارة العارضة، يجب علينا نحن المؤرخين المسلمين ألا نذكر هذه أبدا، لأنها لم تذكر في مصدر من مصادرنا، وإنما أوجدها المستشرقون.

ثانيا: هنالك نقطة مهمّة، تعليل انتشار الإسلام انتشارا تاما في المغرب، الآن لا شكّ في أنّ هذا لغز كبير في دراسة التاريخ، ولكن هذا اللغز قد حلّ على أوجه كثيرة، وهذا وجه جديد، أعتقد أنه جديد على بعض المستمعين، وليس جديدا على المؤرخين - على كلّ حال - ذلك أن النصرانية التي كانت موجودة في صدر الإسلام، وفي أيام الفتوح ليست النصرانية الموجودة الآن، ولذلك كان أولئك النصارى أقرب إلى الفكر الإسلامي منهم إلى الفكر النصراني.

وبالاتفاق بين يدي هذا المقطع اليسير الذي جئتُ به اتّفاقا معي.

لما جاء الإسلام، كان في العالم فرق النصرانية كثيرة، وخصوصا في بلادنا في المشرق والمغرب، من هذه الفرق شيعة تسيليوس الاسكندري في القرن الثاني للميلاد، وقد أنكر قيامة المسيح من الموت، وكان يقول: إنّ المسيح لم يأت بجسم حقيقي، بل كان ذا ناسوت خيالي، ولذلك لما أراد أعداؤه أن يلقوا عليه القبض لصلبه شبّه لهم برجل اسمه: سمعانا لفروي، فصُلب عنه.

وهنالك قسيانين، وكان في أواخر القرن الثاني، قال: إن الإنجيل قد تبدّل وتغيّر.

ثم هنالك آريوس المشهور، وكان أسقفا على الإسكندرية وقال: إن المسيح ليس بإله، وهو مخلوق من لا شيء.

وهنالك أسقف القسطنطينية، فقد قال: إن مريم العذراء ليست بوالدة الله، لأجل أن الله لا يمكن أن يولد من إنسان.

وهنالكَ سادجوس تحيرا، وكان راهبا نسطوريا من نجران التي هي قُربَ دمشق، توفي قبل الهجرة بأربعة أعوام، وكان يقول: إن المسيح لم يصلب، ولم يمت، بل شبّه به. هذه الفرق النصرانية وُفرقٌ أخرى مثلها، كانت منتشرة في العراق، والشام، ومصر، والحبشة، وإسبانيا، ثم جاء الإسلام وخرج العرب في الفتوح ولا تزال تلك الفرق موجودة، لذلك كان هنالك نصرانية رسمية في الدولة، هي: الكاثوليكية الموجودة الآن، وكان هنالك فرق غير كاثوليكية ولا صلة لها بالكاثوليكية، وكان المذهب الكاثوليكي يضطهدُها اجتماعيا، وسياسيا، واقتصاديا، ولذلك لما جاء الإسلام انتقلت هذه الفرق إلى الإسلام جملةً واحدة، لأنها كانت تعتقد أن الإسلام الذي جاء هو أقرب إلى النصرانية التي كانوا عليها، وتعلمون أن سوفرونيس (أسقف القدس) أصرَّ على أن يسلمَ القدس لـ: عمر بن الخطاب قبل أن يموت بعام واحد، ولا يريد أن يدافع عنها حتى يردها إلى الروم البيزنطيين الذين كانوا يضطهدون هؤلاء النصارى، وبعد أن تسلّم عمر بن الخطاب المدينة طاف البطريرك سوفرونيس نفسه مع الخليفة في أرجاء القدس يدلُّه على الآثار الدِّينية فيها.

نحن نقول: إن انتشار الإسلام في المشرق والمغرب كان معجزة ... نعم، لقد كان معجزة!! ولكن كانت له أسباب، من هذه الأسباب، هذه الفقرة.

والسلام عليكم.

تعقيب الأستاذ خليفة المحفوظي  
(مكلف بمهمة بالديوان الملكي)  
(الرباط - المغرب)

أشكر الأستاذ المهدي البوعبدلي على محاضراته القيّمة الرّائعة عن الأخطار المحدقة بالعالم الإسلامي من طائفة المبشرين، وخصوصا في إفريقيا الشمالية أو في المغرب الإسلامي، ولا يستغرب ذلك التوفيق الذي صاحب المهدي البوعبدلي، فهو ابنٌ لأسرة تُعتبر من أفضل الأسر المحافظة على الإسلام، والعاملة بدعوته في الجزائر المسلمة، إلا أنّني أريد في خصوص هذه المحاضرة أن ألحّ على نقطتين اثنتين، هما:

أولا: يجب الاعتناء بمواجهة التبشير الجديد في الجامعات، وخصوصا في بعض الكليات منها في العالم الإسلامي، من طرف جماعة تملك - مع الأسف - أسماء إسلامية، وتأكل وتتعمق بأموال إسلامية، ولكنها في الواقع تعمل وتدسّ على الإسلام في أبنائه من خلال ما تُسمّيه علما وتنويرا، وما هو إلا سمّ قاتل لمختلف شباب الأمة الإسلامية وعقيدته.

يجب أن يوضع حدّ لهذه الطائفة، وخاصة لبعض الذين يدرسون في كليات الحقوق في القانون المدني والدستوري على الخصوص، وبالنسبة لكلية الآداب مثل طائفة من أساتذة الفلسفة في شعبة الفلسفة، فالبعض منهم ينكر وجود الفلسفة الإسلامية، ويركّزون على الفلسفة الملحّدة لتلقينها لهذا النّشء الجديد من أبنائنا وشبابنا، حتى يضلّوهم عن الإسلام وشريعته وكلّ ما جاء به وفيه، إذن يجب أن يوضع حدّ لهؤلاء الأساتذة.

ثانيا: يجب أن تُراجع برامج التعليم الثانوي والتعليم العالي، وأن يعطى للمواد

الإسلامية في هاتين المرحلتين من التعليم أهميّة كبيرة، وأن يكون الإصلاح المراد إدخاله على هذه المواد يعتمد على المنهجية والتّركيز وبثّ الرّوح عن طريق هادفة لا يشعر بها الطالب في المدارس التكميلية والثانوية، وكذا طلّاب الجامعات، لنفوق فيما يمدّه أستاذ أجنبي من مواد يعهد إليه تدريسها، ومن المواد التي قد تكون ضعيفة في بعض الأحيان فيما يقدّمه الأستاذ المسلم، إذن على الأساتذة عندما تقوم الوزارة بمراجعة البرامج أن يكونوا في المستوى، حتى يجعلوا شبّاننا يشرب من معين الثقافة الإسلامية المصنّقى.

هاتان الملاحظتان اللتان أردت إضافتهما إلى ما سمعته من طيب الكلام، وطيب القول، من أختنا المحاضر الكريم الأستاذ المهدي بوعلام.

والسلام عليكم ورحمة الله.

### تعقيب الأستاذ سليم كلالشة الغبريني

(أستاذ مساعد بكلية الآداب جامعة الجزائر)

أردت أن أنبّه إلى نقطة وردت في محاضرة الأستاذ المهدي البوعلامي، وهي كون الجزائر كانت مسيحية، واستدلّ بذلك على شخصية معينة - شخصية القديس أوغستين - ولكن الحقيقة التاريخية أن الجزائر قبل دخول الإسلام لم تكن المسيحية منتشرة فيها، والتاريخ يتحدّى أيّ مؤرّخ يستشهد بوثائق تُثبت على أنّ المسيحية دخلت الجزائر قبل دخول الإسلام، وقلتُ هذا لأنّ هناك بعض الأبحاث السطحية المبعوضة تُريد أن تجعل الجزائر مسيحية قبل الإسلام، والتبشير هذا امتدادا طبيعيا ضدّ الأمة الجزائرية قبل الإسلام، ثمّ كثير من المؤرّخين يركّزون على هذه النقطة لأهدافٍ استعمارية بحثة، مثل شارل أندري جوليان المؤرّخ، الذي قال في كتابه: (تاريخ إفريقيا الشمالية)، ومثله استفان، هؤلاء المؤرّخون الذين لديهم غمّزات لهم فيها أهداف، هؤلاء وأمثالهم الذين

كتبوا تاريخ الجزائر القديم، فيجب علينا دراسة هذه الكتب والتنبُّه إلى الدسائس الخطيرة الموجودة فيها، التي قد تحدث للقراء الذين ليست لديهم ثقافة مبنية على أساس من الثقافة الإسلامية.

كما أريد أن أنبه مرّةً أخرى إلى العناوين الموضوعية قصداً من طرف المؤرخين، ك: الغزو العربي، وللأسف كنتُ أقرأ إحدى المرات كتاباً تاريخياً للوزارة النيجرية، فوجدتُ كلمة: الغزو العربي، فيجب أن ننتبه إلى هذا.

ومما يزيد الطين بلّة أن تاريخ الجزائر متّخذ من مصادر أجنبية، فالمؤرخ المسلم التزيه عليه أن يوضّح جميع هاته النقاط الغامضة التي يمكن أن توقعنا في أفكار قد تُفسد شبابنا المسلم ونظرتَه الإسلامية، وأنا شاهدتُ في الجامعة الجزائرية بعض الطلبة متأثرين تأثراً بليغاً إلى حدّ لا يتصوّر بها هو أجنبي تاريخياً وغيره.

وهناك نقطة أخرى وردت في المحاضرة وهي: أن الجزائر قد ساعدت في القضاء على الحركة الصليبية، ولكن بالعكس فإن الجزائر في عهد الدولة الموحدية - تاريخياً - كانت تتعرّض إلى الهجومات الصليبية، والمؤرخون يعدّون لنا أن هناك حوالي ثمان حملات على المشرق، منها واحدة خصّصت إلى المغرب، والحقيقة أن هذه النظرية غير صحيحة، فالحملات أكثر بكثير من هذا، لذا أقول: إن الجزائر أو الدولة الموحدية الإسلامية لم تقدّم يد المساعدة إلى المشرق آنذاك، وهذا لظروف تاريخية عاشتها الجزائر والمغرب الإسلامي في ذلك الوقت، لذلك لم تكن هناك اتّصالات بين المشرق والمغرب فيما يخصّ الحروب الصليبية - وكلنا في الهمّ سواء.

والسلام عليكم ورحمة الله.



تعقيب الأستاذ عبد الرحمن الكتاني

(الكاتب المحرر بمكتب الأمانة العامة)

ورئيس فرع رابطة العلماء بالرباط وسلا بالمغرب)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أشكر أخانا المحاضر الكريم السيد المهدي على محاضراته العامرة، وكنتُ أودُّ أن يُسمعنا هو، والدكتور التميمي، بتوصيتين أو توصيات من تِلْكم التوصيات والقرارات التي كانت تُصدرها المؤتمرات التبشيرية العالمية، التي كانت تنعقد في أوروبا أثناء القرن التاسع عشر والقرن العشرين، ويرجع اكتشافها والسَّعي في ترجمتها ونشرها في مقالات متتابعة إلى الأستاذ محب الدين الخطيب الداعية الإسلامي المعروف (رحمه الله)، وذلك في صحيفة (الفتح) التي كانت تصدر في القاهرة منذ نحو (40) أربعين سنة، وكان لها دور كبير في توعية الجماهير الإسلامية، وتنبهها إلى أخطار المبشرين والاستعماريين واليهود، ولقد جمعها ونشرها في كتابٍ يحمل عنوان: (الغارة على العالم الإسلامي)، وقد طبع هذا الكتاب آنذاك، وجدد طبعه منذ سنوات قليلة، وقد اشتمل على كلمات أُلقيت في تلك المؤتمرات، وتوصيات وقرارات خطيرة أُنحذت فيه، تشرح أساليب المسيحية في موضوع التبشير، وهذه فقرة جاء فيها: «إن العقبة الوحيدة التي تعترض المسيحيين في شمال إفريقيا هم الدراويش - يعنون بذلك رجال التصوف الإسلامي النقي الطاهر - أولئك الذين يسيرون في السهول والجبال، ويقطعون الفيافي والقفار، وليس معهم من الزاد إلا البصل والدقيق، يرفعون أصواتهم ب: لا إله إلا الله محمد رسول الله، ويدعون إلى الإسلام كل من يلقونه أو يجالسونه، لا ينفق عليهم أحد، وإن أخذوا شيئاً من مضيفهم فإنما هي دربهات يسيرة، يستطيعون بها الانتقال من جهة إلى جهة.

وقد أشاد أمير البيان أرسلان بأعمال هؤلاء الصوفية في تعليقاته على (حاضر العالم الإسلامي)، ونوّه بجهد السنوسيين والتيجانيين، وغيرهم بإفريقيا الغربية، نوّه بأعمالهم في سبيل نشر الإسلام بإفريقيا الغربية، أو تثبيت دعائمه في نفوس المسلمين في مختلف القارات، وغني عن البيان أن هذا العمل يدخل في نطاق قيام العلماء وأنصار العلماء بواجبهم في سبيل الدعوة الإسلامية، وتُعجني كلمة قالها جمع من الأجانب الباحثين، وهي أنه لما توقفت الفتوحات الإسلامية حلّ محلّها علماء الصوفية وأنصارهم، يدعون إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، ولا أكون مُفشيّاً للسرّ إذا قلتُ إنّ مناشير المبشرين توزّع حتى في الحرمين أثناء موسم الحجّ، فلقد وجدتُ واحداً أثناء زيارتي للحرم المكيّ في الموسم الأخير، وأخبرتُ السيد الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي الشيخ محمد الصالح القزاز ليلفتَ نظر المسلمين إلى هذا.

إخواني، لما يئس المبشرون من نجاح تبشيرهم التقليدي تمام النّجاح، عملوا الاتفاقات مع الشّيوعيّين والرأسماليّين إلى سلوك طريق التّبشير الثقافي بالثانويات والجامعات، وكلّنا يعلم أنّهم نجحوا شطر النّجاح في هذا الباب، فحوّلوا شطرا من شبابنا إلى شيوعيّين كما هو واقعٌ في جامعة محمّد الخامس بالمغرب، وهم يمهدون لهذا في السّنتين الأخيرتين من التعليم الثانوي، أثناء دروس الفلسفة التي يعتمدون فيها على مصادر أجنبية، ومن أجل ذلك أطلب لجنة التّبشير باتّخاذ توصيات توصي فيها وزارة التربية الوطنية لجميع البلاد الإسلامية، [بما يلي]:

أولاً: الاطلاع على التّدريس في ثانوياتها وكلياتها، ومراقبة كلّ أستاذ يشكّك الطلبة في دينهم ولغتهم وحضارتهم، سواء كان من المسلمين الجغرافيين، أو من الدول التي تدّعي ب صداقتها للمسلمين.

وثانياً: أن تمنع دخول أبناء المسلمين من مدارس البعثات الأجنبية بالمرّة، حتى لا

تفسد عقائدهم وأخلاقهم، وبالتالي لا يتنكروا لمجتمعاتهم.

وثالثا: أن نغلق كل المدارس التي يُديرها الرهبان والراهبات بالبلاد الإسلامية.

رابعا: أن يُصنغ التعليم كله بالصُّبغة الإسلامية، سواء في الطب أو الهندسة أو ما إلى ذلك، كما كان عليه الحال أثناء ازدهار الحضارة الإسلامية ب: مكة وبغداد ودمشق والقاهرة وقرطبة ونيجيريا وفاس، وعواصم البلاد الإسلامية كلها.

خامسا: أن نعمل على إرجاع الأدمغة المسروقة من البلاد الإسلامية، إذ إن هذه تعمل في البلاد الأخرى ك: أمريكا وغيرها، في حين أن بلادهم في حاجة شديدة إليهم، بل منهم من أخذ الجنسية الأجنبية تبعا للزوجة، ﴿وَلْيَنْصُرْكَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ﴾ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ (الحج: 40)، وكان حقاً على الناس والمؤمنين، ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ (التوبة: 105).

والسلام عليكم ورحمة الله.

## رد الأستاذ المهدي البوعبدلي على الأساتذة المعقبين

إنني في هذا التعقيب أواصل التعقيبات التي تحدّثنا وشرعنا فيها هذا الصباح، ومن جملة هؤلاء الذين توقّفنا عندهم الدكتور عمر فروخ، فلقد ذكر في تعقيبه أنّ ما ذكرته في المحاضرة من الاتفاقات والمعاهدات التجارية التي تمّت بين الخليفة العباسي هارون الرشيد وشارلمان في القرن الثاني الهجري ليس لها أصل، ودليله على ذلك أنه لم يجد لها ذكرا في الكتب التاريخية الإسلامية، ولكنني رغم أنّي أحترم الدكتور عمر فروخ، وتشرفتُ بصداقته منذ سنتين، وأطلعتُ على كثير من كتبه واستفدتُ منها، فإنني لا أوافقُه ولا أعتبر كلامه حجة، إذ لا يفهم أنّ الإنسان إذا لم يجد شيئا مذكورا في كتب تاريخية معيّنة أنه لا يوجد ما قيل، لأنّ هذه المسائل ومن ذكرها لم نأخذها من الكتب الفرنسية فقط، أو المترجمة من الفرنسية، وإنما هناك كتبٌ عربية، وهناك آثار أيضا لهذا الاتصال، ومن جملة هذا الاتصال المعاهدات التجارية الكثيرة من دور الوثائق وعدّة وزارات، ومحقّقة ومؤرّخة في الوقت الفلاني، هذه التي قيل عنها كانت بين الدولة العباسية، وفي عهد الخليفة هارون الرشيد، وفرنسا في عهد شارلمان، وأرّخت سنة 181هـ، ونتج عنها أن الوثائق التاريخية الفرنسية أثبتت أن هارون الرشيد من جملة تصرّجاته أنه يفضّل صداقة شارلمان على كثير من الملوك الأوروبيين من ملوك أوروبا.

ثمّ نتج عن هذه العلاقات التجارية طلب شارلمان من الخليفة هارون الرشيد أن يعترف له برعاية بعض المؤسسات المسيحية الموجودة في بلاد الخلافة العباسية، ومن حملتها كنيسة القيامة التي بنتها هيلانة أم قسطنطين في القدس، ثمّ آثار قرطاج بـ: تونس، وآثار أخرى بـ: عنابة، والدليل على هذا الخبر ما طلبه الفرنسيون من بعض ملوك المسلمين، ونقلوه إلى سردينيا، وعندما نقل إلى سردينيا واحتلّ المسلمون سردينيا

نقلوه إلى إيطاليا، وبعد الاحتلال الفرنسي نقل سنة 1844 أو سنة 1845 من إيطاليا إلى الجزائر.

بجانب هذا، فإنني أطلعتُ على كتابٍ قيّمٍ لأحدِ المستشرقين (عفيفي)، ذكر في (مقدمته) أن كنيسة القيامة التي كانت تُشرف عليها فرنسا كان معترفاً بها لـ: فرنسا من عهد الرشيد إلى أن أتى الخليفة الحاكم بأمر الله الفاطمي، فألغى تلك الوصاية وهدم تلك الكنيسة، وبعد ذلك عندما طلب الكاردينال لافيغري بواسطة كومبِطا من الخلافة العثمانية - عندما بعثته فرنسا على رأس المرشدين المسيحيين الذين أعانوا الدولة العثمانية في الحرب، وطلبوا منه أن يُرجع لهم معهد تكوين الدعايات وبث الفكرة بين البروتستانتية والكاثوليكية.

هذه حقائق لا يمكننا أن نُبطلها بمجرد ما لم نجد في كتابٍ من الكتب، فكثيرٌ من المؤرّخين لم يعتدوا في كتاباتهم على ما كتبه [مَن هو] قبلهم، مثل الكتاب الذي تعرّض لتاريخ البربر هنا في الجزائر، وفيه الكثير مما نحن بصددّه، وهو آثار التّخريب المسيحي.

أمّا الدّراويش الذين ذكرهم السيد الكتاني فنقول له: إن التعبير عنهم بلفظ: الدّراويش، لا ينطبق على كثيرٍ من هؤلاء الذين كانوا سبباً في ردّ الهجومات والغزو والتبشير، وقاوموه، مثل محمد بن علي السنوسي الجزائري الأصل، [فإنه] كان من علماء المذاهب الأربعة، حتى فاق كثيراً من العلماء، و[هو] من الذين سبقوا أو انهم، دعا إلى الإحتكام إلى الكتاب والسنة، ومن ذلك كتابه: (إيقاظ الوسنان في وجوب العمل بالسنة والقرآن)، وقد حمل عليه كثيرٌ من علماء الأزهر، ولم يُوافقوه على هذه الجراءة، كما قالوا على المذهب، وقالوا بأنه فتح باب الاجتهاد، ومن جملة هؤلاء الشيخ عليش (رحمه الله).

وهذا السنوسي ومقاومته للتبشير كانت تنحصر في هذه الخطة التي اعترف لها بها

الأمير شكيب أرسلان في تعليقاته على (حاضر العالم الإسلامي)، الذي ترجمه من الإنجليزية إلى العربية الأستاذ نويهض، فقال: «إن محمد السنوسي عندما كان في برقة وكانت تمرُّ عليه القوافل التي تتاجر، كان يشتري منهم الكثير من الصبيان والشبان ويعلمهم في مدارس، وبعدهما يأخذون حقهم من التعليم يعتقهم بشروط:

أولاً: الرجوع إلى أهلهم لبيثوا الدعاة الإسلامية، والذين لم تتوفر فيهم هذه الشروط يعتقهم بشرط أن يحفروا الآبار ويغرسوا النخيل»، هذا ما قاله الأمير عن محمد بن علي السنوسي في شمال إفريقيا.

أما فيما يتعلق بما بين العهد القرطاجي والعهد الروماني - في فترة قرنين - الذي قال فيه صاحبه: إنني لم أعتد على مصادر مكتوبة، وإنما أعتد فيه على آثار تثبت ذلك ... إذن فلا أوافق الأخ عمر فروخ مع الاحترام.

أما السيد خليفة المحفوظي فله اقتراحات على كل حال في تعقيبه، من بينها مواجهة التبشير في الجامعات، نوافقه على هذا، خصوصاً وأن التربية الإسلامية التي عليها العمدة وفاقاً لما قاله ﷺ: «يولد الولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه ... الخ»، فهذه التربية فقدت في كثير من الأسر، وخصوصاً الذين تفرسوا لعدم استعمالهم العربية.

ونرجع إلى الرد على الأستاذ الكتاني فنقول له: إنه في تعليقه الذي قال: إن السيد محب الدين الخطيب مدير مجلة (الفتح) كان حمل حملة وذكر فيها كثيراً من آثار التبشير والتوصيات المسيحية أثناء انعقادها، ولم يتعرض لها أحد سوى مجلة (الفتح)، فنحن نرى أن مجلة (الفتح) هذه، كان كاتب جزائري، وهو سعيد الزاهري (رحمه الله) كتب فيها سلسلة من المقالات نشرت في العشرينيات والثلاثينيات تحت عنوان: (الإسلام في حاجة إلى دعاية وتبشير).

فهذه المقالات جُمعت في مجلِّدٍ واحد، وطبعه الأستاذ محب الدين الخطيب.  
بقي لنا الأستاذ عبد الله عبد الكريم، فإنَّه في ملاحظاته قال: إنَّنا تركنا الغزو الثقافي والاقتصادي، إجابتي للأخ مع احترامي له، إن موضوع هذا الملتقى هو ضدَّ العقائد التبشيرية، أما الغزو الثقافي والاقتصادي فهو صراعٌ مستمرٌّ بين الشُّعوب المتخلِّفة والمتقدِّمة، وقد اهتمَّ ببعض جوانبه الملتقى الخامس.  
والسَّلَام عليكم ورحمة الله.

## ردُّ الأستاذ المهدي البوعبدلي على أسئلة الطلبة

(س): سيّدي المحاضر المحترم، نشكركم على محاضرتكم القيّمة، ونرجو من سيادتكم أن تبيّنوا لنا ما هي الأغراض التي ترمي إليها هذه الدعوة التبشيرية، هل هي أهداف اقتصادية، أم استعمارية، أم دينية؟ فإذا كانت دينية، هل هم معترفون فيما بينهم أنهم مخطئون، وإنما يريدون فقط أن يمسكوا العالم الإسلامي، أم أنهم يظنون أنهم على حق؟ وشكرا. (الطالب: أزمرا السعيد).

(ج): أولا: إن هذه القرارات التبشيرية قد تعرّض لها كثير من الكتّاب، وهي - على كلّ حال - الغاية منها هي الغزو العقائدي ونشر المسيحية، أو على الأقل، هدم الإسلام وبلبله الأفكار، وهذا معروف، وأما الناحية الاقتصادية [فهي] طارئة، والحقيقة أنّ حروب الغزو الصليبي الأول - أي: الحروب المعروفة بـ: ثمان حروب - كانت لها نواحي اقتصادية كثيرة.

وهناك ناحية أخرى سياسية، لأنه بعد مجيء الإسلام شعرت المسيحية بأن مركزها السياسي قد اختلّ، هذا في أوروبا - أي: إيطاليا - وهذا معروف.

(س): سيّدي المحاضر، طالما الأوروبيون يبشرون بدينهم، وهم مجتهدون لذلك، هل يمكن للمسلمين أن يبشروا بدينهم الإسلامي وهو الحقّ؟ وشكرا. (الطالب: عبد السلام زيتلي).

(ج): الجواب على اقتراحك هذا، وهو أنّ الأوروبيين يبشرون دينهم، وهذا ما تعرّضت له في المحاضرة، فالأوروبيون - الآباء البيض - الذين يستमितون في سبيل ما يرونه حقاً ويعتقدونه، أعطونا مثلاً، وأقاموا لذلك دلائل على أنهم جادّون فعلاً.



**CHARLES DE FOUCAULD OU  
L'ECHEC D'UN MISSIONNAIRE (1)  
Par AL MAHDI AL BOUABDALLI**

**De Foucauld** s'est longtemps ingénié à cacher son activité politique sous les apparences du moine excessivement ascétique, à tel point qu'il a attiré l'attention et s'est fait une renommée jusque dans les milieux scientifiques français. Mais la guerre de 1914-1918 allait mettre fin à son double jeu.

En effet, à peine les hostilités venaient-elles d'éclater qu'il jetait le masque pour laisser place à l'homme politique dangereux qui s'était drapé sous l'habit sacerdotal pendant les quatorze années de son séjour et de ses déplacements au Sahara (1902-1916).

L'étude même limitée de sa vie est subordonnée à la non séparation de ce trio indivisible: le soldat, le moine et le politique.

Ces trois personnages se complètent les uns les autres en Charles de Foucauld et c'est ce que nous essaierons de montrer dans cette étude, en dévoilant certains aspects de sa vie qui restent entourés de mystères, même pour les milieux intellectuels occidentaux, D'où les contradictions entre ses critiques, à cause des divergences de points de vue entre les écrivains impartiaux et les autres.

**Le soldat:**

Charles de Foucauld est né aux environs de 1859 dans la province de

---

(1) جريدة المجاهد الثقافي (الجزائر)، عدد: 67 خاص، السنة الثالثة، الجمعة 5 جانفي 1973 م، ص: 15 - 16. (ع)

Lorraine. Entré à Saint Cyr, il y mena une vie normale, avec cependant un penchant prononcé pour le libertinage, le luxe et la débauche, ce qui attira sur lui l'attention de ses supérieurs et lui valut de comparaître devant les conseils de discipline.

Imaginons ce que devait lui coûter cette existence de plaisirs et de dissipation. On a évalué ses dépenses, annuelles à 70.000 francs de l'époque. Il se peut d'ailleurs qu'il ait mené cette même vie avant de devenir soldat, puisque lors de son entrée à **Saint Cyr**, on ne lui trouva pas de tenue militaire à sa mesure, à cause de sa forte corpulence.

En 1886, il fait pour la première fois la connaissance de celui qui allait changer le cours de sa vie, le père **Huvelin**.

Il avait alors 28 ans et il entra dans les ordres en 1899, abandonnant son grade d'officier pour rester simple soldat.

Il renonça également à son nom noble et sa fortune pour adopter celui de frère Charles le Chrétien.

Il entra dans l'ordre des trappistes dont il rejoignit les couvents de Palestine, avant de s'établir en 1901 dans celui de Staouéli, près d'**Alger**, Celui-ci était composé alors en majeure partie de pères blancs, ordre créé par le Cardinal Lavignerie. Après une année passer à la Trappe, il se rendit au Sahara.

#### **Le moine:**

De Foucauld choisit d'être missionnaire et fut affecté à **Igli**, poste militaire important dans l'extrême-sud oranais, distant de 40 km environ de **Beni Abbés**, il n'y resta pas longtemps, et fut bientôt muté à **Beni Abbés**.

Son arrivée coïncida avec l'attaque du Hoggar par l'armée française et la prise de Ksar Tit, situé à 40 km au sud-est de Tamanrasset. Cette victoire allait permettre aux Français de conquérir tout le Hoggar et de venger la colonne Flatters décimée en 1881.

L'occupation de Tit eut lieu en 1902, alors que de Foucauld avait 43 ans, Beaucoup d'historiens français considèrent cette date comme le point de départ réel de l'occupation du Sahara, puisque neuf mois seulement s'étaient écoulés depuis la chute d'In Salah. L'année suivante -1903- le général Lyautey occupa Béchar, malgré l'opposition du gouvernement français.

De Foucauld avait déjà participé aux opérations contre l'insurrection de Bou Amama en 1881, comme il avait eu l'occasion de combattre dans le Sud marocain lors de la première phase de sa vie militaire, en tant qu'explorateur et espion, il ne dut, d'ailleurs, son salut qu'en se faisant passer pour commençant juif, sitôt installé à Béni Abbès, il bâtit son couvent que Lyautey a décrit en détail après y avoir assisté à la prière lors de sa visite de Béni Abbès en 1905. La chapelle était construite en toub et ses piliers étaient des troncs de palmiers.. De Foucauld lui donna le nom de «Couvent des Frères» et il l'a lui-même décrit dans certaines de ses lettres à l'orientaliste célèbre de Castries, avec qui il échangeait une correspondance régulière et qu'il tenait au courant de son activité religieuse et sociale il fut déçu par les harratins de Béni Abbès qui ne répondirent pas à son prosélytisme. Aussi songeait-il à changer de résidence et choisit-il le Hoggar qu'il rejoignit en 1905, après s'être concerté avec le général Lyautey et son vieil ami le commandant Laperrine, qui commandait la zone saharienne avec résidence à Tamanrasset et à In Salah, sur les conseils de Laperrine, il se fixa à Tamanrasset où il fonda dès son arrivée deux centres, l'un à Tamanrasset même et l'autre à Assekrem, situé à 60 km environ au nord-ouest et d'une altitude de 800 mètres, les commandants militaires l'aidèrent à construire ses couvents et il se mit à visiter à Touat et le Gourara où il bénit les enfants nés des soldats français et des servantes noires.

Il s'occupa des femmes et fit appel aux sœurs blanches de Ghardaïa pour leur enseigner les travaux manuels et la musique. Il n'hésita pas à utiliser tous les moyens pour atteindre son but, même les accessoires et produits de beauté interdits par la religion chrétienne. Puis il s'occupa de

la langue française et composa un lexique du vocabulaire local traduit en français, et une grammaire, en demandant à son ami le commandant Laperrine de ne pas divulguer son nom en tant qu'auteur des deux ouvrages que celui-ci allait faire imprimer.

Ceci en plus de ce que sa fonction de missionnaire exigeait de lui, comme les soins aux malades, la distribution des aumônes, l'appel à certains savants versés dans l'histoire ancienne tel le Dr Herrison pour entreprendre des fouilles sur l'emplacement d'anciennes nécropoles, et les efforts qu'il déployait pour convaincre les habitants que leurs ancêtres avaient une religion et une civilisation particulière, certains chercheurs ont découvert effectivement après sa mort, après des fouilles menées dans le cimetière local, la tombe de la reine Tin Hinane, ancêtre des nobles du Hoggar, dont le règne remontait à 430 de l'ère chrétienne. Stéphane Gsell et Ely Leblanc affirment que c'est la première découverte de vestiges antiques dans le Hoggar...

Cette activité débordante, jointe à la vie austère qu'il menait se contentant d'un brouet d'orge et d'eau, et n'acceptant de recevoir une chèbre pour avoir un peu de lait qu'après l'insistance de son ami le commandant Laperrine qui voyait ses dents tomber une à une et son poids diminuer, s'explique par la ligne de conduite qu'il adopta dès son arrivée au Sahara et qu'il explicita ainsi:

« Nous devons avant tout capter la confiance des Musulmans et lorsque nous l'aurons acquise, la consolider par la sympathie, il faut faire en sorte qu'ils viennent à nos enseignements. Pour arriver à ce résultat, nous devons avoir dans notre vie quotidienne, une conduite exemplaire du point de vue de notre comportement moral, comme nous devons témoigner de la noblesse de nos qualités, de notre esprit d'humanité en aidant les faibles, en visitant les malades, en distribuant les aumônes et les secours et tout ce qui apporte la joie à l'homme ».

« Nous devons éviter ensuite la polémique, la christianisation individuelle, car les individus ne se christianisent guère que pour des

motifs ayant suscité quelques intérêts, répandons l'amitié dans notre milieu prenons contact avec le plus grand nombre possible d'entre eux et attendons la christianisation qui viendra après 25, 50 ou 100 ans. »

« Prouvez aux Musulmans votre droiture et votre attachement à la tradition du Christ, cultivez ses vertus que vous répandez et auxquelles vous appelez les gens et qui sont: la prière, l'austérité la charité fraternelle et universelle qui se manifeste par l'aumône, même si l'on devait partager avec le pauvre une bouchée de pain. C'est pourquoi je m'impose une conduite qui incite les habitants, aussi bien les musulmans, les chrétiens que les juifs et jusqu'aux athées, à voir en moi un frère universel, soyons des gens de bien pour que les autres de viennent également des gens de bien».

Ce sont là quelque enseignement proclamés et strictement respectés par De Foucauld. Il ne s'en est point départi, et à même été trop loin dans leur application, mais il ne réussit pas à mener à bien sa mission religieuse dans les deux derniers centres où il a vécu à Tamanrasset, comme à Béni Abbès. Il s'en est plaint dans sa correspondance régulière avec ses amis, tels l'orientaliste Henri de Castries et le commandant Laperrine (plus tard général).

Il y dépeint les habitants du Hoggar en voleurs et en criminels. Mais la propagande officielle la présentait comme un saint comme l'homme obéi dans tout la Sahara, celui dont la présence valait plusieurs régiments. Malgré cela, nombreux sont les chercheurs qui estiment que De Foucauld a réussi dans sa mission religieuse mais d'un autre point de vue. Qu'il ait été sincère et convaincu de sa tâche, ou qu'il l'ait utilisée comme moyen pour atteindre d'autres objectifs - même s'il n'a pas pu christianiser les autochtones - il a donné un exemple admirable aux missionnaires. Il a en effet quitté la vie des honneurs, de l'aisance, des jouissances, pour une vie d'ascétisme, d'austérité et de renoncement, au point que sa santé s'en est allée et que ses forces ont décliné alors qu'il était en plein âge adulte, c'est là un point d'accord entre ses biographes.

Et de fait, se sont créés après sa mort des ordres de missionnaires qui ont changé leur ligne de conduite en ce qui concerne le prosélytisme en pays musulman, même s'ils ont atténué quelque peu la rigueur de sa vie monastique (De Foucauld se contentait en effet pour tout vêtement d'une gandourah ou d'une robe qu'il serrait à la taille d'une corde, il évitait de manger de la viande, de boire du vin).

Ils ont créé des couvents dans le sud marocain et aux environs de Khairouan et ont enregistré, entre autre, l'adhésion de L'amiral Malchor, le plus important de ces couvents était établi à Labiod Sidi Cheikh, non loin de la ville actuelle d'El Bayadh qui abrite encore la maison où De Foucauld a passé la nuit en allant à Béni Abbès. Cette maison est devenue un lieu de pèlerinage habité seulement par les plus proches de ses adeptes, cette catégorie de missionnaires qui se réclame de son école se distingue en portant sur la poitrine un cœur surmonté d'une croix, le tout de couleur rouge.

Enfin la vie extrêmement austère de ce moine a été cause que ses adeptes le quittèrent les uns après les autres tant ils étaient incapables de supporter ses privations et son renoncement.

### **L'homme politique**

Dès le début de la première Guerre mondiale, sa personnalité politique est apparue et s'est imposée, il s'occupa alors de planifier l'amélioration des pistes, des transmissions, de l'aviation, afin de relier le sud au nord. Le seul qui partageait ses vues en ce qui concerne l'amélioration des réseaux de communications était le commandant Laperrine, quant aux autres officiers, ils étaient d'un avis contraire car, ils pensaient que l'éloignement du Sahara le protégeait contre les dangers de la guerre.

Aussi, lorsqu'il rendit visite au troisième jour de la guerre au commandant Laperrine et qu'il le trouva sur le point de dresser le nouveau plan du réseau de communications, il laissa éclater sa joie en disant:

« Ils ont commencé maintenant à construire une piste carrossable entre Ouargla et In Salah. Ces travaux sont très utiles militairement administrativement et politiquement, puisqu'ils montrent aux autochtones que rien n'a changé en France et que la France est toujours là ». Mais la France n'était pas seule sur le terrain, puisqu'il y avait aussi l'Italie dont les possessions étaient très proches de Tamanrasset.

Quand la Révolution se déclencha dans la Fezzan en 1915 et que Djanet fut encerclée et attaquée, les Italiens furent obligés d'appeler les Français à leur secours, Djanet étant tombée, et le danger se rapprochant de Foucauld sortit de sa solitude et rejeta à l'arrière plan sa mission de moine pour apparaître en nationaliste jaloux et prêt à se sacrifier pour son pays- Il n'était pas sans constater les négligences et le laisser-aller des responsables militaires de tous grades et c'est la raison pour laquelle il écrivit le 15 septembre 1916 à son ami le général Laperrine: «Nos soldats se sont repliés devant les Senoussis, sans avoir été vaincus – Ils se sont éloignés des frontières et quand ils ont récupéré Djanet, ils l'ont évacuée comme ils ont évacué d'autres points, ce repli devant quelques centaines de fusils est honteux - Je constate - quels que soient les grades des responsables, des erreurs flagrantes dans le commandement - il est évident que si notre armée évacue les positions sans les défendre, nous assisteront bientôt à l'avance des Senoussis. Si aucune solution n'est donnée à cette situation, ils seront ici sous peu » puis il écrivit au Maréchal Lyautey sur le même sujet:

« Ils - les officiers français - sont décidés à évacuer Fort Polignac et Fort Flatters, ce qui signifie qu'ils laisseront la porte ouverte aux Senoussis qui atteindront bientôt Ouargla, et qu'ils leur laisseront naturellement In Salah, le Touat, le Hoggar ... etc ».

Les Français s'étaient partagés plusieurs régions avec les Italiens qui venaient d'occuper la Libye, après la déclaration de la guerre et le recul des Italiens sous la pression de la résistance libyenne conduite par Ahmed Chérif Es-Senoussi, décidé à Médine, neveu de Mohammed Ben

Ali Es-Senoussi, fondateur de la confrérie senoussi. Les Français avaient essayé d'entrer en pourparlers avec Es-Senoussi mais il refusa tout accord avant qu'ils n'aient quitté le pays qu'ils avaient partagé avec les Italiens - De part la nature même de sa position politique dangereuse, De Foucauld surveillait l'activité des Senoussi qu'il savait montés contre lui car ils étaient au courant des procédés employés par les missionnaires au Soudan. C'est pourquoi deux mois ne s'étaient pas écoulés depuis qu'il reçut un avertissement, qu'il fut tué par les Senoussis en-dehors de son couvent de Tamanrasset, il avait découvert auparavant, trois mois avant sa mort, une tentative d'assassinat qu'il avait caché à tout le monde, et dont on découvrit la trace seulement après sa mort le 1<sup>er</sup> décembre 1916, De Foucauld était allé visiter, après la déclaration de la guerre le Fort Motyluiskey, situé à une cinquantaine de kilomètres à l'Est de Tamanrasset et qui était alors la base du Hoggar, après cette inspection, « il redevint le chef qu'il avait abdicqué. Et c'est ce chef qui conseille, encourage, renseigne et critique à l'occasion » (Claude Maurice Robert) « L'Hermite du Hoggar»), quand il eut inspecté le fort et les préparatifs de sa défense, il dit à son commandant qu'il serait avec lui s'il était attaqué, « je suis en correspondance quotidienne avec le commandant de Fort Motylinski, s'il est attaqué, je me joindrai à lui ».

Après cette inspection, il retourna à Tamanrasset, ayant couvert une distance de 58 kilomètres tantôt à pied et tantôt sur une monture, il avait alors 58 ans.

Les contacts entre le moine - commandant militaire et le Maréchal Lyautey, alors ministre de la Guerre, ainsi qu'avec d'autres personnalités, démontrent que la position politique de l'homme dépassait ce qu'on imaginait, il serait long et fastidieux de s'attacher à révéler tous les détails, aussi nous contenterons -nous de citer ses relations équivoques et son choix de Tamanrasset comme résidence, malgré qu'il se soit plaint dans ses lettres de la froideur et de la réserve des habitants à son égard. Il y avait à Tamanrasset une femme de la famille de l'amenokal, qui était veuve à la suite de la mort de son mari et était



devenue la favorite de son cousin, belle et intelligente, elle était très au courant de la situation du pays. Le moine De Foucauld se lia avec elle d'une façon étroite sous prétexte qu'elle connaissait beaucoup de poèmes populaires et de proverbes, et il lui versait un salaire que « lui envieraient beaucoup d'écrivains européens », comme l'a déclaré l'un de ces critiques. Cette femme s'appelait Dacine Oult Yemna et c'était elle - en réalité- qui dirigeait les affaires locales, son parent n'étant qu'un jouet entre ses mains. Beaucoup de Français lui ont consacré des poèmes d'amour et De Foucauld lui-même a dit à son propos dans l'une de ses lettres:« Dacine est la maîtresse du pays, sans qu'il y paraisse, elle est très intelligente et au courant de tout », elle est morte à un âge avancé en 1935, et on prétend qu'elle est l'héroïne du roman de Pierre Benoît, « l'Atlantide ».

Tels sont quelques aspects de la vie d'un homme dont ses compatriotes et beaucoup d'écrivains dans le monde ne cessent d'explorer les traces afin d'en dégager sa personnalité obscure à plus d'un titre, comme ils ont fait pour l'Anglais Lawrence. Tous s'accordent cependant pour affirmer qu'il était loyal et fidèle envers son pays et qu'il ne faisait pas de différence entre la religion et la patrie. C'est ce qui a fait dire à l'un de ses critiques qui a suivi son existence à la trace et l'a étudiée pendant des années sur les lieux même où a vécu De Foucauld au Sahara:« Ce qu'il faut affirmer dès maintenant et proclamer, c'est que jusqu'à son dernier souffle, le père Charles De Foucauld n'a jamais dissocié l'intérêt de la religion et l'intérêt de la France », même ses adeptes qui croyaient à la sincérité de sa mission religieuse, reconnaissent qu'il avait choisi la voie de la christianisation comme moyen d'arriver à la francisation. « Le seul moyen qu'ils deviennent Français, c'est qu'ils deviennent chrétiens ».

Quand il a parlé des habitants du Hoggar, beaucoup d'écrivains ont montré la contradiction de la propagande qui a entouré, sa vie religieuse, en réalité il n'y a pas seulement la tentative d'assassinat dirigée contre lui avant sa mort, mais aussi ses propos où il reconnaît l'échec total de sa

mission, puisqu'il a écrit après avoir quitté Béni Abbés: «Notre petit commencement de chrétienté de Béni Abbés semble devoir se réduire à zéro », un an avant sa mort à Tamanrasset, il reconnaît encore: «il y aura demain dix ans que je dis la messe à Tamanrasset, et pas un seul converti ».

Après sa mort, son compagnon, le général Laperrine le découvrit et le mit en terre. lorsque ses restes furent transportés en 1929 à El Goléa pour y recevoir leur sépulture définitive, aucun habitant n'assista aux obsèques. C'est ce qu'a constaté Nouet, préfet apostolique du Sahara et même l'enfant qu'il a adopté et pris avec lui en 1913 en France. Oukacem, s'associa à sa tribu lorsque celle-ci se souleva contre la France en 1917.

Ses positions religieuses étaient sujettes à caution même auprès de la haute hiérarchie de l'église - au niveau pontifical - aussi ne lui reconnut-elle pas le titre de « martyr » de la foi, puisqu'il fut expressément démontré, en dépit des dénégations de ses amis et thuriféraires que son fort était plein d'armes quand il fut tué, mais il fut surpris et ne s'attendait pas à un danger imminent la correspondance quasi quotidienne qu'il échangeait avec son ami le commandant Laperrine et dont les autorités militaires arrêtaient la publication après sa disparition. Son amitié avec Lyautey qui sitôt informé de sa mort s'empressa de désigner son ami Laperrine, commandant en chef et l'éleva au grade de général tout ceci prouve que l'homme avait une mission politique importante qu'il avait commencé à exécuter mais qu'il ne réussit pas à mener à bien son destin l'avait opposé en effet aux frères Senoussi, de la nouvelle école des missionnaires musulmans, tels Omar El Mokhtar et son ami Ahmed Chérif Es-Senoussi qui a choisi la mort dans l'exil plutôt que de reconnaître la souveraineté italienne sur son pays.

M.B

### **AL-MAHDI AL BOUABDALLI**

Chercheur en Histoire et membre du Conseil supérieur islamique.

## السَّاقِيَةُ الحَمْرَاءُ، مَاضِيَا وَحَاضِرَا(1)

إنَّ هذه النَّاحِيَةَ كانت لها صلة بالحضارة من فجر التاريخ، وبالضبط من العهد الحجري، كما تدلُّ عليه الاكتشافات الأثرية، كما لعبت دورا عظيما في الحياة السياسية والاقتصادية، وبلغت ذروة المجد التي خلدها لها التاريخ، لم تحلم بها كثير من دول بلاد العالم، إنَّ دورها في الميدان الاقتصادي يرجع إلى أنَّ مناجم الذهب التي حبتها بها الطبيعة كانت أجود أنواع ذهب العالم، وقد رأينا أنها كانت قوافل التجار ترد إليها في العهد الإسلامي من مختلف عواصم البلاد الإسلامية، وقد ذكر البكري في معرض حديثه عن قلعة بني حماد التي ورثت مركز عاصمة المغرب العربي إذ ذاك القيروان، بعد سقوطها، قال في وصف القلعة: «وهي اليوم مقصد التجار، وبها تحلُّ الرِّحَالُ من العراق والحجاز ومصر والشَّام وسائر بلاد المغرب ... الخ»، وقد ذكر كثيرٌ من المؤرِّخين أن هذه القوافل كانت تقصد بلاد الدَّهَب.

وإنَّني سأنتقي بإيجاز في هذه الدِّراسة المحدودة تاريخ هذه المنطقة وموقعها وما آلت إليه، من فجر تاريخها إلى أوائل القرن الجاري.

وإنَّني من الآن أقول: إنَّ هذه الناحية التي شاهدت عبر تاريخها الطَّويل الأهوال

---

(1) مجلَّة (الأصالة)، العدد: 28، ص: (46 - 54)، السَّنة الرابعة، ذو القعدة - ذو الحجة 1395هـ/ نوفمبر - ديسمبر 1975م، وأصلها محاضرة شارك بها الشيخ المهدي (رحمه الله تعالى) في الندوة التي نظَّمتها (المركز الثقافي الإسلامي) بالعاصمة حول الصَّحراء الغربية لتوضيح حقيقة الدَّعاوى المغربية في الموضوع، وشارك فيها أيضا: الأستاذ مولاي بلحميسي، والدكتور يحيى بوعزيز. (ع)

والحروب والغزوات، احتفظت بسيادتها، وقاومت كلُّ مُعتدٍ من القبائل المجاورة لها، ملوكا وشعوبا، واستحال استقلالها في العصور الأخيرة إلى استقلال داخلي، اعترف به كلُّ المؤرِّخين، مسلمين وأجانب، حتى بعض وزراء المغرب بعد استقلاله، كما نبين ذلك.

كانت هذه المنطقة في أولِّ عهدِها، يسكنها الحراطين والسُّود، وحوالي القرن الرابع قبل الميلاد احتلتها قبائل صنهاجة، وقد أدركهم الفتح الإسلامي بها، كانت هذه القبائل تتكوّن من لتونة ومسوفة وكدالة، وقد وصلتها كتائب عقبة بن نافع الفهري في ولايته الثانية سنة 62هـ.

اشتهرت هذه الناحية بالغنى والرِّفاهية ابتداءً من القرن الثاني الهجري إلى أواخر القرن السادس، وقد عرّف كثيرٌ من المؤرِّخين والرّحالين هذه الناحية مع اختلاف بسيطٍ في المواقع الجغرافية، وأسماء القبائل.

ذكر المؤرِّخ (Henri Terrasse) في الجزء الأول من كتابه: (تاريخ المغرب) الذي كان يدرّس بثانويات المغرب، عند حديثه عن دولة المرابطين الصّنهاجية، قال: «وقد عُرِف الصّنهاجيّون بعد الفتوحات الإسلامية بالملثمين، وكانوا متفرّقين من غدامس إلى المحيط الأطلنطي، ومن جنوب المغرب إلى السنغال والنيجر، وفي القرن التاسع الميلادي كانت جموعهم تشمل لتونة ومسوفة، وكانوا يجوبون الصّحراء، وحينئذ اتّخذوا أوداغوست قاعدة حكمهم، وقد نظّموا التّجارة بواسطة القوافل التي كانت تصل إلى صحراء مصر ... الخ».

وعرف البكري أوداغوست هذه، فقال بعد أن بيّن موقعها وذكر أنّ بها مساجد، في جميعها معلّمون للقرآن، ثمّ تعرّض لوصف سكانها فقال: «وهم أرباب نعم جزيلة، وأموال جليلة، وسوقها عامرٌ الدّهْر كلّهُ ... وتبايعهم بالتبر، وليست عندهم فضّة،

وبها مبان حسنة، ومنازلهم رفيعة»، ثم يذكر دورها الاقتصادي فيقول: «وكان أوداغوست في عشر الخمسين وثلاثمائة تين يروتان رجل من صنعهاجة، وكان قد دان له أزيد من عشرين ملكا من ملوك السودان، كلُّهم يؤدِّي له الجزية» اهـ، وذهب أهل أوداغست من أحسن أنواع النصب.

وأما الحياة اليومية الحضارية لسكَّان هذه المنطقة، فقد تعرَّض لبيانها الشَّريف الإدريسي الذي بعد أن وصفَ سكَّانها بأنَّهم يعملون الأكسية الرِّقاق والثَّياب الرِّفيعة، وأنَّ أهلها يربُّون شعور رؤوسهم، قال: «ولهم بها اهتمام وحفظ، وذلك أنَّهم يصبغونها في كلِّ جمعة بالحناء، ويغسلونها في كلِّ جمعة مرَّتين بدقيق البيض، وبالطين الأندلسي ... إنهم أرفه النَّاس وأكثرهم خصبا ... الخ».

وقد كانت هذه الإمارات وقواعدها تتغيَّر حسب الطُّروف الصَّحراوية وطبائع الرُّحَّل، وقد ذكر بعض الجغرافيين الفرنسيين (الجغرافية الجديدة لإفريقيا الشمالية) أن هذه المنطقة كانت في العهد الإسلامي تسمَّى بـ : سوس، الذي كان ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

- 1) سوس الأدنى: وقاعدته تارودانت.
- 2) سوس الأوسط: وقاعدته تيزنيت.
- 3) سوس الأقصى: ويشمل وادي نون والساقية الحمراء.

وتعرَّض للتعريف بهذه الناحية الكاتب الخبير المتخصِّص في دراسات المدنيات الصَّحراوية الرائد (Robert Montagne) في تأليفه: (حضارة الصَّحراء) ( La civilisation du désert)، طبع هاشيت، 1944م، قال: «في عهد المرينيين دخل عرب المعقل إلى هذه الناحية - أي: الساقية الحمراء - وكان النُّظام الذي أحدثوه شبيها بنظام الجزيرة العربية ... وابتداءً من القرن السادس عشر كانت الساقية الحمراء مركزا لإنطلاق الدَّعوة الدِّينية في

كامل شمال بلاد المغرب العربي»، ثم قال: «إن الملوك السعديين هم الذين حاولوا ضم هذه النواحي فاحتلوا سنة 1581م بلاد توات، ثم أعانوا القائد جوذر سنة 1591م في غزوه لـ (تنبكتو)، ورغم إمداد الإرسالية العسكرية طوال ثلاثين سنة بنحو 25000 جندي، فقد اندمجوا في السودان، ولم يخلّفوا أي أثر، إذ كانت هذه الغزوة فاشلة لم تنجر منها أية فائدة لمن قاموا بها ...»، ثم قال: «كان في ظاهر الأمر المعقل هم المسيطرون على تلك النواحي، ولكن في الحقيقة والواقع كان النفوذ لصنهاجة، والقبائل التابعة لها، مثل التوارق - أبناء عمومتهم - وقبائل الرقيبات الباقين إلى الآن بوادي الذهب، وكان الفضل في السيادة التي احتفظ بها سكان هذه المنطقة الأصليون يرجع إلى النفوذ الديني، والسلطة الروحية، إذ كان التكوين الروحي تحت سلطتهم، وكثيرا ما كانت السلطة الروحية تتغلب وتتفوّى على سلطة السيف والعصبة القبلية، ومن آثار هذا التفوّق أنه عندما ثار الشيخ ماء العينين في أوائل القرن العشرين - يقصد إعلانه للجهاد سنة 1909 عندما غادر للأبد الساقية الحمراء والسمارة اللتين أقام بهما من سنة 1884 إلى سنة 1909 - عند ما أعلن الشيخ ماء العينين أجاب ندائه كل سكان موريطانيا الزرق، عرب وبربر، والتحق بهم سكان جبال الأطلس الذين كانوا من أنصار رؤساء بني ونيف»، ثم قال: «ورأينا كيف ختم هذا الفصل - أي: تأثير السلطة الروحية - عند محاولة الهيبة ولد الشيخ ماء العينين عزل ملك المغرب عبد العزيز، فكانت معركة سيدي بوعثمان التي لقيته فيها جنود الكولونيل مانجان (Maugin) وهو في طريقه إلى فاس، وكانت سبباً في رجوعه إلى مراكش سنة 1912» اهـ.

وقال المؤرخ الفرنسي (Cornevin) في كتابه: (تاريخ إفريقيا) طبع 1966 فايو باريس، بعد أن تعرّض لذكر أحداث بداية استيلاء الفرنسيين على بعض الجهات من الصحراء، قال: «إن هذا الإحتلال كان سبباً في تجمّع عصابات اللصوص بالساقية الحمراء سنة 1909 التي فارقتها ماء العينين وأعلن الجهاد بتيزنيت - التي التجأ إليها -

ونصب نفسه ملكا، وإن الفضل في الخيلولة بينه وبين أمانيه يرجع إلى الجنرال مواني (Moinier) الذي حاربه بتادلا سنة 1910 م.

كثيرٌ من المؤرِّخين اعتنوا بذكر هذه الأحداث وبتَرْجَمَةِ مُسَهَبَةِ حياة الشَّيخ ماء العينين الذي كان له نفوذٌ مطلق، وقيادةٌ روحية متوفِّرة الشُّروط، فقد كان من أكبر دعاة الإسلام وتعاليم الدِّين، فكان يؤلِّف ويعقد مجالس الوَعظ والإرشاد، وكانت القبائل التي انضَمَّت إليه ورافقتَه إلى تيزنيت قبائل شنقيط، وكتنة، وعريب، وتاجكنت، وأولاد دليم.

كان عبد الحفيظ إذ ذاك بمراكش خليفة لأخيه عبد العزيز، ولما رأى استنكار الرأي العام المغربي لِاستهتارات عبد العزيز واحتلال الفرنسيين لوجدة والدار البيضاء، نادى بالجهاد واستعان بعلماء مراكش الذين أذاعوا النداء الممضى عليه من جميع الأعيان والأشراف، كما استعان بابن الشَّيخ ماء العينين، تبنى عبد الحفيظ حركة الدَّعوة إلى الجهاد لمعارضة الاحتلال الفرنسي، ونال أمنيته حيث عزل عبد العزيز أو تخلَّى عن الملك بدل جراية قدرها ثلاثة آلاف فرنك شهريا، وبمجرد تولية عبد الحفيظ وافق على إبرام معاهدة الحماية سنة 1912 م، وكاتب إثرها دول حلف الجزيرة ليعترفوا بِمُلْكِهِ، وفي هذه الأثناء كان أحمد الهبية بن ماء العينين حصل على بيعة قومه وجَهَّز جيشا عَمرماً لإعانة زعيم الدَّعوة إلى الجهاد عبد الحفيظ وإلزام عبد العزيز بِقبول حكم العزل، فبلغ ذلك عبد الحفيظ، فمنعه من اللحاق به إلى فاس، إذ كان أبرم المعاهدة، وادَّعى أنَّ سبب مَنعِهِ هو الخوف عليه من الفرنسيين.

ولنرجع إلى موقف ممثلي دول حلف الجزيرة، فقد اتَّفَقوا على الاعتراف بعبد الحفيظ بشروط، منها: تحمُّل دَين أخيه عبد العزيز، والجراية التي يتعهَّد بِدفعها له - أي: عبد العزيز - وتبرُّؤُهُ من الدَّعوة إلى الجهاد التي أصدرها صحبة علماء مراكش.

كان رأس أعضاء الحلف ممثلاً فرنسا وإسبانيا، وتبعهم الباقون إلا ألمانيا فإنها اقترحت أن يستبدل بند التبرُّء من إعلان الجهاد بالدعوة إلى الهدنة.

هذه أوضاع هذه المنطقة المتَّصلة في عهدها الأخير بأحداث المغرب، تلك الأحداث التي كان السَّبب فيها تكالب الدُّول الاستعمارية طيلة أواخر القرن المنصرم الميلادي، وكان من نتائجها تقاسم مناطق النفوذ داخل المغرب وخارجه، وذلك كله لضعف الحكومة الصورية المركزية، خصوصاً في عهد عبد العزيز، وفقدان الأمراء والملوك نفوذهم وسلطتهم، فكان رؤساء الدين يتمتعون بثقة الجماهير، كالناصرين أصحاب زاوية تاجمروت واحساين أو الهاشمي بتزروالت، وماء العينين بوادي الذهب، وكدليل على ضعف الملوك إذ ذاك أنه بعد معاهدة المغرب مع إسبانيا تلك المعاهدة المعروفة بمعاهدة تطوان، وكان البند الثالث منها تعهد فيه المغرب بتمكين إسبانيا من الصحراء، ولما تولى الحسن مكان أبيه المتوفى سنة 1873 زاره وفد إسباني يذكره بإنجاز تعهداته، فتعينت لجنة من الطرفين، المغربي والإسباني، وامتطت باخرة إسبانية اسمها (Blascode Garay)، فوق اختيارها على ناحية ايغني، وعندما رجع الوفد المغربي أخبروا ملكهم الحسن الأول ما راہم من وجود تاجرین انكليزيين لهما اتصال وثيق بقبائل آيت عمران وبالشيخ حساين فتوجس الملك منهم خيفة حيث إنهما بائعا سلاح.

فجهز الملك جيشاً عمرماً يتركب من 40 ألف جندي من بينهم 17500 جندي مدرب، ومعهم ثلاثون مدفعا، ولما وصلوا إلى ايليغ حيث يوجد رباط الشيخ، امتنع الشيخ من استقبال الملك وأرسل لمقابلته ولده، فحاصر الملك ايليغ، ولما خشي من نفاد الزاد إذ قاطعه السكان، رجع من حيث أتى، وكل ما قام به هو هدم أسوار البرج القديم، وسبق للملك الحسن أنه عندما كان ولياً للعهد بمراكش وبلغه أن الشيخ حساين يدعو سكان سوس لخلع طاعة الملك، جهز جيشاً وقصد به تيزنيت فتعرضت



له قبيلة جزولة ومنعته من الوصول إلى تيزنيت.

وهاتان الحادِثتان يذكرهما المؤرخون للاستدلال على أن أكثر القبائل كانت لا تخضع للسلطان، ونفس القبائل التي كانت تتصل به كانت تحتفظ باستقلالها الداخلي، وإنما تعترف بالسلطة الأدبية، وهذا ما حققه المؤرخ الشهير المختار السوسي وزير الأوقاف في عهد الاستقلال في كتابه: (إيلغ قديما وحديثا) لما تكلم على سوس.

ومما يؤيد ما ذكرناه البحث القيم الذي نشره أحمدو محمادو ب (مجلة الجغرافية والآثار) التي تصدر بوهران، في عددها المؤرخ بهارس 1932 تعرّض فيه ل: إمارة أدرار، قال: «بين وادي نون وبين ولاتة والشاطيء الأطلنطي توجد أدرار، التي كانت حد الاتصال بين المراكز التجارية للصحراء الغربية»، إلى أن قال: «اشتهرت مدينة أدرار التي كانت تابعة للمنطقة المشهورة في عرف بلاد المغرب ببلاد السبية - أي لا تنالها أحكام السلاطين - كانت القبائل التي تحكم هذه الناحية من سلالة يحيى بن عثمان، ويسمون بالجعافرية ومعهم قبائل غيلان والعويسيات بتأفت، توارث الجعافرية، حكم هذه الناحية مدة قرنين، وكانت الحروب بينهم وبين سكان إمارة الترازة تارة، وتارة مع أولاد دليم، ثم أولاد سالم القبيلتين العريبتين اللتين انتقلتا إلى زمور بعد مفارقتها للساقية الحمراء ووادي درعة إثر حروبهم مع الرقيبات ... الخ» اهـ.

ولنختم هذه الدراسة بأنه ابتداءً من القرن العاشر إلى الاحتلال الفرنسي، كلُّ المؤرخين يُطلقون على ملوك البلاد الذين تعاقبوا ملوك الشرفاء، إلا أن هؤلاء الملوك لا يعترف بعضهم لبعض بصحة نسبهم، ومن ذلك أن مؤسس الدولة العلوية محمد بن الشريف العلوي بعث إليه محمد الشيخ السعدي عند ضعف الدولة كتاب: (مناهل الصفا) للوزير الفشتالي، و(الممدود والمقصود) لابن القاضي، فأجابه العلوي بقوله: «ولا معول على كتاب الفشتالي، ولا ابن القاضي، ولا ابن عسكر الشريف الشفشاوني،

وسواهم، إذ الكلُّ أهلِ بساطكم ومحلُّ مزاحكم وانبساطكم»، وقد هجا الثائر ابن أبي محلي أحد أنصار السعديين، كان الملوك السعديون يرونه من أبناء عمومته، وكانوا في أواخر عهدهم ينضون تحت لوائه، وكان ابن أبي محلي يضيق بجمعهم ذرعا، خاطبه بهذه الأبيات:

أيحيى الخسيسَ النذلَ مالكَ تدَّعي      بزورٍ شعارًا للفحول الأوائل  
كدعواك في بيت النبوءة نسبةً      وأنت دنيءٌ من أحسّ القبائل  
ووجهك وجهُ القردِ فُبِحَ صورةً      ورأسك رأسُ الديكِ بين المزابل

كان مصير أحمد الهيبية من أسرة<sup>(1)</sup> الشيخ ماء العينين إثر الاحتلال الفرنسي إعلانه الثورة والجهاد واحتلاله لمدينة مراكش، وعندما نجح الفرنسيون أقام ب (تارودانت)، والتجأ إلى جبال الأطلس، وكان داعيةً ضدَّ الاستعمار طيلة الحرب العالمية الأولى إلى أن مات ب (كردوس)، تاركًا خلافتَه ورياسةَ زاويتهم إلى أخيه مربى ربو، وفي سنة 1934 لما أحسَّ بعجزه عن مقاومة تقدم الفرنسيين، التجأ إلى المنطقة الإسبانية رغم الإغراءات والوعد والوعيد.

إلى هنا أنتهى، وإنني على العادة سأنشر دراسة فيها مزيد من البيان والتفصيل ب (مجلة الأصالة)، وننبه المستمعين إلى أن كثيراً من الأحداث التي ذكرتها أُفرغت في قوالب مزيفة، وذلك أن كثيراً من الملوك كانوا يستميلون رؤساء القبائل على وجه الصداقة والتعاون على تذليل الصعوبات والتتلمذ لهم، حتى إذا أجبوا لرغباتهم يصورون للملأ أن ذلك الاتصال كان برغبة من أولئك الرؤساء، ليبرهنوا على طاعتهم وولائهم.

---

(1) هو ابنه. (ع)

## ماضي وادي الذهب والساقية الحمراء وحاضرهما(1)

إنَّ هذه النَّاحية لها مكانة ممتازة في تاريخ إفريقية، حيث لعبت أدوارا في التَّاريخ الحضاري والاقتصادي والثقافي بفضل مَوقِعِها، إذ وصلت أوج العظمة والقوَّة لما استولت على مناجم الذهب الذي اشتهر بجودته، حتَّى إنه كان يَفْضَلُ جميع أنواع الذهب المعروفة في بلاد العالم، وذلك ابتداءً من القرن الثالث الهجري، كما كان لهذه المنطقة صلة بالحضارة من قديم الزَّمان - أي: من العهد الحَجْرِي - إذ عثر فيها على عدَّة صورٍ شبيهة بصُور (طاسيلي)، وأدوات فلاحية، وأسلحة حجْرية.

وفي منتصف القرن الرَّابِع قبل الميلاد احتلَّتها قبائل (صنهاجة)، وأجلَّوا سكَّانها الأصليين، الذين كانوا ينتمون إلى (الحراطين) و(السُّود).

كان اتِّصال [أهل] هذه النَّاحية وثيقا بجيرانهم سكَّان (غانة) و(السُّودان)، فكانوا تارة يتبادلون معهم التَّجارة وتارة يتحاربون، وقد تكوَّنت في هذه النَّاحية عدَّة إمارات، من بينها إمارات (أدرار)<sup>(2)</sup>، و(البراكنة)، و(قانت)، و(كتنة)، و(الحوض)، و(الترارزة).

وقد وصلها الإسلام مع كتائب عقبة بن نافع الفهري، في ولايته الثَّانية حوالي سنة 62 هجري، بعدما انتهت من غزو المناطق الشَّمالية.

---

(1) مجلَّة (الأصالة)، العدد: 32، ص: (19 - 30)، السَّنَة الخامسة، ربيع الثاني 1396 هـ/أفريل

1976 م، وقد اعتمدنا أيضا على نسخة خطية مبتورة الآخر، تقع في (21 ص). (ع)

(2) المقصود هنا بـ (أدرار): موريطانيا الحالية.

واشتهرت هذه الناحية ابتداء من القرن الثاني الهجري بالغنى والرِّفاهية، إلى أواخر القرن السادس، وكان سكَّانها ينتمون إلى قبائل (لمتونة) و(قدالة) و(مسوفة) الصنهاجيين.

وقد عرّف هذه الناحية المؤرِّخ الفرنسي هنري تراس<sup>(1)</sup> في تأليفه: (تاريخ المغرب) - الذي كان يدرّس في الثانويات بـ (المغرب) - عندما تعرّض لتاريخ دولة المرابطين، فقال: «وقد عُرِف الصنهاجيون بعد الفتوحات الإسلامية بـ (الملثمين)، وكانوا متفرّقين من (غدامس) إلى المحيط الأطلنطي، ومن جنوب (المغرب) إلى (السنغال) و(النيجر)، وفي القرن التاسع الميلادي كانت جموعهم تشمل (لمتونة) و(مسوفة)، وكانوا يجوبون الصّحراء، وحينئذ اتَّخذوا (أوداغوست) قاعدة حكمهم، وقد نظّموا التّجارة بواسطة القوافل التي كانت تصل إلى تخوم صحراء (مصر) ... الخ» اهـ.

وعرّفهم المؤرِّخ أبو راس النّاصري الرّاشدي في كتابه: (عجائب الأسفار ولطائف الأخبار) فقال في تعرّضه لقبائل (صنهاجة): «... الفرقة الثانية من (صنهاجة): (لمتونة)، وهم المثلثون، مساكنهم بين البرابرة والسّودان، قوتهم ألبان الأنعام ولحومها، وتميّزوا باللّثام من بين الأمم، وهم بطون، ومساكنهم ما بين البحر المحيط بـ (المغرب)، إلى قبيلة (برقة)، وهم الذين يقال لهم (التوارك)... وكان دينهم المجوسية، ثمّ أسلموا بعد فتح (الأندلس)، وكان يتلوثنان من ملوكهم يركب في مائة ألف نجيب، ويؤدّي له الجزية عشرون ملكاً من السّودان» اهـ.

وقد عرّف البكري في كتابه: (المسالك والممالك)، عاصمة (صنهاجة)، (أوداغست)، فقال: «وهي مدينة كبيرة ... بها جامع ومساجد كثيرة في جميعها المعلمون للقرآن وحوها بساتين...».

---

(1) هنري تراس: كان أستاذاً بـ (معهد الرّباط)، ثمّ (جامعة الجزائر)، وهو اختصاصي في تاريخ المغرب والأندلس، وكانت له تأليف هامة في الفنّ المعماري الموحّدي والأندلسي.

ثم وصف سكانها فقال: «وهم أرباب نعم جزيلة وأموال جليلة، وسوقها عامرٌ الدهرَ كلّه، لا يسمع الرجل فيها كلام جليسه لكثرة جمعه، وضوضاء أهله، وتبايعهم بالتبر، وليست عندهم فضة، وبها مبان حسنة، ومنازل رفيعة، وهو بلد ألوان أهله مصفرة، وأمراضهم الحميات والطحال، لا يكاد يخلو من إحدى العلتين أحد منهم، ويجلب إليها القمح والتمر والزبيب من بلاد الإسلام عن بعد... وسكانها أهل إفريقية وبرمجانة، ونفوسة، ولوانة، وزناتة، ونفزاوة، هؤلاء أكثرهم... ويجلب منها العنبر (المخلوق) الجيد لقرب البحر المحيط منهم، وذهب أوداغست أجود من ذهب أهل الأرض وأصحّه، وكان صاحب أوداغست في عشر خمسين وثلاثمائة تين يروتان ابن ويسنو بن نزار رجل من صنهاجة، وقد كان دان له أزيد من عشرين ملكا من ملوك السودان كلهم يؤدي له الجزية» اهـ.

وقد ذكر بعض المؤرخين أن هذه المنطقة صار يطلق عليها بعد فتوحات الملك يوسف بن تاشفين لبلاد المغرب والأندلس: سوس الأقصى، وقسموا بلاد سوس حيثند إلى ثلاث مناطق:

- 1) سوس الأدنى وقاعدته تارودانت.
- 2) سوس الأوسط وقاعدته تيزنيت.
- 3) سوس الأقصى ويشمل وادي نون ودرعة والساقية الحمراء.

هذه لمحة من تاريخ هذه المنطقة التي كانت قبل انتفاضة المرابطين، تنقسم إلى عدّة إمارات مستقلة، تعيش مع جيرانها من سكان غانة والسودان ما بين حالات سلم وحرب، وابتداءً من ظهور دولة المرابطين، التي اكتسحت بلاد المغرب أمراء سجلها، وبني يفرن، وفي ذلك قال أبو راس الناصري في الفصل الذي عقده لتاريخ دولة المرابطين في تأليفه: (عجائب الأسفار ولطائف الأخبار)، فقال: «ومن أشهر

ملوكهم يوسف بن تاشفين، فأول حروبهم - أي لمتونة - مع مسعود ملك مغراوة وأسقطوا المغارم والمكوس، ونشروا العدل الذي لم يكن بعده مثله آخر الدهر، وكانوا يشاورون العلامة وإيجابي اللمطي تلميذ أبي عمران الفاسي، ويقفون عند أمره ونهيه، وكان من أعيان الأولياء، فهلك يحيى بن عمر منهم سنة سبع وأربعين، وقدم أخوه أبو بكر لفتح السوس وماسة وتارودانت وأغمات، وهرب أميرها لقوط المغراوي، ثم استباحوا تادلا وقتلوا بني يفرن ملوكها وقتلوا برغواطة أهل تامسنا، وكانوا أشد كفرا في حروبهم، استشهد شيخهم عبد الله بن ياسين تلميذ وإيجابي سنة خمسين، فاستمالوا برغواطة وأخذ عقيلتهم زينب، ثم ارتحل أبو بكر إلى الصحراء، واستعمل ابن عمه يوسف بن تاشفين ودعا لبني العباس، وقد نزل له عن زينب، لما كرهت أرض الصحراء وجاهد أبو بكر في السودان حتى استولى على تسعين مرحلة من بلادهم، ثم إن يوسف دوخ أرض المغرب، وقطع ملك عطية<sup>(1)</sup> من فاس بعدما قتل منهم ثلاثة آلاف وأزيد، وقطع ملك بني الخير من وهران وقطع بني وانود من صفرو، وكلهم مغراوة اهـ.

تبين من هذا أن هذه القبائل من صنهاجة الصحراوية كانت تقاسم بني عمومتهما من صنهاجة الشمال العداوة التي يكونونها لزناتة.

ولنرجع إلى الحديث عن تاريخ هذه المنطقة التي أجمع المؤرخون والرحالون، أنها كانت في فترات تاريخها الأول مشهورة بالغنى والازدهار، ومن ذلك ما تقدم لنا من وصف البكري لإمارة أوداغست حيث قال: «وهم أرباب نعم جزيلة وأموال جليلة، وسوقها عامر الدهر كله، لا يسمع الرجل جليسه، لكثرة جمعه، وضوضاء أهله

---

(1) عطية المغراوي هو مؤسس مدينة وجدة كان من بقايا أمراء مغراوة الذين قضى على دولتهم بلقين بن زيري سنة 360هـ والتجأوا إلى ملك الأندلس فأقطع لهم إقطاعات بالمغرب هم وأبناء عمومتهم من بني يعلى اليفرنى.

وتبايعهم بالتبر، وليست عندهم فضة... الخ».

وهذا الوصف متمم وموضح لما وصف به الرحالون ومنهم البكري، قلعة بني حماد، عاصمة صنهاجة بالجزائر، بعد سقوط القيروان، حيث قال: «وهي قلعة كبيرة ذات منعة وحصانة، وتمصرت عند خراب القيروان انتقل إليها أكثر أهل إفريقيا، وهي اليوم مقصد التجار، وبها تحل الرحال من العراق والحجاز ومصر والشام وسائر بلاد المغرب، وهي اليوم مستقر مملكة صنهاجة» اهـ.

وقد بلغت (قلعة بني حماد) هذه المكانة في الميدان الاقتصادي لأن قوافلها كانت تجوب الصحراء، مركز تجارة الذهب، ويرى كثير من المؤرخين الأوربيين<sup>(1)</sup> أن محور الاقتصاد الأوربي فقدته أوروبا بعد سقوط روما، وتلاه فراغ إلى أن فتح المسلمون فتوحاتهم، فخلف المسلمون الأوربيين، وكانت إفريقية تسيطر على اقتصاد إفريقيا وجزء من آسيا بسبب اكتشافها لمنطقة الذهب، وتذليل الطرق للقوافل التي كانت ترد عليها كما قال البكري: من العراق والحجاز ومصر والشام وسائر بلاد المغرب.

وقد نشر السيد أحمدو محمدو دراسة قيّمة عن تاريخ إمارة أدرار التي كانت تشمل منطقة الساقية الحمراء، نشرها بمجلة (الجغرافية والآثار) التي كانت تصدر بوهران، في عددها 53 بتاريخ مارس 1932م، وعنوان المقال: (إمارة أدرار من 1872 إلى 1908)<sup>(2)</sup>.

قال فيه: «بين وادي نون وبين ولاتة والشاطئ الأطلنطي، توجد أدرار التي كانت الحد الواصل بين المراكز التجارية للصحراء الغربية، وبفضل ما حبتها الطبيعة من

---

(1) منهم صاحب كتاب: (الإسلام في عظمته الأولى) لومبار (Lombard) ظهر هذا الكتاب منذ سبع سنوات.

(2) أدرار هذه غير أدرار الولاية الجزائرية المشهورة.

الخصب والمراعي والجبال اشتهرت أدرار هذه التي كانت تابعة لبلاد ما يسمى في عرف المغرب إلى الآن ببلاد السبية أي الجهة التي لا تنالها الأحكام السلطانية لتمررد أهلها المتواصل ضد الحكومات المركزية، كانت القبائل التي تحكم هذه الإمارة تنحدر من يحيى بن عثمان هذا من أهل القرن السابع عشر، وقبائل غيلان المنحدرة من أخي يحيى المذكور المسمى ب: غيلان بن عثمان، والعويسيات ب: تاقنت.

توارث الجعافرية وهؤلاء حكم هذه الناحية مدة قرنين، وكانت الحروب بينهم وبين الترارزة تارة، وبين أولاد دليم ثم أولاد سالم، القبيلتين العربيتين اللتين انتقلتا إلى زمور بعد مفارقتها للساقية الحمراء ودرعة إثر حروبهم مع الرقيبات» اهـ.

إن انتفاضة المرابطين اللمتونيين هي التي كان لها الأثر المحمود من حيث تهذيب أخلاق وجمع كلمة سكّان هذه المنطقة، ونشر تعاليم الدين الصحيح، وهي انتفاضة لنشر تعاليم الإسلام، أكثر منها انتفاضة للاستيلاء على البلاد واستعباد أهلها، خصوصاً وأنه في عهدهم وإن أدركت البلاد كما قدمنا أوج الرفعة والازدهار إلا أن أخلاق سكانها كانت لا زالت على شراستها، فهم دائماً في نزاع بينهم وقد يظهر لنا مصداق ذلك عندما نطلع على ما وصفها به ابن حوقل في رحلته التي ابتدأها سنة 331هـ، وختمها سنة 359هـ وسماها: (المسالك والممالك والمفاوز والمهالك)، قال في تعريفه ببلاد سوس: «وأهل السوس فرقتان: إحداهما فرقة موسويون يقطعون على موسى بن جعفر والغالب عليهم الجفاء وغلظ الطبع، والفرقة الثانية سنوية مالكية حشوية، وبينهم القتال المتّصل ليلاً ونهاراً، والدّماء الدائمة، ولهم مسجد يصلي فيه الفريقان فرادى عشر صلوات، إذا صلّوا هؤلاء أتوا بعشر أذانات وعشر إقامات، والمالكيون منهم فوق الشيعة في الفظاظة، وغلظ الطبع وجباسة الأخلاق، وبقدر ما لهم من مواد لذّة العيش يتغالون في الجهل والطيش.



وقد ألحَّ الروم في وقتنا هذا على المسلمين الذين على سواحل بحر الروم - يعني: البحر الأبيض المتوسط - بالغارات واختطاف مراكبهم من كلِّ جهة، ولا غياث لهم ولا ناصر، والملك فيهم حقير ذليل، وهو جامع مانع، والعالم يسرق ولا يشبع، ويفتي بالتأويل على ما يختار، ولا يخاف مَعادا ولا مرجعا، والتاجر فاجر مسقع، لا يعاف حراما ولا مطمعا، وبكل ربح بلقع، فالثُّغور والجزائر إلى الأعداء مسلَّمة، والأرض إلى الله من أربابها متظلَّمة ... الخ» اهـ (1).

كانت هذه وضعية وادي نون والساقية الحمراء بداية من الفتوحات الإسلامية، وهذا دليل على أنها كانت في أول عهدنا سكنها قبائل صنهاجة لتونة ومسوفة، وكانت مجموعة إمارات تربطها العلائق التجارية مع بعضها، ومع جيرانها، ك: غانا والنيجر والسودان، وبعد انتفاضة المرابطين اللمتونيين، التي كانت انتفاضة دينية مشهورة، متفق عليها، لها برامج، ودستور، يعزز أحكام الشريعة الإسلامية.

اتَّصلت هذه الناحية ببلاد المغرب الأقصى، في وقت كان سكانه مجهلون الحدود والقوميات، وإنما كان كل السكان ينضون تحت العالم الإسلامي في المغرب العربي كان يحكمه أمراء مغراوة وبنو يفرن وبنو رستم والدولة الأغلبية ممثلة الخلافة العباسية.

وعندما ظهرت دولة الشيعة، اكتسحت البلاد وقضت على جميع الدول التي كانت تحكم بلاد المغرب العربي اللهم إلا بلاد المغرب الأقصى التي كان يحكمها (2) ملوك الأندلس الأمويون، وبعد قضاء دولة الفاطميين على هذه الدولة بواسطة قائدها بلقين

---

(1) يستدلُّ كثير من الباحثين على أن الإسلام بهذه الناحية لم يتغلغل في النفوس إلا بعد ظهور دولة المرابطين اللمتونيين - أي: أوائل القرن الخامس -.

(2) سبق أن حكم الأدارسة كان دينيا محضا، ولهذا لم يجاربه الأمويون بالأندلس، بل أذنوا لشبه عمالهم، ك: بني خزر بالجزائر أن يسهلوا استيلاءهم على تلمسان وما جاورها.

بن زيري هاجر بقايا أمراء دولتي مغراوة وبنو يفرن إلى المغرب حيث أقطع لهم ملك الأندلس، المغرب الأقصى، وهاتان الدولتان الزناتيتان هما اللتان قضى عليهما يوسف بن تاشفين اللمتوني، وعندما لحق بقايا زناتة بالجزائر وتداخل في الخلاف بين أحفاد بلقين - أي: ملك بني زيري بالمهدية - وبنو حماد بالقلعة حاربه بلقين الثاني حفيد بلقين الأول ووصل في مسيرته إلى فاس واحتلها وأعاد الكرة لمحاربة يوسف بن تاشفين ملك بجاية المنصور الحمادي والذي تبعه إلى تلمسان حيث هزمه في عدة معارك واحتل مدينة تلمسان وأباح<sup>(1)</sup> المدينة لجيشه إلى أن تقدمت إليه زوج والي تلمسان اللمتوني واستشفعت له بأواصر القربى الصنهاجية، فاستجاب لها وأعطى الأوامر لجيشه بالانسحاب من تلمسان وبعد سقوط دولة المرابطين على يد عبد المؤمن بن علي خليفة المهدي بن تومرت وتكوينه لأعظم مملكة، لم تكن في عهده ولا في عهد أبنائه وعماله من بعده، نظرية الوطنية الضيقة الحدود، إذ عبد المؤمن الجزائري الولادة والنشأة، ولم تطأ قدماه المغرب إلا بعد دخوله مع أستاذه المهدي بن تومرت، وبعد موت أستاذه خلفه عبد المؤمن، رغم وجود كثير من أفراد عشيرة المهدي بن تومرت تتوفر فيهم جميع شروط القيادة، ولم يأنف قوم ابن تومرت من مبايعته، اللهم إلا بعض الشواذ الذين لم يخل منهم زمان ولا مكان، وعلى هذه الطريقة سارت دولة الموحدين إذ لما تكونت دولة بني حفص وحكمت الجمهورية التونسية الحالية والقطاع الشرقي من الجزائر (بجاية وقسنطينة)، لم يرد في خلد سكان البلدين التعرض لملوك بني حفص بدعوى أنهم مغاربة ولا ينتمون إلى الجزائر أو تونس بصله، وإذا وجدنا فيما بعد خلافات بين ولاية الموحدين الذين استقل كل منهم بمقر ولايته، ك: بني مرين بالمغرب، وبني زيان

(1) إن بلقين الثاني حارب يوسف بن تاشفين لما اقتحم حرم البلاد وتبع زناتة، أما المنصور الذي حارب نفس يوسف فللخلاف الذي كان بين بني حماد وبني زيري، واستنجد بنو زيري بابن تاشفين عندما هاجمهم روجار ملك صقلية.

بالجزائر، وبني حفص بتونس، فمرجع ذلك إلى تنافس داخلي في إطار المذهب الموحد، إذ كلُّ منهم كان يرى أنه أحقُّ بوراثته الفكرة الموحّدية وتمثيلها.

ولنرجع إلى الحديث عن ماضي منطقة الساقية الحمراء ووادي الذهب، فنجد أن هذه المنطقة تغيّرت نوعاً ما في عهد الدولة المرينية، وذلك بظهور قبائل عربية، ولنترك الكلمة للباحث المتخصّص في دراسة المدنيات الصحراوية الراحل روبرت منطاني ( Ct Robert Montagne) في تأليفه: (حضارة الصحراء)، (La civilisation du désert)، طبع هاشيت 1944م، قال: «في القرن الثالث عشر (م) ظهر عرب المعقل بسوس في نواحي درعة، كانت تلك النواحي مسكناً لصنهاجة أقارب التوارق، وكانوا لا زالوا يحتفظون بمذهبهم العقائدي - أي: مذهب المرابطين - وكانت قبائل صنهاجة مشهورة بأصحاب اللثام، وكانوا في خلافات وحروب متواصلة مع السُود من ورقلة إلى غانا وولاتة، وفي عهد المرينيين دخل عرب المعقل إلى هذه الناحية - أي: الساقية الحمراء - وكان النظام الذي أحدثوه شبيهاً بنظام الجزيرة العربية... وابتداءً من القرن السادس عشر كانت الساقية الحمراء مركز انطلاق للدعوة الإسلامية التي اجتاحت بلاد شمال المغرب».

ثم تعرّض لتاريخ استيلاء ملوك المغرب على هذه المنطقة فقال: «إن الملوك السعديين هم الذين حاولوا ضمّ هذه النواحي، فاحتلّوا سنة 1581 بلاد توات، ثم أعانوا القائد جوذر سنة 1591م عند غزوه لـ: تنبكتو، ورغم إمداد هذه الإرسالية طوال ثلاثين سنة بنحو: (25000) جندي، فقد اندمجوا في السودان ولم يخلّفوا أي أثر، إذ كانت هذه الغزوة فاشلة، لم تنجر منها أية فائدة لمن قاموا بها، وقد أعاد الكرّة الملوك العلويون، لكن بطرقٍ أخرى، حيث كانوا يعتمدون على ذوي حسن<sup>(1)</sup> من عرب المعقل».

---

(1) كذا في الأصل، ولعل الصواب: «على ذوي النفوذ الديني»، والله أعلم.

وهذه الطريقة التي كانوا يستعملونها هي التقرب إلى الشعب بواسطة رؤساء الدين، ثم يقول: «كان في ظاهر الأمر أن المعقل هم المهيمنون على تلك النواحي، ولكن النفوذ الحقيقي كان لصنهاجة والقبائل التابعة لها، مثل: التوارق - بني عمومتهم - وقبائل الرقيبات الذين لا زالوا ب: وادي الذهب، وكان الفضل في هذا النفوذ الذي احتفظ به السكّان الأصليون يرجع إلى القيادة الروحية التي حافظوا عليها، إذ كان التكوين الروحي تحت سلطتهم، وكثيرا ما كانت السلطة الروحية تتغلب وتتفوق على سلطة السيف والعصية القبليّة، ومن آثار هذا التفوق الجليّة هو عندما أعلن الشيخ ماء العينين<sup>(1)</sup> الثورة في أوائل القرن العشرين مُناديا بالجهاد، استجاب لندائه كلُّ سكّان موريطانيا الزرق عرب وبربر، وتوجّهوا كلُّهم إلى بلاد سوس المغربي، ثم التحق بهم سكّان جبال الأطلس الذين كانوا تابعين لرؤساء دنيويين، والفصل الذي ختمت به هذه المسيرة هو عندما أعلن الهيبية ابن الشيخ ماء العينين (المذكور) الثورة على الملك عبد العزيز العلوي الذي ثار عليه أخوه مولاي عبد الحفيظ الذي كان يمثله بمراكش وتزعم حركة الجهاد لما ساءت تصرفات أخيه الذي أثقل كاهل البلاد بديون جسيمة وفتح أبواب المغرب للمطامع الأوروبية، واحتلت معظم مواقع البلاد الحربية أمكن لـ عبد الحفيظ أن يحصل على تأييد علماء مراكش<sup>(2)</sup> الذين أفتوا بخلع الملك عبد العزيز فعندئذ استنجد مولاي عبد الحفيظ بالشيخ الهيبية بن ماء العينين الذي جدّد له البيعة قومّه وأتباع والده، فنادى بالجهاد، ولكنه وهو في أثناء مسيرته إلى فاس كان عبد الحفيظ حصل على تحلّي أخيه عبد العزيز بعد واقعة القلعة التي هزم فيها جيشه وخلفه هو

- 
- (1) يقصد بهذا الدعوة التي قام بها ماء العينين عندما احتلت الجنود الفرنسية سنة 1909 قطعا من الصحراء، أجلى أهلها الذين كانوا من أتباع ماء العينين، فاستنجدوا به وبايعوه على الجهاد، فخرج بهم إلى نيزنيت إجابة لرغبتهم، وفارق الساقية والسامرة.
- (2) نشر هذه الفتوى عبد الرحمن بن زيدان في (إتحاف أعلام الناس بجمال حاضرة مكناس).

فأبرم معاهدة الحماية التي فرضها ممثلو الدولة الأوروبية الذين وقعوا معاهدة الجزيرة المشهورة سنة 1906 إذ أمكن لممثلي هذه الدول، وفي طليعتهم فرنسا وإسبانيا وإيطاليا وإنكلترا وألمانيا أمكنهم أن يتقاسموا مناطق نفوذهم داخل بلاد المغرب وخارجه وحينئذ تغيرت نظرية الملك عبد الحفيظ ومنع بواسطة وإعانة الكولونيل مانجان (Mangin) الشيخ الهيبة من مواصلة مسيرته إثر معركة سيدي بوعثمان في سبتمبر 1912، فلم يسع الشيخ الهيبة إلا الانسحاب إلى مدينة مراكش، وقد برّر الملك عبد الحفيظ موقفه مع الشيخ الهيبة أنه كان يخشى عليه من مكر الفرنسيين... إلا أن الرأي العام المغربي، خصوصا سكان سوس وحاحه، لم ينخدعوا لمزاعم الملك عبد الحفيظ، بل انتصروا للشيخ الهيبة كما سنبين ذلك بما قاله المرحوم المختار السوسي<sup>(1)</sup> (وزير التاج والأوقاف بالمغرب).

وقد بين بمزيد من التوضيح المؤرخ الفرنسي كورنفان (Cornevin) في تأليفه: (تاريخ إفريقيا من بدايتها إلى أيامنا هذه)، نشر باريس 1966م، قال بعد أن تعرّض لأحداث استيلاء الفرنسيين على المغرب، قال: «إن هذا التدخل الفرنسي - خصوصا احتلال بوذيب - كان سببا في تجمّع عصابات اللصوص بالساقية الحمراء ووادي درعة، حتى إن أهل ماء العينين الذين كانوا بمواشيهم في مضيق نواحي السهارة أعلنوا الجهادَ وبيعوا شيخهم ماء العينين ملكا، وقد أرادوا أن يجددوا تجربة العلويين عندما أطاحوا بالملوك السعديين الذين تورّطوا بمؤالاتهم للبرتغاليين، إلا أن هذه المرّة كان الجنرال الفرنسي مواني (Moinier) بالمرصاد فأوقف مسيرته ب: تادالا في 23 يونيو 1910» اهـ.

---

(1) المختار السوسي: عالم مؤرخ متخصص في تاريخ سوس ورغم ولايته للعرش العلوي كان نزيها في كتابته، موضوعيا في بحوثه، وقد خلف كتاب العسول في 20 جزءا، وإيليغ وغيرهما في غاية الدقة والتفاصيل.

إن هذه المنطقة - أي: الساقية الحمراء ووادي الذهب - بل بلاد سوس الأدنى والوسط والأقصى إلى بلاد السودان، وما كانت تُسمِّيها الحكومة الفرنسية: إفريقيا الغربية، كانت ابتداءً من وفاة الملك المنصور الذهبي في بداية القرن الحادي عشر تخضع لنفوذ الطرق الصوفية أو الأُسُر الشَّريفة، وكانت من أهمِّ هذه الطرق: القادرية التي تفرَّعت منها الطريقة الكُنتية المنسوبة للشيخ المختار الكنتي (1143-1226هـ)، والطريقة البكائية المنسوبة لحفيده أحمد البكاي المتوفَّى سنة 1282هـ، ثمَّ ورثها الشيخ محمد المصطفى الفاضل والد الشيخ ماء العينين الذي كان يقيم بـ: الساقية الحمراء بداية من 1884 إلى أن فارَقها سنة 1909 عندما احتلَّت فرنسا عدَّة مراكز صحراوية بالجنوب، فنادى بالجهاد وبايَعه أنصاره، وألقى عصا التسيار بـ: تيزنيت، ومحمد المصطفى هذا، هو الذي اختطَّ مدينة السمارة، وقد خضعت له جميع الطرق التي كانت تتقاسم نفوذ هذه النواحي، كـ: أولاد سيدي أحمد بن موسى، ومولاي بوعزة، والكنتيين، وجلُّ المؤرِّخين مجمعون على أن هذه القبائل كانت لا تخضع للحكومة المركزية، فكانت تتمتع باستقلال داخلي، وكان يطلقُ عليه في المغرب بـ: بلاد السببة، وهذا باعتراف ملوك المغرب أنفسهم، ففي عدَّة تقارير وظهائر<sup>(1)</sup> أرسلوها إلى عمالهم كانوا يذكرون القبائل المتمرِّدة التي لا تخضع لحكمهم داخل مناطق نفوذهم، أما المنطقة الصحراوية - موضوع دراستنا - فقد تحدَّث عنها كثيرا العالم المؤرخ الشيخ المختار السوسي واعترف بأنها كانت لا تخضع لأحكام السلاطين، قال في تأليفه: (إيلغ قديما وحديثا)، نشر المطبعة الملكية، تحقيق وتعليق محمد بن عبد الله الروداني، الرباط (1386هـ/1966م)، قال في حديثه عن بلاد سوس (ص: 11): «كان لها بعض

---

(1) قد نشر الكثير من هذه التقارير والظهائر مؤرِّخ الدولة العلوية الشيخ عبد الرحمن ابن زيدان حفيد الملك مولاي إسماعيل الذي كان يملك وثائق هامة في خزائنه الخاصة، وقد استوعب جلها كتابه: (إتحاف أعلام الناس) المطبوع سنة 1930 في خمسة أجزاء.

استقلال عن العرش المغربي، فلا تخضع له إلا خضوعاً أدبياً دينياً من بعيد»، وقال في موضع آخر من نفس التأليف يذكر فيه ثورة الشيخ الهبية ابن ماء العينين في عهد الملك عبد الحفيظ قال في (ص: 305) في ترجمة أحمد الهبية: «وكانت الغاية من قيامه أولاً هي إنقاذ المغرب وتحريره من الحماية الأجنبية، ولما ظهر أمره طمعت ألمانيا أن تستغله في محاربة الفرنسيين في المغرب بواسطة بعض القواد المحليين»، ذكرهم بأسمائهم، ثم قال: «أما السوسيون فكانوا إزاءه فرقتين، فرقة انضمت إليه، وهي الأكثرية، وفرقة تجنبت خوفًا من أن لا يتم أمره فيتورطوا، وكانت الحماية قد تمت إذ ذاك، فسهل قبول الدعاية السيئة ضد المولى عبد الحفيظ واتهامه بأشنع الأعمال، ولم يكن همُّ كل من انضم إلى الهبية من السوسيين إلا الجهاد في سبيل الله، وحتى أولئك الحاحيون أنفسهم لا غرض لهم سوى محاربة الحماية، وبعد إقبال وإدبار، وإقدام وإحجام، اجتمع عليه أهل ناحية تيزنيت من السوسيين، وعلى رأسهم العلماء، فتبعهم من سواهم، فانتصب الشيخ أحمد الهبية ملكاً على عرشه تُتلى أمامه القصائد، ويخاطبه الشاعر الفحل المرن الأستاذ الطاهر الافراني ب: إمارة المؤمنين وبالخلافة ... الخ» اهـ.

وقد ذكر الباحثة المتخصص في الشؤون الدينية جورج دراق (George Drague) في كتابه: (نبذ من التاريخ الديني بالمغرب) نشر بيورني (Peyronnet) باريس ج/ 2، (ص: 96)، قال أثناء حديثه عن تولية مولاي الحسن الأول مكان والده محمد الثاني سنة 1873 قال: «وفي سنة 1874م كانت إسبانيا تطالبه بتنفيذ البند الثامن من معاهدة تطوان، فعيّنت لذلك لجنة مغربية/إسبانية، امتطت الباخرة الإسبانية بلاصكو دو قاري (Blasco de Gary) التي أقلتهم إلى شاطئ سوس قرب مصب وادي درعة، إلا أن الوفد المغربي رابه لما شاهده من اتصال بعض التجار الانكليز بالشيخ حساين أو الهاشمي رئيس قبيلة تزروالت وقبائل آيت باعمران، فبلغوا ما شاهدوه إلى الملك الحسن الأول فخشى أن ذلك الاتصال كان هدفه تزويد تلك النواحي بالسلاح، فجهز

الملك الحسن المذكور قوَّةً تشمل (40) ألف مقاتل، منها (17500) مدرِّباً، ومعها ثلاثون مدفعاً، فوصل بسهولة إلى تيزنيت، إلا أن وجوده لم يرهب الشيخ حساين، ولهذا لم يقابله وإنما أرسل إليه ولده، وتحصَّن هو في رباطه بـ : إيلينغ، فحاصر الملك الرِّباط، ولما قاطعه السكان وخشي نفاذ الزاد أمر جنده بالرحيل، وكلُّ ما فعله لإظهار غضبه هو هدم أسوار القصبية المخزنية القديمة لـ : تيزنيت، وكان سبق له - أي: الملك الحسن الأول - عندما كان ولياً لعهد والده بـ : مراكش، أنه سمع بأن الشيخ حساين هذا نفسه يدعو سكَّان سوس للتمرُّد على السلطان، فجهَّز جيشه وقصد الشيخ إلى تيزنيت، فتعرَّضت له قبائل جزولة (أنصار الشيخ حساين) ومنعوه من الوصول إلى تيزنيت، فرجع من حيث أتى، وهذان الحادثان بهما [نستدل] من جملة أدلة أخرى على عدم خضوع سكان القبائل ومن جملتهم سوس إلى السلاطين، ثم غيَّر الملك الحسن الأول رأيه وسلوكه مع الشيخ حساين، إذ نجده في سنة 1886 أرسل جيشه إلى الناحية بعد أن حصل [على] رضا الشيخ حساين المذكور [عن طريق] المراسلة والهدايا، وأظهر له أنهم يتعاونون على المصلحة العامة، وعلى هذه الطريقة سار الحسن الأول مع كثير من ذوي النفوذ الديني.

وقبل الختام نذكر أن منطقة الساقية الحمراء ووادي الذهب كانت تتمتع بالاستقلال الداخلي، وكان رؤساؤها الحقيقيون يتمتَّعون بتأييد السكَّان، إذ لم يتخلَّف هؤلاء السكَّان عن مبايعة الشيخ ماء العينين عندما اجتمعت لديه قبائل تاقنت وأدرار وواحات شنقيط إثر احتلال الجنرال قورو (Gouraud) لمنطقتهم سنة 1909 على رأس الجنود السنغاليين، فحينئذٍ لم يسع الشَّيخ إلا مغادرة الساقية الحمراء ومدينة السمارة بعد أن أقام بـ : الساقية الحمراء بداية من سنة 1884 واختطَّ مدينة السمارة أثناء مدة إقامته فيها - أي: من سنة 1884 إلى سنة 1909 - .

وقد التحقَّ به إلى تيزنيت التي ألقى فيها عصا التسيار قبائل كنتة والرقيبات وعريب



وتجكانت وأولاد دليم بعدما بايعوه، وأعلن الجهاد وارتحل نهائيا بصحبتهم إلى تيزنيت، حيث أدركه المنون سنة 1910.

نستخلص من جميع ما ذكرناه أن هذه المنطقة - أي: الساقية الحمراء وما قاربها - كانت لا تنالها أحكام السلاطين، وإنما كان رؤساءها متصلين ببعض الملوك اتصالا دينيا أدبيا من بعيد، كما ذكر ذلك صاحب كتاب: (إبليغ قديما وحديثا)، وقد أيد هذا شاهد له وزنه، هو رئيس الجمهورية الفرنسية السابق رايمون بوانكاري، الذي كان عند إبرام معاهدة الحماية سنة 1912 رئيس وزراء فرنسا ووزير خارجيتها، قال في تأليفه: (في سبيل خدمة فرنسا، مذكرات تسع سنوات بعد أحداث أقادير 1912م)<sup>(1)</sup>، ذكر بعد أن تعرّض للأحداث التي تقدّمت معاهدة الحماية وتأخير الملك عبد العزيز وتعيين أخيه عبد الحفيظ، ثم تأخير عبد الحفيظ وتعيين أخيه مولاي يوسف، وقام بذلك كلّ الجنرال ليوطي، قال بوانكاري: «في 12 أوت عندما كنت بـ : سانت بتير سبرق ( St Petersburg) - لينيقراد الحالية - غادر الرباط مولاي عبد الحفيظ على ظهر الباخرة (Duchayla) إلى مرسليليا، فالمقيم العام الذي صار صانع الملوك اهتمّ بالتفتيش عن ملك جديد... الخ»، وهذا أصل النص بالفرنسية:

« le 12 août , alors que je me trouvais a Saint Petersburg ... »

وبعد أن تكلم على تولية مولاي يوسف واجتماع العلماء والأعيان بجامع القرويين للبيعة، وكان هذا الاجتماع تحت رئاسة الوزير الأكبر والصدر الأعظم، وأذيعت البيعة قال: «وقد بقيت لنا عقبات»، وهنا تعرّض للدعي الجديد، وهو أحمد هيبه، قال: «في

---

(1) إن بوانكاري الذي خصّص كتابه هذا المشهور، ذكر في شبه مذكرات جميع أحداث المغرب، ابتداءً من أواخر القرن التاسع عشر بمزيد من التفاصيل، ودور كل أحد من السياسة الفرنسية والضباط والأحزاب، ثم ما دار في الكواليس من ممثلي الدول الأوروبية.

18 أوت ظهر الدّعي الهيبة الذي احتلّ مدينة مراكش، إنه ولد الفتّان ماء العينين المرابط المقدّس، إخوته يتمتّعون بنفوذٍ قويّ في الصحراء التابعة لصحرائنا الغربية « اهـ.

فالصحراء الغربية بعد إبرام معاهدة الحماية وتولية الملك مولاي يوسف كانت تابعة للصحراء الغربية التي عبّر عنها الرئيس بوانكاري بـ : «صحرائنا»، إذ كان سبق احتلالها بالجيش السينيغالي تحت قيادة الجنرال قورو سنة 1909م، وبسبب هذا الاحتلال غادر الشّيخ ماء العينين الساقية الحمراء والسمارة، وقد بيّن الرئيس بوانكاري أنّ خطر الهيبة على المملكة أمكن القضاء عليه بعدما تقلّدت فرنسا مقاليد الحكم، وقضت كامل عهد الحماية في قمع القبائل المغربية وتطويعها للعرش.

ما في راء الذهب والساعة  
الحمراء وما غيرها

ان هذه الناحية لها ما كنا نتفان تاريخ افریقیة  
ر لها الامور ممتاز في التاريخ الحضاري والاقتلاد  
بنقل موقعا اذ وصلت الى ارجح العلم والقوة بنقل  
تحتوي على مناجم الذهب التي امتاز بوجوده  
عنه انه كان يفضل جميع انواع الذهب في عهد الاملا  
ازهارها ابتداء من القره الثالث الهجري  
عرفت هذه المنطقه في العهد الهجري حيث اكتشفت  
في بعض جهاتها لور تشبيهة لور تاسيل كما  
ومدت انواع متعددة من السلاح الهجري وفي متلف  
القره الرابع قبل الميلاد اعملها سيل من قبائل  
لنهاجة واملوا سكانها الا عليه الذي كانت  
بها وهم المراكبه والسود وكان انتقال سكان هذه

صورة عن الصّفحة الأولى من النسخة المعتمدة



## جَوَانِبُ مِنْ تَارِيخِ السَّاقِيَةِ الْحَمْرَاءِ وَوَادِي الذَّهَبِ<sup>(1)</sup> لِلْمَهْدِيِّ بُوْعَبْدَلِيِّ

عَرَفَتْ هَذِهِ النَّاحِيَةُ مِنْ قَدِيمٍ بِالصَّحْرَاءِ الْغَرِيبِيَّةِ، وَلَفَتَتْ أَنْظَارَ سَكَّانِ الْعَالَمِ لِاحْتَوَائِهَا عَلَى مَنَاجِمِ الذَّهَبِ، الْبَالِغِ فِي الْجُودَةِ مِنْهَا، كَمَا كَانَ لِكِتْشَافَاتِ كَثِيرَةٍ مِنْ الْأَدْوَاتِ الْفَلَاحِيَّةِ، وَالصُّورِ الْمُنْحَوْتَةِ عَلَى جِدْرَانِ الْكُهُوفِ، الرَّاجِعِ عَهْدَهَا إِلَى الْعَصْرِ الْحَجْرِيِّ، أَدَلَّةً عَلَى ارْتِبَاطِهَا بِالْحَضَارَةِ مِنْ فَجْرِ التَّارِيخِ.

وَإِنِّي أَقْتَصِرُ فِي دِرَاسَتِي هَذِهِ، عَلَى تَتَبُّعِ مَرَاكِلِ تَارِيخِهَا، مِنْذُ اسْتَوْطِنَتْهَا قِبَائِلُ صَنْهَاجَةَ، أَيَّ ابْتِدَاءِ مِنَ الْقَرْنِ الرَّابِعِ قَبْلَ الْمِيلَادِ، يَتَّفِقُ الْمُؤَرِّخُونَ عَلَى أَنَّ قِبَائِلَ صَنْهَاجَةَ اجْتَاكَتْ هَذِهِ الْمَنْطِقَةَ، الَّتِي كَانَتْ مَوْطِنَ الْحِرَاطِيِّينَ وَالسُّودِ، وَبَقِيَتْ فُرُوعَ صَنْهَاجَةَ الَّتِي سَكَنْتْ هَذِهِ النَّاحِيَةَ، وَأَدْرَكَهَا الْإِسْلَامُ بِهَا، تَتَكَوَّنُ مِنْ لَمْتُونَةَ، وَمَسُوفَةَ، وَقِدَالَةَ، وَقَدْ عَرَفُوا بَعْدَ الْفَتْوحَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ بِالْمَلْثَمِيِّينَ، كَانَتْ قِبَائِلُ صَنْهَاجَةَ مَتَفَرِّقَةً مِنْ غَدَامَسِ إِلَى الْمَحِيطِ الْأَطْلَسِيِّ، وَمِنْ جَنُوبِ الْمَغْرِبِ إِلَى السَّيْنِغَالِ وَالنِّيْجَرِ.

وَإِبْتِدَاءَ مِنَ الْقَرْنِ الثَّانِي الْمَهْجَرِيِّ، تَكَوَّنَتْ بِهَذِهِ الْمَنْطِقَةَ إِمَارَاتٌ، تَخْتَلِفُ قُوَّةً وَضَعْفًا، بِحَكْمِ طَبِيعَةِ سَكَّانِ الصَّحْرَاءِ الرَّحَّلِ، كَمَا كَانَتْ قَوَاعِدُ هَذِهِ الْإِمَارَاتِ تَتَغَيَّرُ، نَتِيجَةً لِلْحُرُوبِ بَيْنَ سَكَّانِهَا، فَاشْتَهَرَتْ مِنْ بَيْنِ هَذِهِ الْقَوَاعِدِ، أُوْدَاغَسْتِ ثُمَّ أَدْرَارِ، وَتَقَانَتِ،

---

(1) مَجَلَّةُ (التَّارِيخِ)، الْعَدَدُ: 3، ص: (17 - 27)، 1976م، تَصَدَّرَ عَنِ الْمَرْكَزِ الْوَطْنِيِّ لِلدِّرَاسَاتِ التَّارِيخِيَّةِ، بِالْجَزَائِرِ. (ع)

وكتنته، والحوض ... الخ. ذكر المؤرِّخ أبو راس الناصري الجزائري أن صنهاجة سَكَّان هذه المنطقة، أسلموا بعد فتح الأندلس، وكان أحد ملوكهم يركب في مائة ألف نجيب، ويؤدِّي له الجزية عشرون مَلِكًا من السُّودان.

كانت العلاقات التجارية بين سَكَّان هذه الإمارات والشمال الإفريقي متينة، وقد وصفَ ذلك البكري فقال عن سَكَّان الإمارة الأولى لهذه الناحية: «وهم أرباب نعم جزيلة، وأمواال جليلة، وسوقها عامر الدَّهر كله ... وتبايعهم بالتبر، وليست عندهم فِضَّة، وبها مبانٍ حسنة، ومنازلهم رفيعة»، ثم يقول بعد ذلك: «وذَهَبُ أهل أودغست أجود من ذهبِ أهل الأرض وأصحَّه، وكان صاحب أودغست في عشر الخمسين وثلاثمائة تين بروتان، رجل من صنهاجة، وكان قد دان له أزيد من عشرين ملكا من ملوك السودان كلهم يؤدى له الجزية»، كما كان لأوداغست أيام تألَّق نجمها الإقتصادي اتِّصال وثيق بقلعة بني حماد عندما كانت عاصمة الدولة الحمادية في أوائل القرن الخامس، خصوصا بعد ما ورثت مكانة مدينة القيروان عاصمة إفريقية التي كان يحكمها بنو زيري بن مناد الصنهاجيين الجزائريين، فإنَّ أكثر التُّجَّار ب: أوداغست كانوا من قبائل الشمال، وفي ذلك يقول البكري عند وصفه لأوداغست: «وسكَّانها أهل إفريقية وبرمجانة ونفوسة ولواتة وزناتة ونفزاوة»، وفي تعريفه ل: قلعة بني حمَّاد التي ورثت مكانة القيروان، وصارت محط رحال القوافل التجارية من المشرق إلى أوداغست، قال البكري في وصفه لها: «قلعة كبيرة، ذات منعة وحصانة، وتمصَّرت عند خراب القيروان، انتقل إليها أكثر أهل إفريقية وهي اليوم مقصد التجار، وبها تحل الرحال من العراق، والحجاز، ومصر، والشام، وسائر بلاد المغرب، وهي اليوم مستقر مملكة صنهاجة»، وكان الفضل في ذلك لتمهيد الطريق المشهور بطريق الذهب وأمنها، الراجع إلى تشديد الحراسة، واتخاذ جيش لمرافقة القوافل.

وقد وصف بمزيد من التفصيل نوعاً من طرق القوافل التجارية إلى الصحراء أحمد المقرئ التلمساني في (نفع الطيب) عند ترجمته لأحد أجداده، كون شركة تجارية تربط بين تلمسان والصحراء، فاتخذت لها المحطات المزودة بالمياه الجارية وجيشاً للحرس ... الخ.

وقد أيد ما قاله المؤرخون القدامى أحد الباحثين المعاصرين، وهو موريس لومبار (Maurice Lombard) في تأليفه: (الإسلام في عظمته الأولى)

(L'islam dans sa première génération)

فقال: «إن بلاد الشرق كانت ابتداء من منتصف القرن الثامن إلى منتصف الحادي عشر - أي الميلادي - توجد بها المراكز الحيوية للحياة الاقتصادية والثقافية، بخلاف أوروبا فإنه كان يسودها إذ ذاك الفراغ، حيث فقدت مكانتها الاقتصادية إثر سقوط روما ...»، إلى أن قال: «امتاز البربر بعد اعتناقهم الإسلام بقوتين، هما أثراً ملموساً: الأولى الطاقة البشرية، التي كان لها الدور الفعال في الفتوحات الأولى بالأندلس وصقلية، وحتى مصر في عهد الفاطميين، والثانية استحواذ الجزائر على تدليل وتمهيد طريق الصحراء والسودان المشهورة بطريق الذهب والرق اللذين كانا من أهم الموارد»-هـ.

لم يُعرف قبل انتفاضة دولة المرابطين اللمتونية هذه المنطقة أية علاقة ببلاد المغرب الأقصى، وكان الحدُّ الفاصل بينهما قبيلة مصمودة، وذلك رغم وجود كثير من قبائل تنتمي إلى صنهاجة، بقيت في المغرب الأقصى الذي كان يحكمه بلقين ابن زيري في أواخر القرن الرابع الهجري، بعد أن اضمحلت دولة الأدارسة التي كانت تحت حماية ملوك الأندلس من بني أمية، وبعد هلاك بلقين في طريق رجوعه من سجلماصة إلى الجزائر، أقطع ملك الأندلس بلاد المغرب إلى أمراء زناتة الذين قضى على دولهم بالجزائر بلقين بن زيري، منهم: ملوك بني زيري بن عطية المغراوي الذين كانوا يحكمون فاس،

وزير ابن عطية هذا، هو مؤسس مدينة وجدة، ومُلك بني يعلى اليفرني الزناتي الذي كانت قاعدة دولته إيفكان، قرب مدينة معسكر، وبنو يفرن هؤلاء هم الذين أسسوا مدينة تلمسان قبل الفتح، وأقطع لهم ملك الأندلس تادلا، وقتلوا أيضا لقوط المغراوي أمير أغمات، فلما فتح يوسف بن تاشفين بلاد المغرب الأقصى في انتفاضته، كان أكثر أمراءه، كما ذكرنا من قبائل مغراوة وبني يفرن الزناتيين، اللتين قضى على دولتهما بالجزائر بلقين بن زيري، ولجأ بقاياهم إلى ملك الأندلس الذي أقطع لهم بلاد المغرب الأقصى، ولا زالت كثير من آثارهم إلى الآن بالمغرب، ومن ذلك المعالم والقبائل بقي لنا أن نعرف، هل كانت محاربة الملك يوسف بن تاشفين لأمراء مغراوة بالمغرب الأقصى تلقائية؟ أو تبنت لمتونة الصنهاجية عداوة هذه القبائل الزناتية أعداء صنهاجة عندما أتصلوا ب: قلعة بني حماد؟ كل ذلك لم يسع مجال هذه الدراسة للإجابة عنه، وإنما لا يفوتنا أن نذكر أن المرابطين كانوا يراعون أواصر القربى بينهم وبين بني عمومهم ملوك صنهاجة الجزائريين، ويتجلى لنا ذلك أن بلقين الثاني الحمادي احتل مدينة فاس في عهد الملك يوسف بن تاشفين، وتخلّى عنها لأسباب لم يتعرّض لها المؤرّخون بما يقنع، كما أن المنصور بن الناصر مؤسس بجاية احتل تلمسان وأباحها لجيشه، ولم يأذن بمغادرتها إلا بعد تدخل زوجة والي تلمسان اللمتوني التي تقربت إليه مستشفعة بأواصر القربى الصنهاجية الجامعة بينها.

وانتفاضة اللمتونيين كانت انتفاضة دينية محضة، وقد ذكر المؤرخ أبو راس الناصري في كتابه (عجائب الأسفار) في الفصل الذي عقده لتاريخ دولة المرابطين اللمتونيين فقال: «ومن أشهر ملوكهم يوسف ابن تاشفين، فأول حروبهم - أي لمتونة - مع مسعود ابن ملك سلجمانية فقتلوه، وسبوا عساكره، وأخذوا البلد عنوة، وقتلوا من بها من مغراوة، وأسقطوا المغارم والمكوس، ونشروا العدل الذي لم يكن بعده مثله آخر



الدهر»، إلى أن يقول: «ثم إنَّ يوسف دَوَّخَ أرض المغرب، وقطع مُلك بني عطية من فاس، بعدما قتل منهم ثلاثة آلاف وأزيد، وقطع مُلك بني الخير من وهران، وقطع بني وانود من صفر، وكلهم مغراوة» اهـ.

من هذا يتأكد لدينا أن انتفاضة دولة يوسف بن تاشفين كانت انتفاضة - أو ثورة دينية محضة - وقد بدأوا فيها بنفس الصحراء - موطنهم - التي كان سكانها رغم اعتناقهم للدين الإسلامي ابتداء من عهد كتائب عقبة بن نافع، ورغم امتيازهم بالغنى الفادح، كانت تعاليم الدين الإسلامي عندهم متلاشية سطحية، ومن ذلك ما وصف به الرحالة ابن حوقل البلاد في منتصف القرن الرابع، قال في كتابه: (المسالك والممالك والمفاوز والمهالك) في الموضوع، حيث إن هذه الناحية كان يطلق عليها سوس الأقصى أما سوس الأدنى فهو الذي كانت قاعدته تارودانت والسوس الأوسط قاعدته تيزنيت، فلما عرف هذه المنطقة ابن حوقل، قال: «وأهل السوس فرقتان، إحداهما فرقة موسويون، يقطعون على موسى بن جعفر والغالب عليهم الجفاء وغلظ الطبع، والفرقة الثانية سنية مالكية حشوية، وبينهم القتال المتصل ليلا ونهارا، والدماء الدائمة، ولهم مسجد يصلي فيه الفريقان فرادى عشر صلوات، إذا صلوا هؤلاء أتوا هؤلاء بعشر أذانات، وعشر إقامات، والمالكيون منهم فوق الشيعة في الفظاظ، وغلظ الطبع، وجباسة الأخلاق، وبقدر ما لهم من مواد لذة العيش، يتغالون في الجهل والطيش»، ثم ذكر ابن حوقل أن دخل هذه الناحية، ضعف دخل الأندلس، وواصل وصف سكانها فقال: «والملك فيهم حقير ذليل، والعالم يسرق ولا يشبع، ويفتي بالتأويل على ما يختار، ولا يخاف معادا ولا مرجعا، لا يعاف حراما ولا مطمعا، والزاهد ذيب أذرع، في كل بلية يشرع، وبكل ريح بلقع، فالثغور والجزائر إلى الأعداء مسلّمة، والأرض إلى الله من أربابها متظلّمة» اهـ.

وقد وصف حياة سكانها اليومية الشريف الإدريسي فقال: «وعلى رؤوسهم الشعور الكثيرة، ولهم بها اهتمام وحفظ، وذلك أنهم يصبغونها في كل جمعة بالحناء، ويغسلونها في كل جمعة مرتين بدقيق البيض، وبالطين الأندلسي ... إنهم أرقى الناس، وأكثرهم خصبا، وشرابهم المسمّى «آنزير»، وهو حلو، يسكر سكرًا عظيمًا، ويفعل بشاربه ما لا يفعله الخمر، لمتانته، وغِلَظِ مزاجه، وذلك أنهم يأخذون من عصير العنب الحلو، فيطبخونه بالنار، إلى أن يذهب منه الثلث، ويزل عن النار، ويرفع ويشرب، ولا سبيل إلى شربه، إلا أن يخلط بمثله ماء، وأهل السوس الأقصى، يرون شربه حلالًا، ما لم يتعد به إلى حدِّ السكر» اهـ.

نقتصر على هذه اللقطات من التاريخ الجغرافي والسياسي والاقتصادي لهذه الناحية، ونعلم أن المؤرّخين كانوا دائمًا يعدونها في هذه المراحل التي ذكرناها، خارجة عن المغرب، بما في ذلك دولة المرابطين، التي فتحت المغرب والأندلس وبعض جهات الجزائر، فتح تبليغ دعوة ونشرها، كما علمنا أن المغرب عندما استولى عليه المرابطون، كان تحت حكم ولاية مغراوة الجزائريين، الذين شتت شملهم بلقين بن زيري، لما خلف دولة الفاطميين، هذه حالة هذه المنطقة، ولم يتغير حالها في عهد المرابطين ولا الموحدين، وإنما لما تولى الملوك السعديون، وبالخصوص أحمد المنصور الذهبي، استولى عليها في مسيرته إلى السودان، ورغم ما بذله من الأموال والرجال فلم يحصل أية نتيجة، وهذه آراء بعض كبار المؤرخين في الموضوع قال الرائد منطاني (la civilisation du désert) في تأليفه: (حضارة الجنوب): «إن الملوك السعديين، هم الذين حاولوا ضم هذه النواحي، فاحتلوا إذ ذاك بلاد توات سنة 1581 ثم أعانوا القائد جوذر سنة 1591 في غزوته لـ: تمبكتو، ورغم إمداد هذه الإرساليات طوال 30 سنة بنحو 25000 جندي، فقد اندمجوا في السُّود، ولم يخلفوا أي أثر، إذ كانت هذه الغزوة فاشلة، لم تنجز أية فائدة لمن قاموا بها».

ثمّ قال: «وقد أعاد الكرة الملوك العلويون، لكن بطرق أخرى وكانوا يعتمدون على ذوي حسن من عرب المعقل ففي سنة 1665 احتلوا وادة، وفي 68 آذارا الموريطانية، وفي 1680 تاقنت، ثم ختمت بالسينغال سنة 1730، وتيسيت سنة 1769 وحينئذ تكوّنت إمارة الترازة تحت رئاسة ذوي حسن، واحتفظ هؤلاء الأمراء بإمارتهم إلى العهد الأخير، كان في ظاهر الأمر المعقل هم المسيطرون على تلك النواحي، لكن في الحقيقة كان النفوذ لصنهاجة، والقبائل التابعة لها، مثل التوراق - بني عمومتهم - وقبائل الرقيبات الباقين إلى الآن بوادي الذهب، وكان الفضل في السيادة التي احتفظ بها السكان الأصليون، ترجع إلى القيادة الروحية، إذ كان التكوين الروحي تحت سلطتهم، وكثيرا ما كانت السلطة الروحية تتغلب وتتفوق على سلطة السيف والعصية القبليّة».

ويختم حديثه في الموضوع بقوله: «ومن آثار هذا التوافق ما رأيناه، عندما ثار الشيخ ماء العينين، في أوائل القرن العشرين، عندما نادى بالجهاد فأجاب ندائه كل سكان موريطانيا الزرق، عرب وبربر مختلطين، قاصدين بلاد سوس المغربي ... الخ» اهـ كلام منطاني.

وقد أيد هذه النظرية المؤرخ الفرنسي، تيراس (Terrasse) في كتابه: (تاريخ المغرب) الذي كان يدرس بثانويات المغرب، ومؤلفه من أساتذة جامعتي الجزائر والرباط في عهد الاحتلال، قال عن حملة جوذر في عهد الملك أحمد المنصور الذهبي الواقعة في مارس 1591 قال معلقا عليها بما يلي:

« Cette expédition au soudan n'avait été qu'une razzia makhzen. Elle rapporta au sultan beaucoup d'or, qui vient des pillages des premiers temps puis des tributs prélevés aux salines de Taoudéni. Le Maroc reçut de nombreux esclaves noirs »

ثم يختم قوله:

« Al mansour ne retira, au moins dans le monde de l'islam, aucun prestige de cette conquête d'un pays musulman. La présence au soudan d'un savant tel qu'Ahmed Baba, montre que la troupe de renégats au service du Chérif n'apportait au pays noir ni un meilleur Islam, ni un surcoit de civilisation musulmane »

أما رأي المؤرخ تيراس في غزوة مولاي إسماعيل حوالي سنة 1672 على ناحية الصحراء فقد لخصها في قوله تحت عنوان: (قضية صنهاجة بالأطلس الأوسط): «إن القبائل البربرية التي أيدت الدلائيين في حروبهم مع العلويين حتى أوشكوا على الاستيلاء عليه بقوا معادين للعرش العلوي»، وهذا نص الأصل:

« Le problème sanhadjien au moyen-atlas. Ces tribus berbères qui avaient faibli avec les Dilaïtes, conquérir le Maroc restèrent des ennemis irréductibles de la dynastie alaouite ».

هذه نبذة من تاريخ الصحراء على وجه العموم، والساقية الحمراء ووادي الذهب بالخصوص، اقتصرنا فيها على أرجح الأقوال، ونختمها بما آلت إليه حالها في العهد الأخير - أي أيام انحطاط دولة المغرب - الذي فقدت فيه السلطة الملكية النفوذ على جل القبائل، باعتراف المؤرخين الرسميين للمغرب، أمثال: (تاريخ حاضرة مكناس) لتقيب الأشرف عبد الرحمن ابن زيدان حفيد الملك مولاي إسماعيل، والباحث الشهير المختار السوسي وزير التاج في عهده، الذي تمتاز تأليفه بالموضوعية، والدقة والنزاهة، وغيرهما.

وكان النفوذ القوي في تلك الفترة بالصحراء للزوايا الكتبية والبكاية والسيدية والتجانية وأولاد سيدي أحمد بن موسى وتازروالت وماء العينين، ولما كان الشيخ ماء العينين مؤسس مدينة السمارة، وأقام طول حياته بالساقية الحمراء إلى أن فارقتها متضامنا مع تلامذته، الذين أخرجتهم السلطات الفرنسية من ديارهم، حوالي سنة

1909، عندما شرعت في الاستيلاء على بلاد المغرب.

نختم هذه الدراسة بموقف هذا البطل الذي بويح بحق من طرف السكّان، وسجّل له التاريخ صفحات ذهبية جعلته في مصافّ رجالٍ ﴿صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ (الأحزاب: 23).

قال المؤرخ تيراس (Terrasse): «في سنة 1909 عندما احتل الجيش السينغالي الذي كان يقوده الكولونيل قورو (Cl Gouraud) تاقنت بأدرار<sup>(1)</sup>، ووحات أطار، وشنقيط، واستسلم لهم سكان القصور هاجر البلاد معظم القبائل الرّحل إلى ناحية الشمال حسبما توجه عليهم الشريعة الإسلامية، وكانت وجهتهم الساقية الحمراء.

وصل إلى الساقية الحمراء قبائل الشناقطة، وكننة والرقيبات، وعريب وتاجكنت وأولاد دليم... الخ، وكان الفرنسيون يطلقون على جميعهم وصف لون لباسهم - أي: الرّجال الزُّرق - وفي شتاء 1909 - 1910 تضامن معهم شيخهم ماء العينين وفارق زاويته بالسمارة، وانضمّ إلى مسيرة الجميع إلى الشمال بوادي درعة، فعندئذ سكن جميع أتباعه بمخيمات متفرّقة بين وادي نون وسوس، وسكن هو بالوسط في تيزنيت.

وهذه المسيرة ارتاح لها كثيرا من الفرنسيون خصوصا المتفاوضين<sup>(2)</sup> منهم مع ملك المغرب، وأمكن أيضا للسلطان أن يكتب إلى عماله بوادي نون وسوس ليوقفوا إرسال السلاح إلى الصحراء حيث غادرها سكانها.

---

(1) آدرار: هي آدرار الشنجيلية لا آدرار الجزائرية، إذ كثيرا ما تشبه على الباحثين، وقد اندثرت واندثر موقعها.

(2) كانت هذه المفاوضات تعرف ب: معاهدة 1904م، وعوّضت ب: معاهدة الجزيرة سنة 1906م، وفي الزوايا خبايا.

ومن جهة أخرى وجد الشيخ نفسه، وكذلك رفقاءه، في حالة يُرثى لها، فأرسلوا إلى الملك يطلبون منه تمكينهم من بعض الأراضي للحرثة وللرعي فقصد الجميع الذهاب إلى السلطان، ولم يدخلوا مراكش التي تجنّبوها، قاصدين مدينة فاس، إلا أن الفرنسيين كانوا لهم بالمرصاد، فتعرضوا طريقهم، بقصبة تادلا، ثم بقصبة الزيدانية، فقصد الصحراويون وشيخهم سوس، أي رجعوا من حيث أتوا كاسفي البال، وعلى هذه الحالة قضى الشيخ ماء العينين نحبه، حيث أدركه المنون في نوفمبر 1910 بمخيمه في تيزنيت فقيرا، إلا أنه سعيد، حيث مات في بلاد الإسلام، وقد ظهر ولده فيها بعد - أي: أحمد الهيبة - الذي ثار على الفرنسيين واحتل مدينة مراكش بعد معاهدة الحماية « اهـ كلام تيراس.

والخلاصة أن مدن المغرب الأقصى كانت تابعة للسلطات، أما جبالها وبواديها فكانت في مجموعها، ومن جملتها سوس الأدنى، ما قاله المرحوم المختار السوسي المتخصّص في تاريخ بلاد سوس قال في تأليفه: (إبليغ قديما وحديثا): «كانت بلاد سوس لها بعض استقلال عن العرش المغربي، فلا تخضع له إلا خضوعا أدبيا دينيا من بعيد».

وقال المؤرّخ تيراس وبه نختم هذه الدراسة: «إنَّ المخزن يتحقّق أنه من سنة 1934 أمكنه أن يحكم البلاد، وذلك بفضل الجيش الفرنسي، وأن هذا الهدف الذي لم يصل إليه في القرون الماضية وصل إليه بفضل الحماية الفرنسية» اهـ.

المهدي بوعبدلي

## المراجع

- إيلينغ قديما وحديثا: للمختار السوسي، نشر المطبعة الملكية بالرباط 1966.
- تاريخ مكناس: لنقيب الأشراف عبد الرحمن ابن زيدان، طبع الرباط.
- المسالك والممالك: للبكري.
- المسالك والممالك والمفاوز والممالك: لابن حوقل.
- نزهة المشتاق: للشريف الإدريسي.
- La civilisation du désert, par le CI Robert Montagne
- Esquisse d'histoire religieuse du Maroc, Par Georges Drague
- Histoire de Maroc, par H. terrasse Prof, à l'université d'Alger
- Quatre siècles d'histoire marocaine Au Sahara de 1504 à 1902, Au Maroc de 1894 à 1912, Par A.G.P. Martin, officier interprète, (Ed.E. Leroux-paris 1923) etc... etc .....

## تعقيب الأستاذ موسى لقبال على المحاضرة

وتعقيبا عن المحاضرة، وضح السيد لقبال موسى، أنه يوجد إقليم متميز عن المغرب الأقصى سمي باسم الصحراء لدى المؤرخين القدماء، أمثال: البكري، والإدريسي، الإقليم المستقل المتميز عن المغرب الأقصى، يقول البكري: «ونون: آخر مدن الإسلام، وهي أول الصحراء»، أمّا الإدريسي فيقول عن حدود مملكة غانا شمالا: «وشمالها الصحراء المتصلة التي بين أرض السودان وأرض البربر».

وسكان الصحراء لهم روابط عرقية مع فرع صنهاجة الشمال الذين هم الحماديون والزيريون، وأثر هذا الانتماء والانتساب نلاحظه في ما نسمعه كثيرا من رفع بعضنا حتى الوقت الحاضر نسبه إلى الساقية الحمراء، وذلك عندما يُسأل بعض الشيوخ فيقولون: إنهم من الساقية الحمراء، هذا يدلُّ على علاقتنا بالماضي.

إذن، فعلاقة هذه المنطقة بنا هي في نفس المستوى والقوة التي مع جهاتٍ أخرى، وكان دور سكّان الصحراء إيجابيا في الحياة السياسية، بحيث كانت الصّحراء أداة ربط تربط بين المناطق الأخرى، واستمرّ هذا حتى حركة نشاط الاستعمار الأوروبي، بحيث تحوّلت إلى أداة فصل تفصل هذه المناطق حدوداً وأسماؤاً اصطناعية لا تعبّر عن الحقيقة، وإنما تعبّر عن أوضاع جديدة مزيفة، معنى هذا التحوّل الذي حصل أنّ دور هذه الشعوب في ظلّ هذا الوضع الذي خلقه الاستعمار أصبح سلبيا أو مفقودا، ويراد الآن إحياء دور حقيقي لإرادة الشعوب، فالرجاء أن نرجع إلى الأصل، وشكرا.

ثمّ ردّ الأستاذ المهدي بوعلام عن تساؤل الأستاذ صاري: عن العلاقة الموجودة بين كلّ من ماء العينين والهيبة من جهة، وملك فاس من جهة أخرى، قائلا:

كان الحدّ الفاصل بين التراب المغربي والمنطقة الصّحراوية هي تارودانت باعتراف المؤرّخين المحدثين، وعلى رأسهم مولاي عبد الرحمن ابن زيدان نقيب الأشراف ومؤرّخ المملكة المغربية.

إنّ الحدّ الفاصل بين المغرب وهذه المنطقة هي قبيلة مصمودة التي ينتمي إليها المهدي بن تومرت، على هذا فإنّ ركزت على أن هذه المنطقة باتفاق المؤرّخين المغاربة كانت خارجة عن المغرب، أما ماء العينين فكان من أكابر العلماء له تأليف كثيرة، وامتاز عن بقية رؤساء الزوايا بأنه ألف كتبه، وكان ينشر العلم، وكان مجمع على فضله وعلمه، وكانت تلك المنطقة ظهرت فيها طرق كثيرة، وكان ماء العينين هو الذي سكن السّاقية الحمراء، وهو الذي أسّس السّارة، وعندما احتلّ الفرنسيون قطعة من موريطانيا الحالية وهاجر إليه تلامذته تضامنا معه، فارق البلاد وذهب إلى سوس، وهو والد الهيبة، الذي جدد له قومه البيعة بعد وفاة أبيه ودخل مدينة مراكش، وكان متفقا مع عبد الحفيظ على محاربة عبد العزيز وعزله، إلا أنّ الهيبة بعد أن عقد عبد الحفيظ المعاهدة مع الفرنسيين هاجر إلى الجنوب.



## حالة المسلمين في الاتحاد السوفياتي ويوغسلافيا أو ماضي الإسلام وحاضره بالاتحاد السوفياتي (1)

انعقد في صيف هذه السنة مؤتمر الأديان بالاتحاد السوفياتي بمدينة موسكو في أيام: 2 - 3 - 4 يوليو 1969م، وكان من جملة المدعوين الأخ وزير الأوقاف بالجزائر، فليبي الدعوة، واستصحب وفداً متكبباً من الأخوين مدير الثقافة الدينية، ومدير مجلة القبس والمتحدث.

كان هذا المؤتمر خاصاً بالأديان الموجودة في الاتحاد السوفياتي، لا كما نشرت ذلك بعض الصحف العالمية، وحتى الجزائرية، من أن المؤتمر كان لجميع الأديان، نعم إنهم دعوا لحضوره ما يربو على أربع وأربعين دولة صديقة للاتحاد السوفياتي شاركت وفودها في المؤتمر كمُلاحظين.

سبقت هذه الدعوة بالنسبة للوفد الجزائري، دعوة أخرى من مدير الإدارة الدينية بآسيا الوسطى وكازخستان، الموجود مقرها ب: طشقند عاصمة الأوزبكستان، وكذلك دعوة مماثلة لها من زعيم الطائفة الإسلامية ب: صاراچيفو، عاصمة البوسنة والهرسك بيوغسلافيا لزيارة ودية، فاغتنم الوزير الجزائري هذه الفرصة، وكانت الرحلة إلى الاتحاد السوفياتي ويوغسلافيا، وهذه الرحلة هي موضوع سمرنا الليلة.

وقبل أن أتعرض للحديث عن الرحلة وعن المؤتمر، اسمحوا لي أن أذكر باختصار

---

(1) اعتمدنا في إثبات هذه المقالة على نسخة مرقونة تقع في: (9) صفحات، وقفنا عليها بمكتبة الشيخ المهدي بمدينة بطيوه. (ع)

نبذة عن موقع البلاد الإسلامية في الاتحاد السوفيتي، وموجزا لتاريخها، وذلك ولو كنا نقرأ عنها الكثير، فعندما وصلنا إلى المؤتمر، واجتمعنا بمعظم الممثلين المسلمين هناك، وجدنا أنفسنا حيارى عندما تذكر لنا بلدة أو إقليم، حيث طرأ عليها تغيير كبير في أسماء المدن والأقاليم التي كانت مشهورة بها في عهدها الإسلامية، وبلاد كهذه جديرة بالاهتمام لجميع المسلمين، إذ كانت مراكز إشعاع وانبثاق للثقافة الإسلامية، وإنَّ معظم مدنها، ك: سمرقند، وبخارى، وخوارزم، وهراة، وطوس، ومرو، كانت في طليعة العواصم الحضارية في بلاد الإسلام.

إنني سأعرض لموقع هذه البلاد الجغرافي ثمَّ أذكر نبذة من تاريخها منذ عهدها بالإسلام، وبالخصوص الأحداث التي تعرَّضت لها بعد أن احتلتها روسيا القيصرية، ثم أعقبتها ثورة أكتوبر 1917 في الاتحاد السوفيتي، وانتشار الشيوعية بهذه النواحي، فأسدل الستار وُضرب بسورٍ حديدي بينها وبين بقية سگان العالم الإسلامي.

وإنني لم أقتصر على ذكر انطباعاتنا عن سفرنا هذا، أو ما استفدناه من اجتماعاتنا مع مختلف المسلمين هناك، وإنما كانت هذه الرحلة والاتصالات بالسُّكَّان حافِزاً لنا إلى دراسة كثير من المصادر التي تتبَّع أصحابها تاريخ هذه البلاد وتطوُّرها، خصوصاً في العهد الشيوعي، وذلك كدراسة هامة للمستشرق الشهير (Vincent Mouteil)، نشرها في (مجلة البحوث الإسلامية) التي تصدر بباريس، وكان يشرف عليها الأستاذ ماسنيون (Massignon)، وكتاب صدر أخيراً بباريس للكاتبين الشهيرين: (Bennigsen) مدير البحوث التاريخية في جامعة الصُّوربون، والإختصاصي في دراسة الإسلام بالاتحاد السوفيتي، وزميله (Lemerrier quelquejay)، تحت عنوان: (الإسلام بالاتحاد السوفيتي)، و(تاريخ الترك بآسيا الوسطى) للمستشرق الشهير (Barthold)، و(الشرق السوفيتي) ل: (Marcel Egretand)، و(الإصلاح والثورة عند مسلمي روسيا) للكاتبة: (Hélène Carrère d'Encausse).

وأما المصادر الإسلامية، فأهمُّها: (تاريخ بخارى) لأبي بكر محمد بن جعفر النرشخي، المعرَّب عن الفارسيَّة، الذي حَقَّقَه وعلَّقَ عليه الدكتور أمين عبد المجيد بدوي، ونصر الله مبشر الطرازي، ومقالات في بعض المجلَّات، ومحاضرة كان ألقاها منذ سنتين عند زيارته للمغرب العلامة ضياء الدين بابا خان مدير الإدارة الدينيَّة بآسيا الوسطى وكازخستان.

### موقع البلاد الجغرافي:

كانت هذه البلاد تُعرف في عهد الفتوحات الإسلامية بـ : خراسان، وبـ : بلاد ما وراء النهر، وبـ : خوارزم، ثمَّ بـ : بخارى، وأوَّل عهدها بالإسلام أنَّها فتحت في عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان الأموي تحت قيادة عبيد الله بن زياد، كانت هذه الناحية تشمل عدَّة عواصم، كـ : بخارى، وسمرقند، وخوارزم، وهَرَارة، ومَرو، وكانت صلتها بالحضارة قديمة جدا، إذ اكتشف الأثريون بنواحي سمرقند مساكن يرجع عهدها إلى مائة ألف سنة، كما وجدت آثار عبَّاد النار، وبقايا أواني الخزف يرجع عهدُها إلى ثلاثة آلاف سنة قبل المسيح، ووجدت بقايا قنوات الرِّي يرجع عهدها إلى ألفي سنة قبل المسيح، وقد تعاقبت عليها دول وتغيَّرت أسماء الأقاليم بل حتى بعض مدنها، فعندما غزاها المسلمون وجدوا على رأس البلاد ملكة يقال لها: خاتون، كما خلَّد التاريخ ذكر امرأة كانت تحكمهم منذ ثلاثة وعشرين قرنا، فقد ذكر المؤرِّخ اليوناني (Herodote) أنَّ ملكة البلاد في عهده كانت تسمَّى : (Zarina)، ولها ثلاث مائة زوج.

كان الملك (Cyrus) سيروس مؤسس الإمبراطوريَّة الفارسيَّة احتلَّ آسيا الوسطى في القرن السَّادس قبل المسيح، وفي سنة 330 أخرجَه منها الملك الإسكندر المقدوني، وفي القرن السَّادس بعد المسيح كانت آسيا الوسطى من ممتلكات الأتراك إلى أن احتلَّها الفاتحون المسلمون ابتداء من عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان كما سبق.

وفي عهد ملوك بني العباس، وانحلال الإمبراطورية الإسلامية، واستقلال كثير من الأمراء والولاة، رجعت إلى الحكم التركي، فسميت حينئذ بـ: التركستان، وبقيت تحتفظ بهذا الاسم إلى أواخر القرن المنصرم لما احتل معظمها قياصرة الروس، وبقيت منها بقية تابعة لـ: الصين الشعبية، يفصل بينها وبين القسم الروسي جبال (Tiendian)، والقطعة التابعة لـ: الصين هي المعروفة الآن بـ: سنكيانف (Sinkiang)، وهي محل النزاع الذي أثارته مشكلة الحدود في هذه السنوات بين الاتحاد السوفيتي والصين الشعبية.

قال ياقوت في (معجم البلدان): «تركستان: اسم جامع لجميع بلاد الترك، وهي موطن الأتراك في آسيا الوسطى، وتمتد من بحر الخزر (بحر قزوين) - المعروف عند الأوربيين (Mer Gaspienne) - غربا إلى حدود التبت ومنغوليا شرقا، وتشتمل على أقاليم ما وراء النهر، وفرغانة، والصغد وخوارزم وجزء من خراسان» اهـ.

وهذه الأقاليم ذكرها كثير من الرحالين والتجار، إذ كانت ممر القوافل التجارية الأوربية والآسيوية إلى الصين لاقتناء الحرير، ولهذا عرفت بـ: طريق الحرير، وقد وصفوها بأنها يجري فيها نهران عظيمان، هما:

(1) نهر جيحون المشهور الآن (Omor Daria).

(2) نهر سيجون (Syr Daria).

هذا، وإن وجدنا قسمها الغربي كـ: سمرقند، وبخارى، وخوارزم، اشتهرت بالخصب من قديم الزمان، فإن قسمها الشرقي، خصوصا المتاخم لـ: الصين مشهور بالجفاف والقحولة، حتى إنه اشتهر بـ: أرض القفار، وما زال يطلق عليه (Steppes)، ويضرب به المثل للأراضي القاحلة.

ويتلخص لنا من هذا أن تركستان تنقسم إلى قسمين:

1) تركستان الشرقية أو الصّينيّة: وهي المعروفة الآن بـ : سنكيانف (Sinkiang)، وعدد سكانها أربعة ملايين مسلماً.

2) وتركستان الغربية أو الرّوسية: التي قسّمت بعد استيلاء الرّوس عليها، وبعد الثّورة الشيوعيّة إلى ستّ جمهوريات سوفيتيّة، ضمن الجمهوريات الخمسة عشر، التي تتكوّن منها دولة الإتحاد السوفيتي الحاليّة، وهذه الجمهوريات الستّة، هي قازخستان، أوزباكستان، تركمانستان، تاجيكستان، أذربيجان، وقيزخستان، وأغليّة سكّان هذه الجمهوريات مسلمون، وهناك أقليّات تختلف قوّة وضعفا غير مسلمين، منها الطارئة على البلاد، كـ : الروس، والأرمن، والصّين، استوطن معظمهم البلاد بعد الاحتلال الروسي كعمّرين، خصوصا الرّوسيين، وأمّا الأقليّات اليهوديّة فهي قديمة، ثمّ إنّ أغليّة المسلمين بهذه الجمهوريات سنّيون، تابعون للمذهب الحنفي، ومنهم الدّاغستانيون الذين هم من أتباع المذهب الشّافعي، وهناك أقلّيّة من العلويين والشّيعة الإسماعيلية، والبهائيين، وغلاة الشّيعة اليزيديين، أمّا ثقافة الجميع المنتشرة في العصور الأخيرة - أي: قبل ثورة أكتوبر - هي اللغة التركيّة، الفارسيّة والعربيّة.

إنّ مأساة هذه البلاد، شبيهة بمأساة الأندلس، فهي البلاد التي احتلت كثيرا من بلاد روسيا المسيحيّة في عهد جنكيزخان والتّيموريين فكانت روسيا من هذه الوجهة، شبيهة بإسبانيا، إذ هما البلدان المسيحيّان اللّذان استولى على الكثير منهما المسلمون، وكان ردّ الفعل عنيفا.

إنّ سكان المغرب تتبّعوا أحداث الأندلس، وعرفوها عن كثب، إلا أنّهم لم يهتموا كثيرا بأسيا الوسطى، ثمّ إنّنا نجد الفرق بين مأساة البلديّن أنّ سكان آسيا الوسطى قاوموا ودافعوا دفاع المستميتين الأبطال عن أرضهم وعقائدهم، ولم يذوبوا أو يستسلموا، رغم الوسائل المستعملة ضدّهم، تلك الوسائل التي قضت على إخوانهم

الأندلسيين غربي أوروبا.

وسكان آسيا الوسطى، وإن كان موقعهم الجغرافي يختلف عن الأندلسيين، حيث كانت أراضيهم جبلية، وكانوا محاطين بالبلاد الإسلامية التي كانت تمدُّهم بالسلاح والمؤونة، وتفتح لهم الحدود للالتجاء، إلا أن المؤرخين كلُّهم يعترفون أنَّهم كانوا أشدَّاء، لم ينغمسوا في الترف الحضاري كما وقع للأندلسيين.

كان بدأ هذا الغزو - أي: غزو روسيا للمسلمين - سنة 1556، وهو نفس تاريخ الحملة الصليبية التي شنَّها الإسبان على شواطئ المغرب العربي، وسقطت وهران وبجاية ثمَّ تونس وطرابلس، الواحدة تلو الأخرى، بعدما سبقتها بمدة بعض مدن المغرب، ك: العرائش، وسبتة، ومليبية.

كانت أول بلدة سقطت في يد الروس هي قازان (عاصمة التتار)، ثمَّ اصطرخان، وقد أجبر الروس سكان قازان لاعتناق المسيحية، وقام بهذه الحملة الأسقف الأول بقازان سنة 1555، وتواصلت هذه الحملة إلى أوائل القرن السابع عشر، وكان من نتيجتها أن اعتنق كثير من التتار المسيحية، وفي عهد القيصرية الثلاثة (Ronanod) هدأت الحملة نوعاً ما، ثمَّ استأنفت في عهد (Pierre le grand)، وتُتبعَت إلى عهد الملكة كاثرين الثانية.

وقد ذكر المؤرخون حسب الإحصاءات الرسمية أن ما بين سنوات 1738 و1755 أُغلقَ 418 مسجداً من جملة 536 الموجودة في إمارة قازان، وفتحت عدَّة مدارس تبشيرية تحت إدارة المبشرين الأرثوذكسيين لأبناء المنتصرين من التتار، كما أممَّ القيصرية أملاك الأوقاف، وضوعفت الضرائب على المسلمين، وأعفوا منها المنتصرين، ثمَّ فرَّق بين المحافظين على الإسلام والمنتصرين، فأبعد المسلمون عن فرق ومدن المنتصرين، وأمَّمت أملاكهم.

وفي عهد كاثرين الثانية قويت الاحتجاجات، وهاجر الكثير من المسلمين إلى البلاد المجاورة، فتراجعت الحكومة نوعاً ما عن سياستها، وكان من نتيجة ذلك إحداه أول إدارة دينية بـ : أورنبرك (Orenburg)، فقام شيوخ المسلمين ببناء المساجد من جديد، إلا أن الأوردكسيين كانوا مطلقاً الأيدي، فقاموا بحملات قوية ضد الإسلام بفضل الإعانات التي كانوا يتلقونها، والحرية المطلقة التي كانوا يتمتعون بها، فعندئذ انعقدت مؤتمرات إسلامية للبحث عن الأخطار التي تهددهم، وصادف إذ ذاك ظهور الحركة الإصلاحية بالشرق، تلك الحركة التي أسسها جمال الدين الأفغاني، وكان كثير من التركستانيين المهاجرين في تركيا وإيران انخرطوا فيها، فتكوّنت حركة في البلاد، تدعى بـ : الجديد، وكانت أمثلها الحركة التي أسست تحت قيادة العالم الشهير شهاب الدين المرجاني المتوفى سنة 1889، كان عالماً مؤرخاً، قام بهذه الدعوة سنة 1855، وهذا المصلح وإن كان يتفق مع الحركة الإصلاحية الشرقية - أي: في الرجوع إلى عهد السلف - فكان يدعو مواطنيه إلى تعلم العلوم العصرية، واللغات الأجنبية، ومنها الروسية، وبعد وفاته، خلفه تلميذه العلامة رضاء الدين أوقلو قاضي مدينة أورنبرك (Orenburg)، ثم ظهرت حركات أخرى عززت هذه الحركة، منها حركة حزب تركيا الفتاة الذي كان يمثله الزعيم يوسف أكتشورين (Aktchurin) الذي كان مهاجراً في تركيا، كان شعارها إذ ذاك: «الانتماء إلى الدولة التركية وإلى الدين الإسلامي ثم إلى الحضارة الأوربية»، كما ظهرت إذ ذاك في جبال الداغستان ثورة تحت قيادة الإمام منصور شيخ الطريقة النقشبندية التي بدأت سنة 1784، ثم خلفه الإمام عبد القادر شامل من 1859 إلى 1869، وكانت تشن الغارات في داخل البلاد، ورغم المقاومة العنيفة التي كانت تقابل بها من طرف الرومانيين، فلم تنته إلا في سنة 1887، ورغم ذلك فإن جبال داغستان لم تطأها أقدام الأعداء ولم يصلوا إليها، فبقي سكان تلك الجبال يتمتعون بالحرية، وعند انتهاء هذه الثورة، سقطت بقايا البلاد الإسلامية

الواحدة بعد الأخرى في منتصف القرن التاسع عشر، ك: طشقند ثم بخارى وسمرقند وخوارزم، وخوجند، وختمت باحتلال مرو سنة 1884، فانتهدت كل مقاومة.

هذه بالجملة حالة بلاد الإسلام بآسيا الوسطى وشرقي أوروبا، التي احتلها القيصرية الروسيون ابتداء من منتصف القرن السادس عشر، ثم أعقبتها ثورة 17 أكتوبر 1917م، تلك الثورة التي قلبت جميع الأوضاع بالبلاد الروسية، ذكرناها باختصار، ومنها يتبين لنا أن المسلمين ذاقوا ويلات وآلاما طيلة أربعة قرون، ثم استأنفوا حياة جديدة في عهد الشيوعيين بعد ثورة أكتوبر 1917م.

قابل المسلمون ثورة أكتوبر بتفاؤل، وشارك الكثير منهم فيها، حيث كان أعداؤهم المستبدون عليهم طيلة العهد القيصري، المعمرين الروسين في الميدان الاقتصادي، والمبشرين الأورتدكسيين في الميدان العقائدي، وزاد في هذا التفاؤل، واطمأنت له نفوس السكّان إثر تصريحات الزعميين لينين وسطالين، فإنها وجّهها في 19 ديسمبر 1917م الخطاب الآتي للمسلمين بالاتحاد السوفييتي: «أنتم كلكم يا أيها الذين هدمت مساجدكم، وأهينت معتقداتكم، وديست بالأرجل من طرف القيصرية والجلادين الروسين، تحقّقوا أنه ابتداءً من اليوم، فإن عوائدكم، وهيأتكم الثقافية والوطنية، ومعتقداتكم، حرّة محفوظة محميّة»، كما وجّهت نداءات مثلها لعامة المسلمين في البلاد المجاورة، ك: تركيا، وإيران، وأفغانستان... الخ.

إثر هذا النداء مباشرة أحدثت محافظة شعبية للشؤون الإسلامية سنة 1918، إلا أنها لم يمرّ عليها ستان حتى ألغيت سنة 1920.

ثمّ فتح الباب على مصراعيه من سنة 1918 إلى 1938 للدعاية الصحافية والتمثيل والسينما، واستخدمت جميع وسائل الدعاية السرية والعلنية لمهاجمة الدين والسخرية



والاستهزاء بالمتدينين، وإظهارهم في أشنع صور الانحطاط والسفل والجشع، ومن ناحية أخرى كانت الحركات الإلحادية - خصوصاً جمعية الأخوات الإلهية (les soeurs-dieu) تلقى التأييد والتشجيع المادي والأدبي في جميع أنحاء الوطن، ولدى جميع الهيئات والسلطات، إلا أن نتيجتها حسبما يظهر لم تؤت الثمرة المرجوة منها كما سنبين ذلك:

إنَّ عدد المسلمين اليوم في الإتحاد السوفيتي حسبما حَقَّقَهُ كثير من الإحصائيين يبلغ 30 مليون نسمة، وعلى هذا فإنَّ دولة الإتحاد السوفيتي تعتبر الدولة الخامسة من حيث عدد سكانها المسلمين - أي: تأتي بعد أندونيسيا، والباكستان، والهند، والصين -.

والمقاطعات التي تضمُّ أكثر المواطنين المسلمين هي: الشارستان، وباشفريه وداغيقال، كما أن هناك مناطق إسلامية تضمُّ خليطاً من المسلمين وغير المسلمين، والمقاطعات التي يؤلف المسلمون فيها أغلبية السكَّان، هي: القرم، وشمال القوقاز، وشركس، وانبكوش.

حقيقة إنَّ المسلمين اجتازوا في هذه الفترة - أي: بعد الثورة البلشفية إلى نهاية الحرب العالمية الثانية - فترة مليئة بالأهوال والخطوب، وما زال هناك ستار يحجب الحقيقة، ستار سيرُفع لا محالة، إلا أنَّه لم يمنع تسرُّب كثير من الحقائق، وكان وقع هذه الفترة مليئاً على المسلمين بالأزمات المتعاقبة عليهم.

قال البشاري يصف هذه الناحية: «هذا الجانب أخصب بلاد الله تعالى، وأكثرها خيراً، وفقها وعمارة، ورغبة في العلم، واستقامة في الدين، وأشدُّ بأساً، وأغلظ رقاباً، وأسلم صدرًا، وأرغبُ في الجماعات، مع يسار وعِفَّة ومعروف وضيافة وتعظيم لمن يفهم».

وقال ياقوت في (معجم البلدان) يصف هذه الناحية: «كثيرة المياه، نضرة الأشجار، متجاوبة الأطيَّار، مونة الرياض والأزهار، ملتفة الأغصان، خضرة الجنان، تمتدُّ مسيرة

خمسة أيام لا تقع الشمس على كثير من أراضيها، ولا تبين القرى من خلال أشجارها». وقال الرحالة الإيطالي ماركو پولو يصف سمرقند العاصمة إذ ذاك: «إنها مدينة عظيمة، ينطق كل حجر فيها بنبأ محدد سكانها، وفيها من الحقائق الغناء ما لا يصل إليه مدى البصر، وتحوي من الفاكهة والزهور والرياحين كل ما يشتهي الإنسان، وما تُسرُّ لمراه الأعين».

وإذا انتقلنا إلى الميدان البطولي نجد الذاكرة تعود بهم إلى حياة البطالين العالميين، جنكيزخان وتيمور لنك، الذين زحفا بجيوشهم الجرارة، وسنابك خيولهم، واستولوا على معظم بلاد آسيا الصغرى والشرق الأقصى وأوربا... (1).

... بمناسبة يوم عاشوراء فكان عدد الحاضرين 500، وسكان المدينة الشيعيون لا يجاوزون 18000، ثم إن الطرق الصوفية وإن كان نشاطها منذ فترة ممنوعا، إلا أن الصحافة السوفيتية تنشر المرة بعد المرة، ظهور نشاطها من جديد في عدة جهات، كالداغستان وتشنش، فإن النقشبندية ما زال لها أنصار وأتباع، أما المزارات والأضرحة فما زال الإقبال عليها متزايدا، ويقام لبعضها مواسم سنوية، يحضرها الزوار من مختلف الجمهوريات الإسلامية، حتى الخارجة عن الإتحاد السوفيتي، والمجاورة لها كإيران، وتركيا، وأفغانستان والصين الشعبية وذلك كضريح أحمد ياسفي صاحب ديوان الحكمة المتوفى سنة 562هـ، كان من أصل تركي وله ديوان شعر باللغة التركية يحفظه كثير من السكان، فيه حكم شبيهة بحكم الشيوخ أحمد بن يوسف (دفين مليانة)، وعبد الرحمن المجدوب بالمغرب، وقد كان أحمد يوسف هذا من أعظم ناشري الإسلام في تلك الربوع، وقد بنى له ضريحه الحالي تيمورلنك، كما ما زال السكان الشيعيون

---

(1) فراغ بقدر ثلاث صفحات (12، 13، 14). (ع)

الجعفريون يذهبون سنويا لزيارة المشهد بإيران حيث يوجد ضريح الإمام علي الرضا الإمام الثامن للشيعة الجعفرية المتوفى في أواخر القرن الثاني الهجري الموافق لسنة 818م، وكانت مدينة المشهد هذه عاصمة خراسان، وهي تبعد الآن بنحو 250 كيلومتر على مدينة عشق آباد عاصمة التركمانستان، كان عدد الزائرين إلى سنة 1945 يبلغ خمسين ألف، ولم يكتف الشيعة الجعفريون بالزيارة فقط، بل الكثير منهم ينقلون أمواتهم لدفنهم بقربه، ويجتمع في الضريح المذكور سواء للزيارة أو لنقل الأموات زيادة على الشيعة بالاتحاد السوفيتي، شيعة الهند والأفغان وإيران، وكان سكان تركمانستان عندما يذهبون للزيارة السنوية يذهب على رأسهم شيخ الإسلام، الذي هو في الوقت نفسه يشغل منصب مدير الإدارة الدينية للمسلمين بـ: أذربيجان، ومناطق أرمينيا بـ: باكو، وهو منصب رسمي له أهمية.

ونجد أيضا الأقلية من الشيعة الإسماعيلية الساكنة بواحات بامير الغربية، ويبلغ عدد السكان منهم نحو المائة ألف، وهم من أتباع آغاخان، يذهبون سنويا إلى بومباي على الطريق الجبلية الوعرة، فيمرُّون على جبال (Hundou Kousch) والكشمير ثم بيشاور (Peshawar)، ومن هنالك يأخذون السكة الحديدية.

وعلى كل حال، هذه حالة المسلمين في بلاد الاتحاد السوفيتي، من اندلاع ثورة أكتوبر إلى أوائل الحرب العالمية الثانية، حيث تغيَّرت بعض الأحوال، وتَحسَّنت، وقد سنَّت الحكومة قرارا نظَّمت فيه النشاط الديني بكامل بلاد الاتحاد السوفيتي، وذلك سنة 1941، فأحدثت أربع إدارات دينية.

وفوضت لها رسميا التصرف في شؤونها الدينية، وهي تابعة رأسا إلى مديرية المجالس الدينية بـ: موسكو<sup>(1)</sup> ومديرها له التصرف والنظر في جميع الأديان الموجودة

---

(1) قيل إنَّ إدارة موسكو هذه أحدثت سنة 1944.

بتراب الإتحاد السوفيتي، ولهذا المدير مكانةٌ وزير في الحكومة المركزية، وستحدّث عنه عندما نتكلّم على مؤتمر الأديان وملاقاته مع وفدنا وتصريحاته العامة والخاصة.

فالمركز الديني الإسلامي الأول والقديم هو مركز النظارة الدينية للمسلمين في بلاد سبيريا والقسم الأوروبي، وما يتبعه من النشارية والبشكيرية، والسكان المسلمين في موسكو ولينقراد، وقوركي، وليتونيا وغيرها من البلاد في القسم الأوروبي، ومقرُّ هذا المركز المديرية بـ: أوفّا (عاصمة البشكيرية).

وكان هذا المركز هو الأول، لأن أول ما استرد القياصرة الروسيون عند هجومهم على المسلمين سنة 1552م هذه الناحية وفي عهد الملكة كاترين الثانية، واستبدالها لسياسة القمع، أحدثت إدارةً دينية بـ: أورنبُرق (Orenburg).

واللغة الرسمية لهذه الإدارة هي لغة التتار بقازان.

والمديرية الثانية للدين الإسلامي هي بآسيا الوسطى وقازخستان، ويشمل نفوذها خمس جمهوريات، هي: أوزبكستان، ونافيكستان، وفازغستان، وفرغستان، وتوركمنستان، وهي بلاد تركستان القديمة أو ما وراء النهر.

ومقرُّ الإدارة بـ: طشقند عاصمة الأوزبكستان، ويرأس هذه الإدارة العلامة الأستاذ ضياء الدين بابا خان الذي وجّه لنا الدعوة وزرناه صُحبةً كثير من الوفود إلى مقرِّ إدارته، وستحدّث عنه.

والإدارة الدينية الإسلامية الثالثة هي للمسلمين فيما وراء القوقاز بأذربيجان، وفي مناطق أرمينيا والكرج المعروف الآن بجورجيا.

والمذهب السائد في هذه الإدارة هو المذهب الشيعي الجعفري، مع وجود كثير من السُنّيين في المنطقة، وللشيعية شيخ إسلام، ومقرُّ الإدارة بباكو عاصمة أذربيجان، وقرم تتار واستين وفيارد.

والإدارة الدينية الرابعة تشمل مقاطعات داغستان وبنكوش وجيعة وغيرها من المناطق الصغيرة الأخرى التابعة لهذه الإدارة الإسلامية، ومقرها في مقاطعات داغستان في بلدة نَبْحُورْخَان شورا، مسقط رأس المجاهد المشهور الشيخ عبد القادر شامل النقشبندي بطل الثورة الشهير.

أما بقية الأقليات المنسوبة للإسلام كالبهائيين واليزيديين فإنهم ليس لهم إدارات، ثم إن الخبراء متفقون على أنه إثر الحرب العالمية الثانية، وبعد موت ستالين تغير موقف الجانبيين، أي الحكومة والمتدينين، فالمتدينون يظهر عليهم الولاء والطاعة مما أدى السلطات إلى الإعلان بأن علاقتهم مع المسلمين وكذلك مع الكنيستين الأورتدوكسية بروسيا، والقريقوريا بأرمينيا على غاية ما يرام، وحتى الصحافة غيرت خطتها فإنها امتنعت من هجوماتها المتكررة وحملاتها العنيفة على الدين بل صارت تكيل المدح كلما كانت هناك مناسبة وتعترف بالجميل للديانة الإسلامية.

إلا أن هذه المواقف لم تمنع الملحدون والمفكرين من تتبُّع محاربة الروح الدينية في جوهرها فإنهم وإن سالموا رجال الكنائس ورجال المساجد واعترفوا لهم بالجميل في كثير من مواقفهم فإنهم ما زالوا مصرين على أن الروح الدينية بصفة عامة، تتنافى في نظرهم مع الفكرة الماركسية اللينينية العلمانية، ولهذا فإنهم اتخذوا موقفا حسبا يظهر الآن أن محاربة العقيدة الدينية ينبغي لها أن لا تتعدى الميدان الفكري، من دون التجاء إلى الاستعانة بالإدارة أو الشرطة.

والآن أنتقل إلى الحديث عن الرحلة:

غادرنا مطار الدار البيضاء بالجزائر صباح يوم الخميس 3 يوليو على متن طائرة كارافيل تابعة لشركة الطيران الجزائرية فوصلنا بعد ساعتين إلى مطار أورلي، في المساء ذهبنا إلى مطار البورجي حيث أقلتنا طائرة سوفيتية من نوع Tu 104 فوصلنا موسكو بعد ثلاث ساعات

فقضينا ليلتنا الأولى أو ما تبقى لنا منها بدار الأخ السفير الأستاذ عمر أوصديق، وفي صباح يوم الجمعة اتصل الأخ السفير بالوزارة الخارجية التي اتصلت بدورها بهيئة المؤتمر فأرسلوا لنا سيارتين فذهبنا إلى ملتقى المؤتمر وهو دير شهير يسمى ب: دير (Zaragorsk)، يبعد عن موسكو بنحو 75 كيلومتر.

وبمجرد وصولنا إلى الدير تلقانا عميد معهده بالحفاوة والتبجيل وهو شاب لا يجاوز العقد الثالث من عمره بلباسه التقليدي، وميزة القسّس الأورتدكسيين في الاتحاد السوفيتي أنهم يطلقون لحامهم، غطاء رءوسهم رداء أسود أو أبيض وعليه صليب مطعم بالأحجار الثمينة.

وبعدما أدخلنا العميد إلى قاعة الضيوف، لحق بنا مترجمان أحدهما للغة العربية، وهو الأخ الأستاذ يوسف شاكرخان وقد لازمنا مدة إقامتنا بالاتحاد السوفيتي وهو من كبار موظفي الإدارة الدينية بطشقند والآخر للفرنسية، وهو قسيس أورتدكسي، وبعد برهة من الزمان جاء لتحتينا سماحة الشيخ ضياء الدين بابا خان مدير الإدارة الدينية بآسيا الوسطى وقازخستان والشخصية الإسلامية البارزة في كامل بلاد الإتحاد السوفيتي، وبعد تبادل التحيات والترحيب طلب منا التهيؤ لصلاة الظهر جماعة، فرافقنا بعدما توضأنا في البيت الذي كنا فيه، إلى قاعة من قاعات الدير، خصصت لصلاة المسلمين أيام المؤتمر، وبمحل الصلاة اجتمعنا بكثير من الضيوف المسلمين ومن جملتهم وفد الأردن الذي كان يرأسه وزير الأوقاف السيد عبد الله غوشة، ووفد سوريا الذي كان هو الآخر يرأسه وزير الأوقاف، والأستاذ عبد الله فنون (رئيس رابطة علماء المغرب)، وكثير من المؤتمرين المسلمين بالاتحاد السوفيتي، ومعظمهم بلباسهم التقليدي العمامة على شكل الرزة المغربية، والقفطان الحريري الملون، وأما الشيخ ضياء الدين وجمعنا الظهريين جمع تقديم ثم ذهبنا إلى مطعم الدير وهو أنيق نظيف، كل مائدة حولها أربعة

مقاعد، فتناولنا الفطور رفقة العميد، والمترجم للغة الفرنسية، والقائمون بالخدمة في المطعم كلهم من تلامذة معهد الدير، كان طعام الغداء شعبيا، يتركب من سمك مجفف، وخضروات وزبد وجبن، وخبز حنطة وسلت والمشروبات مياه معدنية، وعصير فواكه ثم الكرز والشاي الأحمر، وبعد تناول الطعام رجعنا إلى القاعة التي قابلونا فيها عند وصولنا للدير، ثم رافقنا دليل إلى زيارة المتحف، أي المتحف التابع للدير، وهو يضم مجموعة هامة من الآثار الخاصة بالدير، كصور القسيسين الذين تداولوا على الدير ولباسهم التقليدي وتأليفهم وتاريخ الدير وتطوره منذ تأسيسه في القرن الرابع عشر المسيحي، ودير (Zaragorsk) هذا له مكانة عظيمة في الاتحاد السوفيتي<sup>(1)</sup> وهو المقر الصيفي للباطريك (ollexi) رئيس الكنيسة الأورتدوكسية بالاتحاد السوفيتي، وبعد ذلك ذهبنا للحضور في آخر جلسة للمؤتمر إذ كان شرع فيه يوم الأربعاء ثاني يوليو، فوجدنا القاعة مكتظة بالمؤتمرين ومعظمهم بلباسهم التقليدي وكان رئيس الجلسة هو باطرياكس ليننغراد وكان حديثه بالفرنسية فرحب بنا، وطلب من الأخ الوزير العربي السعدوني أن يلقي كلمات حيث لم تتح له الفرصة للحضور في جلسة الافتتاح فتقدم للمنصة، وحيا المؤتمرين وقدم لهم اعتذارا عن التأخير ثم لفت نظر المؤتمرين إلى قضية فلسطين والفيتنام، ثم تداول على المنصة مقررو اللجان، حيث قدموا اقتراحاتهم التي عرضت على المؤتمرين للتصويت، والتصويت يقع برفع الأيدي على المصادقة، ولا يشارك فيه الأعضاء وبعد الانتهاء وقبل ارتفاع الجلسة صعد على المنصة الرئيس - أي: أسقف ليننغراد - فختتم الجلسة بالدعاء للجميع ودعا الله لنصر العدالة والسلم في العالم، ثم خرجنا ولحق بنا الرئيس فدعانا للحضور في مأدبة العشاء

---

(1) إذ لعب أدوارا عظيمة في تاريخ روسيا كان حصنا ورباطا ثم صار مركزا علميا كما ما زال يشمل عدة كنائس وفصول تمثل ألقه الخالد الرائع.

التي أقامها بالدير على شرف المؤتمرين المسلمين حضرها نائب رئيس المجلس الديني بالاتحاد السوفييتي، وبعد انتهاء العشاء رافقنا دليلنا الأستاذ يوسف خان إلى (Atankino) وفيه ما يزيد على 900 بيت، ومعظم المؤتمرين نزلوا فيه، اللهم إلا الوزراء فإنهم خصصوا لهم محلات بنزلي موسكوفا، وروسيا.

وللغد - أي: يوم السبت 5 من الجاري - تجولنا صباحا في المدينة، وعلى الساعة الثانية بعد الزوال وهنا ينبغي لنا لفت النظر إلى أن ساعة البلاد متأخرة على توقيتنا بالجزائر بثلاث ساعات، ذهبنا إلى نزل روسيا حيث أعدّ الباطريك أليكسي مأدبة فطور لجميع المؤتمرين وكان عددهم حوالي 500 تجلت في هذه المأدبة الرفاهية والكرم، وكانت أصناف المأكولات تزيد على العشرين نوعا، وقد خصت مائدة للمسلمين خالية من الخمر والخنزير، وفي انتهاء المأدبة طلب من وزيرنا الكلام، فألقى خطابا قيّما نوّه فيه بالسلم.

وفي يوم الأحد سادس يوليو زرنا المعرض الدولي الدائم، ويشتمل على ثمانين جناحا وزيارة كل جناح تستغرق على الأقل ثلاث ساعات، وقد اقتصرنا على زيارة جناح رواد الفضاء وكانت الدليّة اختصاصية في ذلك الفن، وهي تتكلم عدة لغات منها الفرنسية وأطلعنا بتفصيل وتدقيق على الآلات والاختراعات وتطورها منذ اكتشفت للمرة الأولى وتطورت إلى ما آلت إليه سنة فسنة ثم زرنا جناحي الثقافية والفن، و ثم ذهبنا لتناول الفطور بأوتيل موسكوفا في المأدبة التي أقامها فيه رئيس مجلس الأديان وكانت المأدبة أضخم وأكثر أهبة من مأدبة الباطريك، وتداول الخطب وزير الأردن وسوريا ورئيس مجلس الأديان الذي نوّه بالمؤتمر وشكر المؤتمرين على تلبيتهم للدعوة وأشار عليهم بأنه لا ينبغي للدين أن يقف موقفا سلبيا من مشاكل الحياة بل عليه أن يساهم فيها حتى يثبت وجوده.



وفي يوم الاثنين 7 زرنا معرض معركة نابليون مع الروس القياصرة المشهورة، بمعركة (Borodino)، وفيه صورة الفنان الفرنسي (Routo) التي خلّد فيها هذه المعركة التي وقعت سنة 1812، وكان طول هذه اللوحة 110 متر وعلوها 13 وأمكن للعلم الحديث أن تمثل للنظار في إطارها الطبيعي صورها الفنان المذكور ما بين سنتي 1910م و1912م، وهو وإن كان من أصل فرنسي أراد أن يخلد هذا الأثر، لاعترافه بالجميل للدولة التي آوته، وليبرهن لروسيا أنه مواطن حتى لا يخامرها شك في إخلاصه<sup>(1)</sup>، وفي مساء هذا اليوم دعينا لحفلة شاي خاصة عند مدير مجلس الأديان فلقينا على عادة أهل البلاد على باب مدخل الإدارة التي هي شبه وزارة وكان بجانبه نائبه وبعد تبادل التحيات وإحضار الشاي والقهوة التركية، والحلويات توجه إلى الوزير بخطاب هام وكان المترجم السيد يوسف خان فاستهله بقوله: إنّي سررتُ جدًّا على تليبتكم لدعوتنا وحضوركم في بلادنا على رأس وفد هام من وزارتك، وسرورنا كان أعظم، حيث إن سيادتكم مع وفدكم كان هو أول وفد ديني زار هذه البلاد، ومجيئكم على رأس هذا الوفد دليل على أن الشعب الجزائري المسلم، يهتم بالعلائق الأخوية وإن مشاركتكم وحديثكم في هذا المؤتمر أضفى عليه وقارا زائدا وكساه مهابة، وتلك الأفكار التي أبديتها سواها في المؤتمر وفي جملة الباطريك نشارككم فيها، ونقدرها حق قدرها، إن جميع سكان الاتحاد السوفييتي يقدرّون الجهود التي بذلها الشعب الجزائري في سبيل استقلاله، ورفع مستوى البلاد وازدهارها.

إن الدين الإسلامي منتشرٌ عندنا في الاتحاد السوفييتي، منتشر بصفة ملموسة، وإنّ مُعتنقيه عندنا متعاونون مع الدولة في الوصول إلى السلم، وإنكم سمعتم خطاب حضرة المفتي ضياء الدين بابا خان وأتمنى أن تسعوا من جهتكم في تمتين هذه الروابط

---

(1) وفي متحف المعرض صور زيتته لأشهر الضباط الروسيين الذين شاركوا في هذه الحرب.

بين مسلمي الجزائر ومسلمي بلادنا...»، ثم تطرّق للحديث عن مديرية المجالس الدينية فقال: «إن مديرية الشؤون الدينية تابعة لرئاسة الوزراء، ومهمتها رعاية قوانين الدولة وحمايتها، ومن جملة القوانين اللينينية حرية الأديان، وإننا نراعي حماية هذه المساجد والكنائس والبيع، حتى تقوم بأعمالها ولا يتدخل أي أحد في نظمها الداخلية. إن مديرتنا هي التي تقرر القوانين الخاصة بالدين، وعندما نصادق عليها نقدمها لرئاسة الدولة.

وفي كل جمهورية يوجد ممثل للمديرية بحيث يوجد نحو 300 ممثل للمجلس الديني في بلاد الاتحاد السوفيتي وهم مسؤولون أمام المديرية وعندنا هنا نحو 70 موظفا، وفي العلاقات الخارجية نحو 7 موظفين.

والمنظمات الدينية غيرة على شؤونها الداخلية، فهي لا ترضى على من يتدخل في قضاياها - قالها بابتسامة - إلا أن هناك قوانين للدولة يتحتم مراعاتها وتنفيذها، كما أن للمديرية الحق في منع تدخل بعض السلطات المحلية في الشؤون الدينية، وتدخلنا نحن هو لحماية القانون الذي يمنع كل سلطة من التدخل في شؤون الدين، ما عدا سلطة مديرتنا وممثليها في بقية البلاد».

وفي الغد أي يوم الثلاثاء 8 زرنا بعض الأسواق خصوصا المكتبات وضريح لينين بالساحة الحمراء، وبعد تناول الفطور ذهبنا للمطار حيث وجدنا في انتظارنا نائب مدير الأديان وأقالتنا الطائرة صحبة الوفد اللبناني ومفتي الديار السورية الشيخ أحمد كفتارو إلى أرمينيا، فوصلناها بعد ثلاث ساعات على متن طائرة إيلوشين، ووجدنا في انتظارنا بمطار (Erevan) عاصمة أرمينيا البطريك محاطا بنخبة من مُعينيه ووزير الأديان، وإنّ معظم ممثلي إدارة الأديان المركزيّة بجمهوريةات الاتحاد السوفيتي يسمّون وزراء الأديان<sup>(1)</sup> وهم

---

(1) خصوصا في الجمهوريةات ذات الصبغة الدينيّة كأرمينيا التي يبلغ عدد المتديّنين فيها نحو 80%.

بالفعل يشغلون هذه الخطة بالجمهورية، فبعد الاستراحة ببهو المطار قادونا لأعظم نزل بالبلدة حيث حجزت لنا الشقق، وفي صباح يوم الأربعاء 9 زرنا متحف البلاد المسمّى: (Matenadaran)، وله شهرة عالمية وهو في الحقيقة خزانة كتب إذ يضمّ ما يزيد على العشرة آلاف مخطوط، وما يزيد على عشرين ألف وثيقة، والمخطوطات يرجع عهد بعضها إلى القرن الرابع المسيحي، ومعظمها مكتوب على الرقّ، وهي في مختلف الفنون، فمن ترجمة الأناجيل إلى ترجمة كتب الفلسفة والآداب اليونانية والرومانية والطب ودواوين الشعر بالعربية والفارسية.

وبعد زيارة المتحف زرنا المعرض الدائم الذي فيه جميع ما تنتجه البلاد من المعادن والفلاحة والمعامل وتربية المواشي، ومن أهم منتوجات البلاد المرمر الوردى اللّون، وكذلك نوع من حجارة (Tuff) الوردية اللّون، حتى إن بلاد (Erevan) كلّها مبنية بها، ثمّ ذهبنا إلى دير مقر الباطريك الذي أعدّ لنا مأدبة فطور، والدير هو المعروف الآن باللّغة الفرنسيّة (Morrastère)، وهو عبارة عن مدينة خاصّة شبيهة بالقصبة في بلاد الإسلام، إذ في الغالب يشمل عدّة كنائس ومعاهد ومتاحف، ودير Erevan هذا عبارة عن قصر فخم، محاط بالحدايق الغنّاء، ويضمّ الكنيسة الأثرية الشهيرة التي بنيت سنة 303 بعد المسيح، وتسمّى: (Etchmiadzine)، وأعطى هذا الاسم للدير أكان، وهذا الاسم كان يطلق على العاصمة القديمة لأرمينيا ومركز الكنيسة الأرمينية والقرية ثورانية، إذ بنيت هذه الكنيسة في عهد الأسقف الأرميني (Gregorie) <sup>(1)</sup> ويوجد بالدير كنائس أخرى، يرجع عهدها إلى القرن السابع، زرنا هذه الكنيسة الأثرية، ومتحفها الغنيّ بالمجوهرات التي كان يهدياها الملوك القياصرة للكنيسة، كما وجدنا كثيرا من لوحات مشاهير الفنانين، ونقودا ذهبية لمختلف الدول، ثمّ اطلعنا في

---

(1) المنسوبة إليه الكنيسة القريثورية.

دهاليز الكنيسة على معبد للمجوس، بنيت على أنقاضه الكنيسة، ولم يعثر عليه إلا في السّنوات الأخيرة، وهو عبارة عن تنور توقد فيه النار، ومحاط بحائط حجري، يقف حوله عبّاد النار، وفي المساء أقام لنا مضيفنا حفلة موسيقية دينية بقصر الدير، وتلاها عشاء شرقي، لا يختلف عن الغداء، إذ معظم المأكولات شرقية ثم انصرفنا مودعين بمثل الحفاوة التي لاقونا بها.

وفي صباح يوم الخميس جاءنا الباطريك إلى النزل ورافقنا إلى زيارة رئيس الجمهورية، وبمجرد وصولنا إلى قصر الرياسة وجدنا في انتظارنا نائب رئيس الجمهورية، إذ من جملة تقاليد البلاد أن كلّ رئيس جمهورية يقضي شهرا بـ : موسكو، كنائب لرئيس الجمهورية المركزية، وكان نائب الرئيس الأرمني محاطا بوزير الأديان، وبالكاتبة العامة للحزب الشيوعي المحلي، قابلنا بالترحيب والبشاشة، وقدّم لنا أطباق الفواكه، ثم المشروبات، ونوّه بمؤتمر الأديان الذي يرجى منه الخير، والذي يدلّ على أنّ هذا العنصر الهام من الممثلين للسلطات الرّوحية ينبغي لهم أيضا أن يشاركوا مشاركة فعّالة في العمل لصالح الإنسانية، ثمّ تكلم بتفصيل عن أرمينيا ومأساتها عبر التاريخ، ومكانة القسيس الباطريك في البلاد، وأنّه نال منذ مدّة قريبة أعظم نيشان في الاتحاد السوفياتي، تقدير النشاط في الميدان الإنساني، ثمّ قام أحد المترجمين فعرب خطاب نائب الرئيس بلسان عربي بليغ، وبعد التعارف معه وجدناه عميد كلية الإستشراق بجامعة إيرقان، وأستاذ العربية بها، وهو متخرّج من كلية بغداد في العربية ويشرف على الإذاعة العربية بـ: إيرقان الموجهة إلى الشرق الأدنى مرّتين في الأسبوع، ثمّ زرنا عدّة معالم، كـ : بحيرة (Sevan)، ودير كان للنساك منحوتا في جبل، وطابع البلاد هو الكرم، والافتخار والاعتزاز بتاريخ البلاد، يجتمع في ذلك العامل البسيط بالمقاهي، والوزراء، كما أنّ الكنيسة مقدّسة، وقد كانت تتبادل الخطب في الحفلات والمآدب، لا

يسعنا المقام للحديث عنها وإنَّما لا يفوتنا أن نذكر ما جادت به قريحة أحد الضيوف اللبنايين وهو من الآباء المارونيين في مأدبة الوداع بقصر الدير، قال:

أرمينيا ردِّي لي فؤادي      حتى يعود حنينه لبلادي  
أنسىني أهلي وأصحابي الألى      يُضنيهم هجري وطول بعادي  
ردِّي لي فؤادي بالجوى يشتدُّ بي      لمربع الآباء والأجداد  
أرمينيا بلد التحرُّر والفدا      مهد الجهاد وموطن الأمجاد  
كم شنع المستعمرون بأهلها      كم علّقوا منهم على الأعواد  
كم ذبح الأتراك من أبنائها      مأساتها بغنى عن التعداد  
أرمينيا مهما يطلُّ عنك النوى      فهوأك سوف يظلُّ ملء فؤادي

وفي يوم الوداع تناولنا الفطور بقصر الدير وتُبودلّت الخطب، وتكلّم وزيرنا فشكر الباطريك ووزير الأديان على الحفاوة التي لا قونا بها أيام إقامتنا عندهم والباطريك رجل مثقف، محترم احتراماً يشبه التقديس، تظهر عليه الأخلاق النبيلة، وهو كباقي مواطنيه يفتخر بالكرم الشرقي ويذكرون كلهم أنّ من تقاليد أرمينيا أنّ الضيف يقيم سبعة أيّام دون أن يسأل فيها من أحد عن سبب مجيئه، كما أنّ لهم اتّصلاً وثيقاً بالإخوان اللبنايين والسوريين حيث التجؤوا إليهم في أيام محتتهم مع الأتراك، ثمّ ختم الحفل بتقديم الهدايا التقليديّة الرمزيّة للضيوف، وقضينا نحو الساعتين بحديقة القصر إلى أن حان وقت السفر، فودّعنا الباطريك، وامتطينا السيّارات إلى المطار لمواصلة السفر إلى طشقند، فرافقنا وزير الأديان وكبار الأساقفة، وسمحوا لنا بالدخول إلى المطار بسياراتنا، وفسح لنا المسافرون الطريق للصُّعود على متن الطائرة إيلوشين التي أقلّتنا إلى طشقند، وكان طريقنا على بحر قزوين، وبعد ساعتين وصلنا عشقباد عاصمة تركمانيا، فبقينا بمطارها نحو النصف ساعة، ثمّ واصلنا السّير إلى طشقند فكانت

المسافة بينها وبين عشقباد ساعة، ونصف فوجدنا بالمطار ساحة الأستاذ ضياء الدين باباخان على رأس وفد من كبار علماء البلاد، وممثلي الإدارة الدينية، فقادونا إلى المنزل الذي أُعدَّ لنا، وفي صباح الغد أي يوم الأحد 13 تناولنا فطور الصباح بالنزل ثم ذهبنا للمطار حيث أعدت لنا طائرة خاصة من نوع إيلوشين لزيارة سمرقند، وكان برفقتنا إذ ذاك عدة وفود إسلامية وجاءت رأساً من موسكو إلى طشقند، والمسافة بين البلدين أي طشقند وسمرقند 340 كم قطعناها في ساعة ووجدنا السيارات الرسمية في المطار فذهبنا رأساً إلى ضريح الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، صاحب (الجامع الصحيح) المشهور في العالم الإسلامي والذي أجمع علماء الإسلام بأنه أصح كتاب بعد كتاب الله، ويبعد ضريح الإمام البخاري على سمرقند بنحو 20 كم، في قرية لم يبق لها أثر كانت تدعى ب: خرتنك، وبعد الترحم وتلاوة الفاتحة دخلنا المسجد المجاور للضريح، وكذلك بيت ملاصق للضريح خاص بالزوار، ثم أقيمت لنا حفلة شاي تحت ظلال شجرة الدلب، والضريح بمسجده، يشغل مساحة نحو الألف متر مربع، مسورة ومحاطة بساقية جارية، على حافتها أشجار الورد ومختلف الرياحين وللمسجد والضريح إمام وسدنة، ثم ذهبنا إلى المسجد الجامع بسمرقند فتلقانا أكثر المصلين بالترحيب والتقدير، وقد هيووا لنا على عادة البلاد حفلة شاي، وهي عبارة عن مائدة مملوءة بجميع فواكه البلاد والمشروبات، وبعدهما دخلنا المسجد وصلينا الظهر جماعة قام الأستاذ ضياء الدين بابا خان فتوجه للحاضرين الذين كان المسجد غاصا بهم، ومعظمهم بلباسهم التقليدي، إما العمامة أو القلنسوة المطرولة، فرحب بالضيوف، وعرف بهم، وطلب من الأخ الوزير، إذ هو الذي كلّف برئاسة الوفود الزائرة للبلاد، فذكر أنه لسعيد جداً حيث أتاحت له الظروف زيارة هذه البلاد التي تضم رفات أعظم إمام خدم الدين الإسلامي، وبفضل هذا الدين جمع الله بيننا في هذا البيت الطاهر... إن إخوانكم المسلمين الحاضرين معنا وهم من بلغاريا، السنغال، أندونيسيا، الهند، لبنان،

أمريكا، أدوا معكم صلاة الظهر، أدينا هذه الصلاة ولا فرق بين المذاهب التي نتسب إليها، إذ هدفتنا بحمد الله واحد، وهو التوجه إلى الله، وعبادته والعمل بما جاء به القرآن والسنة، في سلوكنا العام والخاص، إنّ هذه الوحدة في الاتجاه والهدف، والمعتقد هي سرّ نجاح ديننا، وقد صدق النبي ﷺ في حديثه القدسي الذي قال فيه: «مثل المؤمنون في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد ... الحديث» وإذا تفرقت أوطاننا، أو وجدت عراقيل عبر التاريخ، عزلت بعضنا عن بعض فإنّ الظروف الحاضرة، والتقدم العلمي، سهّل علينا الاجتماع، وإننا بحمد الله ما زلنا نكون أمة واحدة، فينبغي لنا أن نتحد ونتضامن ونتعاون، ثمّ شكر سماحة المفتي ضياء الدين الذي كان سببا في هذه الزيارة، ثمّ تولى سماحة المفتي ترجمة الخطاب إلى الأزبكية، فكان التأثير عميقا عند الحاضرين، حتّى إنّ الكثير منهم لم يتمالك من ذرف الدموع، وبعد الانصراف من المسجد ذهبنا إلى أعظم نزل في البلدة، حيث أعدت لنا مأدبة فطور، وبعد أخذ راحة قليلة، ذهبنا إلى زيارة معالم البلدة، وسمرقند وإن كانت كما ذكرنا ذلك في أول الحديث مدينة أثرية، فإنّها اشتهرت في عهد الإسلام بكثير من العلماء الذين أنجبتهم وما زالوا ينتسبون لها، في تأليفهم المنتشرة في العالم الإسلامي، وقد دهمتها الخطوب، وأقل نجمها بعد ما غزاها جنكيزخان المغولي في أوائل القرن السابع الهجري، حيث هدمها وهجرها سكّانها، وفي عهد الملك تيمور لنك - أي: أواخر القرن الثامن - اتخذها عاصمة لمملكته الشاسعة، وبنى بها القصور والمساجد والمدارس، تلك البناءات التي خلّدت الفن المعماري، وما زال سواح العالم يقصدونها أفرادا وجماعات، ليشاهدوا آثار الفن الرائع، المتجلى على مدارسها كمدرسة أولوغ بيك، وضريح تيمور، وضريح قثم بن عباس الصّحابي الجليل، المشهور عندهم بـ: شاه زنّدة، ومسجد بني في خانوم، وجامع الخواجة أحرار، ومن أهمّ هذه الآثار ضريح أولغ بك بن شاه رخ بن تيمورلنك الفلكي الشّهير الذي كانت تأليفه عمدة في الفلك إلى القرن الثامن عشر وما زالت

بعض تأليفه بإنجلترا، وقد بني له مرصد فلكي شبيه بالمرصد الذي تركه (1) وكما نحت له أحد الفنانين نصبا تذكاريًا، وبنوا له متحفًا علّقوا على جدرانها صورًا زيتية للخوارزمي والبيروني وأبي علي بن سينا وعمر الخيام.

فارقنا مساء ذلك اليوم سمرقند، ورجعنا إلى طشقند وفي صباح يوم الاثنين 14 زرنا بعض معالمها خصوصًا المعرض الدائم الذي اطلعنا في بعض أجنحته على أهمّ متوجّات البلاد كالحرير والصّوف، إذ ما زال السُّكّان يختارون لباسهم خصوصًا النسوة ألبسة الحرير الأصلي الملوّن، وأما الغنم المشهورة بكراكول، فإنّ صوفها هو الذي تنتج منه الزّرابي، المشهورة في العالم بزراي بخارى، وبعد هذه الزيارة ذهبنا إلى مديرية الديانة الإسلامية بآسيا الوسطى، وقازخستان التي يرأسها مضيفنا سماحة ضياء الدّين بابا خان، والإدارة عبارة عن مدرسة قديمة تسمّى: براق خان، على شكل مدارس المغرب العربي، إذ تشتمل على بيوت لسكنى الطلبة، ومسجد وبقية المرافق، إلّا أنّها أوسع من مدارس المغرب العربي.

كانت هذه المدرسة معهدًا دينيًا، ولما نقل المعهد الدّيني لبخارى، حوّلت هذه المدرسة إلى إدارة المديرية الدّينية، وعند أذان الظّهر ذهبنا إلى المسجد الجامع بلاشيخ، المحاذي للإدارة الدّينية فصلينا الظهر مع الجماعة، والمصلّون مثل من صلينا معهم بسمرقند، فالشيوخ معظمهم ملتحن ومعمّمون، والباقون بلباسهم العصري اللّهمّ إلّا القلنسوة المطروزة على رؤوسهم، وبعد الصّلاة قدّم المفتي ضياء الدّين الضيوف إلى المصلّين، وعرفّهم بهم - أي: بالوفدين الجزائري واللبناني - وشكر الوفدين على تلبيتهم للدّعوة وحضورهم في المؤتمر المنعقد في موسكو، وذكر قضية الصحابي الذي سأل

---

(1) وقد اكتشف بقايا هذا المرصد العالم الأثري الروسي فاتكين سنة 1934 وقد أوصى بدفنه قرب هذا المرصد ونقّدت وصيّته.



النبي ﷺ عن أعمال البرِّ، فأجابه النبي ﷺ بقوله: «تقول العدل، وتعطي الفضل، وتطعم الطَّعام، وتفشي السَّلام»، والرَّحمة عند الرَّسول ليست نافلة من نوافل البرِّ، بل واجب، ومن ذلك قوله: «إن كنتم تحبون رحمتي فارحموا خلقي» (حديث قدسي) وإنَّ زيارتكم هذه من أعمال البرِّ.

وبعد الصَّلَاة رجعنا إلى الإدارة حيث أقيمت لنا مأدبة فطور حضرها زيادة على الوفدين الجزائري واللبناني مدير الشؤون الدينيَّة للجمهورية، والصَّحافيون وممثِّلو الإذاعة، وكانت مأدبة فاخرة من كلِّ جهة، فأوانيتها من أعلى طراز، وكذلك أثاث المنزل، والمأكولات كلُّها شريفة، وجاء دور الخطب فافتتحه المفتي ضياء الدِّين بخطاب قيِّم كعادته<sup>(1)</sup> بطلب من وزيرنا.

ثمَّ تلاه الأستاذ رفيق القصار رئيس الوفد اللبناي، وهو رجل عالم فاضل عضو في عدَّة مجامع علميَّة، وقضى نحو الثلاثين سنة سفيرا في البلاد الشريفة والأسيويَّة، خصوصا بتركيا وإيران، ومن جملة ما قاله: «إنَّ الدِّين الإسلامي ما زالت منابرهُ مرتفعة في هذه البلاد، وهذا دليل على أنَّ الدين كان متمكِّنا في نفوسكم، واليوم ندعوكم أن تلتفتوا حول ساحة المفتي ضياء الدِّين بابا خان، وتعينوه في مهمَّته، حتى تدلُّوا جميع الصعوبات، إذ هو يمثِّل في نظرنا فيضا من الفضل والورع والتَّقوى، وقد لمسنا منذ اللحظة الأولى مقدار فضله وعلمه ونشاطه، لقد زرنا بمعية ساحتِه مدينة سمرقند، وشاهدنا تلك الآثار التي أخذت بمجامع قلوبنا، فقد كانت تلك الآثار الرَّائعة الخالدة دليلا قويا على أنَّ الدِّين الإسلامي كان له سلطان في هذه البلاد، لقد أتاحت لنا هذه الزيارة أيضا الاطلاع على نهضة البلاد الاقتصادية، فإنَّنا عندما زرنا صباح اليوم

---

(1) نوّه فيه بالجزائر، وثورتها، وحقيقة إنَّ الجزائر لها مكانة وسمعة في الأوساط الإسلاميَّة لا تشاطرها فيها دولة إسلامية أخرى.

معرض البلدة شاهدنا منتوجات واختراعات هذه المدينة الطيبة، وفي طريقنا إلى بلدكم مررنا على جمهورية أرمينيا، وقد شاهدنا بعض الكنائس والآثار، ومعرض تلك البلدة، ومعالمها بدعوة من غبطة الكاطوليكوس الباتريك، لقد شاهدنا هناك آثارا رائعة، وعندما وصلنا سمرقند وشاهدنا الآثار التي بها، يمكننا أن نصرح لكم إنكم بصفتم أحفادا لأولئك الأجداد العظام، ينبغي لكم أن تتابعوا النهضة، وتحافظوا على تعاليم دينكم لتبلغوا ما تصبو إليه نفوسكم، ولتحققوا أن الدين الإسلامي دين اجتماعي متطور، يصلح لكل زمان ومكان، إن الذين يقولون بأن دين الإسلام لا يساير النهضة، أو يمنع معتقيه منها، وكان سببا في تأخر المسلمين، كاذبون، فعلينا أن نناشي الزمان، ونحافظ على أصول الدين، ونطهره من الرواسب والبدع والخرافات التي أثقلته، فعلينا وعليكم أن نستمد من جوهره وتعاليمه ما يصلح لنا في الدارين».

ثم ختم خطابه القيم بقوله: «إن الاتحاد السوفييتي هو ولا شك دولة تفرق ما بين الدين والسياسة، وقد كان مقامنا في هذه الرحلة في جميع البلاد التي حللنا بها مقاما طيبا، أنسانا الأهل والأصحاب، إن النهضة التي شاهدنا آثارها جلية بأعيننا، ستبقى انطباعاتها محفوظة في ذاكرتنا».

وبعد هذا الخطاب تقدم الصحفيون الحاضرون وممثلو الإذاعة إلى وزيرنا، وطلبوا منه أن يتكرم بتصريح عما شاهده الوفد في زيارته لـ : طشقند وسمرقند ليُنشر ويُذاع، فأجابهم الأخ الوزير بقوله: «في الواقع إن زيارتنا لـ : سمرقند في هذه المرة لا يمكننا أن نحدد بكيفية صريحة كل الانطباعات، أو كل الأفكار التي أوحّت بها، إن الزائر لهذا البلد العريق في المجد والحضارة المتجلية في أخلاق أهلها يمكن أن يربط حاضرها بماضيها، ونحن كعرب، عندما نزور هذه الأماكن التاريخية، والمنجزات الهامة، سواء في ميدان التصنيع أو غيره، نشعر بهذا الأثر الذي ورثناه عن أسلافنا، وأننا ملتزمون أمام

التاريخ على الحفاظ على هذا التراث وصيانتته، وإني أتوجّه باسمي الخاص، وباسم الوفود المرافقة لي، إلى حكومة جمهورية أوزباكستان وحكومة الأتحاد السوفيتي بصفة عامّة، وإلى ساحة المفتي ضياء الدّين بابا خان بصفة خاصة، بشكرنا الخالص على دعوتهم لنا، وعلى الحفاوة التي لقيناها حيثما حللنا في هذه الأرض المباركة، التي ما زالت تحتفظ بآثار وأضرحة رجال لهم مكانة في كامل البلاد الإسلاميّة، وذلك كالصّحابي الجليل قثم بن عباس الذي قال فيه ﷺ: «لَقَثَمُ بْنُ عَبَّاسٍ أَشْبَهَ النَّاسَ بِبَنِي خَلْقًا وَخُلُقًا»، والإمام الحافظ أبي عبد الله محمّد بن إسماعيل البخاري، وغيرهما من أكابر العلماء الذين نشروا الدّين والعلم بهذه الربوع، كما مكّنتنا هذه الزيارة بالاجتماع والتعارف مع إخواننا سكّان هذه البلاد الغنيّة بآثارها الإسلاميّة، الدّالة على أنّ الإسلام ترك حيثما حلّ آثارا حضاريّة، وما زال يؤدّي مهمّته في صالح التعاون البشري، وفي الختام أكرّر شكري، وأوجّه تحياتي الزكيّة باسمي وباسم الوفد إلى سكان طشقند وسمرقند على ما أبدوه من حفاوة بنا، كما نشكر إذاعة طشقند وصحافتها على اهتمامها بالاتصال بنا، وتمكيننا من الاتصال عن طريقها بإخواننا، سكّان هذه النّاحية وجميع سكّان الأتحاد السوفيتي».

وبعد تناول الشّاي والقهوة وزّع أعوان ساحة المفتي على الضيوف الهدايا التقليديّة، وهي عبارة عن قفاطين محليّة، من الحرير الخام أو الفرمسود، ومجموعات صور الآثار الإسلاميّة بالأتحاد السوفيتي، ومصاحف قرآنية مطبوعة بطشقند.

وفي المساء أقيمت لنا مأدبة بالنزل، حضرها معنا بقيّة الوفود، وبعد تناول العشاء، قدّم ساحة المفتي لبقية أعضاء الوفود الأخرى هدايا مثل التي قدّمها لنا في مركز الإدارة الدّينيّة، وألقى خطابا قيّما ودّعنا فيه، ثمّ أجابه وزيرنا وكثير من أعضاء الوفود، واثّر المأدبة أقلّتنا السيّارات إلى المطار، وكانت الحرارة بلغت رقمها القياسي في ذلك

اليوم 40 درجة فوق الصّفر، وعلى العاشرة حلّقت بنا الطائرة عنان السّماء، فوصلنا مطار موسكو بعد خمس ساعات، فوجدنا بانتظارنا بالمطار عدّة شخصيات، منها نائب مدير المجلس الدّيني، وممثّل الباطريك، وكان المفتي ضياء الدّين مُرافقا لنا، فذهبوا بنا إلى أوتيل موسكوفا.

وفي صباح اليوم التالي - أي: الثلاثاء 15 من الجاري - تجوّلنا على معالم البلاد، وأقام لنا مدير الأديان مآدبة خاصّة بنزل موسكوفا، حضرتها معنا نائبة وممثلة سفيرنا، إذ كان هذا الأخير له موانع، وساحة المفتي ضياء الدّين، وكانت الأحاديث وُدّيّة صريحة، خصوصا انطباعاتنا عن زيارة أرمينيا وأوزباكستان.

ثمّ ذهبنا إلى لنينفراذ صباح يوم الأربعاء 16، والمسافة بينها وبين موسكو 800 كم، تقطعها الطائرة في ساعة واحدة، ووجدنا في انتظارنا رئيس النظارة الدّينية، وفضيلة الإمام اللذين كنّا تعرّفنا بهما في موسكو أيام المؤتمر، زرنا معالم البلدة، وهي عاصمة لها أهمية، ويرى السّوفيتيون أنّها أجمل بلدة في العالم، ومن جملة معالمها القصر الصّيفي للقيصرة الذي حوّل إلى متحف من أغنى متاحف العالم، كما زرنا المسجد الجامع ولقينا الحفاوة والإكرام التي عودنا بها سكّان تلك النّاحية منذ حلولنا ببلادهم، وبعد رجوعنا قضينا ليلة ب: موسكو وغادرناها صباح يوم الخميس باكرا، مودّعين من طرف الأخ السفير، وساحة المفتي بابا خان، وأعضاء إدارته، ونائب رئيس الأديان، فودّعنا الجميع وداعا حارّا، وامتطينا الطّائرة التي أقلّتنا إلى بلقراذ عاصمة يوغسلافيا، وإي رأيت الوقت لا يسمح لنا بالزيادة، فلننّه رحلتنا في هذه الليلة هنا، ولنختم هذا السّمر بخلاصة نتيجة هذه الرّحلة:

إنّ البلاد الإسلاميّة بالاتّحاد السوفيتي استفادت كثيرا من النّاحية الماديّة، ففي أوزبكستان توجد نحو الثلاثة ملايين هكتار تُسقى، أي ما يعادل 40٪ من الأراضي

التي تُسقى بكامل بلاد الأتحاد السوفييتي، ونصف هذه الأراضي خاصة بفلاحة القطن، ونوعه نفوقُ جودته كل أنواع القطن العالميّة، أما الكميّة، فإنّها تعدُّ الآن البلاد الثانية في إنتاج القطن العالمي بعد أمريكا، كما نجد نوع الغنم الذي يصنع منه الفرو المشهور بـ : أستراكان (Astrakan)، فإنّه يبلغ ثلث البلاد السوفييتيّة، وكذلك الحرير الخام، ونجد جمهوريّة كازخستان تُنتج 40 مليون طن فحم سنويًا، و17 مليار طن حديد، و50 مليار طن نפט، وإذا رجعنا إلى التعليم بالأوزبكستان نجد 6800 مدرسة بها مليونان ونصف تلميذ، وجامعتان، ومئات الثانويات تضمُّ أكثر من 500 ألف تلميذ، و130 معهد أو مخبر للبحوث العلميّة، بها 18 ألف عالم، ومن الناحية الصحيّة نجد 1600 مستشفى، ولكلِّ عشرة آلاف ساكن 15 طبيب، وهذا التقدّم المحسوس استفاد منه السُكان.

وكذلك الثّقافة فإنَّ أبناء المسلمين نسبتهم في التّعليم في جميع مراحلها، خصوصاً التعليم التقني والعالِي هامة، كما نجد الكثرة من الشُّبان المتعلِّمين مُنخرطين في الحزب الشيوعي، ولا صلة لأكثرهم بتعاليم الدِّين، إلا أن هذه الحالة قد يُفهم منها أن الإلحاد منتصر والعقيدة ولّت الأدبار، كلاً، فإنَّ تعاليم الدِّين عند هذه الطبقات تغيّرت حقيقة، ونقصت كثيراً، إلا أن المتتبّعين لتطوُّر الحياة الدِّينيّة في هذه البلاد، والملاحظين الخبراء يخلصون كثيراً من المظاهر بالأهميّة، مثل رفض كثير من التلاميذ تتبع دروس الأساتذة الذين يمسون كرامة الدِّين، ويلوون عنهم رؤوسهم في نفس الأقسام، ويرفضون الاستماع إلى أن يخرج الأستاذ أو يغيّر الموضوع، وهناك حياة العمال في الكوخور فهم يرفضون سكنى العمارات، ويطلبون المساكن البسيطة المسوّرة، وتتبع العوائد في الأفراح والأتراح، والمشاركة في صلاة الأعياد، والعيش في كنف الأسرة، والتضامن العائلي، وأخيراً فقط قدّم تلاميذ جامعة فرونز (franze) اقتراحاً مضمونه أن العوائد

المستمدّة من الحضارة القرآنية، ينبغي المحافظة عليها، إن لم تتعارض مع التقدّم الاقتصادي، ومن النّاحية السّياسيّة نجد أنّ كثيرا من قادة الحزب الشيوعي الحاليين طلبوا من المؤتمرات الشيوعيّة إعادة النظر في الأحكام التي ذهب ضحيتها مواطنوهم كعلي أوغلو - المدعو (Galier) - وغيره بل الكثير منهم طلبوا إعادة النظر في الحكم على الشّيخ شامل الثائر في عهد القياصرة الذي حكموا عليه بأنّ طريقته النقشبنديّة كانت مسخّرة من طرف الأتراك والإنجليز، وقد انعقد مؤتمر لهذا الغرض جمع ما يزيد على 600 من كبار المؤرّخين والعلماء للفصل في هذه القضية، ولهذا فإنّني اخترت أن أختم حديثي هذا بجمل للمستشرق الاختصاصي في الشؤون الإسلاميّة بالاتحاد السوفييتي الكولونيل الإنجليزي جوفري ويلير (Geoffrey Wheller)، قالها في مقدّمة قدّم بها الكتاب القيم الذي ذكرناه من جملة المصادر لهذه المحاضرة، وهو الإسلام في الاتّحاد السوفييتي لـ: بنفسن (Bennigséin): فمن المحقّق أنّ جهلنا مرّكب في هذه القضية، إلّا أنّ الذي يدّهشنا وهو فريد من نوعه وجود مسلمين يعيشون في بلاد لا يخفي قادتها احتقارهم لهذا النوع من الحياة، ولا نواياهم في القضاء عليها.

إنّ حياة الجهاد ومحاربة الكفار ذهبت من دون رجعة إلّا أنّ المثقّف المسلم بالاتحاد السوفييتي الذي هو في كثير من الأحوال علماني بل شيوعي عن طواعية، وصنعيّة الشيوعيّة، يقف ويقدم معارضة أطف وأشدّ مما يتظرونه منّي.

إنّ هذه المعارضة ليست صاحبة، مثل الفيالق العربيّة والعثمانيّة في عهد عظمة الإسلام وفتوحاته، إلّا أنّها تبرهن على حيويّة الإسلام ومناعته، وبالطّول فإنّ تأثيرها أجدى وأحكم.

وفي الحقيقة إذا قسنا، وقارنا، بين المسلمين اليوم في الاتّحاد السوفييتي، والمسلمين الذين أُجبروا على التمسّح والتنصّر بالأندلس، إثر سقوط غرناطة، وكانت محاكم

التفتيش لأدنى تهمة، كمن يبلغهم عنه أنه تكلم بالعربيّة، أو لفَّ عمامة على رأسه إثر صداع، تُحرق جثته في السّاحات العمومية علناً، بل يحضرون مُواطنيه وأفراد أسرته قسراً، وهم أقلية يائسة لا صلة لهم بالخارج، فهؤلاء مرَّ عليهم ما يزيد عن القرن فقدوا اللغة، وعيشة البيئة، إذ شتت شملهم في كامل البلاد الإسبانيّة، وبقوا مسلمين، ومن هؤلاء كانت كثرة المهاجرين سنة 1018هـ أي مائة وثلاثين سنة بعد سقوط غرناطة وحياة التنصير.





## الأحباس في الجزائر (1)

أُرسلت إلى الجزائر لجنة مجلس الشيوخ تحت قيادة (Jules Ferry) سنة 1892م، فأُتصلت بكثير من أعيان المسلمين، منهم: الدكتور محمد بن العربي (العضو بالمجلس البلدي في العاصمة)، والشَّيخ محمد بن رَحَّال الندرومي الشهير، إذ تولَّى النيابة العمالية والمالية، وكان أول من دافع على التعريب والدين الإسلامي، وهو الذي اقترح حوالي سنة 1921 بمجلس النواب المالية تعليم اللغة العربية في المراحل الثانوية والعمالية، وأن يختار للتعليم أساتذة أكفاء شرفيين، فقدمت للجنة المطالب التي كانوا يرونها مستعجلة، وهي هامة جدا نسبيا، حيث كانت تشمل التعليم وتعريبه، وإصلاح القضاء والضرائب، ثم تكلموا على إعانة الفقراء والمساكين، وبينوا أن أحباس التكية التي كانت بعاصمة الجزائر كان دخلها السنوي 110.000 فرنك، ولم يكن من الفقراء إذ ذاك إلا سبع مائة فقير، وفي سنة 1892م، صار ذلك الدخل أربعين ألف فرنك فقط، يستغل نصفه موظفو التكية، فكأنهم هم المقصودون بالحبس لا عموم الفقراء الذين كانوا يبلغون خمسة عشر ألف نسمة، لكل منهم 4 فرنكات في الشهر، وأظهر النائبان أن الأوقاف على المشاريع الخيرية قدَّرت في العهد التركي بأربعين مليون فرنك، وكان حظ الجزائر منها سبعة ملايين فرنك، تنفق على 150 مسجد، والآن - أي: في سنة 1892م - وصلت جميع ميزانية الوظائف الدينية والشرعية ستون ألف فرنك، ولو كان ريع الأربعين مليون 25.50 في المائة فقط لكان مليون فرنك بدلا من ستين ألف

---

(1) اعتمدنا في إثبات هذه الوثيقة على نسخة بخط الشَّيخ المهدي (رحمه الله تعالى) تقع في أربع (04) صفحات. (ع)

فرنك، ثم صرّح النائبان أن نواب الأمة الجزائرية كانوا قدّموا مطلباً سنة 1868م، لتحاسبهم الدولة على إيراد هذه الأحباس، وأحيلت المسألة على لجنة خاصة، لا زالت لم تظهر نتائجها، ثم لفتا نظر اللجنة إلى أحباس المنعم القينعي، التي كانت تقدّر بمليون فرنك، وجعل المراقبين عليه المفتي والقاضي بالعاصمة، فاستحوذت الحكومة عليه، وعيّنت أوربیین نظّارا بدلا من المسلمين، ثم تعرّضا لقانون مُصادرة الأملاك، ومنع المسلمين من شراء الأراضي الحكومية، والقوانين الاستثنائية، والخدمة العسكرية، ثم تعرّضا للتجنيس، وصرّحا: «بأن حرية التجنيس لا تلائم أصول الشريعة الإسلامية»، وهذا ما ترك جول فيرى يصرّح بعد رجوعه إلى فرنسا بتصريحه الشهير في سبيل الحصول على استقلالهم الديني القائم على استقلال الأوقاف الإسلامية، واستطاعوا أن ينالوا في عهد الحكم النمساوي حقوقا واسعة في هذا الميدان، فأصدر بذلك الإمبراطور فراسو جوزيف الأول قانونا شهيرا بتاريخ 15 أبريل 1909، ونشر بالجريدة الرسمية ل: البوسنة والهرسك في مايو من تلك السنة، وهذا القانون واقع في 184 فصلا، وفي كل فصلٍ منه عدّة فقرات ومواد، وفي طليعة الحقوق الرئيسية التي اعترف بها هذا القانون حقُّ استقلال الأوقاف الإسلامية، وتسليم إدارتها إلى مجلس مركزي منتخب، ومجالس فرعية منتخبة، غير أنه لما أعلنت الحرب الكبرى وتكوّنت المملكة اليوغسلافية الموحّدة وقصّت إرادة الحلفاء بضمّ البوسنة والهرسك إلى حكومة بلغراد، اندمج مسلمو هذه الجهات في الدولة الجديدة، حريصين على استقلالهم الديني الذي لم يبلغوا إليه إلا بشقّ الأنفس، تصل الجماعة الدينية الإسلامية إلى تخفيف عرضها:

(1) بتأسيس الجوامع والمكاتب والمدارس وسائر المراكز الدينية الخيرية ومراكز التعليم الديني.

(2) بإعداد الموظفين الدينيين ومدّرسي التعاليم الدينية لمدارس الجماعة الإسلامية

ومدارس الحكومة وغيرها.

3) بالحرص على التربية الدينية الأخلاقية، وتعليم شبابها في مدارسها ومدارس الحكومة وغيرها.

4) بنشر الكتب الدينية الأخلاقية والمواعظ بين معتنقي الإسلام.

5) بمقاومة الكتب والدعايات المضادة للدين، ومحاربة العادات السيئة وكل ما يُخالف الدين والأخلاق.

6) بإنشاء الجمعيات العامة للخير، وتشجيع كل ما يؤدي إلى صلاح المسلمين من الجهة الدينية، والأخلاقية، والعلمية، والصحية، والاقتصادية، والاجتماعية، كل ذلك في دائرة الإسلام.

7) ملك الجماعة الدينية الإسلامية لا تستفيد منه إلا هي في أغراضها، ولا يمكن أخذه منها في حال من الأحوال، ولا يمكن استعماله بها ليس من شؤونها.

8) الجماعة الإسلامية الدينية تدير بالاستقلال شؤونها الدينية والعلمية والوقفية، وتتصرف تصرفاً مستقلاً بكل أموالها ومكاسبها، وكل هذه الأعمال تعملها الجماعة الدينية الإسلامية بواسطة هيئاتها الدينية والعلمية والوقفية التي عيّنت بحسب القانون.

١  
 الاحساس في الجزائر  
 رسلت الي الجزائر لجنة مجلس الشيوخ تحت قيادة  
 Jules Ferry سنة ١٨٩٢ ما نزلت بكثير من اعيان المسلمين  
 منهم الدكتور محمد بن العربي العلقوبيا بمجلس البلدي  
 في العاصمة والسيد محمد ابي رمال النور من الشهير  
 - اذا تولت النيابة العمالية والمالية وكان امره ٦ ابر  
 على التعريب والدي الاسلام وهو الذي اختار  
 في نواحي سنة ١٩٢١ بمجلس النيابات المالية بتعليم اللغة  
 العربية في المراحل الثانوية والعالية وان ينظر للتعليم  
 اساتذة العباء شرفيه - بعد ما للجنة المطالب  
 التي كانت في وقتها مستعجلة وهي صائمة جدا نسبي  
 حيث كانت تشمل التعليم وتعريبه واصلاح القضاء والقرآن  
 ثم تكلموا على اعانة الفقراء والمساكين مرينا ان اعيان  
 البلدية التي كانت بعاصمة الجزائر كان لها السنوي  
 ١١٠,٠٠٠ جرتك (١١٥٥٥٥) ولم يكن من الفقراء الا ١٥٠٠٠  
 سبع مائة جفيرة في سنة ١٨٩٢ صار ذلك الدخل  
 اربعين الف جرتك بعد استغلاله من طرف البلدية  
~~هو مجلس العموم المقتضى~~ - فكأنهم هم المنفردون  
 بالحسب لا عموم الفقراء الذين كانوا يلقون خمسة عشر  
 الف نسمة لكل منهم ٤ جرتكات في الشهر واظهر النتائج

صورة عن الصفحة الأولى من النسخة المعتمدة

## التعليق على وثيقة حكم بصحّة ثبوت شرف (1)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

أنا الممضي أسفله عبد ربّه المهدي البوعبدلي، الساكن ببطيوة (وهران)، يعلن أنه عرض عليّ الأخ في الله الفقيه سيدي عليش بن الحاج خليل صاحب المعهد الفقهي الشهير بناحية خميس مليانة، وثيقة لأسرة سيدي علي بن محمد بن علي بن مغيث بن عبد الله المتّصل نسبه بـ: الحسن السبط بن علي بن أبي طالب، حسبها هو مذكور في الوثيقة التي عرضها عليّ، وبعد تصفّحها ودراستها، يمكن لي أن أقول:

إن هذه الوثيقة التي كتبت في العهد التركي مُستوفاة للشروط التي جرى بها العمل إذ ذاك في الوثائق المثبتة لصحّة الشرف، حيث إنه كتبت في أعلى الوثيقة نقيب أشرف الجزائر العبارة الآتية: «ما في هذه النسخة صحيح، والعمل به صريح»، وكتبتها هو أحد أبناء سيدي محمد الشريف الزّهار (دفين قصبه الجزائر)، الذين كانوا يتوارثون نقابة الأشراف في العهد التركي إلى ما بعد الاحتلال الفرنسي، كما يوجد بأعلى الوثيقة تصحيح قاضي الجزائر الحنفي السيد محمود بن أحمد، ونص ما كتبه عن يسار كتابة نقيب الأشراف «صحّ ما فيه، نمّقه محمود بن أحمد القاضي بالجزائر (عُفي عنها)»، وختمه بخاتمه المنقوش عليه العبارة الآتية: «الواثق بالصّمد محمود بن أحمد»، ثمّ بعد ما

---

(1) اعتمدنا في إدراج هذه الرسالة على نسخة خطية تقع في خمس (5) صفحات، تكرم بها علينا الشيخ عبد القادر شراك (إمام مسجد الشريفة) بمدينة وهران. (ع)

تصفحتُ شهودَ العقد المذكورين، الذين كان في مقدّماتهم: سيّدي واضح بن عاصم المكناسي، ثم سيّدي واضح بن عيسى المغراوي، ثم سيّدي خطاب المنداسي، وغيرهم ممّن عدّهم واحدا واحدا، فاقترت على التعريف بالثلاثة الأوّلين.

فالأوّل سيدي واضح بن عاصم المكناسي: فهو دفين خنق وادي ارهيو، لا زال ضريحه مشهورا كما هو مشهور في كتب التاريخ، وقد ذكره بمزيد من التّفصيل العلامة الشيخ أبو عمران موسى بن عيسى المغيلي المازوني في تأليفه: (ديباجة الافتخار في مناقب أولياء الله الأخيار)، الذي خصّه لتراجم علماء وأولياء شلف، فذكر من بينهم واضح بن عاصم المكناسي هذا، كما ترجمه العلامة المؤرّخ أبو راس الناصري العسكري في تأليفه: (الخبر المغرب عن الأمر المغرب الحال بالأندلس وثور المغرب)، ذكره في الفصل الذي خصّه لعلماء مغراوة، فقال: «ومنهم الشّيح واضح بن عثمان بن محمد بن عيسى بن فكرون، توفي سنة ستّ وخمسين وثمانائة، سمّاه أبوه على شيخه الشّيح واضح بن عاصم المكناسي (دفين خنق ارهيو) ... الخ».

أما سيّدي واضح بن عيسى المغراوي، الشّاهد الثاني في الوثيقة: فهو واضح بن عثمان بن محمد بن عيسى بن فكرون، المذكور في تأليف الشّيح أبي راس، وقد عرّف به مواطنه العلامة الذّائع الصّيت الشّيح أحمد بن يحيى الونشريسي صاحب (المعيار)، ذكره في (وفياته) حسبما نقل ذلك صاحب (ذيل الدّيباج) أحمد بابا السوداني في ترجمته، التي قال فيها: «واضح بن عثمان بن محمد بن عيسى بن فكرون المغراوي أبو البيان الفقيه القاضي الأعدل الصالح، قال الونشريسي في (وفياته) بعد وصفه بما ذكر: بلدينا وقرينا توفي سنة ستّ وخمسين وثمانائة (856)».

وواضح بن عيسى هذا، دفين جبل ونشريس، وهو جدُّ سيّدي أبي عبد الله (دفين شلف) كما ذكر ذلك غير واحد من المؤرّخين، ك: أبي عمران موسى بن عيسى المغيلي

المازوني المذكور، والشَّيخ أبي راس الناصري، وغيرهما.

أما سيدي خطاب: فهو دفين واحة ملتقى وادي شلف بـ : وادي مينة، وهو والد سيدي عبد الله بن خطاب (دفين مطمر مستغانم).

فهؤلاء الشُّهود الثلاثة كانوا متعاصرين، وبينهم صلة مع تفاوت، حيث إن سيدي واضح بن عاصم سبق بمدة الشَّاهدين الآخرين<sup>(1)</sup>، وهذا لا يُنافي صححة الشهادة، حيث إنهم شهدوا على صححة الوثيقة التي كُتبت في القرن الخامس ثم نُقلت، كما أنَّ محرِّرها - أي: محرِّر النُّقل الأوَّل عن الأصل - سيدي أحمد بن أبي معزة هو من العلماء المشهورين، وهو دفين جامع تنس العتيق، وأصله من مدينة قلعة هوارة، وكان أجداده يسمون بـ: الصَّبَّاغ، الذين منهم: محمد بن علي الصَّبَّاغ، صاحب مناقب سيدي أحمد بن يوسف الراشدي (دفين مليانة)، وكان سيدي أحمد هذا، هو الذي انتقل إلى تنس، وكان من أكابر علماء البلاد حسبما تدلُّ عليه بعض فتاويه، وقد أخذ أحمد بن أبي معزة هذا عن العلامة الحافظ سيدي مصطفى الرماصي (دفين ناحية قلعة هوارة) المتوفَّى سنة 1137هـ.

حرَّر ببطيوة في 8 جمادى الأولى 1394 / الموافق لـ: 30 ماي 1974.

المهدي البوعبدلي

---

(1) في الأصل المعتمد: «سبق بمدة الشَّاهدين الآخرين بمدة». (ع)

والسلامة والسلاوة عليه  
رسول الله

1

الحمد لله

التعليق على وثيقة حكم بلجة ثبوت شرف



ان المولى اسفله عبد ربه المصطفى ابو عبد الله السالك  
بيليو (مهران) يعلم انه عرف علي الاخ في الله  
انفقته سيد علي بن الحاج خليل صاحب المعهد  
العقود الشريف بن اعين خميس مليانة وثيقة لاسرة  
سيد علي بن محمد بن علي بن مغيث بن عبد الله المتكلم  
نسبه بالحسن السبكي بن علي بن ابي طالب مسنبا هو  
مذكور في الوثيقة التي عرفها علي وبعد تلخيصها  
من ارادتها يملك ان يقول ان هذه الوثيقة التي  
كتبت في العهد التركي مستوفاة للشروط التي جرى  
بها العمل الا ان في الوثائق المثبتة لجهة الشرف  
حيث انه كتبت في اعلى الوثيقة نقيب اشرف الجزائر  
العبارة الآتية: "ما في هذه النسبة كرم والعمل به علم"  
وكاتبها هو احمد ابنا سيد محمد الشريف الزهار اخيه  
مولى الجزائر الذي كانا يتوارثون تقابله الاسراف  
في العهد التركي ما بعد الاحتلال الفرنسي ثم كما  
يعود باعلى الوثيقة تلخيص ما في الجزائر المنفرد

صورة عن الصفحة الأولى من النسخة المعتمدة



## خطاب المدرسة الخلدونية(1) المهدي البوعبدلي مفتي بجاية (الجزائر)

الحمد لله وحده.

أيها الإخوة الكرام، أحييكم نيابة عن (المجلس الإداري) للمدرسة (الخلدونية) على تلييتكم لدعواتها، وإقبالكم على احتفالها السنوي الذي تعودت أن تقيمه عند توديع السنة الدراسية، تشجيعا لتلامذتها وتنشيطا لهممهم، وتعودنا أيضا أن نحدثكم المرّة بعد المرّة على أعمال المدرسة في سنتها الراحلة، وما تأمل أن تعمله في سنتها المقبلة، إلا أنّني في هذه المرّة أريد أن أحدثكم عما قمنا به من واجب نحو لغتنا ولغة ديننا، التي هي أعظم رمز لقوميتنا، فإننا مع الأسف ما زلنا مُقصرين، فإننا نعيش في عصر طغت فيه المادة وكثر فيه عبثها، وطالبُ المادة كما يقول الحكماء لا يشبع، ومن هذا يتبين أن سلسلة المطامع متصلة الحلقات، يُعرف أولها ولا يُدرك آخرها، وهنا الفرق العظيم بيننا وبين أسلافنا، كان الأغنياء منهم يقنعون بما عندهم، وكان اهتمامهم بالغايات التي تنشئ للأمم عظمةً، وللشعوب سعادة، وأعني بها الغايات التي ترمي إلى مصلحة البشرية العامة، فإنهم لم تتغلغل نفوسهم في المادة وحدها، ولم تلصق عيونهم بالأرض، وإنما كان فيهم ذوقٌ لذة النظر إلى السماء، ولهذا وجدناهم بنوا المساجد والقصور ودور العلم، وحبسوا عليها من أموالهم ما قُدّر هنا في الجزائر فقط، بخُمس الأموال الخاصة،

---

(1) اعتمدنا في إدراج هذا الخطاب ضمن هذه الآثار على نسخة بخط الشيخ المهدي (رحمه الله تعالى)، تقع في صفتين. (ع)

وكان الفرقُ بينهم وبيننا أنهم كانوا عندما يتبرَّعون على أيِّ مشروع من المشاريع الخيرية، لا يرجون وراء ذلك كُرسياً في مجلس من المجالس أو شهرةً زائفة، بل يقصدون الخير لوجه الله والقيام بالواجب، وإنَّ آثار ذلك كلها باقية قائمة بنفسها، تتحدَّى كل مَنْ كان ديدنه إنكار الواقع المحسوس.

أيها الإخوان، إنَّ بلدةً كبلدتكم، ما زالت محتاجة كثيراً إلى جهود أبنائها، فلا نكتفي بالأقوال والانتقادات، بل ينبغي لنا أن نعمل، كلُّ في دائرته، فإنَّ التعليم العربي الإسلامي في بلدٍ إسلامي واجبٌ على كلِّ فردٍ منا وُجوباً أكيداً، إذ لولاه لما كان الدين يذكر، ولولا التعليم العربي لما كانت لنا صلة بماضينا المجيد، وإنَّ كلَّ مَنْ فرط في تعليم لغة آبائه وأجداده كتبَ عليه خزي الدارين، فإنَّ آباءكم وأجدادكم بنوا المساجد والمدارس ودور الكتب في المدن والقرى، سهولاً وجبالاً، وبها حافظوا على الدين ولغة الدين، وعلى دينهم ولغة دينهم كانوا يحيون ويموتون.

وإنَّ أربعة عشر قرناً مضت على هذا الدين، والعروبة رافعة رأسها إلى السماء، وهي تناطح المحنَّ وتصاريف الدهر، ولما كانت تحمل بين طياتها تلك المادة الكهربائية التي أعجزت كلَّ مَنْ تصدَّى لهذا الدين ولأهله بالمحاربة، فإنكم ترون أنَّ الدين الإسلامي بقي مقدساً في مشارق الأرض ومغاربها، وصوت المؤذن يردد في كلِّ صباح في عواصم العالم: (الله أكبر)، تلك الكلمات العُلوية التي تُصارع كلَّ يوم اليأس من النفوس، وتقارع التشاؤم، وتطفح نفوس المؤمنين بالإيمان.

هذا كلُّه أيها السادة، نحن مدينون فيه للغة الضاد، التي لولاها لما لبثنا أن انهرنا وذهبنا بين سمع الأرض وبصرها، فوحدوا جهودكم، وصونوا دينكم، ففي أتباعه عزكم وسعادتكم، وفي تركه ذلُّكم وشقاؤكم، وإنَّ بناءَ المجد الإسلامي في جميع الميادين كان لهم دستور واحد، ودليل واحد، وقبلة واحدة، وكتاب خالد، ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ (فصلت: 42).

BOUABDELLI MAHDI  
MORISSE & BOURG  
الجدد

2- اصوع والاشياء

/ بها الافرة الكرام اعينكم نيابة عن المجلس الاداري للمدرسة الخلدونية  
 على تلبيةكم لدمواتنا وانما لكم على احتمالها السنوي الذي تعودت ان نقيه  
 عند توديع السنة الدراسية تشجيعا لتلاميذنا وتنسيقا لهممهم  
 وتعودنا ايضا فندتكم المرة بعد المرة على اعمال المدرسة بحسنها  
 الراملة وما تاملنا عمله في سنتها المغفلة الا اننا في هذه المرة  
 اريد ان احدثكم عما قمنا به وما يجب تحويلنا وراحة لنا التوجه  
 اعلم ومن لغوميتنا ما ننا مع الاسف ما زلنا مغلوبين ما ننا نعيش  
 في كل لحظة من الحياة وكثير من عذرها، طالب المادة كما يفعل  
 الحكماء لا يتسبون، وهذا يتبينه سلسلة المطامع متللة اللغات  
 يعرف اولها ولا يدرك آخرها، هذا المعرب العلم بيننا وبيننا  
 ما ننا كما لا انضواء منها يغفون ما عندكم وكان الضمان بالعلم  
 التي تسمى للاسم طاعة والشعور بسعادة واعني اننا الغايات التي ترفع  
 العلم البشرية العامة ما ننا في العلم والاشياء وما ننا  
 ولم ننا غيرهم بالارق، انما كان جيبكم كرم لثقة النظر الى السماء  
 في كل وقت فندناهم بنوع المساجد العظمى اذ دور العلم وحسبها عليها  
 ما امرنا ما ننا فضاها الحزائر منكم فحس الاموال الخالصة وكلاء العيون  
 بينكم وبيننا انما ننا عند ما تشعرون على اني مشرور من المناهج  
 الخيرية لا يرحون راء ذلك كرسيا في مجلسه الجالس او شجرة زائفة  
 بل بقلوبه الخيرة لوجه الله والقيام بالواجب واه اننا ذلك كما  
 اقية عاتمة بنفسها تنادي كل من كان يدونه انكار الواقع المحسوس  
 ايها الافراء اهل بلدة كبلدكم ما زالت محتامة كثيرا التي جودت ابناءها  
 على تلعب الافعال والانتفادات بل ينبغي لنا ان نعمل كل ما ننا  
 ما ننا التعليل العربي الاسلامي في بلد اسلامي وانما على كل فرد منا وجموعنا  
 اننا الا لو اننا له الدية يذكر، لولا التعليل العربي لما كانت لنا صلة  
 بما ننا الحميد وانما ننا في تعلم لغة ابائكم واه اجداده كتب عليه  
 فني الدارين باه اجدادكم ننا المساجد والمدارس ودور الكتب  
 في المد والقرى سهوا وبقالا وايها ما بلوا على الدية وراحة الدنيا

صورة عن الصفحة الأولى من النسخة المعتمدة



## مقال لجريدة الشَّهاب (1)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

أيها السَّادة الكرام، السلام عليكم ورحمة الله، وبعد.

فإنني أظنُّ أنكم كنتم كلِّما تشرَّفون بزيارة عالم ديني، إلَّا وكنتم تسمعون منه مواعظ وإرشادات غالية، يدور محورها حول تفسير آية قرآنية أو حديث نبوي شريف، ولا تظنون أنني ممن يقول أو يؤيد من يقول بأن نستغني عن كُتب السلف الصالح بالكتاب والسنة... (2) فإنني لم أُرِد هذا، وإنني متحقِّقٌ بأنَّ القائل بهذا القول - أي: بالقول بأخذ الأحكام مباشرة من الكتاب والسنة - لا يخلو حاله من أحد أمرين، فإنه إما أن يكون جاهلاً غيباً، أو متعصباً متعنّتا.

نعم، إنَّ علماء الإسلام كلُّهم متفقون على أنَّ رائدهم الوحيد في علوم الشريعة الإسلامية، هو الكتاب والسنة، وما أُنبِئت هذه المذاهب وألقت هذه الكتب إلا لفهم الكتاب والسنة فهماً حقيقياً.

وإنَّ كلَّ مُنْصِفٍ يتتبع هذه التأليف ومكانة مؤلِّفيها وما ضحَّاه أغلبهم في سبيلها، إذ كان علماء الحديث يسافرون مسافة الشَّهر والشَّهرين لتصحيح رواية أو لتصحيح ترجمة، وكذلك كان المفسِّرون والفقهاء والنُّحاة وهلمَّ جرَّاء، معَّ صُعبوبة المواصلاَت

---

(1) اعتمدنا في نشره على نسخة بخطِّ الشيخ المهدي (رحمه الله تعالى)، وفيه بخطُّه أيضاً أنه أول مقالٍ

أرسله إلى إدارة (الشَّهاب)، وكان يومئذ طالباً ب: جامع الزَّيتونة. (ع)

(2) مقدار كلمة واحدة لم نتمكَّن من قراءتها. (ع)

وانقطاعها وفقد المصادر التي لا يستغني عنها مؤلف، ومع هذا كله فكان المؤلف منهم يشرع في تأليفه بالأندلس، ويسمع بمؤلف ببغداد أو بنيسابور فيه تصحيح مسألة توقّف عليها في كتابه، فإنّه يسافر من أجلها ولو استغرق له ذلك السفر السنين الطوال، وفي أسفار ذلك الزمان يظهر لنا مصداق قوله ﷺ: «السفر قطعة من العذاب»، ظهوراً جلياً، لا يحتاج إلى إشكال أو تأويل، وإنكم تتصوّرون أيضاً ما كان يقاسيه هؤلاء العلماء الأخيار في حياتهم المادية والأدبية، أو في تأديتهم لأماناتهم الدينية والعلمية، ومع كل هذه الصعوبات وتلك العراقيل، فإنهم خلّفوا لنا تآليف قيّمة تدارستها أساطين علماء هذه الأمة خلفاً عن سلف، وتسابقوا إلى شرحها والتعليق على عويصها، ولم يقتصروا في بذل هذه المجهودات على الكتب الدينية فقط، بل جاوَزوها إلى نقل كتب نفائس مخلفات الأمم السابِقة، كترجمتهم لكتب الفلسفة اليونانية، والحقوق الرومانية.

### من حركتهم العلمية:

ولا بأس من إيراد نبذة تُظهر لكم مكانتهم العلمية، ففي سنة 1130م أنشئت في (طليطلة) مدرسة للترجمة، تولّاها أحد الأساقفة، وأخذت تنقل جلائل الأسفار العربية إلى اللاتينية، وأعادهم على ذلك الإسرائيليون، وبقيت هذه المدرسة إلى القرن الرابع عشر حتى بلغ ما تُرجم من العربية يومئذ (300) كتاب، أحصاها الدكتور (لُكلارك) (Leclerc) في كتابه: (تاريخ الطب العربي)، وأحصاها غيره (400).

وكان أكثر ما تُرجم في هذه العهود، كتب (الرازي) و(أبي القاسم الزهراوي) و(ابن رشد) و(ابن سينا)، وما نُقل إلى العربية من اليونانية، ك: (جالينوس) و(أبقراط) و(أفلاطون) و(أرسطو) و(إقليدس) ...

وظلَّت هذه الكُتُب المنقولة منهاجًا للتَّعليمِ في جامعاتِ أوربا خمسةَ قرونٍ، واحتفظ بعضها بِقوَّته وقيمتِه حتى القرن التاسع عشر، ككتب (ابن سينا) في الطب، وفلسفة (ابن رشد).

هذه أيها السَّادة حياة علماء الأُمَّة الإسلاميَّة، كانوا يذودون عَن الشَّرع الحنيف، وكانوا يمثِّلونَه خيرَ تمثيل، و كانوا لا يلقونَ مِنَ الأُمَّة في غالبِ الأوقاتِ إِلَّا تقديرا وتأييدا، إذ كانوا ينصرونَ الحقَّ في المواطن التي أمرهم اللهُ تعالى أَنْ ينصروه فيها، يعلِّوهم الوَقارَ والهيبة، وتَسوِّدُ أَعْمالهم الحِكْمة والسَّداد، وهم الذين خاطبهم أحدُ فحول الشُّعراء بِقوله:

تحيا بكم كلُّ أرضٍ تنزلونَ بها

وكان أسلافنا البررة يُملِّكونهم قيادهم في سبيل إعلاء كلمة الله ومَرْضاتِه، برهنوا لنا على محبَّتِهِم لهم في حياتهم وبعد مماتهم، وهذه المحبَّة وذلك التأييد قد جرَّ عليهم وبالاً مِنَ السَّخَط، وذلك أنهم ابتلوا بِخَلْقٍ أنكرَ نعمة الآباء جحودا وتجنبا، فوصفَ أهل الله بكلِّ نقيصة، حسدا وتعنتا، بدلا من أن يُقيمَ لهم الاحتفالات، ويحيي لهم الذكريات، كما فعل آباؤهم الأوفياء، ويفعله إلى الآن أبناء الأُمَّم الحية لأفاضل علمائها ولرؤساء دياناتها.

وصفَّوهم بكلِّ نقيصة، أقلَّها الجهل والخيانة، ووصفوا ناصرهم ومؤيِّدِيهم بالشُّرك والمروق والنِّفاق.

أيها السادة مِنَ الإنصاف؟ أم مِنَ الاعترافِ بالجميل؟ أم مِنَ نصرنا للعلم، أن نرى كلَّ مَنْ يُحسِنُ تلوِيكَ جملةٍ يُحطُّ مِنَ قيمة هؤلاء الجهابذة، وأقلَّ صعلوك يرى بأنَّ هؤلاء لا يختلفون عنه في شيء، بل يراهم جنواً عليه وعلى الأُمَّة، ويراهم كما يقول: هُم سبب شقاوته بما تركوه من كُتُبٍ خرافية، وبما كانوا عليه من جمود، وكل ما يعلمه عنهم هو

أنهم شيدوا القبور وكانوا من عبدها، وأكثروا من بناء المساجد والزوايا بدلا من المسارح والنوادي، وحاربوا الفن فلم يؤلفوا لنا جمعيات تمثيلية، ولا قصصا غرامية.

أيها السادة، إنني لست من المبالغين أو المجازفين في الحديث، فإنني كل ما ذكرته لكم سمعته عن مصادره، وليس مُرادنا من هذه الكلمات أن نرد حملات وتهجمات أصحاب هذه الآراء المخطئة، وإنما أردنا أن نتبادل النصائح، وأن نكون على بصيرة من أمر دعاتنا، فلا ينبغي لنا أن نعتر بكل ناعق يُريد أن يحتكرنا باستعماله الوسائل الشيطانية الهدامة، فإن دُعاة الدين الحقيقيين الذين يجب علينا اتّباعهم، هم أولئك الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر بالطرق التي استعملها أعظم داعٍ إلى هذا الدين ...



إليها السادة الكرام والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته بعد فإني أظن أنك كنت  
 لكما تشتركون في بيان وصلاح دينهم الأوكتم تشعرون منه صراحة  
 وأرى مقادير حالته يبدو رجوها حول تفسير آية قرآنية أو حديث  
 فتعجبوا ولا تلتفتوا إلى من يفعل أو يفكر في فعله فنستعمله عن  
 كتب الفسلف العالم بالكتاب والسنة، فحاشا له ما يتلوه من هذا  
 وأنه من حق ما قاله الفاضل بهذا القول (أرجو أن أخذ الأعلام مباشرة من الكتاب  
 والسنة لا يتلو حاله من أجد اعرضه بآياته آما، بلوه حاشا له ما يتلوه  
 ضنعنا أن علماء الإسلام لم يضعفوا علمه، وإنه هم الرصيد علوم  
 الشريعة الإسلامية، هو الكتاب والسنة كما نسيت هذه المذاهب،  
 واليهي هذه الكتب الأعم الكتاب والسنة معهما عفتنا  
 وإن كل من كتب يتبع هذه التاليف ومكانة مؤلفها وما كانه أفضلهم  
 في سبيلها إذ كان علماء الحديث ساجدين مساجدين الشريعة والشريعة  
 لتكبير رواية أو تكبير ترجمة أو ترك ذلك كان المعسرور والعقلاء والائمة  
 وهو من جمع لغوية المصطلحات وانقطاعها ومنع المقادير التي لا يستقيم  
 عنها مؤلف ومع هذا كله جلاء المؤلف من يسرع في كتابه

بالأدلة التي يشتم بمؤلف بعدد أو قسما يعرف منه بغير مشكلة، فإنه يسافر كتابه  
 من أجله أو يسفره إلى ذلك للسفر السنني القول وفي ذلك السور أسفر ذلك  
 الزمان بغيره فيقول لنا ولد أو غيره كعلمه عليه السلام  
 السور بلغة من العذاب ظهر أجليا لا يحتاج إليها فنكاد أن نأول  
 وأنك تلورون أيضا لك، فيناسبه هؤلاء العلماء الاختيار في حياتهم  
 الأدبية والأدبية، أو في تاديبهم ما نأتم العمل العقلية والعلمية  
 ومع كل هذه العيوب، وتلك العراويل ما نفع من لغتها لنا في فهمه  
 قد أرى بها الساحة علماء هذه الأمة فليأخذوا سلمه ونسأله  
 التي يسرع عالم التعليق عليها عو ليأخذوا في نقل هذه العجودات  
 على الكتب الدينية فقد لم يأتوا بها إلى نقل كتب تعاليم من لغات  
 الأمم السابقة لترجمتها للكتاب العجمية اليونانية والهنود الرومانية

صلى الله عليه وسلم

والألماس ما أيرك شدة تكفر لكم ملاحظتكم العلمة في سنة ١١٥ هـ  
 انتقلت في طليعة مدرسة لترجمة تولاها ما الله أمه الأساقفة  
 وأخذت تنقل ما لا يزال إلا سبار العربية إلى اللاتينية، وأعانتم على  
 ذلك الإسراييليو، فبعثت هذه الترجمة وبعثت هذه المدرسة  
 أولها من كتب أرسلته لعمارة السور  
 وأنا تلميذ جامع الزيتونة

صورة عن الصفحة الأولى من النسخة المعتمدة



## خِطَابٌ يَمُنَاسِبَةٌ تَعْيِينُهُ مُفْتِيَا

بِمَدِينَةِ بَجَايَةِ سَنَةِ 1940(1)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

أيها السادة الكرام؛ السلام عليكم ورحمة الله؛ وبعد:

فإني أجد نفسي عاجزاً عن التعبير لحضراتكم عما أشعرُ به الآن من الخجلِ أمام هذا الإحسان الذي أظهرتم، وحقَّق لي ما تحمّلونَه من العواطف السَّامية التَّقدير للمناصب الدِّينية، ولهذا العبدِ الذي أُسندَ إليه أحد هذه المناصب.

إنَّ حُسْنَ ظَنِّكُمْ بي وما جُبِلْتُمْ عليه من السَّجَايا دَفَعَاكُمْ إلى إِقامة هذا الاحتفال الذي شارَكَ فيه كلُّ طبقاتِ السَّكَّانِ، فَإِنِّي ممنونٌ لجميعكم، ولن أنسى صَنِيعَكُمْ، وَأَعِدُّكُمْ أَنِّي سأكون عند حُسْنِ ظَنِّكُمْ بي، وذلك بَأني سأقومُ بهذه الخِطَّة أحسنَ قيامٍ في مَرَضَةِ اللهِ، ومَرَضَةِ العبادِ، وما هو بالشيء الصَّعب إن أمدَّنا اللهُ بِتوفيقه، وهدانا لما فيه الصَّلاح والفلاح، وأقالنا من العثرات، وإنَّ ثِقَتَكُمْ بي تجعلني أملُ أَني سأجدُ فيكم خير مُعينٍ على تَذليلِ ما عسى أن ألقاه في طريقي من العراقيل.

هذا، وإني أشكرُ حضراتِ السَّادة رِجالِ السُّلطة المدنيَّة والعسكريَّة، الذين شَرَّفونا بِحُضُورهم معنا في هذا الحفل، وأشكرُ بِصفةٍ خاصَّةِ حضرة السَّيدِ نائبِ العاملِ المحبوب الذي ترأَّس هذا الاحتفال رَغم تَرَائِكُم الأَشغالِ عليه، وإِنكم على ما أظنُّ

---

(1) اعتمدنا في نشر هذا الخطاب على صورة من نسخة خطية بقلم الشيخ المهدي (رحمه الله تعالى)،

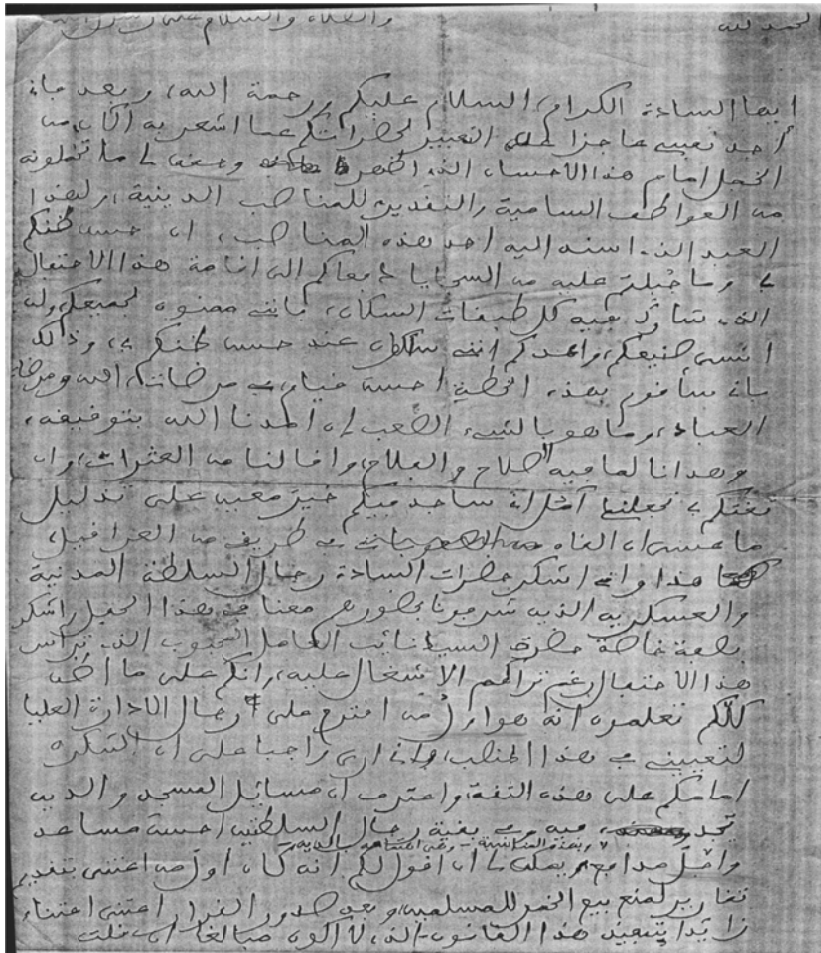
تقع في ورقة واحدة. (ع)

كلّكم تعلمون أنّه هو أوّل من اقترح على رجال الإدارة العليا لتعييني في هذا المنصب، وإني أرى واجباً عليّ أن أشكّره أمامكم على هذه الثقة، وأعتزّ أن مسائل المسجد والدين تجد فيه وفي بقيّة رجال السّلطتين أحسن مُساعد وأجلّ مدافع، وبهذه المناسبة - هي اهتمامه بالدين - يُمكن لي أن أقول لكم إنّ كان أول من اعتنى بتقديم تقارير لمنع بيع الخمر للمسلمين، وبعد صدور القرار اعتنى اعتناءً زائداً بتنفيذ هذا القانون الذي لا أكون مُبالغاً إن قلت إنه ما من مُسلمٍ إلّا واغتبط لِصدوره، ويغتبط أكثر لِتنفيذه، والآن يُمكن لي أن أصرّح لهؤلاء السّادة - باسمكم جميعاً - أن حكومة الماريشال التي يمثلونها أحسن تمثيلٍ ليست مجهولة عنكم، وإنّ نواياها نحوكم مقدّرة أحسن تقدير، وإنّ خُطب رجالها يتردّد صداها حتى بالقرى والمداشر، وإنّ أمنيّة المسلم هي احترام دينه، وإقامة العدل بين أفرادِه، فإنّ حكومة الماريشال تسعى لتحقيق هذه الأمنيّة، وإنكم أيها الإخوان تُشاهدون كلّ يومٍ أنّ زمن التّجافي والمداراة ذهب عهده، وإنكم لم تجهلوا أنّ صعوبة الظروف التي نجتازها توقّف على التّسلّح بالصّبر والهدوء، وتحقّقوا أنّكم ربّظتم مصيركم بمُستقبلِ فرنسا، فاعملوا لهذه الغاية، وإنّ بعد العسر يسرا.

وأختيّم كلماتي هذه بتكرير الشّكر للسّادة الحاضرين والسّاعين لهذا الاحتفال، كما أشكّر حضرات الخطباء السّادة: محمد السّعيد الذي تكلم باسم لجنة الاحتفال والجمعية الدّينية، والشّيخ محمد السّعيد التواتي الذي تكلم باسمه ونيابةً عن طلبة البلد، والشّيخ سكاى القاضي الموثق الذي زيادةً على الرّوابط المتينة التي تجمع بين وظيفتي الإفتاء والقضاء فإنّ علائقنا الودّيّة تبرّره، والسّيد محمد السّعيد زلاق الذي كما قال: دفعه حبّ العلم والعلماء على إلقاء كلماته، ثمّ إني أشكّر حضرة الحقوقي الضّليح الأستاذ (Dulout) رئيسُ لفيف المحاربين، فإنّ العلائق بيني وبين الأستاذ ديلو منذ عرفته هنا كانت وُدّيّة متينة، وعند سفرى الأخير تبيّنت أنّ الأستاذ مواطنٌ لي، إذ إنه

من بلدة ندرومة الشهيرة، و(ندرومة) ليست مجهولة عندكم، فإنَّها هي عاصمة  
 الموحدين، وهي التي أنجبت رجلَ الجزائر خالد الذكر المنعم الشيخ ابن رحال، حيث  
 ترك ذكرا حسنا ومعارف يجلُّونه ويحترمونَه.

فإنَّني أقول لجميعهم، شكرا شكرا، سائلا من الله سبحانه وتعالى أن يهدينا جميعا إلى  
 ما يحبُّه ويرضاه، إنه سميعٌ مجيبٌ الدعوات.



صورة عن الصَّفحة الأولى من النُّسخة المعتمدة



## خطبة عيد الفِطْرِ (1)

الأولى:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر كبيراً والحمد لله كثيراً، وسبحان الله بكرة وأصيلاً، ونشهد أن لا إله إلا الله، جعل في تعاقب الأعياد عبراً لأولي الألباب، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله، الداعي إلى الهدى والصواب، اللهم صلِّ وسلِّم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الحافظين لحدود الله، العاملين بأحكام الدين، والنصرين لكتاب الله وسنة رسول الله.

الله أكبر... أيها المسلمون، إنَّ يومكم هذا يومٌ شريف، شرفه الله وعظمه، وأوجب حقه وحرَّمه، وجعله عيداً ختم به شهر الصَّيام الذي أنزل فيه القرآن، شهر العبادة والتلاوة والقيام، وقد انقضت أيامه، وقوضت من الرُّبوع خيامه، فقد انصرف بالصوم وتلاوة القرآن، وولَّى يحمل من صحائف أعمالكم ما أودعتموه من إساءةٍ أو إحسان، فإنه أصدق شاهد لكم أو عليكم، فطوبى لمن ملأ صحائفه بأنواع العبادات، وأودعه كلَّ نفيسٍ من الطاعات، وملأ دواوين لِياليه بالتلاوة والذكر والصلوات، ودفاتر أيامه بالتذكير والنصائح والقربات.

الله أكبر... أيها المسلمون استقبلوا عيدَ الفطر أحسنَ استقبال، فعظّموا نهاره

---

(1) اعتمدنا في نشر هذه الخطبة على صورة من نسخة خطية بقلم الشَّيخ المهدي (رحمه الله تعالى)، تقع في (26 ص). (ع)

بالطهارة والصلاة والصدقات، وحافظوا على زكاة الفطر فإنها شعيرة من شعائر الإيمان، فزكاة الفطر فريضة وسنة واجبة، فرضها رسول الله ﷺ في هذا الموسم، فلا يتهاون بها إلا جاهل أو منافق ليس في قلبه إيمان، فكونوا من هذه الفريضة على بال، ولا يصدنكم عنها إبليس الختال، كما صد عنها كثيرا ممن كتب عليهم الحرمان، فيعطيها الرجل عن نفسه، وعن من تلزمه نفقته، حتى الصبي الذي ولد بعد تمام رمضان ليلة العيد، وهي صاع عن كل نفس من غالب عيش البلد، والصاع أربع حفنات بحفنة الرجل المتوسط من غير قبض اليدين ولا بسطهما، وتكره الزيادة فيها ويحرم النقصان، فأغنوا بالفطرة فقراءكم يُغنكم الله، وتفقدوا أحوال إخوانكم المنكوبين واليتامى والأرامل، خصوصا من يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف، إذ عاز على المسلم - وأي عار - أن يتوسع في النفقات وإخوانه وجيرانه يتجرعون أنواع الآلام، فإن ديننا يوجب علينا التضامن والتعاون في السراء والضراء، وقال رسول الله ﷺ في الحديث: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم، كمثل الجسد، إذ اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»، وقال سبحانه وتعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَانْفَى ۝٥ وَصَدَقَ بِالْحُسْنَى ۝٦ فَسَنِيَرُهُ، لِلْيُسْرَى ۝٧ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ۝٩ فَسَنِيَرُهُ، لِلْعُسْرَى ۝١٠ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى ۝١١﴾ (الليل: 11 - 15).

الله أكبر... أيها المسلمون، أرسل الله تعالى لإمته أشرف رسول بأوضح كتاب، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وأتم علينا نعمته، ورضي لنا الإسلام ديناً، وقد حد لنا فيه حدوداً، ونهانا أن نعتديها، وفرض علينا فرائض، وأمرنا أن نؤدبها، وحرّم علينا أشياء ونهانا أن نقربها، وقد وعدنا أن يجازينا عن الطاعات جنة النعيم، و[عن] المحرّمات عذاب جهنم المهين المليم، فماذا يكون جوابنا يوم يقال لنا: لماذا خالفتم رسول الله ﷺ وفعلتم ما عليه نهاكم؟



فَاتَّقُوا اللَّهَ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ، وَحَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسِبُوا، فَالْحَيَاةُ الدُّنْيَا كَمَا نُشَاهِدُ كَثِيرَةً التَّقَلُّبِ، فَهِيَ تُضْحِكُ وَتُبْكِي فِي حِينٍ وَاحِدٍ، وَإِنَّ اللَّهَ بِالْمُرْصَادِ، وَإِنَّ الْخَلْقَ بَيْنَ زَرْعٍ وَحَصَادٍ، وَالْحَيَاةُ كَمَا نُشَاهِدُ وَنَعْلَمُ لَمْ يَسْخَرْهَا اللَّهُ لِمَخْلُوقٍ، فَرْدٌ أَوْ جَمَاعَةٌ، أُمَّةٌ أَوْ حُكُومَةٌ، فَإِنَّ أَضْحَكَتِ الْيَوْمَ إِنْسَانًا أَبَكَّتْهُ غَدًا، وَإِنْ تَبَسَّمتْ لَهُ أَيَّامًا، كَثُرَتْ عَنْ أَيْبَاهَا لَهُ أَعْوَامًا، وَلَمْ يَنْجُ مِنْ تَقَلُّبَاتِهَا مَخْلُوقٌ، إِذْ هِيَ قَبْضٌ وَبَسْطٌ، جَلَالٌ وَجَمَالٌ، فَالْعَاقِلُ الْمُؤْمِنُ دَائِمًا مِنْ تَقَلُّبَاتِهَا عَلَى حَذَرٍ، وَلِيَتَحَقَّقَ أَنَّ الْجِزَاءَ دَائِمًا مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ:

﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ (٨)

﴿(الزلزلة: 7 - 8).﴾

الله أكبر ... أيها المسلمون ارجعوا إلى تعاليم دينكم تفلحوا كما أفلح أسلافكم، وإنَّ كُلَّ مَنْ خَالَفَ تَعَالِيمَ الدِّينِ وَطَغَى وَتَجَبَّرَ يَنْتَقِمَ اللَّهُ مِنْهُ، إِذْ إِنَّ اللَّهَ يُمِهِلُ وَلَا يَمِهِلُ.

الله أكبر ... أيها المسلمون اعلّموا وتيقنوا أنَّ الدِّينَ الإسلامي الذي يعتد وينبثق من أساسين اثنين: كتاب الله، وسنة رسول الله ﷺ، وَكُونَ أُمَّةً تَنْضَوِي إِلَى أُمَّةٍ مُخْتَلِفَةٍ وَأَجْنَاسٍ مُتَبَايِنَةٍ أُفْرِغَتْ كُلُّهَا فِي بَوْتَقَةِ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ، وَجَعَلَ اللَّهُ الْمِقْيَاسَ الَّذِي تَمْتَّازُ بِهِ، هُوَ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىكُمْ﴾ (الحجرات: 13)، وَحَدَّرَ رَسُولُ اللَّهِ دَعَاةَ الطَّبَقِيَّةِ، فَقَالَ: «كُلُّكُمْ مِنْ آدَمَ، وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ»، طَبَعَ الدِّينُ الإسلامي الأُمَّةَ المنطوية تحت لواءِ تعاليم الإسلامِ فِي مَدَّةٍ لَمْ تُجَاوِزْ نِصْفَ قَرْنٍ تَمْتَدُّ مِنَ الصِّينِ إِلَى غَرْبِ إِفْرِيقِيَا وَأُورُوبَا، وَحَمَلَتْ مِشْعَلَ حَضَارَةِ تَرَكْتِ بِصَمَاتِهَا فِي سِجْلِ التَّارِيخِ البَشَرِيِّ، وَالْحَضَارِيِّ، وَالثَّقَافِيِّ، وَالبَطُولِيِّ، طَبَعَ الإسلامُ هَذِهِ الأُمَّةَ، وَعُرفَتْ حَضَارَتُهَا بِالْحَضَارَةِ الإسلاميَّةِ، وَامْتَّازَتْ هَذِهِ الحَضَارَةُ عَنِ بَقِيَّةِ الحَضَارَاتِ سِوَاءِ الَّتِي سَبَقَتْهَا أَوْ لَحِقَتْهَا، وَامْتَّازَتْ أَنَّهَا قَامَتْ عَلَى أُسَاسٍ مُتَيْنِ، وَهُوَ الْإِيمَانُ بِاللَّهِ، وَأَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى جَعَلَ

الإنسان والكون والحياة نظاماً يسيرُ بموجبه على أساسٍ متين: العقيدة الإسلامية، وهي الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله وباليوم الآخر، كما كانت الحضارة الإسلامية امتداداً للقيم الروحية التي وردت بها الكتب السماوية، وأشارت إليها الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ (الشورى: 13).

فمن هذا كله نجد أن المسير لأعمال المسلم في حياته اليومية هو أوامر الله ونواهيه، والغاية من تسييره لأعماله بأوامر الله ونواهيه هي رضوان الله تعالى، وعلى هذا المنهج يؤدي المسلم جميع واجباته في الحياة، من صلاة وصيام وزكاة وحج، وإتينا نعلم أن كثيراً من الأمم ضربت السهم القياسي في التقدم والرقي، ثم دخلتها عوامل الانحلال والانحطاط فتلاشت ذولها ونظمتها، بخلاف الحضارة الإسلامية، فإنها كلما تأزمت أحوالها وجدت دواءها في الرجوع إلى تعاليم الإسلام، وقد شاهدنا أن بعض الأمم التي انتفعت بتعاليم الإسلام وتنكرت لها، حيث بهرتها الحضارة الغربية المادية فحق عليها ما وصف به شاعرٌ حكيمٌ مثل هذه التصرفات، وقال:

نُرْقِعُ دُنْيَانَا بِتَمْرِيقِ دِينِنَا      فَلَا دِينَنَا يَبْقَى وَلَا مَا نُرْقِعُ

الله أكبر... أيها المسلمون، حافظوا على تعاليم دينكم التي أعطت للفرد والجماعة قيمها وحقوقها، وأعظم شاهدٍ على ذلك الخطبة المنهجية التي خطبها الخليفة الأعظم سيدنا أبو بكر الصديق بعد مبايعته بالخلافة، وحدد فيها حقوق الفرد والجماعة، والحاكم والمحكوم، فقال: «أيها الناس، إني وليت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني، فالضعيف فيكم قويٌ عندي حتى آخذ له حقه، والقوي فيكم ضعيفٌ عندي حتى آخذ منه حقه، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لكم عليّ»، وقد أجمع كثيرٌ من كبار الباحثين المعاصرين

أن هذه الخطبة المنهجية حدّدت حقوق الحاكم والمحكوم.

ألا وإن أحسن ما إليه تسمعون، وأولى ما به تُعظون، كلام من نحن له عابدون،  
بعد أعودُ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ  
الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ  
﴿٣﴾﴾ (سورة العصر).

## الثانية:

الله أكبر ... الله أكبر ...

أيها المسلمون، إن من حكّم الله في هذه الأعياد، هي أن يجتمع المصلّون في مصليّات  
خاصة، ولا زالت هذه العادة جارية المفعول في كثير من البلاد الإسلامية، ليتمكّن لهم  
بعد الفراغ من أداء الصّلاة أن يتصالح الخصوم مع بعضهم بعضاً ويتسامحوا، عملاً  
بقوله ﷺ للمتخاصمين: «خيركم من بدأ أخاه بالسلام» بقطع النظر عن أسباب  
الخصام، إذ قيل: «الشّرُّ بالشرِّ والبادي أظلم، والخير بالخير والبادي أكرم».

فأمر رسول الله ﷺ في الموضوع هو عدم التفتيش عمّن بدأ بالظلم، فالإنسان بشرٌ  
يخطئ ويصيب، يغلب على أمره أو يتعمّد، وعلى هذا فالرسول ﷺ علّق الوصف  
بالخيرية، يستحقّها من بدأ أخاه بالسلام، ظالماً كان أو مظلوماً، لقوله تعالى: ﴿وَالصُّلْحُ  
خَيْرٌ﴾ (النساء: 128)، فعلى هذا فمن حكّم الله في هذه الأعياد، فالمتخاصمون يغتنمون  
فرصة هذا اليوم المبارك ليسبق بعضهم بعضاً بالسلام، سواء اجتمعوا في المسجد وأدوا  
صلاة العيد جميعاً، أو اجتمعوا في الطريق أو السوق.

الله أكبر ... أيها المسلمون، إنكم تعلمون أن زكاة الفطر فرضها رسول الله ﷺ على  
المسلمين، وجعل فقهاؤنا قبول الصيام منّا يتوقّف عليها، وهي رمزٌ للتكافل

الاجتماعي، وتمتين الروابط والأخوة بين المسلمين، يوم كانت الوحدة الإسلامية وحدة حقيقية.

امتاز دين الإسلام عن بقية الأديان وبقية المجتمعات بأن الطبقية لا وجود لها في صفوفهم، انطلاقاً من قول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ (الحجرات: 13).

الله أكبر ... الله أكبر ...

أيها المسلمون، ماذا نرى اليوم في مجتمعاتنا البدوي منها والحضري؟ خصوصاً بين الجيران الذين أوصى بهم خيراً النبي ﷺ، حتى قال الخليفة سيدنا عمر بن الخطاب (رضي الله عنه): «إن النبي ﷺ كان يوصي أصحابه بالجار حتى ظنوا أنه يورثه».

الله أكبر ... الله أكبر ...

أيها المسلمون، إن تتبنا معاصينا الظاهر منها والباطن، وكما سبقت لنا الإشارة إلى ذلك في البدو والحضر، وفشت فينا في جماعاتنا العيوب والمعاصي، وروح التعلّي واحتقار بعضنا بعضاً، خصوصاً احتقار الضعيف والفقير، فداسته الأقدام، وحرم من حقوقه، وإنكم تُشاهدون التجاهر بالمعاصي التي عمّت بها البلوى، فتنكرنا لتعاليم ديننا، وذلل المسلم في عقر داره، ونسينا أن كل ما نُشاهده في ميدان الذل والهوان هو انعكاس سوء أعمالنا، ومخالفة تعاليم ديننا التي نوه بها القرآن في قوله سبحانه وتعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ (آل عمران: 110)، وركّز هذه الخيرية بقوله تعالى: ﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ (آل عمران: 110).

الله أكبر ... الله أكبر ...

أيها المسلمون، إنَّ الله - رَفَقاً بِنَا - بَشَّرَنَا بِقَوْلِهِ: ﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَاتَّ اللَّهُ يَتُوبُ عَلَيْهِ﴾ (المائدة: 39)، فَاغْتَنِمُوا هَذِهِ الْفُرْصَةَ، وَأَقْلِعُوا عَنِ الْمَعَاصِي.  
أَلَا إِنَّ أَحْسَنَ مَا تَسْمَعُونَ، وَأَوْلَى مَا بِهِ تُوعَظُونَ، كَلَامٌ مَن نَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ، قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (النحل: 90).

الحمد لله  
والصلاة والسلام  
على رسول الله  
الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر  
الله أكبر كبيراً، الحمد لله  
كثير، وسجاء الله بكرة  
وأصلاً، نشهد أن لا إله إلا  
الله في تعاقب الأيام عبر  
لأزلي الألباب، وأشهد أن  
سيدنا محمد رسول الله، وآل  
الله الصالحين، واللعنوا، الله  
صلواته على سيدنا محمد  
والصلاة والسلام على آل الله  
الحق فليهدنا الله، العام  
بأحكام الدين، والناجيه

صورة عن الصَّفحة الأولى من النُّسخة المعتمدة

## خطبة عيد النحر (1)

الله أكبر ... الله أكبر وهو الكبير الذي عنت الوجوه لكبريائه وعظمتيه، الله أكبر وهو الحي القيوم الذي دبر الكائنات بحكمته، الله أكبر وهو القادر الذي أنشأ الموجودات وعمّها بإحسانه ورحمته.

الله أكبر كبيراً، والحمد لله كثيراً، وسبحان الله بكرة وأصيلاً، ونشهد أن لا إله إلا الله، جعل في تعاقب الأعياد عبراً لأولي الألباب، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله الداعي إلى الهدى والصواب، اللهم صلِّ وسلِّم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الحافظين لحدود الله، العاملين بأحكام الدين.

أيها المسلمون، إنَّ يومكم هذا يومٌ شريف، شرفه الله وعظمه، وأوجب حقه وحرّمه، وجعله عيداً حراماً، في يومٍ حرام، من شهر حرام، من أيام وأشهر حرم عظام، طالما عظمها أسلافكم في الجاهلية والإسلام.

إنَّ هذا اليوم يومٌ سرور لمن صحّت نيته، وطابت سريرته، وحسن خلقه، يومٌ عفو وإحسانٍ لمن عفا عمّن هفا، وأحسن إلى من أساء، وأصلح بين الأنام.

هذا يومٌ عيد، لكنّ العيد في الحقيقة لمن تمسك بالدين، وتهذب بأدابه، وشغلته عيوبه عن عيوب الناس.

---

(1) اعتمدنا في نشر هذه الخطبة على صورة من نسخة خطية بقلم الشيخ المهدي (رحمه الله تعالى)، تقع في (10 ص). (ع)

هذا يومُ الفلاح والنَّجاح لو كان المسلمون فيه مؤتلفين متَّحدين لا يهجرُ كبارؤهم  
وسُرَّاتهم مَواطنَ العبادة ويعمُّروا مَواطنَ الفسوقِ والعِصيان.

هذا يومٌ سَعِيد لو كُنَّا لمستقبلنا عامِلين، ولديننا مؤيِّدين، ولمشاريعنا الخيرية ممدِّين،  
وعلى أعيادنا وصالح عاداتنا مُحافظين.

هذا يومٌ فرحٍ وتهانٍ لمن دَخَلوا مَكَّةَ، للمسجد الحرام قاصِدِين، ثمَّ وقَفوا بِعَرَفَةَ  
مَلبِّين.

الله أكبر ... أيها المسلمون، ليس العيد لمن يحسدُ الناسَ على ما آتاهم اللهُ مِن فضله  
ويخذلُ أخاه، ويتكالبُ على جمعِ حُطامِ الدُّنيا وهو عن الآخرة غافلٌ كأنه خُلِقَ ليخلد.  
ليس العيدُ لمن يحقرُ إخوانه المسلمين ويهينهم أو يضطهدُهم أو يتسبَّب لهم في  
المضارِّ.

الله أكبر ... أيها المسلمون، ليس العيد لكلِّ هَمَّازٍ لَمَّز، مَشَاءٍ بِنَمِيم، مَنَاعٍ لِلخَيْرِ مُعْتَدٍ  
أثِيم، يجاهرُ ربَّه بارتكابِ المحرِّماتِ وتركِ الصَّلواتِ.

الله أكبر ... أيها المسلمون، عَظَّمُوا ما عَظَّم اللهُ مِن حُرْمَةِ هذا العيدِ بالإيثارِ لطاعته،  
والنزوعِ عَن مَسَاخِطِهِ ومخالفتِهِ، والتَّوْبَةِ إِلَيْهِ، ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَن عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ  
السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا نَفَعَلُونَ ﴾ (التوبة: 25).

الله أكبر ... أيها المسلمون، في مثلِ هذا الموسمِ وقَفَ ﷺ وتلا قوله تعالى: ﴿ أَلْيَوْمَ  
أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ (المائدة: 3)، بعد أن  
أَدَّى الرِّسالةَ، وبيَّن للنَّاسِ طريقَ الغيِّ مِن طريقِ الرِّشادِ، مؤيِّداً في ذلك كلَّهُ بأنصارٍ  
أَزْرَوْه على إظهارِ مِلَّتِهِ، مُسْتَبصِرِينَ بِحَقائِقِ رِسالَتِهِ، بهم تَمَّ اللهُ وَعُودَ نصره، وإياهم



أودَعَ خالصَ ذِكْرِهِ، وإليهم ساقَ معالمَ أمرِهِ، ولما قبضَهُ اللهُ إليه تركَ رجالاً قاموا بِمأمورياتِهِم أحسنَ قيامٍ، إلى أن خَلَفَ مِنْ بَعْدِهِم خَلْفٌ أضاعوا الصَّلَاةَ وأتبعوا الشَّهواتَ فلَقُوا الخذلانَ والإِهانةَ والذُّلَّ والإِسْتِكانَةَ، جزاءً بما كَسَبَتْ أيديهِم.

الله أكبر ... أيها المسلمون، إن الأصل في عيدكم هذا هو أمرُ الله تعالى لخليله إبراهيم (عليه السَّلام) بعد أن هاجر إلى الأرضِ المقدَّسة وسأل الله الولدَ، فبشَّره بِغلامٍ حلِيمٍ، وهو إسماعيلُ جدُّ نبينا عليه الصَّلَاةُ والسَّلامُ، ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَبْنَؤُا إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى﴾ قَالَ يَتَّابِتْ أَفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللهُ مِنْ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَدَيْتُهُ أَنْ يَتَّبِعْنِي أَنْ يَبْرَأَ مِنِّي ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقَتِ الرُّؤْيَا ﴿١٠٥﴾ (الصفات: 102 - 105)، وفداه بذبح عظيم.

الله أكبر ... أيها المسلمون، فإذا انصرفتم - إن شاء الله تعالى - إلى منازلكم فمن كانت له أضحية فليبدأ بها، وليستقبل بها القبلة وليكبر الله وليذكر اسمه، وليقل: اللهم هذا منك وإليك، اللهم تقبل مني كما تقبلت من إبراهيم خليلك، ومحمد نبيك، فإن رسول الله ﷺ ضحى بكبشين أملحين أقرنين، فلما ذبح الأول قال: بسم الله، والله أكبر، اللهم هذا منك وإليك، اللهم هذا عن محمد وآل محمد، ثم ذبح الثاني، وقال: بسم الله، والله أكبر، اللهم هذا عن من شهد لي بالبلاغ، وشهدت له بالتصديق، ولقي الله لا يشرك به شيئاً.

الله أكبر ... أيها المسلمون، عظّموا شعائرَ اللهِ، ﴿وَمَنْ يُعِظْمِ شَعَائِرَ اللهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ ﴿٣٢﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنَفَعٌ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحْمُورًا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾ (الحج: 32 - 33)، وتصدّقوا فإن الله يجزي المتصدّقين، ولا يضيع أجر المحسنين، ﴿وَاقْرِضُوا الله قَرْضًا حَسَنًا وَمَا نُقِضُوهُمْ لِأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ نَحْدُوهُ عِنْدَ اللهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَأَسْتَعْفِرُوا اللهُ إِنَّ

اللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾ (المزمل: 20).

ألا إنَّ أحسنَ ما تسمعون، وأولى ما به تُوعظون، كلام من نحن له عابدون، بعد  
أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَائُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ النُّقُورَى  
مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَنَكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿٢٧﴾ (الحج:  
37).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
 اللَّهُ أَكْبَرُ... اللَّهُ أَكْبَرُ وَهُوَ الْكَبِيرُ  
 اللَّهُ عِنْتَ الْوَجْوهِ الْكَبِيرِيَّةِ، عِلْمَتِهِ،  
 اللَّهُ أَكْبَرُ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ الَّذِي لَا يُرَى  
 الْكَلَاءِ نِيَّاتٍ بِحِكْمَتِهِ... اللَّهُ أَكْبَرُ وَهُوَ  
 الْقَادِرُ الَّذِي أَنْشَأَ الْمَوْجُودَاتِ وَعَمَّتْهَا  
 بِإِعْسَانِهِ وَرَحْمَتِهِ،  
 اللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا، رَأَى كَمْدُ لَهُ كَثِيرًا،  
 سُبْحَانَ اللَّهِ بَلَدًا، رَأَى لِيْلًا،  
 وَشَهِدْنَا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، جَعَلَ فِي  
 تَحَاقُّبِ الْأَعْيَادِ عِبْرَةً لَأُولِي الْأَلْبَابِ  
 وَشَهِدْنَا سَيِّدِنَا مُحَمَّدًا رَسُولَ اللَّهِ  
 الدَّاعِيَ إِلَى الْهُدَى وَالْعَوَابِ، اللَّهُمَّ  
 صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ

صورة عن الصَّفحة الأولى من النُّسخة المعتمدة



## سان لو<sup>(1)</sup> [تكريم قائد عرش بني خلّاد]

الشيخ عبد الحفيظ<sup>(2)</sup>.

السّلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، ما دام امتيازكم في خطّتكم الشّريفة من حيث الصّبغة العربية الإسلامية والدّعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، وبعد.

فإنّه لما كان لقضية هُنين التّاريخية وملحقها من تصميم سيادة القائد ارتباط بمصالح عمومية بالنّسبة للنّاحية من قسم تلمسان، فها نحن لا زلنا راغبين من سموكم الإسعاف بنشرها قبل فوات تشوّف نجباء الجهة للاطلاع عليها، أدامكم الله مطمح أنظار الأدباء، ومحطّ رحال المفكرين.

مدينة هُنين حصنٌ اختطّه عبد المؤمن بن علي على البحر بالسّفح الشّرقي من جبل ناجد، حيث مسقط رأسه ومنشؤه، وما زال شأن هذا الحصن يتزايد شهرةً وعمرانا أيام الموحدّين، ثمّ أخذ يتأخّر أيام مرين وبني زيان، وآخر عمارته الضّئيلة أواخر أيام الأتراك الذين فارقوه عند احتلال الدّولة الحاليّة، ومن يوم خروجه التّرك منه صار قاعا بلقعا، غير أنه لا زال سورّه المحيط به على ما كان عليه، وجدران القصور الشّاهقة

---

(1) نقلت هذا المقالة من جريدة النجاح، وضاعت منّا المعلومات المتعلّقة بتاريخ نشره، والعدد الذي

نشر فيه بالجريدة المذكورة. (ع)

(2) المقصود به: الشيخ عبد الحفيظ بن الهاشمي الطولقي، مدير جريدة النجاح. (ع)

قائمة، والقصر السلطاني مُشرفٌ على ما يحوطه السور.

## قِفْ بِالذِّيارِ فَهَذِهِ آثارُهُمْ      تَبْكِي الأَجَبَةَ حَسْرَةً وَتَشوُقًا

وينبئ اللَّيبُ بمصيرِ مغتبطاتِ هذا العالمِ البديعِ، وقد كان هذا الحِصنُ التاريخيُّ موعِدَ احتفالٍ فائقٍ بتعليقِ وسامِ الاحترامِ من رتبة (أفيسِي) بِصدرِ الأصيلِ نسبًا وحسبًا، جلالَةَ المحترَمِ سيادةِ العربيِّ النَّجاريِّ قائدِ عرشِ بني خِلاَدِ وبني عايدِ من دائرةِ ندرومةِ الممتزجةِ، حيثِ قَدِمَ سموُّ سوبريفيِّ رئيسِ حِكامِ قِسمِ تلمسانِ، وسيادةِ المتصرِّفِ ب: ندرومةِ، ومعها متصرِّفُ الرَّمشيِّ، وحاكِمُ دائرةِ مَغنيَّةِ، وقد أَعَدَّ السيدُ قاسميُّ بنِ عمروِ أحدَ أعيانِ التُّجَّارِ المَلَّاكِ بِتلكِ النَّاحيةِ مَأدبةَ فطورِ بدارِهِ خارجِ الحِصنِ المذكورِ حَضَرها الحِكامُ وقتَ الرِّوَالِ، ثمَّ أَعَدَّ سموُّ القائدِ المحتفلِ بِتوسيمِهِ مَأدبةَ عشاءٍ فاخِرةَ حَضَرها السَّادةُ الحِكامُ ومعهمِ من قِوَادِ النَّاحيةِ وأعيانها ما تَكُونُ منه مَوكبِ أهْلِ؛ وقد تَوَلَّى تعليقَ الوِسامِ بِصدرِ القائدِ جلالَةَ السُّوبريفيِّ حينَ خطبَ خُطبةً رائقةً نوَّهَ فيها بما لَجَنابِ القائدِ ولعائِلتِهِ العريقةِ في المجدِ والحَسبِ مِنَ المناقبِ والحِصالِ المحمودَةِ، ثمَّ عَزَّزَ بِالثَّناءِ على السيدِ قاسميِّ بنِ عمروِ وشكَّرهَ على ما أَظْهَرَهُ مِنَ الحِفاوَةِ وحسنِ القيامِ بِضيوفِهِ، ثمَّ خَلَصَ الخُطيبُ فَذَكَرَ نُبذةً مِنَ تاريخِ مَدِينَةِ هُنَيْنِ الأَثريَّةِ، ثمَّ تلاه متصرِّفُ ندرومةِ بِخُطبةِ أُنيقَةٍ ذَكَرَ فيها ما قامَ بِهِ القائدِ مِنَ الأَعمالِ الجَليلةِ، وما كانَ عليه القِوَادِ قَبْلَهُ مِنَ أَفرادِ عائِلتِهِ مِنَ حَسَنِ التَّصرُّفِ الجامعِ بينَ تَنفيذِ أَغراضِ الدَّوَلَةِ ومُراعاةِ مَصالِحِ الرعيَّةِ، ثمَّ ذَكَرَ مِنَ حَسَنِ السيدِ قاسميِّ وما عليه سَكَّانِ النَّاحيةِ مِنَ الهدوءِ والإِخْلاصِ للدَّوَلَةِ، وامْتِثالِ أوامرِ العَمَّالِ ما أَثَّرَ في الأَفكارِ أَثرا حَسَنا، ثمَّ قامَ السيدُ القائدُ فاستكثَرَ خَيْرَ الدَّوَلَةِ الكَرِيمَةِ، وشكَّرها على ما لها مِنَ حُسْنِ الإلتفاتِ نَحوِ رعاياها، ثمَّ أَثنى على السَّاداتِ الحِكامِ والحاضرينِ، واستعظَمَ ما أَكْرَمَوه بِهِ مِنَ

تَشْرِيفُهُمْ لَهُ وَلِعَرْشِهِ بِالْحُضُورِ، وَكَانَ كُلُّ ذَلِكَ بِعِبَارَاتٍ رَائِقَةٍ تُشَخِّصُ خَالِصَ الْوَدَادِ،  
وَتُبْرُزُ مَكْنُونَ الضَّمِيرِ مِنْ صَفَاءِ التَّحَابِّ، ثُمَّ انْفِصَّ ذَلِكَ الْمَوْكِبُ الْبَهِيحُ بِالْسِّنَةِ كُلِّهَا  
حَمْدًا وَثَنَاءً، دَاعِينَ اللَّهَ لَجَلَالَةِ الْقَائِدِ الْكَرِيمِ بِإِدَامَةِ الْعَافِيَةِ، وَسَوَابِغِ النَّعْمِ.

المهدي بن أبي عبد الله

البوعبدلي بـ (سان لو)





## فهرس الموضوعات

- 5..... كتابة التّاريخ والجوانب التي ينبغي للمؤرّخ مُراعاتها
- 15..... نشاط البحوث التّاريخية حديثا في البحر الأبيض المتوسط وفي العالم
- 35..... صفحات مجهولة من تاريخ التّعاون الثّقافي بين تونس والجزائر في
- 36..... التعريف بالمؤلف:
- 51..... علاقات الجامع الأزهر بالجزائر بمناسبة عيد الألفي
- 55..... الأزهر في عهد الأيوبيين:
- 57..... الأزهر في العهد المملوكي:
- 58..... الأزهر في العهد العثماني:
- 59..... إحداه مشيخة الأزهر:
- 59..... طلبه الأزهر:
- 60..... الأزهر والتطور:
- 64..... القسم الثاني من دراسة علاقات الجامع الأزهر
- 75..... وحدة المغرب العربي عبر التّاريخ
- 87..... لقطات من تاريخ انتشار الإسلام والثّقافة العربية في القارة الإفريقية
- لقطات من الثّمرات الإيجابية للتّعاون الثّقافي بين بلدان إفريقيا الشّمالية والبلدان
- الأوربية في حوض المتوسط عبر التّاريخ
- 99.....

Quelques aspects positifs...entre l'Europe méditerranéenne et l'Afrique	111	septentrional
أغناطي كراتشوفسكي وآثاره في الاستشراق العربي	123	
آثار الحضارة الفارسية وتطورها في العهد الإسلامي	141	
البيعة والشورى في الإسلام وتطورها عبر التاريخ	151	
آثار التبشير المسيحي في الجزائر قبل الاحتلال الفرنسي وبعده	159	
القسم الأول:	159	
ظهور الحروب الصليبية:	160	
الدين المسيحي في الجزائر:	163	
الجزائر والتبشير المسيحي عبر التاريخ:	167	
ظهور إرساليات المبشرين المسيحيين في الجزائر:	169	
معاملة سكان الجزائر للمسيحيين وتسامحهم المثالي:	170	
القسم الثاني:	176	
التبشير المسيحي بالجزائر بعد الاحتلال الفرنسي:	176	
تعقيب الأستاذ محمد أبي زهرة	196	
تعقيب الأستاذ أحمد سحنون	198	
تعقيب الأستاذ عبد الرحمن شيبان	201	
تعقيب الدكتور أحمد الشرباصي	204	
تعقيب الأستاذ محمد شريف بلحاج	207	
تعقيب الدكتور عمر فروخ	209	

212	تعقيب الأستاذ خليفة المحفوظي
213	تعقيب الأستاذ سليم كلالشة الغبريني
215	تعقيب الأستاذ عبد الرحمن الكتاني
218	رد الأستاذ المهدي البوعبدلي على الأساتذة المعقّين
222	ردُّ الأستاذ المهدي البوعبدلي على أسئلة الطلبة
223	.. CHARLES DE FOUCAULD OU L'ECHEC D'UN MISSIONNAIRE
233	السّاقية الحمراء، ماضيا وحاضرا
241	ماضي وادي الذهب والسّاقية الحمراء وحاضرهما
259	جوانب من تاريخ السّاقية الحمراء ووادي الذهب
269	تعقيب الأستاذ موسى لقبال على المحاضرة
271	حالة المسلمين في الاتحاد السّوفياتي ويوغسلافيا
271	أو ماضي الإسلام وحاضره بالاتحاد السوفياتي
273	موقع البلاد الجغرافي:
303	الأحباس في الجزائر
307	التعليق على وثيقة حكم بصحّة ثبوت شرف
311	خطاب المدرسة الخلدونية
315	مقال لجريدة الشّهاب
316	من حركتهم العلمية:
321	خطابٌ بمناسبة تعيينه مُفتيا بـمدينة بجاية سنة 1940

325	خطبة عيد الفطر.....
333	خطبة عيد النحر.....
339	سان لو [تكريم قائد عرش بني خالاد].....
343	فهرس الموضوعات.....